كتاب الأهالي رقم ١٢

محمد إبراهيم كامل

السلام الضائع

في كامب ديفيد

مقدمة خاصة للطبعة المصرية: فتحي رضوان

كتاب الأهالي رقم ١٢

يناير ١٩٨٧

كتاب الأهالى : يصدر عن جريدة الأهالى
حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى

المراسلات : ٢٣ شارع عبد الخالق ثروت ـ القاهرة

كتاب الأهالي

كتاب غير دوري

الغلاف هدية من الفنان محيي اللباد

محمّد إبراهيم كامل

- ولد بالقاهرة في ٦ يناير سنة ١٩٢٧
- تخرج من كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول (القاهرة) في ١٩٤٧
- اعتقل فى قضية الاغتيالات السياسية سنة ١٩٤٦ وصدر الحكم ببراءته في سنة ١٩٤٨
- عين في مجلس الدولة سنة ١٩٤٩
- انتدب للعمل بمجلس قيادة الثورة في سنة ١٩٥٣ وعمل مع الصاغ صلاح سالم وزير الارشاد القومي وشؤون السودان
- عين قائما بالأعمال للسفارة المصرية في المكسيك في سنة ١٩٥٨ ثم قنصلا عاما في مونتريال ومستشارا للسفارة في أوتاوا
- في سنة ١٩٦٤ عين سفيرا لمصر في ليوبولد فيل حتى قطع العلاقات أثر قيام القوات الكونغولية بمحاصرة السفارة المصرية بعد منع موشي تشومبي رئيس الوزراء الكونغولي من الاشتراك في مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز الذي عقد في القاهرة في ١٩٦٤
- سفيرا لمصر في زائير في ١٩٦٨ حتى ١٩٧١ ثم فى السويد حتى ١٩٧٣ ثم في جمهورية ألمانيا الاتحادية حتى ١٩٧٧
- عين وزيرا للخارجية المصرية في ٢٤ ديسمبر ١٩٧٧ الى أن أستقال في ١٦ سبتمبر ١٩٧٨ قبل التوقيع على اتفاقيات كامب دايفيد في ١٧ سبتمبر ١٩٧٨
- متزوج وله ولدان

كتاب الأهالي رقم ١٢

محمد إبراهيم كامل

السلام الضائع في كامب ديفيد

مقدمة خاصة للطبعة المصرية: فتحي رضوان

إهـــــداء

الى أولادى أحمد وعلى

الى مستقبل نحلم به جميعا

محمد ابراهيم كامل

الثمن خمسة جنيهات مصرية ـ هـذه الطبعة خاصـة بجمهورية
مصـر العربيـة ويحظـر عرضهـا خارج الأسواق المصريـة

أهوال الاستسلام

بقلم : فتحى رضوان

حينما وضع الوزير السابق محمد ابراهيم كامل ، مخطوط كتابه الذى أنا بسبيل تقديمه لقراء مصر ، اهتزت نفسى اهتزازا شديدا . ولكنى تجلدت وتجملت برباطة جأش ، وثبات مفتعلين ، حتى لا أبدو أمام المؤلف فى انفعالى الحقيقى والكامل . فلما انصرف بعد أن تبادلنا حديثا طويلا أكثره عن الكتاب (السلام الضائع) . وبعض عن ذكريات الأيام التى سجل أحداثها فى هذا الكتاب وبعض عن ذكريات الحياة التى جمعت بيننا منذ ثلاثين سنة مضت قبل تأليف الكتاب ، وسماع الناس به ، وحديثهم عنه . ولعل هذه الذكريات التى تداعت أمامى ، هى ماهزنى من الأعماق ، فقد اختار الشاب الصغير محمد ابراهيم كامل أن ينضم الى اللجنة العليا للحزب الوطنى ، التى أصبحت بعد قليل الحزب الوطنى الجديد ، وكان أقرب الى الصبا ، كان طالبا فى كلية الحقوق ، مكان الحزب الوطنى الجديد الذى كنت أتشرف برئاسته ، أحدث الأحزاب ، وأصغرها . فلم يكن له سند من مال ولا جاه ، وبالتالى كان المستقبل الذى ينتظره بمعايير السياسة تلك الأيام ، أن يبقى حزبا ضئيل الأثر ، قليل الحظ فى البروز والظهور . ولذلك فإن اختيار محمد ابراهيم كامل ، هذا الحزب ، الذى اختار بدوره ، طريقا شاقاً محفوفاً من الجانبين بالمصاعب والعقبات ، يدل على أن خلقه منذ البداية ، خلق مجاهد عنيد ، لاتخيفه . الشدائد ولا تثنى عزمه العوائق . ولعلى قادر أن أصور للقارىء الجانب الخلقى من شخصية محمد ابراهيم كامل هو أن أروى مشهدا رأيته بنفسى خلال فترة انتخابات عامة رشحت نفسى فيها عن دائرة مصر الجديدة ، وقد شاء الحظ فى أن يكون منافسى وزيراً فى القائمة ، وأن يكون هذا الوزير من حزب أغضب الأغلبية فى مصر اذ خرج على زعيم الأغلبية واتهمه بما لم يتهمه به زعيم من قبله . ولذلك حشدت له الحكومة كل صنوف التأييد لكيلا يسقط ، وكانت السراى والانجليز فى الحكومة فى هذا الموقف فكأنما كنا ننطح برؤوسنا الصخر . ولم يكن أشعر بشىء من الناس ولا الخوف من هذه النتيجة المحتومة ، فقد كان معى وحولى شبان مثل محمد ابراهيم كامل ، شبان أكثرهم ينتظره مستقبل باهر اذ اجتمع فيهم الذكاء والعائلة التى تملك النفوذ والمال .

ولكن محمد ابراهيم كامل واخوانه آثروا أن يؤيدونى فى معركتى الانتخابية ، وأنا زعيم حزب صغير السن ، قليل المال ، لاجاه يسنده ، ولا نفوذ يؤيده ، ولكنهم مضوا معى ، يقدمون لمواطنيهم معركة بلغت الغاية من التجرد والشجاعة ، وفى ذات يوم دخلت قسم مصر الجديدة فوجدت محمد ابراهيم كامل محتقن الوجه ، يسيل من صدره دم ، إثر ضربات بالسياط مزقت ملابسه ، وكشفت عن هذا الصدر القوى ، وعن شىء آخر عن صلابة هذا الشباب الذى نذر نفسه لجهاد يكاد يكون دامياً ، كانت احدى وقائعه ، مقتل أمين عثمان الوزير المصرى الذى تبرع للانجليز ، بما لم يسمعه تاريخ الاستعمار وعملائه ، فقد سيق الى السجن ، وسلط فوق رأسه سيف الموت ، فلما قضى له بالبراءة ، كانت ، هذه المحنة ، مزيدا من الصقل ، واسقاطاً لرهبة السجن ، واستغرابا لشرف التضحية ، وتحملا لآلام الحرمان .

وشاء القدر أن يكون زميل محمد ابراهيم كامل فى الاتهام والسجن وشريكه فى الافراج والعودة الى الحياة الطليقة ، بعد شهور مضنية من الاعتقال والقيد ، لم يكن شاباً كسائر الشبان ، يبحث عن الوظيفة ، ويفكر فى المستقبل بل كان جنديا شاكى السلاح ، ينتظر المعركة التى يخوض غمارها ، فكانت هذه المعركة الباهرة ، معركة السلام الضائع فى كامب ديفيد .

وأتصور — أحيانا — ان القدر لم يجمع بين محمد ابراهيم كامل ومحمد أنور السادات فى الجماعة التى نذرت نفسها لتطهر الوطن من الانجليز وصنائعهم ، الا ليجتمعوا فى السجن الطويل ، ثم ليجتمعا فى سجن غريب غاية الغرابة ، لانظير له فى التاريخ ، ولا شبيه له فى طرائف وغرائب السياسة ، سجن يبلغ فيه الترف غايته ، وتنفق أكبر دول الأرض مالا وفيراً ، ليكون منتجعا للراحة ، وجنة من جنات الأرض ، للمتعة والاستجمام ، ولكن الاستعمار عرف كيف يحول هذا النعيم الى جحيم ، إذ زج فيه عدداً من السادة والحكام المصريين مع طراز من البشر يكاد يأكلون لحوم الناس أحياء ، ويشربون دماءهم كئوسا وأكوابا وهم يتلمظون ويمسحون شفاههم بأطراف ألسنتهم ، وكأنهم لايفعلون الا الحلال الذى أباحه لهم ويجتنبون المذبحة بحديث طويل ثقيل ، عن المبادىء وحقهم فى أرض من أرض العرب ، أوقفها عليهم آلههم الذى اتفق معهم حسب الثابت فى توراتهم المتداولة على ان يعلموا له بيوت المصريين ليأتى ليلا فيقتلهم فردا فردا ، فكان فوق كونه سفاك دماء ، إلها أعمى يحتاج الى من يأخذ بيده . ذهب محمد كامل الى مخيم داود الذى نعرفه باسمه الأوروبى كامب ديفيد ، وقضى هناك أياماً ، كانت وقائعها قوام القصة المخيفة المذهلة ، التى تضمنها هذا الكتاب الغد الغادر ، السلام الضائع !

ولما دعيت لأكتب هذه المقدمة ، ساءلت نفسى كيف اصنف وأصف كتاب هذا السلام المسكين الذى تمزق ، وتناثرت اشلاؤه ، وسقط على الأرض العربية اشلاء يمضغها ويبلعها أكلة الجيف ، وفى الحيوانات آكلة جيف ، تضم الذئاب فى الأرضى والنسور فى السماء ، وأعجب أن يجتمع على الجيفة هذا الحيوان الغادر ، وذلك الطير الكاسر ، ولكن ليس كل مايبدو محلقا متساميا ، مخبره كمظره ، ومظهره كجوهره .

قلت لنفسي أهذا الكتاب الفذ ، قصة الأيام التى كابد أهوالها ، منذ اختاره السادات رئيس جمهورية مصر وزيرا للخارجية . فهى قصة . أم تكون مذكرات لهذا الوزير الشاب الذى فجرت المحنة موهبة التعبير والتصوير بالقلم من مكامن نفسه ، والمطوى من مواهبه . أم تكون رواية لأمور مستحيلة لاتجتمع الا فى كابوس ،..

ووقفت أمام لفظ كابوس طويلا :

فإن ماعاناه محمد ابراهيم كامل منذ ٢٤ ديسمبر ١٩٧٧ عقب عودته مباشرة من ألمانيا التى كان يعمل فيها سفيرا لمصر فى عاصمتها بون لمدة سنوات ، لقد عاد يوما الى بيت عديله وصهره أحمد خيرت سعيد نائب وزير الخارجية السابق ، فرأى أهله فى انفعال غير مفهوم ، فلما سألهم ماالخبر عرف منهم أن الاذاعة المسموعة والمرئية ، أنه أصبح وزيرا للخارجية . عينه رئيس الجمهورية ، بدون مجرد الاخطار . وهو لم يعد لمصر ، إلا لأن رئيس جمهورية ألمانيا هلموت شميت كان على وشك زيارة رسمية لمصر ، فكان الواجب أن يحضر الزيارة كالعادة المتبعة .

كانت هذه فاتحة رواية القصة التى لعب فيها محمد ابراهيم كامل دور البطولة فيها ، على الرغم منه ، وبلا استئذانه ، ومضت الأحداث والوقائع كلها ، فى سياق أشبه بالجنون . فكان الأبطال جميعا ــ الا محمدا ــ قد أصابتهم لوثة عنيفة لسبب غير مفهوم .

وقد عبر مؤلف كتاب السلام الضائع عن صدمته لهذا النبأ فقال فى الفصل الرابع من الكتاب :

« تلقيت فى البداية هذا النبأ بدهشة لم تلبث أن حل محلها شعور بالغضب بسبب اهمال السادات لأخذ رأيى فى تولى هذا المنصب خاصة فى الظروف الدقيقة وغير العادية التى خلقتها مبادرة (السادات) وزادنى غضبا اننى شعرت بأننى وقعت فى فخ لافرار منه إذ كان المستحيل على بعد أن أذيع النبأ على العالم كله أن أرفض المنصب أو استقيل منه حتى قبل أن أتولاه لاعتبارات تتعلق بعلاقتى الشخصية بالسادات والتى ترجع الى أكثر من ثلاثين عاما ولاعتبارات وطنية من الناحية التالية اذن أن رفضى للمنصب وبعد اعلان تعيينى سيظهر كحلقة جديدة فى سلسلة الاستقالات التى بدأها اسماعيل فهمى وتبعه محمد رياض وتوجد انطباعا سيئا ويشكل لطمة للسادات تمس اعتباره الأدبى » .

كان من المضحك المبكى بلا شك ان يعين وزيرا للخارجية فى أى دولة بالصورة التى عين بها محمد كامل الوزير . فى هذه الفترة الحرجة من حياة مصر السياسية ، فلا أقل من أن يكون الوزير المختار قد مارس العمل الدبلوماسى فى فترة سابقة فى المنطقة التى تعتبر أهم مناطق بالنسبة للوزير الجديد . فمحمد كامل كان أكثر عمله فى أوروبا ، على أن الوزير لايفاجأ بتعيينه الى حد سماع نبأ هذا التعيين من الاذاعات المحلية والعالمية . ولولا أن محمد كامل لم يكن يتصور العالم

الغريب الذى سيدخل فيه بدخوله الوزارة والغرائب والمدهشات ، بل الفظائع والأهوال التى سيلقاها فى هذا المنصب ، لأنه لو اطلع على الغيب ، وعرف أنه لم يختر لمنصب وزير ، وإنما اختير للمشاركة فى مؤامرة ضد وطنه وأهله وقومه ، وأنه لن يصبر على شىء منها ، الا اذا فقد احساسه بالشرف ، وفهمه للواجب .

ولما عرف ذلك كله ، لم يبق أمامه الا أن يستقيل ، ولكن قبل هذه الاستقالة بعد حبسه فى منتجع كامب ديفيد ذى الأسوار العالية ، واحاطته بيهود من طراز الشياطين لانهم غلاة الصهاينة الذين عاشوا حياتهم يفتلون حبال المشنقة للأمة العربية ، والذين اذا تكلموا كان كلامهم فحيح الأفاعى ، واذا تحركوا انسابوا على الأرض لايسمع لأقدامهم وقع الثعابين ، واذا نظروا تطاير من عيونهم شرر الحقد والكراهية والضغينة :

كتب محمد ابراهيم كامل مناجات لنفسه بعد ان وصل الى قاع الوكر الذى وقع فيه :

« وتمضى ساعات الليل ويأبى النوم ان ينتشلنى وتطوف فى ذهنى سلسلة مختلطة من الهواجس والمخاوف والمغريات فهاأنذا على بعد آلاف الأميال من وطنى وحيدا أعزل فى معسكر تحيط به الأسوار بين قوم بعضهم لايروق له ماأقول . والبعض الآخر لايطيقه ويرفضه . وتهاجمنى كوابيس بشعة وأرى صوراً ومشاهد مما قرأت وسمعت عن ماتفعله المخابرات الأمريكية ومنظمة الموساد الاسرائيلية . ماذا لو قتلوا الكل بشكل أو بآخر تحت ستار حادث عارض أو مرض مزعوم مفاجىء » .

بالضبط هذا ماأريده : الكوابيس التى اجتمعت على مؤلف كتاب الظلام الضائع . فانت وانت تقرأ كتاب السلام الضائع تحس على الرغم من بساطة عبارة المؤلف وزهده الشديد فى الأسلوب ذى الزخائر ، وعلى الرغم من اقتصاده الشديد فى الألفاظ ، وهو يروى الوقائع ، ويصف الأحداث ، ويرسم صورا لشخصيات معروفة وغير معروفة ، تحس أن الكاتب يستدرجك بأسلوبه الجميل الأخاذ ، وصدق قوله ، وأمانة فى الرواية التنقل الى قاع هوة تتراقص على أرضها الشياطين والأبالسة وترحوا فى ساحتها العفاريت والغيلان ، وتحس بأن هناك مؤامرة شديدة القبح ، ضد كل الشرفاء والأمناء الذين جاءوا الى منتجع كامب ديفيد ليفاوضوا مناحم بيجين وموشى ديان ، أن الأمر أمر مفاوضة فعلا ، وأن هناك حرية فى الأخذ والعطاء ، وقرع الحجة بالحجة ، والدليل بالدليل ، لأن الواقع ان هذا المكان مقر عصابة لاتدعو اليه الا لجريمة تدبر وتنفذ وان الذين يذهبون اليها على أقدامهم ، أشبه شىء بالضحات التى تقوم ، لتلفظ أنفاسها ، وتفقد حياتها وهى لاتدرى ولاتعرف .

ظن محمد ابراهيم كامل أن انور السادات ذهب فعلا الى هذا المكان واختاره مستشارا وناصحا وصديقا ، فإذا به يرى السادات قد تهيأ لكل مايطلب من تنازلات وأنه يتنازل ويقبل ويوقع ، راضيا غير مضطر ، سعيدا ، غير رافض .

تكشفت الحقيقة الرهيبة فى هذه القضية الغريبة ، فأحس أنه كاد يختنق وجلس يحاسب نفسه ، وتمضى الساعات ، وهو لايعرف سبيلا الى النوم ، ماذا يفعل ؟ وكيف يتصرف ؟ هل من سبيل الى النجاة .

وانتهى كلام محمد ابراهيم كامل الى ماكتبه فى الفصل الخامس والأربعين أنقل نصه :

« غدا أكلم الرئيس بهدوء وأمانة وقوة . عسى أن يفيق ويهتدى ، والا فليقبل استقالتى . وقد أبرأت ذمتى وأرضيت ضميرى » .

انظر الى هذا اللفظ البسيط الذى يتضمن هذا القرار الخطير . ونقف بصفة خاصة أمام عبارة :

غدا أكلم الرئيس
بهدوء
وأمانة
وقوة .

انظر الى هذه الكلمات بهدوء أولا ، ثم بأمانة ثم بقوة . نعم بهدوء لأن الرجل الذى يضطرب ولاينام ، ولا يعرف ماذا يفعل لفرط الصعاب التى تمت فى طريق القرار ، ثم يهتدى الى السبيل السوى يشعر بهدوء عميق وطمأنينة سابقة ، وسكينة شاملة . ويمضى الى مصيره ، لاتطرف له عين ، ولا يضطرب له عصب . انه يقول لنفسه : سأفعل كذا .. وليكن مايكون . سأقول كلمة الحق ، ولتنطبق السماء على الأرض ، وسأخاطب الطاغية كأنما أحدثه حديثا لاخطر فيه ، ولا دفع إلى مايشبه الموت المحقق .

وفى هذه المناسبات يشعر الطغاة بأن محدثهم أكبر منهم وأعظم ، وأنهم على الرغم من الصولجان والسلطان ، فهم أقزام ، ومحدثهم الذى يصفع وجوههم بالحقيقة عملاق لايطولونه ، ولا يبلغون طوله .

أما الأمانة فهى جوهر القصة ، ومقطع الفصل فى الحكاية . ان الامانة هى الرسالة ، وهى النبوة ، وهى الدعوة الى الحق .

الأمانة تضىء ويسطع نورها خاطفا للأبصار ، مبددا للظلمات ، أما القوة فهى حصيلة الهدوء والأمانة . فالقوة لاتكون إلا بالأمانة وبالهدوء لاصخب ولا ضجيج بل قول رصين فى صوت عميق .

ولما عقد محمد ابراهيم كامل العزم على أن يخاطب السادات بكلمة الحق قال له :

« لقد اطلعت على المشروع الذى قدمه لك أمس الرئيس كارتر باطار السلام الشامل الذى نستهدفه والذى حددت معالمه بحق ووضوح فى خطابك فى الكنيست الاسرائيلى عند زيارتك القدس . فالمشوع الأمريكى رسم الطريق الى سلام كامل بين مصر واسرائيل مستقلا تماما عما يجرى فى الضفة الغربية وغزة فلا رابطة بينهما تضمن التزامن بين حل مشكلة سيناء وحل المشكلة الفلسطينية وهى الأصل وستكون النتيجة أن ينتهى الأمر الى معاهدة سلام بين مصر واسرائيل فيما تبقى الضفة الغربية وغزة تحت قبضة اسرائيل تمارس فيها تخطيطها لضم هذه الأراضى فى النهاية » .

لقد كنت منذ صباى استرجع دائما فى المواقف البالغة الخطورة النداء الذى وجهه قسطنطين بارنكومير اليونانى أباه ميشيل بارنكومير بطل البلقان اذ هو يخون وطنه من أجل التاج ، وهو النداء الذى صاغه الكاتب الفرنسى فرانسوا كوبير فى مسرحية (فى سبيل التاج) . وقد ذكرته ومحمد ابراهيم كامل يتوسل الى السادات لكيلا يوقع البيان الذى أعده كارتر بالمبادىء التى يلتزمها الأطراف .

« إنك إذا وقعت على اتفاقية على اساس المشروع الأمريكى فسيكون حلا منفردا ، بكل المعايير ولن ننجح فى خداع أحد بغير ذلك .

وبطل المسرحية تماما قال السادات :

« أنا أعلم ما أفعله . وسأمضى فى مبادرتى الى النهاية .

فقال له محمد ، إذن فأرجوك أن تقبل استقالتى .

وكالمسرحية تماما قتل الابن بيده أباه ميشيل بالانكومير حتى لايتورط الأب فى خيانة وطنه بعد ان حارب فى سبيله وأبلى بلاء حسنا .

وكانت استقالة محمد ابراهيم كامل ، فقد كان زميلا للسادات فى السجن ، هى الطريق الى ماحدث فى المنصة يوم ٦ أكتوبر ، يوم قتل السادات .

مقدمة

قصة الأشهر العشرة :

في يوم ٩ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٧٧ وقف الرئيس الراحل أنور السادات تحت قبة مجلس الشعب المصري ليقول في خطاب رسمي : انه مستعد للذهاب إلى أي مكان سعيا وراء السلام ، وحقنا لدماء أي جندي ، ولو كان الكنيست الاسرائيلي ؟!

ولم يمر أسبوع حتى وجه مناحم بيجن رئيس وزراء اسرائيل دعوة رسمية للسادات لزيارة إسرائيل ، وقبل الرئيس السادات الدعوة التي تحدد لها يوم ١٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٧ .

وفي اليوم المحدد للزيارة أعلن وزير الخارجية المصري اسماعيل فهمي استقالته ، وتبعه بعد ساعات قليلة محمد رياض وزير الدولة للشؤون الخارجية ، وقد سافر السادات إلى اسرائيل في نفس اليوم بعد أن عين بطرس غالي مكان محمد رياض ، بينما ظل منصب وزير الخارجية شاغرا ، ووقف السادات ليلقي خطابه في الكنيست يوم ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٧ .

تم تعييني وزيرا للخارجية يوم ٢٤ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٧ ، وسافرت في اليوم التالي للاشتراك في مباحثات الاسماعيلية بين مصر واسرائيل ، وفي ٥ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٨ ، سافرت مع الرئيس السادات إلى الولايات المتحدة لحضور مباحثات كامب ديفيد بين السادات ، والرئيس الأمريكي كارتر ومناحم بيجن .

وفي يوم ١٦ سبتمبر (أيلول) قدمت استقالتي للرئيس السادات بعد حديث استمر نصف ساعة وقبلها ، لكنه طلب مني عدم إعلانها حتى نعود إلى القاهرة .

في مساء الأحد ١٧ سبتمبر (أيلول) غادرت الوفود الثلاثة (المصري والأمريكي ، والاسرائيلي) كامب ديفيد بطائرات الهليكوبتر إلى البيت الأبيض حيث تم التوقيع على ما عرف باتفاقيات كامب ديفيد ، وتوالت الزلازل بعدها على العالم العربي ، وبدأ – ومازال – أكبر موضوع جدلي في القرن العشرين على مستوى العالم أجمع .

في الحلقات القادمة قصة الأشهر العشرة التي قضيتها وزيرا للخارجية مع الرئيس أنور السادات ، أرويها بكل أمانة وموضوعية ، وإن بدت بعض أحداثها أغرب من الخيال .

محمد إبراهيم كامل

الفصل الأول

كيف قابلت السادات

في بداية الأربعينات كنت طالبا في كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة الآن) وكانت مصر لاتزال تحت الاحتلال البريطاني . اعتنقت ـ في ذلك الوقت ـ ونفر من الشباب مبادئ الحزب الوطني الذي أسسه الزعيم الراحل مصطفى كامل باشا ، والذي بعثت الحياة فيه من جديد ـ في ذلك الوقت ـ مجموعة من المصريين الوطنيين يتقدمهم الأستاذ فتحي رضوان . وكان الهدف الأساسي لذلك الحزب هو تحقيق الاستقلال باجلاء الانجليز عن مصر .

كانت الحرب العالمية الثانية في أوجها ، وقد امتدت ساحة القتال بين الحلفاء ، وقوات المحور إلى شمال أفريقيا ، بينما قوات « الفيلق الافريقي » بقيادة المارشال روميل ، تجتاح الصحراء الغربية نحو مصر بعد سلسلة من الانتصارات المذهلة والسريعة على قوات الحلفاء ، حتى هزمها المارشال مونتجمري في معركة العلمين التي تبعد عن مدينة الاسكندرية حوالي ١٢٠ كيلو مترا .

اثار الغزو الألماني الذي كان يستهدف احتـلال مصر ، والسيطرة على قناة السويس مشاعر متباينة بين المصريين ، تراوحت بين الخوف من أن تحل ألمانيا بنظامها النازي محل انجلترا في احتلال مصر ، وبين الحماس لذلك التقدم الألماني على أمل أن يخلص مصر من الاحتلال الانجليزي وتستعيد مصر استقلالها ، لدرجة أن قامت بالفعل بعض المظاهرات ترفع شعار : « إلى الأمام يا روميل » .

في غمار هذا الوضع المضطرب ، وإزاء دقة موقف انجلترا والحلفاء قامت الدبابات البريطانية في مساء يوم ٤ فبراير (شباط) ١٩٤٢ ، بمحاصرة قصر عابدين الملكي ، وأرغمت الملك فاروق ـ الذي كان يبدي تعاطفا مع الألمان ـ على اقالة وزارة حسين باشا سري ، وتعيين مصطفى النحاس باشا (رئيس حزب الوفد) رئيسا للوزراء ـ ضمانا لاستقرار الأحوال الداخلية في مصر .

أثار هذا التصرف البريطاني ثورة عارمة في نفوس المصريين لما مثله من اهانة بالغة لحقت بالملك بوصفه رمزا لمصر ، وقد اعتبر حادث ٤ فبراير (شباط) نقطة سوداء في تاريخ حزب الوفد ، كما كان حافزا على مضاعفة النضال لطرد الانجليز . ولأن مصر كانت تخضع آنذاك لحكم عسكري وعرفي صارم ، فقد بدأت الجمعيات السرية في التكوين والانتشار خاصة بين بعض الطلبة ، وحتى في بعض دوائر الجيش المصري .

اللقاء الأول :

في عام ١٩٤٣ اشتركت ومجموعة من أقاربي وأصدقائي الشبان في تكوين جمعية سرية تستهدف القيام بعمليات ضد القوات البريطانية التي كانت تجوب شوارع القاهرة ، وكثيرا من المدن المصرية على غرار حركة المقاومة الفرنسية التي نشأت في فرنسا عقب الاحتلال الألماني ، وفي تلك الأيام كانت الجمعيات الارهابيـة الصهيونية تقوم بنشاط واسـع ضد الفلسطينيـين ، والقـوات الانجليزية في فلسطين أو القاهرة .

كانت مواردنا كطلبة محدودة ، ولذلك كنا نخصص جزءا من مصروفنا الشخصي لشراء بعض الأسلحة ـ كالمسدسات والقنابل اليدوية ـ ونقوم بالتدريب على استعمالها في صحراء شرق القاهرة . وبالفعل قمنا بعدة عمليات اعتداء على الجنود والضباط البريطانيين ،

كما قمنا باشعال النيران في أحد معسكرات الجيش البريطاني بضاحية المعادي مما أدى إلى حريق هائل .

في ذلك الوقت تقريبا ، وبالتحديد في عام ١٩٤٤ أوفدت جمعية الأرجون الارهابية التي كان يرأسها مناحيم بيجن رئيس وزراء اسرائيل الحالي اثنين من رجالها قاما باغتيال اللورد « موين » الموفد من قبل انجلترا في مهمة ، وكادا يفلتان إلا أنه تم القبض عليهما ، وقد دافعا عن عملهما هذا ـ أثناء المحاكمة ـ بأنه مشروع في نظرهما لاقامة دولة اسرائيل وهو ما ينكره الآن بيجن على الشعب الفلسطيني وجهاده في سبيل استرجاع حقوقه المشروعة في وطنه فلسطين .

كان يدير جمعيتنا التي بلغ عدد أعضائها ٢٣ عضوا مجلس إدارة مكون من أربعة هم نجيب فخري ، وحسين توفيق وهما من أولاد خالتي وسعد الدين كامل الطالب بكلية الحقوق ، وأنا .

وفي منتصف عام ١٩٤٥ عرض حسين توفيق على مجلس الادارة اقتراحا بالتعرف على شخص يدعى عمر أبو علي الذي فاتحه في الاشتراك في جمعية أخرى يبدو أنها ذات امكانيات أكبر من امكانياتنا ، وعندما أخبره حسين بأنه عضو بالفعل في جمعية وطنية سرية اتفقا على أن يعود كل منهما إلى جمعيته ويعرض عليها قيام تعاون أو تنسيق بين الجمعيتين .

وافق مجلس ادارتنا على هذا الاقتراح ، وكلفني أنا وحسين توفيق بمقابلة ممثلي الجمعية الأخرى للتفاهم حول كيفية تحقيق التعاون بيننا .

ولم تمض أيام قلائل حتى تم اللقاء في أحد المقاهي الكائنة بميدان الأوبرا ، وقابلنا أنا وحسين توفيق ، عمر أبو علي الذي قدم لنا شابا كان يرافقه ، لفت نظري أنه كان يكبرنا في السن ، كان أسمر

اللون ، ممشوق القوام ذا شارب ضخم وصوت أجش عميق النبرات ، إلا أنه كان يلبس ثيابا غريبة ، إذ كان يرتدي بدلة رمادية داكنة ، وتحتها صديري فاتح اللون به مربعات حمراء ، وربطة عنق فاقعة اللون ، وحذاء أبيض ، وقدمه لنا عمر أبو علي باسم « أنور السادات » .

اغتيال المتعاونين مع الانجليز :

استمر اللقاء نحو ساعة ونصف الساعة تبادلنا فيها الحديث عن أوضاع البلد وأفهمنا السادات بطريقة غير مباشرة أنه ينتمي إلى جمعية من رجال القوات المسلحة . وأنه كان (يوزباشي) بالجيش وأحيل إلى التقاعد للشك في ميوله المتعاطفة مع الألمان ، وأنه يعمل الآن في المقاولات والنقل .

أدخل السادات على تفكيرنا تعديلا لم يكن واردا ، وهو أن الطريقة الفعالة لتحقيق أهدافنا هى القضاء على الزعماء المصريين المتعاونين مع الانجليز ، وأننا إذا تمكنا من اغتيال عدد منهم فسيأتي اليوم الذي لن يجد فيه الانجليز مصريا واحدا يتعاون معهم في حكم البلاد .

عدنا إلى مجلس ادارة جمعيتنا وعرضنا عليهم ما دار في المناقشة ووافقنا على القيام بعمليات مشتركة مع الجمعية الأخرى ، كما وافقنا على أن يشمل نشاطنا المصريين المتعاونين مع الانجليز .

قمنا (أنا وحسين توفيق) بمقابلة أنور السادات مرة ثانية حيث أبلغناه بموافقتنا على التعاون معه ومع جمعيته ، واقترح علينا أن نقوم باغتيال النحاس باشا رئيس حزب الوفد ، لدوره المشين في حادث ٤ فبراير (شباط) ، ووافقنا نحن على ذلك .

تم وضع خطة لتحقيق تلك العملية عهد فيها بالدور الرئيسي إلى حسين توفيق الذي كان يتمتع بأعصاب فولاذية ، ويشترك فيها من جمعيتنا سعد الدين كامل وأنا ، ومن الجمعية الأخرى أنور السادات

وعمر أبو علي كمساعدين لتغطية العملية .

كان دور أنور السادات أن يحضر سيارة وينتظر بها بجوار مبنى الجامعة الأميركية في القاهرة الذي يقع على مقربة من مكان تنفيذ العملية . كما سلمنا أنور السادات طردا يحوي مسدسا ماركة برتا عيار ٩ ملليمتر وبعض الطلقات ، وقنبلتين يدويتين من طراز انجليزي .

وبالفعل تمت المحاولة ، إلا أنها فشلت نتيجة انفجار القنبلة التي ألقاها حسين توفيق في مؤخرة سيارة النحاس الذي أسرع فجأة ليتفادى تراما قادما بسرعة ، فلم يصب أحد من راكبي السيارة التي فرت بسرعة ، إلا أن حسين توفيق عندما توجه إلى المكان المتفق عليه بعد محاولة الاعتداء لم يجد أثرا لأنور السادات أو للسيارة حسبما كان متفقا عليه ، وعدنا جميعا بعد ذلك إلى منازلنا دون أن يتطرق الشك إلى أي منا ، وقيد الحادث ضد مجهول .

القبض على حسين توفيق :

مضت شهور أوقفنا فيها كل نشاطنا ، بعد أن اتخذت أجهزة الأمن بعد الحادث تدابير أمنية مشددة .

وفي مساء ٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٤٦ ، قام حسين توفيق باطلاق النار على أمين عثمان وزير المالية السابق بوزارة الوفد أثناء دخوله مقر نادي الرابطة المصرية البريطانية في شارع عدلي باشا ، ولم يلبث أن توفي متأثرا بجراحه .

كان أمين عثمان معروفا بصلاته الوثيقة والمريبة بالانجليز ، وكان كثيرا ما يدلي بخطب وتصريحات تمثل استفزازا صارخا لمشاعر المصريين ومنها خطبته الشهيرة التي قال فيها إن انجلترا متزوجة بمصر زواجا كاثوليكيا لا طلاق فيه . كما كان شائعا أنه ـ أي أمين عثمان ـ الرأس المدبر لحادث ٤ فبراير (شباط) .

نجح حسين توفيق في الهروب بعد مغامرة مثيرة حيث جرى

خلفه عدد من الناس ، وكان أثناء هربه يطلق الرصاص من مسدسين كان يحملهما . ورغم ذلك زاد عدد مطارديه حتى ألقى بقنبلة يدوية أخافت الناس دون أن يصاب أحد . وسار بهدوء حتى وصل إلى ميدان العتبة حيث استقل الترام وعاد إلى منزله .

تدخلت الصدفة البحتة في القبض على حسين توفيق ، فقد كان والده (توفيق باشا أحمد) وكيلا لوزارة المواصلات ، وكان مشهورا بالشدة والصرامة . وحدث أن طرد أحد موظفي وزارته لسوء سلوكه ، وكان هذا الموظف يعرف حسين توفيق بصفته ابن رئيسه ويعرف عنه عداوته وكراهيته الشديدة للانجليز .

انضم هذا الموظف إلى الرابطة المصرية الانجليزية التي كان يرأسها أمين عثمان أملا في التوصل إلى شيء عن طريـق هذا الانضمام . وشاءت الظروف أن يلتقي بحسين توفيق قبل الحادث بأيام واقفا أمام مقر الرابطة بشارع عدلي ، حيث كان يدرس مكان العملية المكلف بها ، فحياه هذا الموظف وتبادل معه حديثا قصيرا انصرف بعده حسين توفيق .

بعد الحادث أعلنت الحكومة عن مكافأة قدرها خمسة الاف جنيه لمن يدلي بمعلومات تؤدي إلى القبض على الجاني ، فما كان من هذا الموظف إلا أن توجه إلى البوليس حيث أبلغ بأن الذي قتل أمين عثمان هو حسين توفيق وكان ذلك من مجرد التخمين المحض .

توجه ضباط البوليس بالفعل (الأمن السياسي) في منتصف ليلة الحادث ، إلى الفيلا التي يقيم فيها حسين توفيق مع عائلته في ضاحية هليوبوليس ، فوجدوا بعض الأسلحة المخبأة ، ومفكرة يوميات تحوي بعض العبارات العدائية ضد الانجليز وأعوانهم ، وعنوان الرابطة المصرية البريطانية فقاموا بالقبض عليـه واصطحابه ، حيث جرى تحقيق طويل انتهى باعترافه بقتل أمين عثمان لأسباب وطنية . وشمل اعترافه ، الادلاء بأسماء أعضاء الجماعة كلهم ، والاعتراف على أنور السادات وعمر أبو علي .

تبرئة السادات :

تم القبض علينا (٢٦ شخصا) ، وقد اعترف الجميع بالاشتراك في الجمعية السرية عدا أربعة هم : أنور السادات ، سعد الدين كامل ، نجيب فخري ، وأنا .

وقد أمضينا في السجن المخصص للتحقيقات السياسية (سجن الأجانب) شهرين في حبس انفرادي دون أن يسمح لنا بأي نوع من الاتصال بعضنا بالبعض الآخر ، حتى انتهت التحقيقات التي كانت تجريها النيابة ، ورجال البوليس . وكان مدير سجن الأجانب مأمورا انجليزيا يقيم بفيلا ملحقة بحديقة السجن ، ويقوم بتربية خنزير اطلق عليه اسم (سعد باشا) نسبة للزعيم المصري سعد باشا زغلول . وقد انتقلنا بعد ذلك إلى سجن مصر العمومي ـ وهو الذي قام بهدمه أنور السادات بعد توليه رئاسة الجمهورية في احتفال رسمي ـ عندما تقرر احالتنا للمحاكمة الجنائية .

كان انكاري أي صلة لي بالجماعة ، وبالتالي انكاري لمعرفتي بأنور السادات من أهم العوامل التي ساعدت على تبرئته في تلك القضية ، إذ لم يكن يعرفه من جمعيتنا سوى حسين توفيق ، وأنا ، ولا يعرفه من جماعته سوى عمر أبو علي .

وقد اعترف كل من حسين وعمر عليه ، كما اعترفا علي ، وقررا أني قد قابلته في حضورهما مرتين ، ولكن انكاري التام لذلك ، وانكار السادات بدوره له ، ساعداه كثيرا في موقفه في القضية . خصوصا وأن النيابة العامة والبوليس السياسي ، كانا يركزان على أنور السادات بوصفه المسؤول الأول عن الاعتداءات التي وقعت حيث كان يكبرنا في السن ، بالاضافة إلى ماضيه كضابط في الجيش أحيل إلى التقاعد ، ولاشتراكه في عمليات منها محاولة تهريب عزيز باشا المصري القائد السابق للجيش المصري ، والذي كان معروفا بعدائه الشديد للانجليز حتى يسافر إلى العراق وينضم إلى ثورة رشيد عالي

الكيلاني ضد الانجليز .

قدر لي السادات موقفي هذا . وبعد أن نقلنا إلى سجن مصر العمومي ، توطدت بيننا علاقات الصداقة ، أثناء ساعات طابور الفسحة التي كان يسمح لنا بها لمرة ساعة في الصباح ، وأخرى في المساء للتريض والمشى .

كان والدي يعمل نائبا لرئيس محكمة الاستئناف وكان يتمتع بشخصية قوية ومحبوبة في أوساط القضاء والنيابة العامة ، وقد كفل لي ذلك بعض الامتيازات ، فكان يسمح لي بأن اتلقى الطعام من منزلي ، فكانت والدتي ترسل لي طعاما يكفيني والعديد من زملائي في القضية حيث كنت أقوم بتوزيعه بيننا بالعدل .

وكان أنور السادات شغوفا بالطعام ، وكثيرا ماكان يطلب مني أن أبلغ والدتي باعداد أصناف معينة مثل طواجن الحمام بالأرز ، ومن ناحية أخرى حصل لي والدي على تصريح بعلاج أسناني خارج السجن ، فكنت أخرج مرتين أسبوعيا مصحوبا بحراسة إلى عيادة الطبيب حيث ألتقي بأفراد عائلتي ، وأعود بعد ساعتين محملا بعلب السجائر والحلوى . ورغم ان ذلك كان ممنوعا إلا أنني كنت أحدد مواعيد ذهابي للطبيب في الأيام التي كانت تتولى ادارة السجن « نوباتشية » مجموعة من الضباط تربطهم صداقة بالسادات . فكانوا يسمحون لي بالدخول بما أحمله من مهربات . ولم نلبث أن سمح لنا هؤلاء الضباط في أيام مناوبتهم بأن نتناول الطعام معا في زنزانته ، أو زنزانتي .

استمر الحال كذلك مدة سبعة أشهر حتى أفرج عني بكفالة ، وبعدها بخمسة أشهر نجح حسين توفيق في الهرب من السجن واستطاع بمعاونة بعض الأعوان في الخارج السفر إلى بعض البلاد العربية حتى انتهى إلى الاقامة في سوريا حيث تزوج من سورية . ولم يلبث أن كون جمعية سرية في سوريا وحاول اغتيال الزعيم

الشيشكلي ، وحكم عليه بالاعدام ، إلا أن الشيشكلي سقط بانقلاب عسكري قبل تنفيذ الحكم . وبعد قيام الثورة في مصر أفرج عنه وعاد إلى مصر ، وصدر قرار بالعفو عنه وباقي المحكوم عليهم في قضية الاغتيالات السياسية .

أما أنور السادات فقد ظل محبوسا حتى صدر الحكم في القضية التي استمر نظرها أكثر من عامين ، وقضي بالحكم غيابيا على حسين توفيق بالأشغال الشاقة عشر سنوات ، وعلى باقي المتهمين بالسجن مددا تتراوح بين خمس سنوات وثلاث سنوات ، وبراءة كل من أنور السادات ، سعد الدين كامل ، نجيب فخري ، وأنا .

فكرة السادات الجهنمية :

رغم الصلة الوثيقة التي ربطت بيني وبين السادات في السجن إلا أنه لم يصرح لي بشيء عن الجماعة التي ينتمي إليها ، أو عن أي من أعضائها ، وان كان قد نقل لي انطباعا غامضا بأنها جماعة كبيرة تضم العديد من ضباط الجيش من مختلف الأسلحة . وكثيرا ما كانت تتملكني الحيرة من حقيقة أمره وهل هو عضو حقيقي في مثل تلك الجماعة أم أنه شخص يعمل بمفرده ؟!

في أحد الأيام حضر إلي لتناول الغداء معي في زنزانتي ، وبعد انتهائنا ذكر لي أن شيئا عظيما سيحدث في اليوم التالي سيقلب القضية رأسا على عقب ويضمن الحكم ببراءتنا وجميع المتهمين في القضية ولم يفض بكلمة أكثر من ذلك .

كانت هناك في اليوم التالي جلسة خاصة أمام قاضي الاحالة ، وحدث أن هاجم شخصان يركبان سيارة خضراء ، ساعي المحكمة الذي كان يركب دراجة ربط على مقعدها الخلفي أصول ملفات القضية ، أثناء سيره في شارع محمد علي المزدحم ، حيث كان ينقل الملفات من بيت القاضي الذي كان يفحصها قبل الجلسة إلى المحكمة لتكون أمامه أثناء نظر القضية .

حاول هذان الشخصان الاستيلاء على تلك الملفات ونقلها إلى السيارة ، إلا أن المارة تجمعوا على صراخ الحاجب ، واضطر الشخصان إلى الهرب دون الاستيلاء على الملفات .

كانت هذه فكرة جهنمية إذ كانت الملفات تحوي اعترافات حسين توفيق وباقي المتهمين موقعة بامضاءاتهم ، ولو اختفت هذه الأصول ، وعمد المتهمون إلى إنكار ما سبق وأن اعترفوا به لانهارت أهم الأدلة في القضية ولتعذر الحكم في القضية ، بادانة أي من المتهمين .

وقد علمت فيما بعد أن السيارة التي استخدمت كانت ملك شقيق زوج أختي ، وكان من الأعيان ولا علاقة له بالسياسة ، ولا صلة له بالسادات . وعلمت أن الشخص الآخر الذي كان معه هو حسن عزت شريك السادات في المقاولات ، وكان طيارا بالسلاح الجوي ثم احيل إلى التقاعد ، ومن هنا زادت حيرتي بشأن التنظيم الذي ينتمي إليه السادات .

وكانت قضية أمين عثمان التي عرفت « بقضية الاغتيالات السياسية الكبرى » قضية شهيرة حيث اشترك في الدفاع عن المتهمين فطاحل المحامين سواء كانوا موكلين أو متطوعين ، ودعي للشهادة فيها غالبية الزعماء السياسيين مثل النحاس باشا رئيس الوزراء السابق ورئيس حزب الوفد ، وعلى ماهر باشا رئيس الوزراء السابق ورئيس الديوان الملكي وقتها ، وحافظ باشا رمضان رئيس الحزب الوطني ، وحسين باشا سري رئيس الوزراء السابق ، ومحمد حسين هيكل باشا رئيس مجلس الشيوخ ، ومكرم عبيد باشا رئيس حزب الكتلة الوطنية ، وبهي الدين بركات باشا رئيس ديوان المحاسبة وغيرهم .

وكان هناك تعاطف شعبي واسع النطاق مع المتهمين حيث كانوا من طلبة الجامعات الشبان صغيري السن ، وكان الشعور الوطني ضد الانجليز فياضا ، نظرا لفشل الجهود التي كانت تقوم

بها وزارة بعد أخرى في المفاوضات لحمل الانجليز على الانسحاب من مصر . ومن ناحية أخرى كانت سمعة أمين باشا عثمان كعميل لانجلترا معروفة للجميع ، وظلت القضية وما حفلت به من مفاجآت تشغل الصفحات الأولى في جميع الصحف المصرية على مدى سنتين استغرقتهما القضية .

وقد لمع فيها اسم أنور السادات واشتهر حيث كان التركيز عليه ولأنه كان ملفتا للنظر بحركاته وصوته الجهوري ، فضلا عن تصديه لمرافعة النائب العام بالهتاف بشعارات وطنية أثناء المحاكمة .

وظلت هذه القضية هى الموضوع المحبب لدى السادات بعد توليه رئاسة الجمهورية ، فكان يتلمس الفرص ليشير إليها في عشرات من خطبه العامة ، وأحاديثه مع الصحافة كبرهان عملي على كفاحه الوطني من أجل مصر والذي بدأه وهو في شرخ شبابه .

وقد خصص في كتابه « البحث عن الذات » الذي نشره وهو رئيس للجمهورية عام ١٩٧٨ عدة فصول عن هذه الحادثة . وبالنسبة لي تضمن الكتاب الفقرة التالية : « واهتديت في تفكيري إلى أن الشخص الوحيد بين المتهمين الذي صمد ولم يعترف بأي شيء هو ابن خالة حسين توفيق ، وكان شابا صغيرا اسمه محمد كامل . اتصلت به عن طريق السجان ، فوجدت منه استجابة أسعدتني كثيرا فهو شاب يمكن الاعتماد عليه وأنا وهو معا يمكننا افساد القضية تماما . هذا الشاب محمد كامل هو وزير خارجيتي الآن » .

الفصل الثاني

السادات رئيسا للجمهورية

أمضيت عشر سنوات متصلة سفيرا لمصر في الخارج ، بدأت في يناير (كانون الثاني) ١٩٦٨ ، وانتهت في ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٧ ، حيث كنت سفيرا في كينشاسا حتى سنة ١٩٧١ ، ثم سفيرا في ستوكهولم حتى أغسطس (اب) ١٩٧٣ ، ثم في بون حتى ٤ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٧ .

سنوات حافلة :.

كانت عشر سنوات حافلة بالأحداث والتطورات والهزات العنيفة بالنسبة لمصر خاصة والشرق الأوسط عامة . ففي عام ١٩٦٧ كانت حرب الأيام الستة التي انتهت بكارثة بالنسبة للجانب العربي ، حيث احتلت اسرائيل شبه جزيرة سيناء المصرية ومرتفعات الجولان السورية والضفة الغربية ، بما فيها القدس العربية وقطاع غزة ، وهى كل ما تبقى من فلسطين في ذلك الحين .

في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ صدر قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذي يقضي بانسحاب اسرائيل من الأراضي العربية المحتلة وفقا لمبدأ عدم جواز اكتساب الأراضي بالقوة ، مقابل انهاء حالة الحرب والاعتراف بسيادة دول المنطقة ووحدتها الاقليمية وبحقها في العيش بسلام .

وفي مصر كان الشعور بالمرارة والضياع وخيبة الأمل يسيطر على الجميع بعد أن أفاقوا من وهم أن جيش مصر هو أقوى ، وأعتى

جيوش دول الشرق الأوسط جميعا .

بدأ العالم العربي يفيق من هول الصدمة ثم بدأ يسترد أنفاسه فأعيد تنظيم صفوف الجيش المصري المبعثرة على عجل ، وبدأت حرب الاستنزاف ضد اسرائيل .

صاحب ذلك بروز منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة ياسر عرفات ، كما نشطت المساعي السياسية والدبلوماسية العربية واسفرت عن نجاحات متتالية ، وبدأ تحول ملحوظ في الرأي العام العالمي إزاء النزاع العربي الاسرائيلي ، فظهرت اسرائيل أمامه بمظهر الذئب المفترس بعد أن ظلت منذ نشأتها تتخفى في زي الحمل الوديع وقطعت الدول الافريقية التي كانت تربطها باسرائيل أوثق العلاقات الدبلوماسية علاقتها بها الواحدة تلو الأخرى .

إعلان عودة القانون :

في ٢٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٠ توفى الرئيس جمال عبد الناصر فجأة متأثرا بمرارة الهزيمة ، وخلفه من بعده أنور السادات في رئاسة الجمهورية العربية المتحدة التي أصبح اسمها جمهورية مصر العربية .

بدأ السادات شخصية باهتة مهتزة بالنسبة لشخصية عبد الناصر الجبارة ، وتراوحت التقديرات بين امكان بقائه في منصبه كرئيس جمهورية بين عدة أسابيع ، وعدة شهور ، وكان هنري كيسنجر مستشار الرئيس الأمريكي نيكسون للأمن القومي من بين المراهنين على ذلك ، فقد كان السادات طوال حكم عبد الناصر ــ الذي دام ١٨ عاما ــ قابعا في الظل ولا يكاد أحد يعرف عنه شيئا خارج مصر ، رغم اشتراكه في ثورة ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢ وعضويته في مجلس الثورة وشغله لمنصب رئيس مجلس الأمة ثم لمنصب نائب رئيس الجمهورية .

إلا انه لم يمض وقت طويل حتى بدأ السادات سلسلة متصلة من الجهود والعمليات التي عززت مركزه الداخلي وبدأ الناس

يتطلعون إليه كزعيم يرجى منه الخير ، وكان فاتحة هذه الأعمال هو قضاؤه على ما كان يعرف بمراكز القوى في عهد عبد الناصر ، والذين ناصبوه العداء منذ أول لحظة لتوليه منصب رئيس الجمهورية .

وفي يوم واحد استطاع السادات أن يتخلص من هذه المراكز حيث باغتها بمناورة سريعة وأفلح في شلها ، رغم انها كانت تمثل قوة هائلة ، إذ كان خصومه يضمون السيد علي صبري الساعد الأيمن لعبد الناصر ، والذي كان يسيطر على الاتحاد الاشتراكي العربي ـ الحزب الوحيد في مصر في ذلك الوقت ـ والسيد شعراوي جمعة الذي كان وزيرا للداخلية ومسيطرا على أجهزة الأمن والفريق محمد فوزي وزير الحربية والسيد محمد فائق وزير الاعلام والذي كانت تتبعه أجهزة الدولة الاعلامية وغيرهم ، إذ تم اعتقالهم وتقديمهم إلى المحاكمة وايداعهم في السجون . وفي لمح البرق حصل السادات على شعبية كبيرة وبدأ الناس يتعاطفون معه ويعلقون الآمال عليه وقد اتبع تلك الخطوة بالافراج عن المسجونين السياسيين وباغلاق المعتقلات والاعلان ان حكمه سيستند إلى سيادة القانون بعد أن كان بعض المسؤولين في مصر في وقت جمال عبد الناصر يصرحون علنا بأن القانون في أجازة ، ثم بدأ سلسلة من الاجراءات لرفع وإلغاء الحراسات التي أوقعت ظلما فادحا بالكثير من الناس وبدأت محاكمات لمن نسب إليهم القيام بأعمال التعذيب ، كما بدأ الحديث يتواتر عن الاتجاه نحو حكم ديمقراطي . ثم قام الرئيس السادات في عام ١٩٧٢ بطرد الخبراء السوفيت الذين كانوا محل سخط الكثير من ضباط الجيش المصري الذين كانت تنهش قلوبهم مرارة الهزيمة في ١٩٦٧ .

ولم يكن السادات طوال السنوات التي قضاها قابعا في ظل عبد الناصر يضيع وقته هباء ، كان لديه الوقت والفرصة للاختلاط بالناس والتعرف على مشاعرهم وكان يدرس ويحلل في صمت صدى أعمال وتصرفات عبد الناصر لدى المصريين ويعرف ما يثير شكاواهم وما

يبعثهم على السخط وكان يختزن كل ذلك في رأسه بهدوء .

حرب أكتوبر ١٩٧٣ :

إلا أنه لم يكن يغيب عن فطنة السادات أن كل ما حققه من انتصارات داخلية بعد توليه الرئاسة والتفاف الناس حوله وسيطرته على مقاليد الحكم ، لم يغب عنه ان كل ذلك ما كان يجديه نفعا في المدى الأطول ما لم يحل مشكلة معينة ويالها من مشكلة « أن نكون أو لا نكون » .

كان يعلم جيدا أنه لا يستطيع أن يتعايش مع منصب رئيس الجمهورية طويلا وجزء من أرض مصر تحت الاحتلال الاسرائيلي والقوات الاسرائيلية ترابط على مرمى البصر ، على الضفة الشرقية لقناة السويس في حصون خط بارليف الذي صورته الدعاية الاسرائيلية ـ وصدقها العالم كله بمن فيهم المصريون والعرب والاسرائيليون أنفسهم ـ بأنه خط دفاعي غير قابل للاختراق بأي شكل من الأشكال .

كان يدرك تماما أن الشعب المصري والشعوب العربية لن يهدأ لهم بال حتى يستردوا كرامتهم ويستعيدوا أراضيهم المحتلة ، وان عليه هو أن يفعل شيئا فلا يستطيع أن يتغافل عن الموضوع ولا أن يظل ساكنا ودقات العد التنازلي تقترب يوما بعد يوم من الصفر ليواجه بالسؤال ماذا فعلت لتحرير الأرض ؟.

أخذ يعمل في دأب بكل ما أوتي من قوة ودهاء وصبر وصمت حتى قامت حرب أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٣ ، وأثناءها وفي توقيت دقيق أعلنت الدول العربية حظر البترول وارتجف العالم

وتغير ، فقد ردت هذه الحرب إلى الأمة العربية روحها واستعادت ثقتها المفقودة واطمأنت إلى انه لم يعد هناك مستحيل ، وتقلص المارد الاسرائيلي إلى حجمه الطبيعي وانتهت اسطورة خط بارليف وانتهت معها اسطورة الجيش الاسرائيلي الذي لا يهزم وسارعت الدول

الأوربية التي كان الحال بالنسبة لها أيضا « أن تكون أو لا تكون » باصدار البيانات التي تحدد موقفها من النزاع العربي الاسرائيلي وتعترف بحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة وتؤكد على وجوب الانسحاب الاسرائيلي من الأراضي المحتلة.

وحتى في الولايات المتحدة ـ ربيبة اسرائيل ـ حدث زلزال عنيف يدعوها إلى التأمل في مواقفها السابقة التي كانت تتمثل في التأييد الأعمى لكل ما تقوم به اسرائيل من تعديات وعربدة في المنطقة وإلى ضرورة التحرك للعمل على حل النزاع العربي الاسرائيلي الذي بات يهدد أمن العالم واقتصادياته .

وبدأت مجموعة من المثقفين تعمل على تحليل عناصر هذا النزاع واكتشاف العناصر المتوازنة الكفيلة بحله وهى المجموعة المعروفة بمجموعة « بروكنز » وأعدت تقريرا في هذا الشأن . والخلاصة أن مشكلة الشرق الأوسط طغت على سائر المشاكل الدولية وبرزت كتحد خطير للعالم وأصبحت تحظى بالأولوية في وجوب معالجتها .

كانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ وما صاحبها من تطورات بترولية ثمرة تضامن عربي وثيق وتنسيق دقيق سواء في المجال العسكري بين مصر وسوريا أو في المجال السياسي والاقتصادي الذي لعب فيه الملك فيصل ملك السعودية دورا بارزا وشاركت فيه غالبية الدول العربية بشكل أوبآخر[١] ولا شك أن الرئيس السادات كان له دور حيوي في احياء التضامن العربي ، ولعله من سخرية القدر أن يكون انهيار هذا التضامن الرائع المثمر على يد السادات نفسه في أقل من سنتين .

وفي أوج انتصار الجيش المصري قام الرئيس السادات بخطوة سياسية حكيمة إذ أعلن في خطابه في مجلس الشعب في ١٦ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٣ الدعوة إلى انعقاد مؤتمر دولي في الأمم

---

(١) قامت المغرب بارسال قوات عسكرية إلى الجبهة المصرية ، كما قامت الجزائر بشراء مائة دبابة نقدا من الاتحاد السوفييتي وإرسالها إلى مصر .

المتحدة لاقرار السلام في الشرق الأوسط .

وفي منتصف ١٩٧٤ اغتيل الملك فيصل ، وبوفاته اختفت من مسرح الأحداث أقوى شخصية عربية جادة تتميــز بالالتــزام والاعتدال وتمسك في يدها ـ بحكمة ـ أقوى سلاح عرفه العالم وهو سلاح البترول .

واقعة الغابة السوداء :

في أعقاب حرب أكتوبر بدأت العلاقات بين مصر والولايات المتحدة تتحرك بعد أن كانت راكدة منذ قطع الرئيس عبد الناصر العلاقات الدبلوماسية معها احتجاجا على الدور الأميركي في حرب ١٩٦٧ .

ولم تلبث أن استؤنفت العلاقات بين الدولتين في ١٩٧٤ بداية بممارسة وزير خارجيتها ـ في ذلك الوقت ـ د . هنري كيسنجر سياسته التي عرفت باسم المكوك بين مصر واسرائيل والتي كان من نتائجها اتفاقيات فض الاشتباك بين مصر واسرائيل التي أقدم عليها الرئيس السادات دون التشاور مع باقي الدول العربية خاصة سوريا حليفة مصر وشريكتها في حرب ١٩٧٣ ، وبذلك بدأ أول تصدع خطير في الموقف العربي .

اطرد التحسن في العلاقات بين مصر والولايات المتحدة في عهد الرئيس الأميركي نيكسون الذي زار مصر زيارة رسمية ، ليستمر تطور العلاقات إلى أن أطاحت فضيحة ووترجيت بالرئيس نيكسون وحل محله نائبه جيرالد فورد في رئاسة الجمهورية .

وأقام السادات مع الرئيس فورد علاقات عمل وعلاقات شخصية ، واقترن التقارب المصري الأمريكي بتباعد مصري سوفيتي . ويبدو لي أن السادات كان تحت انطباع بأنه كلما هاجم السوفيت كلما حظي بتأييد أمريكا ، فبالغ في ذلك إلى حد كبير يتجاوز اسلوب التعامل بين الدول خاصة إذا كان الأمر يتعلق باحدى

الدولتين العظميين التي بيدها تسهيل الأمور أو عرقلتها .

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٦ أسفرت انتخابات الرئاسة الأمريكية عن فوز الرئيس جيمي كارتر الذي أعلن رضاه عن (تقرير معهد بروكنز) سالف الذكر لحل قضية الشرق الأوسط ، وفي مايو (ايار) ١٩٧٧ أسفرت نتائج الانتخابات الاسرائيلية عن مفاجأة إذ فازت فيها كتلة الليكود برئاسة مناحم بيجن لأول مرة في تاريخ اسرائيل التي ظل يحكمها حزب العمل منذ نشأتها في عام ١٩٤٨ .

في ذلك الوقت كان الرئيس السادات قد انهى زيارته للولايات المتحدة وفي طريق عودته إلى مصر توقف في المانيا الاتحادية لقضاء يوم في الغابة السوداء بولاية بادن فرتمبرج . وكنت في ذلك الوقت سفيرا لمصر في المانيا ، وأثناء تجوالنا في الغابات المحيطة بالفندق وكانت لاتزال هناك بقايا ثلوج تغطي الأرض . حضر بعض مراسلي الصحف وسألوا السادات عن رأيه في فوز مناحم بيجن فأجاب بأنه لا فرق لديه بين بيجن أو بيريز أو رابين أو جولدا مائير أو أي شخص آخر ينتخبه الشعب الاسرائيلي .

وربما كانت اجابته هذه صحيحة ـ دبلوماسيا ـ ولكني أثرت معه الموضوع بعد ذلك ونحن نتناول الغذاء ، وقلت انه كان من الأنسب التحفظ في الاجابة حيث أن برنامج حزب حيروت الذي يرأسه بيجن يقوم على أساس اقامة اسرائيل الكبرى على أشلاء ما تبقى من الأرض الفلسطينية ، وعلى أساس أنه من غلاة الارهابيين والمسؤول عن مذبحة دير ياسين . وقلت انه كان حتى قبل الانتخابات ممنوعا من دخول انجلترا حيث كان مطلوبا القبض عليه ، وان الرئيس السابق كيندي عندما كان عضوا في الكونجرس الأمريكي في ١٩٥٤ أرسل برقية ينسحب فيها من عضوية اللجنة المشكلة لاستقبال مناحم بيجن عند زيارته للولايات المتحدة ـ بوصفه من محرري اسرائيل ـ لجمع التبرعات .

وذكر كيندي في برقيته هذه انه عندما قبل الاشتراك في اللجنة لم يكن يعلم بماضي بيجن الارهابي ، وقد رد علي السادات وقتها بأن الاسرائيليين جميعا على شاكلة واحدة ، وهو ما لا أسلم به على الاطلاق.

الفصل الثالث

مفاجـــــأة هزت العـــــالم

في منتصف ليلة ٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٧ كنت قد أويت إلى فراشي وفتحت الراديو لأستمع إلى إذاعة القاهرة كعادتي . كانت الاذاعة تذيع تسجيلا لخطاب ألقاه الرئيس السادات في مجلس الشعب صباح نفس اليوم .

فجأة استرعت انتباهي جملة وردت في خطابه حول استعداده للذهاب إلى أي مكان في العالم سعيا وراء السلام وحقنا للدماء ، ولو كان هذا المكان هو الكنيست الاسرائيلي .

اعترتني بعض الدهشة إلا أني لم أعر الأمر اهتماما إذ كان السادات كثيرا ما يخرج في خطاباته عن النص المكتوب ويفصح عن آراء وأفكار مرتجلة ربما دارت في خلده لأول مرة وهو يلقي الخطاب ، فضلا عن أننا في السفارة لم نتلق أية مؤشرات لمثل هذا الاتجاه .

ليس لدي معلومات ..

في اليوم التالي اتصل بي بعض السفراء العرب في بون للاستفسار عن حقيقة الأمر فأجبت بأنه ليست لدي معلومات بشأنه ، وأن الأمر ربما لا يعدو أن يكون مناورة من قبيل إحراج الحكومة الاسرائيلية التي طالما رددت استعدادها للتفاوض المباشر مع الدول العربية وهي واثقة بأن رد هذه الدول سيكون بالرفض .

إلا أن الأحداث تطورت بسرعة فلم يلبث مناحم بد...

الوزراء الاسرائيلي أن بعث بدعوة رسمية يوم ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني) للرئيس السادات لزيارة القدس عن طريق السفارتين الأمريكيتين في تل أبيب وفي القاهرة ولم يمض وقت طويل حتى قبل السادات الدعوة بدوره ، وتحدد لبدء الزيارة مساء يوم السبت ١٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ، وكان يوافق وقفة عيد الأضحى المبارك .

وهزت المفاجأة العالم الذي أخذه النبأ على غرة ، وقد لاحظت ذلك في رد فعل الخارجية الألمانية ، التي لم تستطع أن تستوعب الفكرة ولم تكن لديها – رغم كفاءتها وفاعليتها الكبيرة – أية خلفية أو معلومات تمهد لمثل هذا التطور غير التقليدي في العلاقات العربية الاسرائيلية .

اتصلت تليفونيا بوزير خارجيتي « اسماعيل فهمي » في تونس حيث كان يشارك في مؤتمر وزراء الخارجية العرب فلم أجده ، وان كنت قد تحدثت إلى السيدة زوجته التي كانت بدورها غير ملمة بسر هذه التطورات .

وكسفير لمصر في بون كنت في وضع غريب ومحرج ، فلم أتلق من القاهرة أية إيضاحات أو تعليمات تفسر ما يجري ولم أستطع أن أشفي رغبة الخارجية الألمانية في الحصول على تفسير لما يجري ، ولا السفراء العرب أو الأجانب أو الصحفيين ، الذين انهالوا علي بالأسئلة .

كان الجميع غير مصدقين ، وان تفاوتت ردود أفعالهم بين غير مصدق وبين غاضب وبين متفائل ومتشائم . ولم أفهم السر أو السبب الذي دعا إلى هذا التطور ، فقد كانت الأنظار كلها موجهة إلى عقد المؤتمر الدولي للسلام في جنيف وكان الاعداد لعقد هذا المؤتمر يجري على قدم وساق .

صحيح أنه كانت هناك عقبات تعترض عقد المؤتمر وخلافات بين الدول العربية واسرائيل حول تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية

ـ على سبيل المثال ـ وخلافات أخرى بين الدول العربية نفسها وخاصة مصر وسوريا والأردن بينما كانت مصر ترى أن تشارك في المؤتمر وفود مستقلة عن كل من مصر وسوريا والأردن وأن يضم الوفد الأخير ممثلي الشعب الفلسطيني، كانت سوريا تصر على أن يشارك الجانب العربي بوفد مشترك موحد يضم الدول الثلاث ومنظمة التحرير الفلسطينية .

كان انعقاد مؤتمر جنيف يكاد يكون حتميا بعد حرب ١٩٧٣ فلم يكن العالم يستطيع تحمل مضاعفات هذه الحرب في المجالات الأمنية والاقتصادية . وكان هناك تفاهم بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على عقد المؤتمر وكانتا ستشتركان في رئاسته ، فصدر في أول أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٧ بيان سوفيتي أمريكي تضمن صيغة خاصة بحل القضية الفلسطينية ، وانسحاب اسرائيل من الأراضي المحتلة . وكان هذا البيان توطئة لمؤتمر جنيف ، وان كانت اسرائيل قد أقامت الدنيا وأقعدتها ضد هذا البيان بدعوى أنه سيفتح الباب للسوفيت ولدخول نفوذهم إلى الشرق الأوسط من جديد بعد أن قام السادات بطردهم من مصر .

كما أن الرئيس كارتر كان يضع كل ثقله وراء انعقاد مؤتمر جنيف ويسعى لأن يكون انعقاده قبل نهاية عام ١٩٧٧ ، وكان الشعور السائد لدينا بقوة المركز العربي في مؤتمر جنيف ، حيث كانت ثمة تطورات ايجابية للغاية قد حدثت بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ وحتى ١٩٧٧ .

وأحرزت القضية الفلسطينية بالذات وهي لب النزاع العربي الاسرائيلي تقدما ملحوظا ظهر جليا في مواقف المجموعة الأوروبية من الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، وبالذات حق تقرير المصير ، وفي القرارات المتوالية التي صدرت عن الأمم المتحدة في هذا الشأن ، فقد أعيد إدراج القضية الفلسطينية في جدول أعمال الأمم المتحدة

سنة ١٩٧٤ ووافقت الجمعية العامة بأغلبية ساحقة على قرار يعترف بأن الشعب الفلسطيني هو الطرف الأساسي المعني بالقضية الفلسطينية ويدعوة منظمة التحرير الفلسطينية إلى المشاركة في مناقشات الجمعية العامة .

كما أصدرت الجمعية العامة قرارا أكدت فيه حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وفي السيادة الوطنية والاستقلال ، ودعت منظمة التحرير للاشتراك في مداولات الجمعية العامة وفي جلسات كل الهيئات التابعة للأمم المتحدة بصفة مراقب .

بالاضافة الى كل ذلك فقد تواترت تصريحات الرئيس كارتر منذ توليه الرئاسة حول حق الفلسطينيين بأن يكون لهم وطن قومي . لكل ذلك لم أفهم سر التحول عن مؤتمر جنيف بهذه الفجائية واتجاه السادات الى المباحثات المباشرة مع اسرائيل .

أسئلة حول زيارة القدس ..

وظلت أسئلة تدور في رأسي وتسبب لي حيرة كبيرة : هل زيارة القدس هي فكرة عارضة للسادات ذكرها في خطابه أمام مجلس الشعب في ٩ نوفمبر (تشرين الثاني) فتلقفها بيجن ووجه اليه الدعوة لزيارة اسرائيل ، فشعر السادات بالحرج من رفضها والظهور بمظهر المتراجع عما أعلنه ..؟ هل تم تفاهم مسبق بين السادات والدول العربية أو بعضها على الأقل قبل الاقدام على هذه القفزة الجذرية ؟ هل سبقها تفاهم سري بين مصر واسرائيل ؟ هل تمت بتدبير من الولايات المتحدة ..؟ .. وهل هناك ضمانات لتحقيق المطالب العربية في حدها الأدنى ؟

إستقالة وزير الخارجية ..

وبعد ظهر يوم السبت ١٩ نوفمبر (تشرين الثاني) علمت باستقالة وزير الخارجية اسماعيل فهمي فزاد قلقي ، اذ كانت تربطه

بالسادات علاقة وثيقة واستنتجت على الفور أن مبادرة السادات لم يسبقها الاعداد الكافي ، على الأقل في نظر اسماعيل فهمي ، وهو دبلوماسي محنك . ولم تمض ساعات حتى أعلنت استقالة وزير الدولة للشؤون الخارجية محمد رياض (١) وتعززت شكوكي .

واستدعاني الدكتور فان فل وكيل وزارة الخارجية الألمانية الى مكتبه ـ وكان وزير الخارجية جنشر يزور تونس زيارة رسمية في هذا الوقت ـ وكان فان فل بادي القلق بسبب استقالة اسماعيل فهمي ومحمد رياض ، وهما معروفان للألمان ومحل احترامهم وعبر عن خشيته أن تكون استقالة الوزيرين مؤشرا نحو انقسام خطير في الرأي العام في مصر بشأن زيارة السادات للقدس وأجبته اجابة مهنية بأني لا أعلم أسباب استقالة الوزيرين ولكنني أؤكد له استقرار الموقف الداخلي في مصر وتمتع السادات بثقة الشعب . وأثناء وجودي في الخارجية الألمانية اتصل بي الوزير جنشر تليفونيا من تونس وكانت تربطني به صلة طيبة للغاية وعبر لي عن قلقه ، فأجبته بأن كل شيء على ما يرام فشكرني وقال انه سيقطع زيارته لتونس ويعود إلى بون على الفور .

ردود فعل عنيفة ..

كان التقليد المتبع قبل تعييني سفيرا في بون أن تقام صلاة عيد الفطر وعيد الأضحى في دار سكن السفير المصري ، وكان يشارك فيها أعضاء السلك الدبلوماسي العربي والاسلامي وغيرهم من المسلمين المقيمين في بون أو في ضواحيها ، وقد صادف عيد الأضحى المبارك يوم ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ، اليوم الذي زار فيه السادات القدس . وازاء ردود الفعل العنيفة في العالم العربي التي أثارتها أنباء قيام السادات بالزيارة إتصلت بي الخارجية الألمانية قبل موعد

(١) في اليوم التالي أعلنت استقالة الدكتور مراد غالب سفيرنا في يوغوسلافيا ووزير الخارجية السابق .

(م ٣)

العيد بيومين ورجتني بالحاح أن ألغي إقامة صلاة العيد في هذا العام في دار السكن وأبلغتني أن أجهزة الأمن الألمانية ترى خطورة كبيرة في إقامة الصلاة في ذلك اليوم ولكني أصررت على أقامتها ، كذلك رفضت ما نصحت به أجهزة الأمن بعد اصراري على اقامة الصلاة ، من أن يقوم رجال الأمن الألمان بتفتيش القادمين للصلاة عند دخولهم الى دار السكن . ورغم أني كنت في قرارة نفسي متخوفا بالفعل فقد جمعت رجال السفارة وطلبت منهم أن يكونوا يقظين للغاية وأن يتولى بعض الأفراد فحص أية طرود قد يتركها المصلون في المنزل أثناء الصلاة أو بعدها .

وقد تخلف بعض السفراء العرب عن الحضور للصلاة إلا أن غالبيتهم حضرت بالفعل نظرا لعلاقات الصداقة الشخصية التي كانت تربطني بهم .

وأذكر أن الامام الذي ألقى خطبة العيد قبل الصلاة ـ كان من خريجي جامعة الأزهر في بعثة دراسية بألمانيا ـ قد قال في موضع من خطبته عندما كان بصدد الحديث عن تقليد ذبح خروف عيد الأضحى وتوزيع لحمه على الفقراء عبارة « إن الله يحب الذبح في هذا اليوم » . وقد سرت في جنبي رعدة عند سماع ذلك والتفت الى مستشار السفارة الذي كان يفصلني عنه بعض المصلين فوجدته ينظر الي ولم نتمالك نفسينا من الضحك . وما أن انتهت الصلاة بسلام حتى تنفست وزملائي الصعداء وانتقلنا الى الدور الثاني من دار السكن في انتظار مشاهدة زيارة السادات الى القدس على شاشة التليفزيون والاستماع الى خطابه في الكنيست وكان التوتر والقلق والفضول يسيطر علينا جميعا .

ثم بدأ الارسال التليفزيوني .. شاهدنا وصول طائرة الرئيس ، ثم الاستقبال الرسمي الذي أعد له في المطار ومصافحته للزعماء الاسرائيليين ورابين وبيريز وديان وجولد امائير .. الخ .. وبدا لنا كأننا في حلم غريب ثم بدأ السادات إلقاء خطابه وبعد فترة بدأت استرد

هدوئي وأنا أتابع ما يقوله وهو يشرح فلسفة مسعاه لاقامة السلام وأسبابه ويحدد المباديء والأسس الكفيلة بتحقيق السلام العادل والشامل والدائم في منطقة الشرق الأوسط .

وفي المساء كنت مدعوا في حفل معرض لبعض الفنانين التونسيين يعقبه حفل استقبال . وبعد الانتهاء من افتتاح المعرض التف حولي زملائي من السفراء العرب وأغلبهم ساخط على الزيارة ومتوجس منها خوفا من أن تؤدي في النهاية الى صلح منفرد بين مصر واسرائيل ، خاصة وقد وضح أن السادات لم يستشر أحدا من الزعماء العرب قبل الاقدام على هذه الخطوة وانه قد غامر بها وحده ووضعهم أمام الأمر الواقع .

وكان زملائي السفراء العرب جميعا يكنون لي محبة وودا حتى من كانوا يمثلون دولا تناصب السادات العداء ، وكان خطاب السادات قد اراحني بعض الشيء إذ كان خطابا قويا ملتزما بالموقف العربي وقد صيغ بروح سامية ومنطق سليم ، فدافعت عن مبادرته مبررا ان ما دفعه اليها هو احتدام الخلافات العربية حول اصغر المسائل وعدم اتفاقهم على موقف موحد ندخل به مؤتمر جنيف ، وذكرت ان مصر التي لم تتوان عن القيام بمسؤولياتها في النضال ضد اسرائيل في سبيل حل القضية الفلسطينية قد تحملت تضحيات ضخمة سواء في الأرواح أو الأموال وأن أوضاعها الاقتصادية تمر بمرحلة خطيرة ، وأن مصر لا تستطيع الاستمرار في هذه الحالة الى ما لا نهاية .

وأضفت أن خطاب السادات في الكنيست كما سمعته وكما سمعوه لم يتضمن أية تنازلات أو تفريطا في الحقوق العربية ، وأننا لا نستطيع أن نستمر في اخفاء ما نراه كما تفعل النعامة ، وما خوفنا من مقابلة عدونا وجها لوجه في مباحثاته من أجل السلام وقد واجهناه في الحرب . وقلت انه مهما يكن من أمر فلا مجال الآن للجدل فلقد تمت الزيارة وتم اللقاء بالفعل وأصبح الأمر واقعا مثل تاريخ ما قبل الميلاد

وتاريخ ما بعد الميلاد ، والواجب علينا الآن هو أن يتحد العرب جميعا في مجابهة تحدي السلام ويعلنوا انضمامهم لمبادرة السادات على أساس العناصر التي تضمنها خطابه .

ومع ذلك أمضيت الليل دون أن أذوق طعم النوم تأخذني الأفكار والحيرة ، ولم أستطع أن اتخذ بيني وبين نفسي موقفا محددا واضحا من هذه المبادرة فمن ناحية بدت لي فكرتها براقة شجاعة بناءة ، ومن الناحية الثانية كنت أشعر بتخوف من هذه الزيارة الى المجهول إذ أن ظواهر الحال لا تدل على أنه سبقها اعداد أو تحضير ، خاصة أن من يمسك بزمام الأمور على الجانب الآخر أمثال مناحم بيجن وشارون وشامير بماضيهم المرعب وأفكارهم المتحجرة البالية وأهدافهم التوسعية المعلنة . واحسست أن ما ادخله خطاب السادات على نفسي من ارتياح وطمأنينة قد بدده رد بيجن عليه فليس فيه ما يدعو الى الارتياح على الاطلاق واعتراني شعور بالخوف من أن تؤدي هذه الزيارة ، بل هذه المغامرة ، الى هدم صرح القوة العربية والتضامن الذي حققته حرب اكتوبر وتطيح بكل ما احرزه العرب من مكاسب .

ومع ذلك فقد وقع « الفأس في الرأس » كما يقولون ومن يدري ؟ ربما !!

الفصل الرابع

وزيرا للخـــــارجية

بعد ظهر يوم ٢٢ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٧ غادرت وزوجتي مطار فرانكفورت الدولي على طائرة مصر للطيران ، للاعداد لزيارة المستشار هلموت شميدت الرسمية لمدة يومين في القاهرة ابتداء من ٢٧ ديسمبر (كانون الأول) ، تعقبها أجازة يقوم فيها المستشار وبصحبته زوجته بالسفر على باخرة نيلية الى أقصى صعيد مصر ، حيث يزوران مناطق الآثار المصرية القديمة في الأقصر وأبو سمبل ، وقضاء فترة للراحة في أسوان . كانت هذه الرحلة تتطلع اليها بشوق حرم المستشار شميدت بعد أن درست بتوسع تاريخ مصر القديم .

تأخر وصول الطائرة ، فوصلنا الى مطار القاهرة فجر يوم ٢٣ ديسمبر (كانون الأول) وتوجهنا إلى منزل زوج شقيقة زوجتي ، السيد أحمد خيرت سعيد ، الذي كان نائبا لوزير الخارجية في عهد عبد الناصر ، للاقامة معها حتى تنتهي زيارة المستشار الألماني ، ثم نعود إلى بون .

أمضيت طوال يوم ١٢/٢٤ في المنزل حيث زارني العديد من الأصدقاء والعائلة ، وفي اليوم التالي اتصلت تليفونيـا بوزارة الخارجية لتحديد موعد مع الدكتور بطرس غالي وزير الدولة للشؤون الخارجية ، ثم بالرئاسة لتحديد موعد مع الرئيس السادات .

دهشة أم غضب ؟ .

بعد الظهر توجهت لزيارة والدتي في حي الزمالك ، وعدت

الى منزلي حوالي الساعة الخامسة والنصف ، فوجدت البيت مليئا بأفراد العائلة والأصدقاء ، وهم في حالة انفعال ،

أخبرتني زوجتي أن الراديو والتليفزيون قد أذاعا نبأ تعييني وزيرا للخارجية خلفا للوزير السابق اسماعيل فهمي . تلقيت في البداية هذا النبأ بدهشة لم تلبث أن حل محلها شعور بالغضب بسبب إهمال السادات لأخذ رأيي في تولي هذا المنصب ، خاصة في الظروف الدقيقة وغير العادية التي خلفتها مبادرته ، وزادني غضبا أنني شعرت بأني وقعت في فخ لا فرار منه ، إذ كان من المستحيل علي بعد أن أذيع النبأ على العالم كله أن أرفض المنصب ، أو أستقيل منه حتى قبل أن أتولاه لاعتبارات تتعلق بعلاقتي الشخصية بالسادات والتي ترجع إلى أكثر من ثلاثين عاما ، ولاعتبارات وطنية من الناحية الثانية ، إذ أن رفضي للمنصب بعد إعلان تعييني سيظهر كحلقة جديدة في سلسلة الاستقالات التي بدأها اسماعيل فهمي ، وتبعه محمد رياض ، ويوجد انطباعا سيئا ويشكل لطمة للسادات تمس اعتباره الأدبي ، ويشكك في حكمة الخطوة التي أقدم عليها ، ويؤكد المخاوف من أن الرأي العام المصري لا يسير وراء الرئيس .

تدفق الأحداث :

في الحقيقة لا أدري حقيقة موقفي فيما لو عرض علي السادات منصب وزير الخارجية ـ قبل اعلان ذلك على الملأ ـ هل سيكون بالرفض أو القبول ؟. على أي الأحوال كان ذلك سيتوقف على شرحه لي للموقف ولخطته ، المهم أنني سأكون في موقف أسهل للاعتذار عن عدم قبول المنصب مما يتيح له إختيار شخص آخر دون أن يتعرض لمهانة استقالة ثلاثة وزراء خارجية الواحد تلو الآخر .

وزاد من ألمي شعوري بأن زوجتي لم تكن مرتاحة الى هذا المنصب الجديد . وهى وان لم تفصح عن ذلك صراحة ، إلا أني كنت أشعر بما ينتابها من اشفاق علي ، خاصة وأن حالتي الصحية كانت

سيئة بسبب اسرافي في التدخين الذي لم أفلح في الاقلاع عنه رغم الحاح الأطباء المستمر .

إلا أن الأحداث لم تترك لي وقتا للتأمل أو السخط ، فلم تكد

تمضي نصف ساعة حتى رن التليفون وكان المتكلم هو السيد ممدوح سالم رئيس الوزراء الذي هنأني بسلامة الوصول من ألمانيا ، ورجاني أن أتوجه لمقابلته في مقر مجلس الوزراء .

استقبلتني عند وصولي عدسات مصوري الصحف والتليفزيون ، وكنت أعلم أن هذا مجرد استكمال للشكل . وكنت قد قابلت ممدوح سالم قبل ذلك مرتين بوصفي سفيرا لمصر في ألمانيا ، وازدادت معرفتي به بعد انضمامي لمجلس الوزراء ، وأكن له محبة واحتراما حيث أنه « جنتلمان » مهذب يتمتع بالنزاهة والاخلاص في عمله .

وقد عبرت له عما أشعر به من ضيق من جراء هذا التعيين دون استطلاع رأيي ، فذكر أنه يقدر ذلك ، ولكن الموقف على كل حال لا يحتمل إلا القبول وذكر لي أن الرئيس السادات تكلم عني في مناسبات عديدة أمامه ممتدحا كفاءتي ووطنيتي وأنه يشاركه في هذا الرأي وتمنى لي التوفيق .

ولم أكد أعود الى المنزل حتى دق جرس التليفون من جديد وكان المتكلم هذه المرة السيد حسني مبارك نائب رئيس الجمهورية ــ في ذلك الوقت ــ الذي هنأني وطلب مني أن أسافر معه صباح اليوم التالي بالطائرة الى الاسماعيلية حيث كان يقيم الرئيس السادات لمقابلته ثم المشاركة كوزير للخارجية في مباحثات الاسماعيلية المقرر عقدها في الساعة الحادية عشرة من صباح الغد بين الوفد المصري برئاسة الرئيس السادات والوفد الاسرائيلي برئاسة مناحم بيجن ،

وأغلقت سماعة التليفون وأنا أشعر بحالة انعدام الوزن .

في نفس الوقت كنت بصدد أن أطلب أحمد ماهر السيد صديقي والوزير المفوض بوزارة الخارجية بالتليفون عندما دق جرس الباب ودخل فعرضت عليه أن يعمل مديرا لمكتبي فوافق على ذلك

واستأذن في أن يبدأ عمله معي بعد أسبوع حيث كان سيسافر في اليوم التالي إلى السنغال لحضور أحد المؤتمرات الافريقية وفارقني الشعور بالوحدة الشديدة الذي لازمني طوال الساعات الأربع الأخيرة.

فقد كانت تربطني بماهر صداقة وطيدة منذ عمل معي سكرتيرا أول في كينشاسا واستمرت صداقتنا وتوطدت مع السنين وكنا نتكلم على موجة واحدة ويفهم أحدنا الآخر تماما ، وعلى المستوى الشخصي فان ماهر يتمتع بكفاءة عالية فهو متمكن من اللغات العربيـة والفرنسية والانجليزية وذو ثقافة عالية وطاقة هائلة وجلد على العمل وذكاء لماح .

وهو حفيد أحمد باشا ماهر الذي كان رئيسا لوزراء مصر واغتيل في سنة ١٩٤٥ داخل البرلمان المصري عندما أعلن انضمام مصر الى الحلفاء في الحرب ضد المحور ، حتى يتيح لمصر الاستفادة من مزايا نصر الحلفاء الذي بات واضحا وموشكا ويتحسن موقفها ازاء الانجليز في مسعاها نحو جلائهم عنها .

لقاء الاسماعيلية :

في الساعة السابعة من صباح اليوم التالي ، كنت أتناول الافطار عندما دق جرس الباب ، ودخل شاب وسيم أنيق في ملابسه المدنية وقدم لي نفسه بأنه النقيب عمرو حمدي من قوة حرس الوزارات ، وأنه المكلف بحراستي ومرافقتي ، فدعوته لتنـاول الافطار معي .

نزلت فوجدت سيارة مرسيدس مزودة بالتليفون في انتظاري وسيارة أخرى مخصصة للحراسة بداخلها أربعة من رجال الأمن وتوجهنا إلى مطار الماظة الحربي حيث قابلت السيد حسني مبارك وركبنا طائرة هليكوبتر حربية توجهت بنا إلى الاسماعيلية حيث وصلناها في الساعة التاسعة والنصف .

في استراحة الاسماعيلية التي اختيرت مكانا للمباحثات قابلت

عددا من الأصدقاء والزملاء أعضاء الوفد المصري وهم الدكتور عصمت عبد المجيد مندوب مصر لدى الأمم المتحدة وحسن كامل رئيس الديوان الجمهوري والدكتور بطرس غالي وزير الدولة للشؤون الخارجية والدكتور أسامة الباز وكيل وزارة الخارجية ، الذي عين مديرا لمكتب نائب رئيس الجمهورية بعد استقالة اسماعيل فهمي مع احتفاظه بعمله في وزارة الخارجية .

سألت الدكتور عصمت عبد المجيد أن يلخص لي ما دار في مؤتمر القاهرة التحضيري للسلام الذي دعا إليه الرئيس السادات والذي عقد في فندق ميناهاوس في مواجهة الأهرام ولم يحضره غير الجانب المصري والاسرائيلي والأمريكي حيث رفضت كل من سوريا والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية حضوره .

وما كاد يشرع في الحديث حتى استدعيت لمقابلة الرئيس السادات الذي كان ينتظرني في حديقة الاستراحة جالسا يستمتع بدفء الشمس الساطعة وقد رحب بي بحرارة وذكر أنه لم يكن يعلم بوجودي وكان يظن أني مازلت في بون .

وعاتبته على تعييني وزيرا للخارجية دون أخذ رأيي وعبرت عن عدم ارتياحي للاشتراك في المباحثات التي ستبدأ في غضون ساعة دون أن يكون لدي أية خلفية عنها أو معرفة بجدول أعمالها والمواضيع التي ستناقش . فرد قائلا إنه سمح لنفسه بتعييني دون سؤالي لأني بمثابة ابنه (يكبرني السادات بتسع سنوات) ، وأنه اختارني لأنه يريد شخصا يثق به تماما ، ويتصف بالوطنية والشجاعة ، وقال إنني لو علمت عدد الذين كانوا يتهافتون على التعيين في هذا المنصب لما أسفت .

ثم انساب في حديث طويل عن المتناقضات القائمة بين الدول العربية وخاصة الرئيس السوري حافظ الأسد الذي ضاق به ذرعا وموقف الاتحاد السوفيتي الذي يسعى لاسقاطه شخصيا ويعمل على تخريب أي جهد للخروج من الحلقة المفرغة التي يدور فيها النزاع

العربي الاسرائيلي ، وأنه لا يستطيع أن يستمر في ربط مصر بعجلة القافلة العربية التي تشتعل فيها نيران الغيرة والغدر والمنافسات على الزعامة والمزايدات . ثم حضر حسن كامل ليبلغ الرئيس بوصول طائرة الوفد الاسرائيلي الى الاسماعيلية فتركني السادات ليتأهب لاستقبالهم .

وبعد وصول الوفد صحبه الرئيس السادات إلى غرفة الاستقبال بالاستراحة حيث قدمت لهم بعض المرطبات ، وبقيت بالحديقة أحاول أن أحصل من الدكتور عصمت عبد المجيد من جديد على خلفية المحادثات ، ولكن لم يلبث أن حضر حسن كامل ليبلغني أن الرئيس يطلبني لحلف اليمين كوزير للخارجية وأضاف أن السادات يعتزم أن يشارك في مراسم حلف اليمين مناحم بيجن وبعض أعضاء الوفد الاسرائيلي كتعبير عن روح الود والسلام ، وصدمت من الذهول وطلبت منه أن يبلغ الرئيس السادات أن مثل هذا لم يقع في العالم من قبل وأن هذه عملية لا شأن للاسرائيليين بها وأني على كل حال لن أقوم بحلف اليمين أمامهم مهما حدث .

وعاد حسن كامل ضاحكا وأخبرني بأن الرئيس وافق على رأيي وعدل عن فكرته وذهبت معه إلى غرفة الاستقبال حيث كان يجلس السادات مع مناحم بيجن وبعض معاونيه ، فاستأذن منهم وتوجه إلى ركن من الغرفة ووقف على يمينه السيد حسني مبارك وعلى يساره السيد ممدوح سالم وقمت بحلف اليمين . ولم أكد أنتهي حتى حضر مناحم بيجن وأعوانه والمصريون الحاضرون وصافحوني مهنئين ، وغادرت الغرفة مع باقي الحاضرين إلى قاعة الاجتماع وتركنا السادات وبيجن لاجتماع مغلق بينهما .

الشعور الغريب :

وبدون سابق انذار اعتراني شعور داخلي غريب .. أحسست أني استيقظت من كابوس ثقيل ، فجأة رحل عني شعور القلق

والاضطراب الذي لازمني في العشرين ساعة الأخيرة منذ أعلنت الاذاعة نبأ تعييني وزيرا للخارجية إلى أن حلفت اليمين أمام الرئيس السادات في ركن من غرفة صغيرة بمدينة الاسماعيلية على مرأى ومسمع من قادة اسرائيل أعدائنا اللدودين والذين حاربونا وحاربناهم على مدى ثلاثين عاما والذين سنبدأ المبارزة معهم سعيا وراء حل سلمي بعد دقائق قليلة .

وبدأت نفسي تمتلىء بشعور غامر فياض بالهدوء والثقة والقوة والعزم وايمانا بأن ما حدث لي هو من صنع القدر .

لقد أصبحت رغم أنفي وزيراً لخارجية مصر الخالدة في مرحلة مصيرية يتوقف على ما ستسفر عنه معركة السلام ، مستقبل الشرق الأوسط وربما العالم أجمع ، فمرحبا بالتحدي .

الاحساس بالغيظ :

جلس أعضاء الوفدين المصري والاسرائيلي متفائلين على جانبي مائدة المباحثات الموشكة على الابتداء في انتظار وصول الرئيس المصري ورئيس وزراء اسرائيل اللذين كانا في اجتماع منفرد في الغرفة المجاورة ..

ولم يلبث أن فتح الباب ودخل السادات وبيجن ، وقبل أن يجلسا في مقعديهما فوجئت بمناحم بيجن ويده مشتبكة في يد السادات ، إنهما قد اتفقا على تشكيل لجنتين الأولى سياسية برئاسة وزير الخارجية المصري ووزير الخارجية الاسرائيلي وتعقد جلساتها في القدس والثانية عسكرية برئاسة وزيري دفاع البلدين وتعقد جلساتها في القاهرة .

وشعرت أن السادات وبيجن قد وضعا العربة قبل الحصان إذ كان المفروض أن يأتي مثل هذا الاتفاق كنتيجة للمباحثات بين الوفدين وليس قبلها .

وأحسست بالغيظ من السادات : لماذا وافق على لجنتين ؟ ألم يكن المنطق يقضي بالبدء بالاتفاق من الطرفين على الأسس التي يمكن أن يؤسس عليها السلام وهذا موضوع سياسي بحت ، فإذا تم الاتفاق على ذلك يمكن عندئذ تشكيل اي عدد من اللجان يتطلبها وضع بنود هذا الاتفاق السياسي موضع التنفيذ ؟

وكيف سنفسر للعالم العربي الذي كان يرقب هذه المباحثات بكل اهتمام وشك تشكيل لجنة عسكرية مصرية اسرائيلية لبحث ترتيبات الانسحاب من سيناء ؟ ألن يفسر ذلك حتما على أنه اتجاه نحو حل منفرد بين مصر واسرائيل وهو الأمر الذي كان ينفيه السادات بكل شدة صباح مساء ؟

ثم لماذا يوافق السادات على القدس مقرا لاجتماع اللجان ، ألا يوحي ذلك باعتراف ضمني بما تطالب به اسرائيل من اعتبار القدس عاصمة لها ؟ ألم يدر بخلده أن ذلك سيضاعف شكوك العرب في مبادرته للسلام ؟ ماذا كان يضره لو أصر على أن تكون تل أبيب وليس القدس المكان المقابل للقاهرة لاجتماعات اللجان .

ولم أفق من هذه الخواطر إلا على صوت الرئيس السادات وهو يفتح الجلسة بالترحيب بالوفد الاسرائيلي في الاسماعيلية .. « اليوم عيد ميلادي وأنها لمناسبة سعيدة أن نلتقي على الأرض المصرية لننهي معاناة الشعبين ، والعالم كله يتطلع إلى هذا اللقاء والى اقرار السلام كي تسود المحبة محل الكراهية التي لازمتنا ثلاثين عاما ولنقدم للعالم أسلوبا جديدا في حل المشاكل بين الشعوب » .

ورد بيجن بصوته الحاد مهنئا السادات بعيد ميلادم متمنيا له أن يعيش مائة وعشرين عاما كما فعل موسى الذي عبر سيناء مع شعبه هربا من مصر في أربعين عاما بينما وصل هو الى مصر عبر سيناء في أربعين دقيقة ، وأن الجميع يذكر زيارة السادات للقدس وكيف قابله الاسرائيليون بقلوبهم ، وأن السلام أصبح مسؤوليتهما المشتركة

وسيتحقق وتنتهي الحروب والمآسي إلى الأبد . ثم أعلن بيجن أنه يحمل معه مشروعين الأول خاص بالانسحاب من سيناء والثاني خاص بالحكم الذاتي في جوديا وسماريا وغزة .

مشروع بيجن للسلام :

وشرع بيجن في شرح مشروعه للسلام مع مصر بلغة انجليزية طلقة وصوت منفر مزعج في إسهاب طويل ممل مملوء بالتفاصيل السخيفة وهو يتيه اعجابا بصوته وفصاحة بيانه .

وكان أشد ما أثار دهشتي هو الوقاحة التي تضمنها حديث بيجن ، وان حاول تغليفها في ثوب مهذب حتى تبدو ساذجة بريئة وكأنه يخاطب أطفالا صغارا ، وكان ذلك يشكل استخفافا بعقولنا مما يتضمن إهانة لنا .

« عندما نوقع اتفاقية السلام فيستطيع الجيش المصري البقاء في خط لا يتجاوز ممري متلا والجدي أما باقي سيناء (أكثر من ثلاثة أرباع مساحتها) فتكون منزوعة السلاح ، وتحتفظ اسرائيل بمطاراتها العسكرية فيها وبمحطات الانذار المبكر ، أما المستوطنات بين رفح والعريش وبين ايلات وشرم الشيخ فتبقى كما هى وستكون مستوطنات مدنية ــ وهذا لا يشكل يا سيادة الرئيس ــ مساسا بسيادة مصر !! ولكن هناك مبدأ يهوديا مقدسا بألا يترك المدنيون بدون حماية عسكرية لذلك سنحتفظ بقوات قليلة للغاية لحماية هؤلاء المستوطنين المدنيين ونأمل يا سيادة الرئيس في تفَهمك لهذا المبدأ الانساني بعد طول ما قاساه اليهود من تعديات عليهم ... » .

والأدهى من ذلك أنه عندما قاطعه الدكتور عصمت عبد المجيد في وقت ما وذكر أن قرار مجلس الأمن ٢٤٢ ينص على الانسحاب من الأراضي المحتلة وأن هذا يعني بالنسبة لمصر الانسحاب الى الحدود الدولية بينها وبين فلسطين ، ثار بيجن بشكل مسرحي وأخذ يوجه الى

الرئيس السادات أسئلة سريعة متتالية كطلقات مدفع رشاش : « ألم تحشدوا قوات الجيش المصري في سنة ١٩٦٧ وتنقلوها الى سيناء ؟ ألم تغلقوا مضيق تيران ؟ ألم تقم المظاهرات تطالب بالقاء اسرائيل في البحر ؟ ألم تقم اليافطات في شوارع القاهرة تطالب بأن يدخل الجيش المصري تل أبيب في ثلاثة أيام ؟ ألم تطلبوا من قوات الطوارىء الدولية الانسحاب من سيناء ؟ .... الخ الخ ؟ » .

وأخذ السادات يرد على كل سؤال « بنعم » وينتظر بلهفة أن ينتهي بيجن من أسئلته المتلاحقة لكي يشرح له الوضع فعلا « نحن على مائدة مفاوضات لننس الماضي ونقيم سلاما دائما شاملا » .. ولكن بيجن ما كاد ينهي أسئلته حتى قال : إذن تكون حرب ١٩٦٧ حربا هجومية عدوانية من قبلكم وتكون اسرائيل في حالة حرب دفاعية مشروعة بالتالي ، وهذا يعطيها الحق في الاحتفاظ بالأراضي التي احتلتها وهى تدافع عن نفسها ضد العدوان ، وبحركة سريعة مد يده الى الأوراق الموضوعة أمامه وسحب كتابا من بينها وفتحه على صفحة كانت مميزة بعلامة ورقية من الصفحات ، وشرع يقرأ فقرات من هذا الكتاب الذي ذكر أنه لأحد فقهاء القانون الدولي ، تؤيد حق الدول في الاحتفاظ بالأراضي المحتلة إذا كان احتلالها نتيجة لحرب دفاعية خاضتها رغم أنفها(١) .

وقاحة بيجن :

ولم أتمالك نفسي ، فقمت وتوجهت إلى الرئيس السادات وهمست في أذنه راجيا وقف الجلسة للتشاور . ولاحظ بيجن ذلك فقال على الفور ربما أطلت عليكم الحديث يا سيادة الرئيس وأقترح رفع الجلسة لاستراحة بعض الوقت ووافق الرئيس السادات ورفعت الجلسة .

---

(١) وقد كرر بيجن هذا المعنى في المؤتمر الصحفي الذي عقد في الاسماعيلية في اليوم التالي .

انتقل الوفد المصري إلى الغرفة المجاورة ، وقلت للرئيس السادات ــ في انفعال ــ رأيي في وقاحة مناحم بيجن وأنه يسيء استغلال سماحتنا وكرمنا كمضيفين ونوايانا الصادقة في انهاء الحروب وإقرار سلام عادل . وذكرت أن الأسلوب الذي يتبعه سيجرنا في متاهات وتفاصيل تبعدنا عن الهدف الأصلي ويجب أن يكون التركيز في هذا الاجتماع على الاتفاق على المبادئ التي تحكم التسوية الشاملة للنزاع العربي الاسرائيلي بكل عناصره ، ويمكن بعد ذلك أن تتولى اللجان مناقشة التفاصيل .

وقد أجمع الوفد المصري على رفض المشروع الذي قدمه بيجن ، لما تضمنه من تعديات خطيرة على سيادة مصر على أراضيها ومخالفات صريحة لقواعد القانون الدولي وتناقضات مع قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .

وعادت الجلسة للانعقاد وعدنا من جديد نستمع إلى صوت بيجن وعرضه الطويل المسهب وهو يشرح هذه المرة مشروعه التالي والخاص بمستقبل « جوديا وسماريا » وقطاع غزة . وكان يتوقف بعد كل فقرة ليتغزل بجمالها ويشيد بكرمه الفياض وانسانيته البالغة . كان أشبه ببائع متجول يتغنى بمحاسن بضاعته . « بالنسبة لجوديا وسماريا » وقطاع غزة فاني سأبدأ من النهاية ... إن اسرائيل تتمسك بسيادتها على تلك الأراضي لأنها أراضي أجدادنا ... ولكني لن أطلب منك يا سيادة الرئيس التوقيع على اتفاق يعطينا أراض ربما تعتبرها عربية ، لذلك أقترح أن نتفق على ترك موضوع السيادة مفتوحا ومعلقا فلا تكون لاسرائيل ولا تكون لغيرها ... وننتقل من هذه النقطة الى الموضوع الانساني الملح ، فمن الممكن الغاء الحكم العسكري في (يهودا والسامرة) وقطاع غزة وتتولى السلطات الاسرائيلية شؤون الأمن والنظام العام أما « السكان العرب الفلسطينيون » فسيتمتعون لأول مرة في تاريخهم بالحكم الذاتي الاداري بعد قرون من التحكم فيهم وهذا يؤدي بالتالي إلى أن

ينعم « اليهود الفلسطينيون » بالأمن .... كذلك اقترح أن يكون « للسكان » حق الاختيار بين الجنسية الأردنية والجنسية الاسرائيلية وأن يكون للاسرائيليين الحق في شراء وتملك الأراضي ويتمتع العرب الذين يحملون الجنسية الاسرائيلية بنفس الحق .... »

وعندما انتهى بيجن من عرض مشروعه أضاف بأن كلا من الرئيس كارتر ونائبه مونديل ورئيس وزراء بريطانيا المستر كالاهان قد أيدوا مشروعيه وامتدحوهما ، كما أضاف أنه لاقى معارضة شديدة في دائرته الانتخابية ومن أعضاء الكنيست وأصدقائه الشخصيين لما أقدم عليه من تنازلات ضخمة في سبيل التوصل إلى السلام .

التعبيرات الخبيثة :

ورد السادات أنه يريد أن يوضح أن لمصر التزامات تاريخية بالنسبة للعالم العربي وأنها ملتزمة بقرارات مؤتمر الرباط بشأن انسحاب اسرائيل من الأراضي المحتلة وحل القضية الفلسطينية على أساس الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، وأن موقفه ليس سهلا ، وأنه كان يأمل أن يتم في اجتماع الاسماعيلية الاتفاق على اعلان مبادىء بين الطرفين تحكم التسوية السلمية وأن هناك الكثير الذي تحقق بعد زيارته للقدس ، ولكن من الواضح أن هناك نقاط خلاف بين الطرفين . وعلى كل حال فلن يتم التوصل لاتفاق سلام في جلسة واحدة والمهم هو أن تستمر المباحثات وتبادل المقترحات وأن تستمر قوة الدفع حتى التوصل الى السلام الشامل ، وأننا سنتقدم باقتراحاتنا المضادة ومتى تم الاتفاق على المبادىء تبدأ اللجان السياسية والعسكرية في العمل على الفور .

وقد تميزت هذه الجلسة الثانية بنشاط من أعضاء الوفد المصري حيث كانوا ينبرون بالحجج الدامغة لبيجن ـ كلما شط ـ استنادا الى متانة الموقف العربي المؤيد بمبادىء القانون الدولي

وقرارات الأمم المتحدة .

ولم يتم بالطبع اتفاق على المبادىء وانتهى الاجتماع على أن يصدر كل جانب بيانا بوجهة نظره .

وفي صباح اليوم التالي ٢٦ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٧ أمام حشد هائل من الصحفيين ومراسلي وكالات الأنباء وشبكات التليفزيون أعلن السادات في بداية المؤتمر الصحفي المشترك أنه « .. فيما يتعلق بموضوع الانسحاب فقد حققنا تقدما » أما فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية التي نعتبرها لب المشكلة فقد كان موقف مصر هو أنه بالنسبة للضفة الغربية وقطاع غزة فيجب أن تقوم الدولة الفلسطينية ، أما موقف اسرائيل فهو أن « العرب الفلسطينيين » في « جوديا وسماريا » يتمتعون بالحكم الذاتي . ولقد اختلفنا هنا ولكن تم الاتفاق على أن نناقش تلك القضية في اللجنة السياسية » .

واسترعى دهشتي استعمال السادات لتعبيرات بيجن الخبيثة المضللة « العرب الفلسطينيين » الذي ابتدعه مناحم بيجن كبديل لتعبير « الشعب الفلسطيني » مدعيا كما صرح في المؤتمر الصحفي نفسه ردا على أحد الأسئلة : « إنني أنتمي الى الشعب الفلسطيني لأنني « يهودي فلسطيني » وهناك « عرب فلسطينيون » ونريد أن نعيش معهم في كرامة وفي ظل العدل والمساواة وقد أحضرت معي إلى الرئيس مقترحات بالحكم الذاتي هى الأولى في تاريخ العـرب الفلسطينيين » . يا لها من كرامة وعدل ومساواة !! شكرا للمستر بيجن . وقلت لنفسي وقتها لو كان اليهود قد اعتبروا أنفسهم مواطنين ومن جنسية الدول التي كانوا يعيشون فيها ـ وليسوا يهودا فقط ـ لما كانت هناك مشكلة يهودية ولا كانت هناك دولة اسرائيل وبالتالي ما كانت هناك مشكلة فلسطينية .

أما ترديد السادات في المؤتمر الصحفي لعبارة « جوديا وسماريا » فقد فسرته بأنه يستعملها من قبيل المجاملة الساذجة غير مقدر لمدلولها السياسي ومن قبيل التفاخر بمعرفته بلغة جديدة هى

العبرية . فقد كان السادات مغرما عند زيارته لبعض الدول بأن يضمن خطاباته الرسمية فيها فقرة أو أكثر بلغة البلد المضيف . حدث ذلك في ألمانيا وفي فرنسا وفي ايران .

وانتهى المؤتمر الصحفي المشترك وعرف العالم أن مباحثات الاسماعيلية فشلت ولم تحرك السلام قيد أنملة إلى الأمام .

تـــــأمـــــــلات

قضية بين شخصين :

تركت شخصية مناحم بيجن في نفسي انطباعا سيئا . فقد كان متحجر القلب والفكر متعصبا مغرورا لا يأبه بما يحدث للغير أو للعالم بأسره طالما يحصل هو على ما يريده . ولم يكن ماضيه الارهابي الدموي خافيا على أحد ، ولكنه من ناحية أخرى كان ذكيا واسع الدهاء والحيلة ، طليق اللسان سريع البديهة .

وقد اكسبته خبرته الطويلة كعضو في الكنيست مقدرة هائلة في فنون المناقشة والحوار والمراوغة ، بالاضافة إلى حفظه ملـف « قضيته » عن ظهر قلب بكل وقائعها وتفصيلاتها ويعلم أوجه الضعف فيها ، وبالتالي كان مستعدا للرد الفوري على ما قد يسوقه الخصوم من حجج وحقائق ، مهما تضمن رده من مغالطات وكذب .

على الجانب الآخر كان أنور السادات متقمصا دور « الرجل الكبير » ، لا يحفل بالتفاصيل ، تملؤه الثقة في مبادرته التي بناها على أسس الشجاعة والانسانية والعدالة ، واستنادا إلى القانون الدولي العام ، وقرارات الأمم المتحدة والاجماع الدولي على عناصر تسوية للنزاع العربي الاسرائيلي . ولم يكن يشك لحظة في أنه سيكتب لها النجاح ويدخل التاريخ كأحد دعاة السلام في القرن العشرين .

عزز هذا الاعتقاد لديه رد الفعل الايجابي الفوري في جميع أنحاء العالم ، ولشهور طويلة لم تخل صحيفة أو مجلة أو نشرة أخبار

من صورة للسادات أو خبر عنه ، أو مديح واطراء لمبادرته وتعلق بالآمال في أن يكتب لها النجاح . اللهم إلا صحافة الدول العربية التي التزم بعضها الحياد أمام المبادرة عملا بأسلوب (لننتظر ثم نرى) بينما ناصبها البعض الآخر العداء السافر الصريح

وإنها لمأساة تاريخية أن يضع القدر مصير هذه المبادرة الرائعة والتي يتوقف عليها مستقبل منطقة الشرق الأوسط ، وبالتالي مصالح العالم واقتصادياته لفترة طويلة في يد السادات من ناحية ، وفي يد مناحم بيجن من ناحية ثانية كما ستوضح الأحداث والتطورات .

الفرص الضائعة :

خلال الأسابيع التالية لاجتماع الاسماعيلية استغرقت في تفكير عميق متصل ، وهو ما لم يتح لي من قبل ، نظرا لتوالي الأحداث السريع . كنت أرغب في تحديد موقفي بيني وبين نفسي من المبادرة في حد ذاتها ، ثم في دراسة كيفية وضعها موضع التنفيذ والتكنيك الذي يتبع في هذا السبيل وخلصت من تفكيري إلى الاقتناع بنظرية المبادرة وامكانية تحقيق تسوية سلمية لمشكلة الشرق الأوسط على أساسها وحتى إذا لم تنجح فسيصيب اسرائيل الفشل ويكشفها دوننا

فقد ظهر لي من استعراض المواقف العربية منذ قيام اسرائيل أنه حافل بالفرص الضائعة . ففي كل مرة كان العرب يفوتهم القطار فاذا ما عادوا لمحاولة اللحاق به تكون اسرائيل قد رسخت قدمها في أرض جديدة . وكان ما يعوق العرب ويسبب ترددهم هو ضعفهم وتفرقهم وروح المزايدة والتناحر بينهم واصرارهم بعناد على وصف اسرائيل بأنها دولة « مزعومة » (١) رغم اعتراف أغلب دول العالم بها

وتذكرت سنة ١٩٥٤ بالذات عندما دعا أنتوني إيدن وزير

---

(١) من المضحك ان المواقف تبدلت واصبحت اسرائيل فيما بعد تعتبر الشعب الفلسطيني « مزعوما » وغير موجود إلى حد ان تصرخ جولدا مائير « واين هو الشعب الفلسطيني هذا » .

خارجية بريطانيا في ذلك الوقت إلى عقد إجتماع مائدة مستديرة تشترك فيه الدول العربية واسرائيل لبحث تسوية النزاع ، ولم يلبث جمال عبد الناصر أن أعلن أنها فكرة جديرة بالنظر وأنه سيقوم

بدراستها ، إلا أن القيامة قامت في بعض الدول العربية وخاصة سوريا والفلسطينيين وانهالت الاتهامات بالخيانة على جمال عبد الناصر وبأنه يبيع القضية الفلسطينية للعدو الصهيوني وكان الهجوم في وسائل الاعلام عنيفا فتراجع جمال عبد الناصر عن تصريحاته وادعى أنها حرفت وفهمت على غير حقيقتها . فهدأت العاصفة وعاد الموقف العربي إلى ما كان عليه .

عادت إلى ذهني تلك الواقعة ــ وكنت وقتها سكرتيرا أول في لندن ــ التي حدثت في وقت كانت كل ما تطالب به اسرائيل هو أن تقبل الدول العربية التفاوض معها والاعتراف بها في حدودها التي بينها قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقسيم فلسطين إلى دولة فلسطينية وأخرى يهودية ، وأحسست بسخرية القدر فلم تكن اسرائيل وقتها تحتل سيناء ولا الضفة الغربية ولا القدس ولا غزة ولا الجولان ، إذ لم يتم ذلك إلا في حرب ١٩٦٧ فما كان من الدول العربية إلا أن أعلنت في مؤتمر الخرطوم أنه لا مفاوضة ولا اعتراف ولا صلح مع اسرائيل .

وقد أدركت اسرائيل كيف تستغل موقف الرفض العربي هذا فظلت تعمد بعد احتلالها للأراضي العربية في سنة ١٩٦٧ إلى مطالبة العرب بالاعتراف بها والتفاوض معها وهى مطمئنة واثقة بأن رد الفعل العربي سيكون مزيدا من الرفض مما يتيح لها الوقت والفرصة لوضع مخططاتها التوسعية موضع التنفيذ عن طريق تعزيز مواقعها

في الأراضي الجديدة المحتلة واقامة المستوطنات فيها وقطع أواصر هذه الأرض وعزلها عن وطنها الأم .

كان الموقف العربي إذن موقفا سلبيا يفتقر إلى بعد النظر ويعود إلى التفرقة والخلافات والانصراف عن إدراك مخاطر السكوت

على الكيان الاسرائيلي وتركه يتشعب ويترعرع وسطنا والاكتفاء بالخطب والبيانات في الأمم المتحدة وغيرها دون الاعداد الجدي والصادق لمواجهتها حربا أو سلما .

الواقع الجديد :

ولكن حرب ١٩٦٧ أوجدت واقعا جديدا فلم تعد القضية الفلسطينية وحدها هى المشكلة العربية وإنما تفاقم الأمر وأصبحت دول عربية هى مصر وسوريا والأردن طرفا مباشرا في النزاع مع اسرائيل لاحتلالها أجزاء من أراضيها ، وشعرت باقي الدول العربية بالضياع وبالخطر المباشر يواجهها وأن دورها أصبح مدرجا على قائمة الانتظار . وكان احتلال اسرائيل للقدس العربية بالذات تحديا صارخا يشكل قاسما مشتركا أعظم لكل الدول العربية والاسلامية .

كانت صدمة الهزيمة التي مني بها العرب عسكريا ونفسيا وأدبيا في حرب ١٩٦٧ هى نقطة الانطلاق نحو البعث العربي من جديد الذي أدى إلى حرب ١٩٧٣ وبرز العالم العربي بما لديه من امكانيات استراتيجية واقتصادية وبترولية وبشرية كقوة هامة ومؤثرة لا يستطيع العالم إلا أن يحسب حسابها ، كما أدرك العرب أنفسهم قوتهم وأهميتهم وزالت العقدة التي كانت تتحكم فيهم وتملي عليهم سياسة الرفض واللاءات ازاء اسرائيل ومن هذا المنطلق يمكن فهم مبادرة السادات .

صحيح أن السادات كان يتعين عليه أن يحاول الاعداد لهذه المبادرة بالتشاور والتنسيق مع الدول العربية أو على الأقل مع دول المواجهة والدول العربية المعتدلة قبل أن يطرحها على اسرائيل فيتفادى بذلك الفرقة والمعارك الجانبية مع بعض الدول العربية ، إلا أنه يبدو أن السادات وقد احتوته فكرة المبادرة لم يطق صبرا وخشى ــ إن هو فاتح الدول العربية في الأمر ــ أن تذبل وتتبدد من بين يديه نتيجة اختلافات وتعارض في وجهات النظر بينها وتفقد بذلك بريقها

وقوة تفجير المفاجأة وأخذ اسرائيل والعالم على غرة . فأقدم عليها دون تشاور أو تنسيق وأصبحت أمرا واقعا وحقيقة سياسية فماذا يفيد الصراخ والنقد والندم ؟ لقد فعلها ووقعت ومن هنا يجب أن نبدأ ونستمر إلى آخر المدى ولكن بضوابط ومحاذير واتجاه بوصلة ثابت لا نحيد عنه أبدا .

خطة بيجن الشريرة :

ماذا قال السادات في خطابه أمام الكنيست ؟

لقد ترجم ـ في مواجهة وصراحة وشجاعة ـ مبادىء القانون الدولي ، وقرارات الأمم المتحدة التي تحكم النـزاع العربـي الاسرائيلي . ترجم حقوق الانسان والاجماع الدولي ، ترجم كل ذلك في نداء بليغ مؤثر أمام الكنيست الاسرائيلي وأمام العالم إلى صورة تنبض بالحياة وبالسلام ، والانسانية والعدالة ، وأوضح أن لا بديل عن ذلك إلا العيش في حلقة مفرغة من عدم الاستقرار والخراب والدمار .

وبماذا رد بيجن في خطابه ؟

قال : إن كل شيء قابل للتفاوض ولا يحق لأى طرف أن يضع شروطا مسبقة للتفاوض . قال هذا وكأن الاحتلال بقوة السلاح لأراضي العرب ليس شرطا مسبقا ، بل ليس قيدا يطوق أعناقهم ، وأنه لمن مآسي القدر أن يختار كائن حي من « الحفريات القديمة » يدعى مناحم بيجن ليكون رئيسا لوزراء اسرائيل في تلك اللحظة ، ليتلقى عرض السلام ويخنق ـ دونما شفقة ـ ذلك الأمل الجميل الذي أطلقته إلى الوجود تلك الصورة التي رسمها السادات في خطابه في القدس .

حاولت أن أضع نفسي مكان بيجن ، وأن أنفذ إلى أعماق نفسه ، ذلك الشخص الذي أمضى حياته ليقيم دولة يهودية عنصرية ، ذلك الشخص الذي قدم من بولندا إلى فلسطين ليذيق أهلها العذاب فيسفك دماءهم ويطردهم من ديارهم وأوطانهم ، ليستورد اليهود من

معظم أنحاء العالم ليحلوا محلهم ، بيجن رئيس حزب « حيروت » الذي ينادي باسرائيل الكبرى .

بيجن الذي رأيته بعيني وسمعته بأذني في الاسماعيلية يستعرض مهارته ليفاصل ويقايض على ما ليس له . وكأن عرض السلام الشامل العادل الدائم الذي قدمه السادات لم يكن إلا سحابة صيف وانقشعت .

إنه لا يرفض — صراحة — مبادرة السادات والعالم كله يباركها ويترقب رده عليها وهو في نفس الوقت لا يريد السلام الذي عرضه عليه السادات والذي يحصر اسرائيل في حدود ما قبل حرب يونيو ١٩٦٧ ، إنه يريد أن يبني امبراطوريته الصغيرة في عهد انقرضت فيه الامبراطوريات . بل ان عناصر هذه الامبراطورية تحت قبضة يده بالفعل : « جوديا وسماريا » والقدس وقطاع غزة والجولان . ومن يدري ربما سيناء أو جزء منها على الأقل وليترك للمستقبل جنوب لبنان — كل ما عليه أن يضع هذه الأجزاء بعضها إلى جانب بعض وتصبح امبراطوريته حقيقة واقعة . أيظن السادات ذلك الفلاح المصري الساذج أنه يستطيع أن يسلبه حلمه الذي كاد يتحقق ، وكل ما عاش وناضل من أجله مقابل خطاب ألقاه في الكنيست ؟

كيف يخرج من مأزق المبادرة وكيف يستفيد منها في نفس الوقت ؟ لماذا لا يحول الرصاص إلى ذهب ؟ لماذا لا يقلب الوضع على السادات ويستفيد من مبادرته في أن يحتفظ بالأرض والسلام — على ما يفهمه — معا ؟

وتخيلت ما يدور في رأس بيجن العبقري الشرير ليحقق مآربه .

عزل مصر :

أول الخطوات هو عزل مصر عن أشقائها في العالم العربي عزلا تاما ، والجو مهيأ لذلك نتيجة إقدام السادات على مبادرته دون مراعاة للدول العربية أو استشارتها سلفا وردود الفعل العربية

غاضبة ساخطة . ان مصر أقوى وأكبر الدول العربية وأكثرها خطرا على مخططاته التوسعية ، فاذا خرجت من دائرة الدول العربية ونحيت جانبا فلن تشكل باقي الدول العربية خطرا عليه ولن تملك حراكا فعالا . ثم إن عزل مصر عن الدول العربية يقطع عليها الكثير من مقومات قوتها ويضعفها هى نفسها بالتالي .

فاذا نجح في ذلك استطاع أن ينتقل إلى مرحلة أخرى بتحقيق سلام جزئي مع مصر أو صلح منفرد معها . ويتفرغ بعد ذلك في هدوء لابتلاع وهضم الأراضي العربية الأخرى المحتلة وفي حوزته الورقة اللازمة لاجراء ذلك « سيناء » . وإلا فلماذا هذا التشدد الذي تضمنه المشروع الخاص بسيناء في الاسماعيلية ؟ إن الحدود الدولية بين مصر وفلسطين معروفة ومحددة من الاف السنين ولم تكن أبدا موضع مطالبة اليهود في صلواتهم . صحيح أن تيودور هرتزل صاحب فكرة الدولة اليهودية قد حاول في وقت ما بعد أن فشلت محاولاته مع السلطان العثماني عبد الحميد في الحصول على تصريح بالاستيطان اليهودي في فلسطين . حاول أن يحصل في سنة ١٩٠٢ على إذن من اللورد كرومر المندوب السامي في مصر ــ وقت أن كانت تحت الاحتلال الانجليزي ــ باقامة مستوطنات يهودية في شرق سيناء لا طمعا في سيناء في حد ذاتها وإنما لتكون نقطة للقفز على الأراضي الفلسطينية المجاورة متى لاحت الفرصة لذلك . ولكن لم تنجح المحاولة .

إذن فلم تكن سيناء من أرض أجدادهم كل ما هناك أن موسى عبرها مع قومه ليصل إلى أرض « الميعاد » في فلسطين ، وإن كانت هناك نظرية يهودية تقول : أن كل أرض وطئها قدم يهودي فهى له .

كذلك لا يغيب عنه إن اقتطاع جزء من أرض مصر ليس في مقدوره هضمه لأن مصر دولة قوية وستسترد أرضها إن عاجلا أو آجلا ، حربا أو سلما بلا أدنى شك .

أما السبب في التكالب على التمسك بالمستوطنات التي أقامتها

اسرائيل في سيناء فلا يعدو في حقيقة الأمر إلا الخشية من أن يشكل انسحابهم منها سابقة يمكن أن تطبق فيما بعد على المستوطنات التي أقاموها في الضفة الغربية وغزة .

كل ما على بيجن أن يفعله إذن هو كسب الوقت وتمييع المبادرة وافراغها من مضمونها الكبير وجر مصر إلى متاهات التفاصيل وإلى جزئيات وقضايا فرعية والدخول في مناقشات لا تنتهي واستغلال لهفة السادات على تحقيق أحلامه في السلام الشامل في الحصول منه على مزايا وتنازلات صغيرة من هنا وهناك لا تلبث أن تحدث شروخا صغيرة في جدار المبادرة إلى أن يتصدع وينهار مع الوقت في النهاية .

ألم يحصل من السادات في أول لقاء في القدس على وعد قاطع بأن تكون حرب ١٩٧٣ هى آخر الحروب بين مصر واسرائيل دون التزام من قبله بشيء سوى استمرار التفاوض إلى أجل غير مسمى ، يتيح له الوقت لتدعيم مركزه في الأراضي المحتلة سواء بزرع المزيد من المستوطنات في تلك الأراضي أو غير ذلك ؟

ألم يتفق معه على أن يكون اجتماع اللجنة السياسية المصرية في القدس ؟ ألم يتفق معه على إنشاء لجنة عسكرية تبحث الانسحاب من سيناء في ثاني لقاء بينهما ، ومن قبل أن تبدأ المباحثات وتوضع الأسس ؟

وضع متميز للجانب العربي :

أما بالنسبة لنا فقد انتهى تفكيري إلى أن المبادرة أوجدت وضعا متميزا للجانب العربي ، وأن احتمالات أن يكتب للمبادرة النجاح في آخر الأمر هى احتمالات طيبة ، فقد أخرجت المبادرة الموقف العربي من الجمود الذي اكتنفه دائما برفض العرب ما كانت تلوح به اسرائيل من تفاوض مباشر معهم ، وهو ما كان يصعب فهمه لدى العالم الخارجي ، بزعم أن التفاوض المباشر مع اسرائيل يعني الاعتراف بها في حين أن الدول العربية تعتبرها دولة مزعومة وكأن

هذا الوصف يلغي الحقيقة .

كانت اسرائيل تستغل هذا الموقف السلبي العربي في اعداد الرأي العام لقبول الواقع وتعمل بشتى الوسائل على تثبيت سيطرتها على الأرض .

الخلاصة أن عامل الوقت أصبح في صالح القضية العربية على عكس الحال قبل المبادرة ويخلق ضغوطا جديدة على الحكومة الاسرائيلية في كل يوم وفي كل مكان . فقد تبنى العالم مبادرة السلام وتشبث بها ، وبالذات الرأى العام الأمريكي ، وهو المتعاطف مع اسرائيل دائما .

إن هذه التفاعلات انتقلت إلى داخل اسرائيل نفسها فقامت حركة « السلام الآن » ورفعت شعار « إن السلام أهم من الأرض » وقامت المظاهرات في الشوارع تدعو الحكومة الاسرائيلية إلى عدم اضاعة الفرصة بأي شكل من الأشكال ، ثم أخذت هذه التفاعلات تتسع دوائرها حتى نفذت إلى داخل مجلس وزراء بيجن نفسه ، فحدثت انقسامات بين الوزراء حول عدد من الموضوعات ، من بينها انشاء المستوطنات الجديدة ونشطت المعارضة الاسرائيلية تهاجم ذلك ، وتهاجم تفسير الحكومة الضيق لقرار مجلس الأمن رقم « ٢٤٢ » .

بل انتقلت هذه الانفعالات إلى قلب المنظمات اليهودية والصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية ، وهى سند اسرائيل الفعال ، وساعدها الأيمن . وقد خلقت هذه التفاعلات لنفسها قوة دفع ذاتية هائلة لا تقف عند حد ، وعلينا أن نعمل على دفعها باستمرار ولا نسمح لها بالركود أبدا .

كان هذا هو تصوري عن المناخ الطيب الخصب الذي أوجدته المبادرة .

علامات الطريق :

كان يشغل ذهني أيضا أن مبادرة السادات لم تكن طرحا

تفاوضي يقبل المساومة ، ويتحمل التنازلات . كان العرض الذي أعلنه السادات من فوق منبر الكنيست وأمام العالم أجمع ، تجميعا شريفا مخلصا للعناصر التي لا يمكن أن يتحقق سلام حقيقي بغير توفرها مجتمعة ، بحيث أن اسقاط أي جزء منها أو تشويهه يؤدي إلى اختلال توازن العرض بأكمله وانهياره . قال السادات في القدس :

* انهاء الاحتلال الاسرائيلي للأراضي العربية التي احتلت عام ١٩٦٧ .
* توفير الحقوق الأساسية للشعب الفلسطيني ، وحقه في تقرير المصير بما في ذلك حقه في إقامة دولته .
* حق كل دول المنطقة في العيش بسلام داخل حدودها الآمنة والمضمونة عن طريق اجراءات يتفق عليها تحقق الأمن المناسب للحدود الدولية بالاضافة إلى الضمانات الدولية المناسبة .
* تلتزم كل دول المنطقة بادارة العلاقات فيما بينها طبقا لأهداف ومبادىء ميثاق الأمم المتحدة ، وبصفة خاصة عدم الالتجاء إلى القوة وحل الخلافات فيما بينها بالطرق السلمية .
* انهاء حالة الحرب القائمة في المنطقة .

لم يخترع السادات هذا العرض ، ولم يشكله من عندياته ، ولم يأت به من فراغ . انه ترجمة ، وصياغة أمينة لأحكام وروح مباديء القانون الدولي ، وتطبيق لميثاق وقرارات الأمم المتحدة لحل النزاع العربي الاسرائيلي ، وما ترتب عليه من مضاعفات .

لقد أكد قرار مجلس الأمن رقم (٢٤٢) ـ والذي قبلته الأطراف ـ أكد في صدر ديباجته المبدأ الدولي ـ والذي لا استقرار في العالم دون الالتزام به وتطبيقه ـ بعدم جواز الاستيلاء على الأرض عن طريق القوة ـ وهذا هو المدخل الحقيقي لأى سلام .

إذن فان ما عرضه السادات كما أسلفت هو المنفذ إلى السلام الحقيقي الذي يستند إلى اقتلاع جذور الشر ومسببات التوتر

والنزاع « فلا سعادة لأحد على حساب شقاء الآخرين » .كان عرضا مبنيا على أن الخط المستقيم هو أقرب الطرق وأنجحها فلو كان السادات قد قصد بمبادرته طرح موقف تفاوضي يقبل الأخذ والرد لتقدم بها على أساس مختلف تماما ، كأن يطالب بتسوية مثلا على أساس قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في نوفمبر ١٩٤٧ الذي يقسم فلسطين إلى دولة فلسطينية ودولة يهودية .

كل ما كان يحتاج إليه الطرف الآخر (اسرائيل) هو الشجاعة والايمان بالعدالة و« ألا يطلب المرء لنفسه ما ينكره على الآخرين » ، وأن يتخلى عن نظرية الغنائم والأسلاب . وأكثر من ذلك كان يحتاج إلى وضوح الرؤية وبعد النظر وإذا كانت اسرائيل قد اختارت هذه البقعة في قلب العالم العربي لتقيم دولتها ، أفليس من الحكمة والمصلحة أن تعيش مع العرب في سلام وطمأنينة وتعاون ؟ وأن تعتبر نفسها من دول المنطقة بدلا من أن تستمر في دور الدخيل الغاصب المعتدي المدجج بالسلاح والذي لا يغمض له جفن خوفا من أن يسترد أصحاب الحق ما سلبه منهم ؟ وإلى متى تستطيع ذلك ؟.

لو توفر لاسرائيل هذا التفهم إذن لتلقفت حكومتها عرض السادات بالترحاب والبهجة ولم تترك هذه الفرصة الهائلة تفلت من بين يديها أو تحاول تشويه عظمتها وجلالها باختطاف عظمة من هنا وعظمة من هناك .

وخلصت من هذا التحليل إلى أن موقفنا يجب أن يظل ثابتا متمسكا بجميع عناصر هذه المبادرة وعدم تمكين حكومة بيجن من أن تجرنا بعيدا إلى متاهات ودروب فرعية تصرفنا عن اقامة بنيان السلام الحقيقي .

إذن فان مجال التفاوض والمرونة — ولا أقول المساومة — يجب أن ينأى تماما عن الأرض والسيادة والحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ويتجه إلى ترتيبات الأمن وبناء التعايش والسلام ونحن لذلك قابلون بل وراغبون .

علاقة مصر بالعرب :

الأمر الثالث الذي شغل تفكيري في تلك الفترة هو علاقاتنا بالدول العربية وبمنظمة التحرير الفلسطينية .

كانت الدول العربية بعد زيارة السادات للقدس قد انقسمت إلى ثلاث مجموعات . احداها تضم الدول التي يمكن وصفها بأنها الأكثر راديكالية وهى سوريا والعراق والجزائر وليبيا واليمن الجنوبية وقد انضمت إلى هذه المجموعة منظمة التحرير الفلسطينية ، وسمت هذه المجموعة نفسها « بجبهة الصمود والتصدي » وقد اتخذت هذه المجموعة موقفا متطرفا معاديا لمبادرة السادات واعتبرتها خيانة للقضية العربية وسعيا من السادات وراء حل منفرد مع اسرائيل وقد قامت مصر بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع هذه الدول .

والمجموعة الثانية تعاطفت مع المبادرة وعلى رأسها المملكة المغربية ـ أو بالأحرى الملك الحسن الثاني ـ وهو الذي لعب دورا في الاتصال السري السابق على مبادرة السادات بين حسن التهامي ممثلا للسادات وموشي ديان ممثلا للحكومة الاسرائيلية والذي تم في شهر سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٧٧ ، على ما علمت فيما بعد وعلى ما سيأتي بيانه . وقد اتخذ السودان أو بالأحرى الرئيس جعفر نميري والسلطان قابوس سلطان عمان بدورهما موقفا متعاطفا مع المبادرة كل لاعتباراته الخاصة به .

أما المجموعة الثالثة فكانت تتكون من المملكة الأردنية الهاشمية ومن المملكة العربية السعودية وباقي دول الخليج فيما عدا اليمن الجنوبية . وقد وقفت هذه المجموعة من مبادرة السادات موقفا سلبيا فلا هى هاجمتها ولا هى رحبت بها وآثرت التريث والانتظار ومتابعة ما سوف تسفر عنه التطورات وقد احتفظت هذه الدول بسفرائها وعلاقاتها الدبلوماسية مع مصر في بادئ الأمر .

وقد بدا لي بوضوح تام أنه من الصعب بل من المستحيل أن تستطيع مصر وحدها مواصلة السعي نحو السلام في ظل هذا الانقسام والاضطراب والريب والشكوك التي يموج بها العالم العربي فاستمرارها سيؤدي حتما إلى تعميق هذه الخلافات والدخول في مهاترات ومعارك جانبية والتشكيك في كل ما تقوم به مهما خلصت نواياها وفي النهاية إلى عزلها عزلا تاما وفشلها فيما أقدمت عليه أو انحرافها عن ما استهدفته .

بمعنى أنه طالما أن مصر كانت تسعى إلى حل شامل للنزاع العربي الاسرائيلي فانها لا تستطيع الاستمرار في ذلك وهى في ثوب الفضولي الذي يعمل في غيبة من أصحاب الشأن الآخرين بدون تفويض أو مباركة منهم بل وهم ينكرون عليها الحق في ذلك . بناء على ذلك وببساطة شديدة فان مصر ستصل إلى نقطة في المباحثات مع اسرائيل تجد نفسها عاجزة عن التقدم نحو الحل الشامل ويكفي مثالا لذلك أن تحتج اسرائيل بأنها لا تستطيع التباحث مع مصر بشأن الانسحاب من الجولان ـ وهو جزء من التسوية الشاملة التي تستهدفها مصر ـ طالما أن سوريا صاحبة الشأن ترفض وتعارض قيام مصر بهذا المسعى .

وإذا استمرت مصر في جهودها في عزلة عن باقي العالم العربي فلابد أن تنتهي جهودها هذه إلى إحدى نتيجتين : الأولى فشل مبادرة السادات في تحقيق أهدافها وانتهائها إلى لا شئ ، ويكون ذلك نهاية السادات سياسيا ـ ويصبح شأنه شأن مقامر أو مغامر سلك طريقا من وحي أفكاره وقامر بمصالح غيره ـ وباءت مغامرته أو مقامرته بالفشل ـ ولكن الأمر لا يقتصر على ذلك وإنما يكون قد وضع العالم العربي في موقف أسوأ بكثير من موقفه فيما لو لم تقم المبادرة وقد أصابه الانقسام العميق والتفكك . وأين هذا من اشتراك العرب متحدين في مؤتمر جنيف الذي كان موشكا على انعقاده قبل المبادرة

تحت مظلة الأمم المتحدة وبرئاسة الدولتين العظميين .

أما النتيجة الثانية فهي أن يجد السادات نفسه منساقا رغم أنفه إلى حل منفرد أو حل جزئي مع اسرائيل لم ينشده . وهذا مما يقضي على فرص الحل السلمي الشامل ويهيىء لاسرائيل فرصة تحقيق أطماعها التوسعية ضاربة عرض الحائط باستقرار المنطقة ومستقبلها ، وهو ما لايمنع مصر إن عاجلا أو آجلا من أن تضطر إلى دخول حرب جديدة . فمصر شاءت أم أبت جزء رئيسي وحيوي وعضوي من الوطن العربي ولا تستطيع أن تظل بمنأى عن الأحداث والتطورات التي تجري فيه من حولها .

إذن فلا بد من العمل على توسيع نطاق المشاركة العربية في جهود السلام بشكل أو بآخر . وقد وجدت بداية الخيط في قرارات مؤتمر القمة العربية الصادرة في الرباط في أكتوبر سنة ١٩٧٤ والتي كانت تتضمن الحل السلمي على أساس استعادة جميع الأراضي العربية المحتلة في حرب سنة ١٩٦٧ وتحقيق حقوق الشعب الفلسطيني في العودة إلى وطنه وتقرير مصيره . وكل ذلك طرحه السادات في مبادرته .

وكان علينا كخطوة أولى أن نثبت للعالم العربي تمسكنا والتزامنا الكامل بتحقيق مقررات الرباط والتي كان خطاب السادات في القدس يعكسها دون أية تنازلات . لابد أن نقنع العرب من خلال ممارستنا للمفاوضات مع اسرائيل بثبات هذا الموقف ، ونعمل على استعادة ثقتهم بمصر بكافة السبل .

وكان من المستحيل ونحن في هذه المرحلة الاقتراب من مجموعة جبهة الصمود والتصدي ومحاولة اقناعها بسلامة موقفنا ونوايانا ، ومن باب أولى دعوتها لمشاركتنا . وكان يعنيني من بين دول هذه المجموعة سوريا بالذات باعتبارها احدى دول المواجهة مع اسرائيل وحليفتنا في حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، وثانيا منظمة التحرير

www.library4arab.com/vb

الفلسطينية حيث أن حل المشكلة الفلسطينية كان لب الموضوع . وكان وضع المنظمة دقيقا للغاية وقد اضطرتها مبادرة السادات الفاجئة إلى الانضمام إلى جبهة الرفض إلا أن الاقتراب منها والدخول معها في حوار لم يكن مغلقا كما كان الحال بالنسبة لسوريا وقتها .

واستقر تفكيري على التركيز كخطوة أولى على دولتين عربيتين هما الأردن والسعودية . وكلتاهما على ما أشرت أخذتا موقفا محايدا من المبادرة وذات سياسات معتدلة . أما الأردن فلأنها من دول المجابهة ولاتصالها الجغرافي بالضفة الغربية التى كان قد ضمها الملك عبد الله الى الأردن في أعقاب حرب سنة ١٩٤٨ ولأنها ذات دور رئيسي في أية تسوية خاصة بحل المشكلة الفلسطينية . والسعودية بوزنها الدولي وامكانياتها وعلاقاتها الخاصة بمصر وبما لها من مكانة في العالم العربي وتأثير على دوله .

دور الولايات المتحدة :

الأمر الرابع : هو أن نعمل على أن تقوم الولايات المتحدة بدور نشط في المباحثات وكان تفكيري في ذلك يستند إلى أن الولايات المتحدة إحدى الدولتين العظميين المقرر عقد مؤتمر جنيف للسلام تحت رئاستهما ، صحيح أنها منحازة إلى اسرائيل انحيازا يكاد يكون أعمى وأنها ملتزمة بالدفاع عن أمنها وسلامتها ، ولكن كان هناك فارق بين دفاعها عن أمن اسرائيل في حدود ما قبل حرب ١٩٦٧ وبين حماية احتلال اسرائيل غير الشرعي لأراضي الدول العربية الأخرى والناتج عن تلك الحرب .

ومن الناحية الثانية فان للولايات المتحدة مصالح حيوية في العالم العربي وفي منطقة الشرق الأوسط ويكفي الاشارة إلى أهمية استمرار تدفق بترول الشرق الأوسط إليها وإلى حلفائها الأوربيين واليابانيين . وخير ضمان لهذه المصالح هو استقرار المنطقة ولن

يتأتى هذا فى رأيي إلا عن طريق حل النزاع العربي الاسرائيلي حلا شاملا وعادلا .

ومن الناحية الثالثة كانت للولايات المتحدة مواقف رسمية معلنة فيما يتعلق بأسس حل النزاع العربي الاسرائيلي مثل الانسحاب وعودة اللاجئين واستنكار اقامة المستوطنات . وكنت أعول على مطالبة الولايات المتحدة بتأكيد التزامها بهذه المواقف في أية تسوية ومطالبتها بتنفيذها وتطبيقها .

كذلك كنت أجد شيئا من الحقيقة فيما كان يردده السادات دائما من أن ٩٠٪ من أوراق اللعبة في يد الولايات المتحدة . حيث تعتمد اسرائيل عليها كليا من الخبز إلى الصاروخ ، والمفروض أن يشكل ذلك للولايات المتحدة قوة تأثير هائلة على اسرائيل ، ولا أقول قوة ضغط .

وبالتوازي مع ذلك كنت أرى وجوب تحقيق شئ من التوازن في علاقتنا المتدهورة مع القوة الأخرى « الاتحاد السوفيتي » فقد مرت بنا تجربة التعامل مع إحدى الدولتين العظميين عندما قطع جمال عبد الناصر العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة إثر حرب يونيو ١٩٦٧ ، ولم يخدمنا ذلك في شئ .

وأذكر عندما كنت سفيرا لمصر في بون من ١٩٧٣ حتى ١٩٧٧ أن ذكرني أكثر من مسؤول ألماني بطريقة غير مباشرة ـ عندما كان السادات يغالي في هجومه على الاتحاد السوفيتي بشكل جارح ـ « بأننا ـ ألمانيا الاتحادية ـ دولة صغيرة ، ولا قبل لنا باستعداء أي من الدولتين الكبيرتين . وبالنسبة للاتحاد السوفيتي فرغم أن لنا كل المبررات لكراهيته وعداوته حيث كان هو المخطط لتقسيم ألمانيا ، ورغم أنه يشكل الخطر الأكبر علينا إلا أننا نتعامل معه في كل المجالات الدبلوماسية والاقتصادية والتجارية والثقافية ، ونحن لا ننحاز له ، ولكننا لا نستفزه ونحافظ على مصالحنا عن طريق الحوار معه » .

ولم يكن هذا هو حال مصر مع الاتحاد السوفيتي ، فقد كان له عندنا رصيد ضخم في تأييد قضايانا سياسيا وعسكريا منذ عام ١٩٥٦ ، بل إننا دخلنا حرب ١٩٧٣ بالسلاح السوفيتي ، ولا أدعي أنه لم يكن له مآرب ليست على هوانا ، ولكن هذا هو شأن الدول الكبرى . وماذا جنينا من الولايات المتحدة التي ظلت تساند اسرائيل رغم عدوانها المستمر وتزودها بالسلاح والمال والتأييد ؟

لقد قام السادات بانهاء العلاقة الخاصة التي كانت قائمة بين مصر والاتحاد السوفيتي ، عندما طلب منه سحب خبرائه العسكريين وغيرهم في ١٩٧٢ ، واستجاب الاتحاد السوفيتي لذلك في هدوء وبدون تعقيدات ، فما جدوى استعدائه واستفزازه بعد ذلك ؟ والحقيقة أن السادات ـ كما أخبرني مرارا ـ كان يشعر أن الاتحاد السوفيتي يعاديه شخصيا منذ البداية ، إذ كان يأمل أن يخلف عبد الناصر بعد وفاته علي صبري الذي كانت تربطه علاقات تفاهم بالاتحاد السوفيتي . ولكن علي صبري كان في السجن وكان السادات قد وطد مركزه رئيسا لجمهورية مصر مما كان يوجب عليه أن ينحي جانبا مشاعره الشخصية .

وتحقيق التوازن في علاقاتنا بكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي كان يقتضي في رأيي معالجة فورية على أساس الخروج بالتدريج من مرحلة الفتور الشديد وتبادل الهجوم علنا من الجانبين الى مرحلة الدخول في حوار هادئ معه وكانت هناك اعتبارات توجب ذلك منها :

١ ـ دور الاتحاد السوفيتي الحتمي في أية تسوية لقضية الشرق الأوسط فمن الصعب تصور امكانية تحقيق تسوية لا ترضى عنها احدى الدولتين العظميين .

٢ ـ موقف الاتحاد السوفيتي الثابت المؤيد للموقف العربي في وجوب الانسحاب الاسرائيلي من جميع الأراضي المحتلة وحقوق

الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واقامة دولته .

٣ ـ تجنب الاستقطاب الدولي للدول العربية سواء من قبل الاتحاد السوفيتي أو الولايات المتحدة الأمريكية على حد سواء .

٤ ـ دور الاتحاد السوفيتي في المنطقة المحيطة بنا في أفريقيا والعالم العربي

وأسارع فأقول أن السادات لم يقصد بالطبع فشل مبادرته وانما حدث ذلك لفرط تلهفه وتعجله في أن يتحقق لها النجاح .

كان قد وقع فريسة لانفعالات لا يتحملها بشر ووقوع مبادرته ما بين تعلق الملايين بالأمل في السلام ، وشراسة هجوم اشقائه العرب عليه ، وتصلب بيجن وغدره ، وخروجه عن عرينه العربي ، وتقريطه في دوائر النفوذ المؤثرة ، وانسياقه وراء السراب الأمريكي الخداع .

٥ ـ الحد من الجهود السوفيتية الرامية إلى عزل مصر والتأثير على أوضاعها الداخلية .

٦ ـ استخدام تحسن علاقاتنا مع موسكو للضغط على الولايات المتحدة الأمريكية .

٧ ـ تثبيت مركزنا المتميز داخل مجموعة عدم الانحياز وعدم اهتزاز صورتنا لديها .

ورأيت أن بداية ذلك يمكن أن تتم بعودة السفير المصري إلى موسكو ليبدأ اتصالاته بكبار المسؤولين فيها . وكان السادات قد قام بسحب السفير المصري فيها عقب مبادرته واتخاذ الاتحاد السوفيتي موقفا معاديا لها ، بنفس المنطق الذي قطع به علاقاتنا الدبلوماسية بسوريا وباقي الجبهة الرافضة للمبادرة .

الدور الأوروبي :

بالاضافة إلى ما سبق هناك المجموعة الأوربية والتي حققت سياستنا فيها نجاحا ملموسا . إذ تحولت أوروبا بعد حرب سنة

١٩٧٣ واتخذت مبادرات ومواقف أوضحت تفهم النزاع العربي الاسرائيلي والأساس الذي يجب أن تقوم عليه التسوية بالانسحاب الاسرائيلي من الأراضي المحتلة واقرار حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة . وقد كانت ومازالت اسرائيل تسعى بكل السبل إلى تحييد موقف أوروبا ومنعها من التدخل بشكل أو بآخر في اقتراح الحلول . ولكن أوروبا أدركت في ذكاء أن مصالحها الحيوية في منطقة الشرق الأوسط لن يحميها إلا سلام عادل شامل في المنطقة يولد الاستقرار في ربوعها .

وكان كل ما علينا أن نتابع حثها على القيام بدور ايجابي في التوصل إلى السلام .

كذلك كانت هناك مجموعة عدم الانحياز والتي كنا نتمتع فيها بموقف متميز ومكانة خاصة منذ تشكيلها في مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٤ وكان عبد الناصر وتيتو ونهرو روادها الأوائل . وكانت مجموعة عدم الانحياز قد تبنت سياسة مؤيدة تماما للموقف العربي ولعبت دورا نشطا في القرارات الصادرة عن منظمة الأمم المتحدة الخاصة بالانسحاب الاسرائيلي واقرار حقوق الشعب الفلسطيني . وكان تحقيق التوازن في علاقاتنا بالقوتين العظميين يساعدنا على تنشيط اتصالاتنا بدول هذه المجموعة .

كذلك كان لنا رصيد سياسي كبير في أفريقيا حيث كانت مصر من أكبر وأهم مناصري حركات التحرير في أفريقيا ومحاربة التفرقة العنصرية بجميع صورها . وفي أعقاب حرب ١٩٦٧ سارعت الدول الأفريقية جميعا بقطع علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل الواحدة تلو الأخرى . وتأثر مركز اسرائيل في القارة بعد أن كانت قد حققت لنفسها في الدول الأفريقية مركزا ممتازا .

رفض اي مساومة :

والخلاصة أنني انتهيت إلى أن يكون موقفنا في المباحثات

مع اسرائيل مبنيا على الأسس والأساليب التالية :

١ ـ رفض أية مساومة فيما يتعلق بالانسحاب الاسرائيلي من الأراضي العربية المحتلة (سيناء والجولان والضفة الغربية وقطاع غزة) أو في حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة في تقرير مصيره .

٢ ـ إن مجال المفاوضة والمرونة هو في ترتيبات الأمن للطرفين بما في ذلك الضمانات بكل أنواعها .

٣ ـ فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية نوضح أننا لسنا الطرف الوحيد وأنه يجب ادخال الأطراف الأخرى في المباحثات ولا يمكن اتخاذ قرار نهائي إلا في حضور الأردن وممثلي الشعب الفلسطيني .

٤ ـ العمل بكل الوسائل على استعادة وحدة الصف العربي .

٥ ـ قيام أمريكا بدور نشط في المباحثات يتفق مع مواقفها المعلنة من عناصر التسوية ويلتزم بتحقيق التسوية العادلة .

٦ ـ العمل على وقف التدهور في علاقاتنا بالاتحاد السوفيتي وتحقيق نوع من التوازن في علاقاتنا بواشنطن وموسكو .

٧ ـ تفادي الانزلاق في قضايا فرعية أو جزئية قبل التوصل إلى إعلان مبادئ يحقق أهدافنا .

٨ ـ تنشيط اتصالاتنا بالمجموعات الدولية والاقليمية في أفريقيا واسيا وأوروبا وأمريكا اللاتينية والدول الاسلامية والعمل على محاصرة اسرائيل بالمؤيدين لقضيتنا وتحييد مؤيديها .

٩ ـ إبراز أننا لا نغلق الباب أمام السلام وأن الجانب الاسرائيلي هو الذي يسعى الى القضاء على المبادرة برفضه التجاوب .

١٠ ـ دفع وتشجيع عجلة التفاعلات الدولية الايجابية التي خلفتها مبادرة السادات في الرأى العام العالمي وفي داخل اسرائيل نفسها . ومواصلة استثمار المبادرة حتى تحقق غايتها النهائية وهى اجبار اسرائيل على التسليم بالمطالب التي نراها ضرورية

ولا غنى عنها في اقامة السلام .

العامل الغائب :

وارتاحت نفسي إلى علامات الطريق هذه وعزمت على السير على هداها والأمر في نظري لن يخرج عن أحد فرضين : الأول أن تحقق مبادرة السادات غايتها في تحقيق السلام العادل الشامل بكل ما يعنيه ذلك والثاني أن تفشل المبادرة ، وليس من سبب يدعو إلى فشلها إلا واحد هو أن يتشبث الطرف الآخر بالأرض التي استولى عليها عنوة وأن يهدر حقوق أصحابها وعليه تقع المسؤولية ، وعلى الباغي تدور الدوائر .

أما نحن العرب فالمستقبل لنا والبدائل أمامنا عديدة ولن يسكت صاحب حق عن استرداد حقه ان سلما وان حربا .

وغاب عني وقتها أن هناك عاملا ليس في الحسبان يعمل على تقويض المبادرة وهدم أركانها وكان هذا العامل المجهول آخر ما يخطر على التصور ، كان أنور السادات نفسه .

الفصل السادس

الشرط الــــوحيـــد

في الأيام التالية لاجتماع الاسماعيلية توجهت إلى مكتبي بوزارة الخارجية وشرعت في ترتيب أعمالي فاتخذت بعض القرارات الادارية واجتمعت والدكتور بطرس غالي وزير الدولة للشــؤون الخارجية وكانت معرفتي به ، مجرد معرفة سطحية اجتماعية .

ومن أول لقاء غمرنا نحن الاثنين شعور متبادل بالارتياح للعمل معا وان اختلفت وجهات نظرنا بشأن بعض الموضوعات وأسلوب معالجتها وهو أستاذ للقانون الدولي غزير الاطلاع غزير الانتاج وله صلات دولية واسعة بين العاملين في هذا المجال . كان اقترابه من المسائل أكاديميا تغلب عليه الناحية النظرية ولكنه كان مرنا في الحديث يتمتع بظل خفيف وروح مرحة .

واعتدنا أن نلتقي يوميا في مكتبي ولو لدقائق معدودة نتناول فيها بعض الموضوعات أو نقضيها في حديث خفيف يسري عن نفسينا من عناء الارهاق والتوتر .. كذلك اجتمعت بكبار موظفي الوزارة واخترت مجموعة تختص بمعالجة كل ما يتعلق بالمبادرة والمباحثات .

لست تابعا لأحد

كذلك قابلت مجموعة من السفراء العرب الذين لم نقطع علاقاتنا بدولهم وبعض ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية وبعض السفراء الأجانب .

وأذكر وقتها أن « هيرمان أيلتس » السفير الأمريكي اتصل بي تليفونيا وسأل إن كان بامكانه زيارتي بعد ساعة وقد وافقته على ذلك .. وعندما حضر ، كان أول ما قاله عند جلوسه إنه قادم من عند الرئيس السادات الذي طلب منه مقابلتي للتعارف . وأنه قال له إنني ولد من أولاده ..

لم يعجبني ذلك التعبير من السادات ولم يعجبني أكثر ترديد السفير الأمريكي له على مسمع مني .. فبادرته بقولي : لقد كنا زملاء في السجن ، وإني لم أكن تابعا لأحد ، ولن أكون أبدا .

اعتذر أيلتس قائلا : إنه لم يقصد إساءة ، فأجبته بأني فقط أردت إيضاح الأمور من البداية وقد كانت تلك بداية علاقة عمل بيننا لم تلبث أن تحولت إلى صداقة .

وكان أيلتس دبلوماسيا محنكا من الطراز الأول يتمتع بالذكاء والمعرفة ويتسم بالصراحة وقوة الحجة .. ودقة التعبير ، وكان قد أمضى طوال حياته الدبلوماسية في بلدان الشرق الأوسط حيث عمل في العراق وايران ثم عمل سفيرا لدى المملكة العربية السعودية ، ومنها عين أول سفير للولايات المتحدة في مصر بعد سبع سنوات من انقطاع العلاقات الدبلوماسية بينهما منذ عام ١٩٦٧ ..وكان عند لقائي به قد أمضى ثلاث سنوات في القاهرة وكون علاقات ضخمة وحضر اتفاقيات فك الاشتباك .

السادات يبرر مبادرته ..

في ٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٨ سافرت إلى أسوان لمقابلة الرئيس السادات الذي ذهب إليها مباشرة بعد انتهاء مباحثات الاسماعيلية في ٢٥ ديسمبر (كانون أول) ١٩٧٧ وكنا في انتظار وصول الرئيس كارتر يوم ٤ يناير (كانون الثاني) ــ للاجتماع بالرئيس السادات ــ وهو في طريق عودته إلى واشنطن بعد زيارته

الرسمية للهند وبعض الدول الأخرى .

وفي ظهر اليوم التالي توجهت إلى استراحة السادات بالقرب من خزان أسوان وهى فيللا بسيطة تطل على منظر بديع للنيل والحقول وتحيطها حديقة رائعة مزروعة بالنباتات الاستوائية .

كان السادات يقابل وفدا عسكريا فرنسيا يزور مصر فحضرت المقابلة التي لم تلبث أن انتهت . فصحبني الرئيس إلى مكان جانبي في الحديقة حيث جلسنا ثم بدأ يتحدث باسهاب عن الاسباب التي دفعته إلى مبادرته ، وسفره للقدس بعد أن أصابه اليأس من إمكان التوصل لموقف مشترك يدخل به العرب مؤتمر جنيف ، وأفاض الرئيس في الحديث عن حرب أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٧٣ وكيف أعد لها ونسق مع الرئيس الأسد ومع الملك فيصل .

وتكلم بمرارة عن الأسد شريكه في الحرب وذكر أنه غشه ، وأنه دخل الحرب على أساس أن تستمر لمدة ٤٨ ساعة على الأكثر .. وهو الوقت الكافي للجيش السوري لاسترداد الجولان بعد مباغتة اسرائيل بالحرب وانشغالها بالقتال على الجبهة المصرية ، ثم يطلب وقف اطلاق النار عن طريق الاتحاد السوفيتي ، ويكون قد حل مشكلته في استرداد الجولان غير حافل بما يجري لمصر (شريكته في الحرب) . وذكر أن الاتحاد السوفيتي كان متواطئا مع الأسد في هذا المخطط وأن أغلب الخسائر التي تكبدها الجيش المصري حدثت خلال الهجوم الذي قام به الجيش لرفع العبء عن الجيش السوري عندما قام الجيش الاسرائيلي بهجوم مضاد على سوريا .

كذلك تحدث عن الأوضاع الصعبة التي ورثها عن عبد الناصر وكيف كان الاتحاد السوفيتي يعمل بكل الوسائل على فشله وهدمه ، إذ كان يسعى إلى أن يخلف على صبري جمال عبد الناصر في رئاسة الجمهورية وكيف أنه لم يحقق شيئا في أربع زيارات لموسكو وأن الاتحاد السوفيتي كان يماطل في تزويده بالأسلحة لتعويض ما

فقدته مصر منها في حرب أكتوبر (تشرين الأول) .

وقال إن حرب سنة ١٩٧٣ قد أعدت ومهدت الطريق للسلام بعد أن استرد العرب كرامتهم وثقتهم في أنفسهم وبعد أن أدركت اسرائيل كذب أسطورة أن الجيش الاسرائيلي لا يهزم ، وخطأ نظرية الحدود الآمنة .. وذكر أنه دعا لمؤتمر سلام دولي ، والجيش المصري في أوج انتصاره وأنه آن لمصر أن تنعم بالسلام بعد طول ما عانت على مدى ثلاثين عاما من التضحيات البشرية والاقتصادية إلا أنه أدرك بالتجربة أنه لا سبيل إلى اجماع الجانب العربي على موقف واحد يدخل به مؤتمر جنيف ، حيث كانت تمر أشهر دون الاتفاق بينهم على النواحي الاجرائية فماذا يكون عليه الحال عند بحث الأمور الموضوعية . وأشار إلى الجهود التي بذلها الرئيس كارتر لعقد المؤتمر دون أية نتيجة وكيف أن الرئيس كارتر كتب له في النهاية بأنه يأسف إذ استنفد كل ما يمكن من جهد في سبيل عقد المؤتمر وأنه أوشك على اليأس من تحقيق انعقاده في النهاية وكيف أنه رد على كارتر برسالة ذكر فيها أنه يفكر في القيام بعمل جريء BOLD ACTION لتحريك الأمور من حالة الركود التي تردت إليها .

وأن ما هية هذا العمل الجريء لم تكن قد تبلورت في تفكيره بعد ، وأنه فكر في عدة وسائل منها أن يدعو رؤساء الدول الخمس الكبرى الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن للاجتماع في القدس ليبحثوا إنهاء الحرب وإقامة السلام بين الأطراف المعنية وليضعوا كل ضمانات الأمن الكفيلة بتحقيق السلام .

إلا أنه عدل عن هذه الفكرة خوفا من أن يفشلها الاتحاد السوفيتي أو الصين الشعبية بعدم الحضور أو باتخاذ مواقف متشددة غير بناءة .

وفجأة خطرت له فكرة زيارة اسرائيل والالتقاء بالاسرائيليين في مواجهة مباشرة وعرض السلام عليهم وتذكر أن الرئيس الروماني

شاوشيسكو كثيرا ما اقترح عليه أهمية المفاوضات المباشرة مع اسرائيل للخروج من الدائرة المغلقة التي التزمها العرب من البداية فما كان منه إلا أن قام بزيارة شاوشيسكو لسؤاله عن شخصية مناحم بيجن وهل هو « رجل قوي » و« قادر على تحقيق السلام » .. فلما أكد له شاوشيسكو ذلك عزم أمره على الذهاب إلى القدس والقيام بمبادرته .

الثعبان الغادر ..

وقارن لي السادات بين شخصيته وشخصية جمال عبد الناصر فقال :

إن عبد الناصر لم يكن يستطيع العيش دون توتر وإنه لم يكن يهتم بمباهج الحياة ولا يقدر ما وهبنا الله من نعم وإنه كان دائم الشك في كل الناس وفي أعوانه ، وشعاره الشك في الأشخاص حتى يثبت له العكس ، بينما السادات يكره العيش في توتر ولا يستطيع التفكير إلا في جو هادىء ومن هنا كان حبه للريف وابتعاده عن القاهرة واقامته في القناطر الخيرية أو غيرها من المناطق الهادئة ذات الطبيعة الجميلة وأنه يقدر الجمال في كل صوره ويشكر الله على نعمه .. ويحب الناس ومبدؤه أن يثق فيهم إلى أن يثبت العكس على خلاف عبد الناصر .

ثم حدثني عن أعضاء مجلس الأمن القومي ــ الذي سأصبح من أعضائه من الآن ــ وامتدحهم واحدا واحدا مبينا ما يتميز به كل منهم .

وأضاف الرئيس في نهاية حديثه أنه كان قد اتفق مع بيجن أثناء زيارة القدس على السماح لبعثة اسرائيلية بالحضور إلى القاهرة لتتولى نقل الاتصالات بين الجانبين وطلب مني اعتبار الموضوع (سري للغاية) .

وجاء دوري في الكلام فقلت ضاحكا " إني أرى بادىء ذي بدء

أن كل قاعدة لها استثناء وإني أرجو أن يستثنى مناحم بيجن من مبدئه ـ في أن يثق في الناس حتى يثبت العكس ـ وحدثته أنني في اجتماعات الاسماعيلية كنت أراقب عن كثب مناحم بيجن وأحاول أن أتعرف على ملامح شخصيته وتفكيره وأسلوبه وأنه تولدت لي قناعة تامة بأنه ثعبان غادر وهو كذاب مزيف للتاريخ والوقائع وأني كنت أراقبه هو نفسه (أي السادات) أثناء الاجتماعات ولاحظت أنه يعامله برقة ومجاملة وكأنه « جنتلمان » وفي اعتقادي أن هذا الأسلوب لا يجدي معه بل إنه يحاول استغلال ذلك أسوأ الاستغلال ، وأن انطباعي أنه يحاول قلب المبادرة التي قام بها السادات وتحويل مسارها أملا في أن يجرنا إلى صلح منفرد مع اسرائيل وإلى الايقاع بيننا وبين الدول العربية والفلسطينيين وذكرت أن هؤلاء مهما كانت سلبياتهم فهم منا وعلينا وهم مجال مصر الحيوي وأنه بالتالي يجب معاملته بكل الحذر وعدم الثقة أو الانسياق إلى حيله في جرنا إلى دروب فرعية .

ثم عرضت عليه باستفاضة ما انتهى إليه تفكيري في الأسس والأسلوب الذي نتبعه في ممارستنا للمباحثات والاستفادة من الأثر الايجابي الذي حققته مبادرته في الرأي العام الدولي وتعزيز علاقاتنا بالدول جميعا .

وقد أبدى السادات موافقته التامة على كل ما قلت ، وقال إنه لا يشك في أن مبادرته ستنجح وتحقق أغراضها .

وأثناء حديثي أشرت إلى أنني كنت أفضل لولم يوافق السادات على تشكيل اللجنة العسكرية برئاسة وزيري دفاع البلدين لبحث الانسحاب من سيناء، إلا أن ذلك سابق لأوانه ويثير شكوك الدول العربية في أكثر ما نخشاه ، وهو أن ينتهي الأمر إلى صلح منفرد مع اسرائيل . وهنا قال لي السادات إنه لا يستطيع أن يربط مصير مصر بمواقف الدول العربية وشكوكها وترددها وعجزها عن اتخاذ

القرارات وإن مصر قد تحملت العبء الأكبر من التضحيات ولا تسمح حالتها بالاستمرار في هذه الأوضاع إلى أجل غير مسمى .

فقلت له إنني أتفهم ذلك ، فأنا مصري قبل كل شيء ولكني أرى أن انزلاقنا إلى حل منفرد لن يحقق لنا شيئا يذكر فلابد من التوصل إلى تحقيق السلام الشامل الدائم كما طرحه في مبادرته وإلا فستبقى المنطقة في دوامة التوتر وعدم الاستقرار ولن يجدي ذلك مصر نفعا إذ ستضطرها الظروف إن عاجلا أو آجلا إلى الدخول في حرب جديدة .

موافقة أم تسويف ؟

قلت للسادات : إني أرى أن نعلق بحث الانسحاب من سيناء حتى يتم لنا التوصل مع اسرائيل إلى إعلان مبادىء يؤكد اعترافها بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره والالتزام بالانسحاب من الأراضي المحتلة وفقا للقرار ٢٤٢ لمجلس الأمن ، وفي هذا الشأن يعنيني في المقام الأول الالتزام بالانسحاب من الضفة الغربية وغزة وهما بيت القصيد بالنسبة لخطط اسرائيل التوسعية ولا أعتقد أن الانسحاب من سيناء أو الجولان يشكل مشكلة كبيرة .

إذا حدث ونجحنا في التوصل إلى إعلان المبادىء هذا فيحسن أن نسجله في الامم المتحدة وأن تسجله الولايات المتحدة بضمانها ، فاذا تقاعست الدول العربية الأخرى بعد ذلك عن الانضمام إلينا في مسيرة السلام فهذا شأنها وعندئذ نكون في حل من المضي في تنفيذ الانسحاب الاسرائيلي من سيناء مع متابعة التزامنا بتنفيذ إعلان المبادىء واستمرار تضامننا مع باقي الدول العربية .

وصارحت السادات بأن هذا هو الشرط الوحيد الذي استطيع الاستمرار في العمل معه بموجبه .. وقد وافقني الرئيس السادات على ذلك وقال إن هذا هو فكره بدوره فاحسست بارتياح عميق .

وقبل انصرافي قلت للرئيس السادات لقد تعددت تصريحات

بيجن أمام الكنيست في اسرائيل بعد اجتماع الاسماعيلية بأن وزارة الخارجية المصرية تعمل على عرقلة جهود السلام وتقف موقفا مخالفا لموقف الرئيس السادات من المباحثات ، واضفت أنني سأصدر تصريحا يوضح أن مصر تتكلم بصوت واضح واحد وأنه لا توجد اتجاهات مختلفة أو متعارضة داخل الوفد المصري المفاوض .

ورد السادات علي قائلا : « لا لا .. لا تفعل .. سيبه يهوهو زى الكلب .. ولا تلق بالا إلى هذه التفاهات » .

بعد هذه الواقعة بأكثر من سنة لفتت نظري فقرة وردت في كتاب « سنة حمامة السلام » بقلم الصحفي الاسرائيلي (إيتان هابر) وفي الفصل الخاص بمباحثات الاسماعيلية حيث ذكر ص ٢٣٦ أنه بعد انتهاء المباحثات .. طلب السادات من بيجن أن يبقى معه منفردا لمدة دقائق وفي لهجة يشوبها الاعتذار شرح لرئيس وزراء اسرائيل أن معاونيه في وزارة الخارجية هم الذين ألحوا عليه في ألا يتنازل بوصة واحدة فيما يتعلق بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني .

قابلت فانس ..

في اليوم التالي ٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٨ توجهت مع الرئيس السادات إلى مطار أسوان لنكون في استقبال الرئيس كارتر عند هبوط طائرته قادما من الهند في طريقه إلى واشنطن . كان الغرض من زيارة كارتر هو اعطاء دفعة للمباحثات المصرية الاسرائيلية بعد الفشل الذي منيت به محادثات الاسماعيلية واظهار تمسك الولايات المتحدة بالتسوية السلمية للنزاع العربي الاسرائيلي ، ورفع روح السادات المعنوية وأهم ما تمخضت عنه هذه الزيارة هو الاعلان الذي أذاعه كارتر في مطار أسوان قبل أن يستقل الطائرة عائدا إلى الولايات المتحدة والمتضمن الموقف الأمريكي وأهم ما جاء في هذا الاعلان الذي عرف فيما بعد « بصيغة أسوان » هو الفقرة

الثالثة الخاصة بالقضية الفلسطينية التي نصت على أنه « يجب أن يكون هناك حل للمشكلة الفلسطينية من جميع وجوهها ويجب أن يتضمن الحل الاعتراف بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني وتمكين الفلسطينيين من المشاركة في تقرير مصيرهم » .

وأهم ما يميز هذه الصيغة هو تبلور موقف الولايات المتحدة من موضوع حقوق الشعب الفلسطيني بعد أن ظل هذا الموقف يتذبذب صعودا وهبوطا منذ تولي كارتر الرئاسة ، وبالنسبة لنا فقد اعتبره خبراء الوزارة صيغة تمثل الحد الأدنى الذي يمكن أن تقبله مصر وأنها تؤدي إلى تحقيق حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره .

وفي أثناء زيارة كارتر الأخيرة لأسوان قابلت لأول مرة سيروس فانس وتبادلنا الحديث نحو عشر دقائق . وقد تركت شخصيته في نفسي أثرا طيبا للغاية أحسست أنه شخص شريف نظيف ذكي .. حديثه واضح لا التواء فيه والتفاهم معه سهل وقد أكدت لي الأيام هذا الانطباع ولا أزال أكن له كل الود والصداقة .

الفصل السابع

هل تخاف الذهاب إلى القدس ؟

في ٣١ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٧٧ زارني السفير الأمريكي هيرمان أيلتس وقدم لي هدية السنة الجديدة وهى عبارة عن مقترحات اسرائيل لجدول أعمال اجتماعات اللجنة السياسية ، وكان قد اتفق على أن تجتمع اللجنة في القدس في منتصف شهر يناير وقد اشتملت المقترحات الاسرائيلية على النقاط التالية :

١ ـ وضع المستعمرات الاسرائيلية شرق خط العريش ـ رأس محمد (وهى المستوطنات التي أقامتها اسرائيل في سيناء بعد احتلالها لها في سنة ١٩٦٧) .

٢ ـ مبادىء معاهدة سلام حول « جوديا وسماريا » وقطاع غزة على أساس مشروع الحكم الذاتي (الذي قدمه بيجن في الاسماعيلية) .

٣ ـ العناصر التي تتضمنها معاهدة السلام .

وفي اليوم التالي ١ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٨ أرسلنا لاسرائيل مشروعنا لجدول أعمال اللجنة السياسية عن طريق السفارة الأمريكية وقد تضمن النقاط التالية :

١ ـ انهاء الاحتلال الاسرائيلي للأراضي العربية المحتلة منذ سنة ١٩٦٧ .

٢ ـ تحقيق تسوية عادلة للمشكلة الفلسطينية بجميع جوانبها على

أساس حق تقرير المصير وذلك خلال مباحثات تشترك فيها مصر والأردن واسرائيل وممثلو الشعب الفلسطيني .

٢ ـ ضمان السلامة الاقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة عن طريق إجراءات يتفق عليها بين الأطراف على أساس متبادل .

ونظرة إلى مقترحات كل من الجانبين ، تكفي لبيان الهوة الشاسعة التي تفصل بين الطرفين ، والأهم من ذلك توضح المنطلق والهدف الذي يسعى كل منهما إليه : اسرائيل تسعى إلى ضم الأرض المحتلة واضفاء شعار من الشرعية على احتلالها غير المشروع في شكل معاهدة ومصر تسعى إلى إقامة سلام مبني على العدل واحترام الحقوق وردها إلى أصحابها عن طريق اقتلاع جذور ومسببات النزاع .

وقد رفضنا بطبيعة الحال المقترحات الاسرائيلية ، وبدورهم رفضوا مقترحاتنا وظلت المشروعات لجدول الأعمال تتبادل بين الطرفين عن طريق سفارتي الولايات المتحدة في القاهرة وتل أبيب . وكانت تتضمن تعديلات في الشكل والصياغة دون مساس بالجوهر والموضوع .

عندئذ تدخلت الولايات المتحدة فتقدمت بمشروع جدول أعمال لاجتماعات اللجنة السياسية سلمه السفير الأمريكي بالقاهرة الى الرئيس السادات مباشرة في ١٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٨ وقد قبله السادات دون نقاش إلا أن اسرائيل أثارت زوبعة وتباطأت في قبوله بدعوى أن المشروع قد عرض على مصر قبل عرضه على اسرائيل وانه لم يعبر عن الضفة الغربية وغزة .

كان مجلس الأمن القومي قد شكل برئاسة أنور السادات رئيس الجمهورية وعضوية السيد حسني مبارك نائب رئيس الجمهورية والسيد ممدوح سالم رئيس الوزراء والسيد سيد مرعي

رئيس مجلس الشعب والدكتور مصطفى خليل سكرتير عام الاتحاد الاشتراكي العربي والفريق عبد الغني الجمسي وزير الدفاع والسيد النبوي اسماعيل وزير الداخلية والسيد كمال حسن علي رئيس المخابرات العامة ومحمد رياض وزير الخارجية ثم من السيد حسن التهامي بصفة لا أعلمها حتى الآن .

ولم تكن تربطني معرفة سابقة إلا بالسيد حسني مبارك الذي قابلته عند زيارته لألمانيا الاتحادية وأنا سفير هناك ، والسيد ممدوح سالم والسيد مرعي الذي كنت قد قابلته مرة أثناء زيارة وزير الخارجية الألماني جينشر لمصر منذ سنوات ، والدكتور مصطفى خليل الذي كنت أعرفه منذ كنا أعضاء في نادي التجديف الملكي سنة ١٩٤٥ .

أما زملائي الوزراء فكنت أعرفهم شكلا من الصور في الجرائد والمجلات ولم يتسن لي مقابلتهم من قبل إذ لم أكن قد شاركت بعد في اجتماعات مجلس الوزراء .

وعند وصولي إلى قاعة الاجتماع (غرفة المائدة بمنـزل السادات) كان الأعضاء جميعا حاضرين ولم يلبث الرئيس السادات أن دخل القاعة بعدي مباشرة وجلس على رأس المائدة وكان عابس الوجه ويبدو عليه التوتر ثم افتتح الجلسة بكلمة قدمني فيها لأعضاء المجلس ، ثم أعلن سبب الاجتماع وهو بحث سفر الوفد المصري في اللجنة السياسية برئاستي بعد ظهر اليوم نفسه إلى القدس لبدء اجتماعات اللجنة .

وقد أخذتني الدهشة وسألت السادات : على أي أساس أسافر ؟ فقال : على أساس المقترحات الأمريكية التي تسلمتها من السفير الأمريكي أمس لجدول أعمال اللجنة .. فقلت : إنني لم أطلع عليها ويجب أن أدرسها دراسة كافية قبل السفر . فثار السادات وصاح بصوت عال « انت خايف تروح القدس ؟ »

فأجبته بحدة « انت تعلم جيدا أنني لا أخاف شيئا أو أحدا » . وساد سكون عميق فجأة وشعرت بأعين الحاضرين وهى تطل علي في ذهول واستغراب وكأني مخلوق غريب نزل من المريخ . من يكون هذا الشخص الذي يتجرأ ويخاطب الرئيس السادات بهذه اللهجة ودون كلفة أو تلعثم أو وجل ؟

ثم زادت دهشتهم عندما سمعوا السادات يتكلم من جديد في هدوء شديد ورقة وهو يقول « ما هو أنا جايبك يا محمد وجامع مجلس الأمن القومي علشان نناقش الموضوع » . وتحولت النظرات من جديد ناحيتي وهى تبتسم هذه المرة بالاحترام واختفاء نظرة التعالي التي ينظر بها الأعضاء القدامى في النادي إلى عضو جديد .

قرأ السادات بعد ذلك بنود جدول الأعمال الأمريكي وكانت تتكون من ثلاث فقرات :

أ — إعلان مبادىء يحكم المفاوضات الخاصة بتحقيق تسوية سلمية شاملة في الشرق الأوسط .

ب — خطوط استرشادية للمفاوضات المتعلقة بمسائل الضفة الغربية وقطاع غزة .

جـ — عناصر معاهدات السلام بين اسرائيل وجيرانها وذلك طبقا لمبادىء قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .

وعادت المناقشة واحتدت من جديد عندما قلت : إنني لن أناقش في اللجنة السياسية غير البند (أ) من جدول الأعمال وسألني الرئيس لماذا ؟ فقلت : إن البند (ب) سيؤدي بنا إلى الدخول في متاهات وهو ما تسعى إليه اسرائيل وأنه ليس له محل في رأيي . إنه أنه يندرج تحت مبدأ الانسحاب من الأراضي المحتلة وهو ما سنناقشه في البند (أ) أما البند (جـ) فمترتب بدوره على التوصل إلى مبادىء السلام الشامل إذا تم الاتفاق عليها .

وفي أثناء ذلك دعي الرئيس السادات لحديث تليفوني فترك

القاعة وخرج وأذكر وقتها أني توجهت إلى حيث يجلس السيد حسني مبارك لأحدثه في أمر وقد قال لي وقتها « إني مسرور من موقفك وإنه يجب التعامل مع الاسرائيليين بمنتهى الحذر » .

وقد سررت بهذا التعليق كثيرا إذ كنت أشعر بالوحدة داخل هذا المجلس الذي أحضره لأول مرة والذي كان أكثر من نصف أعضائه بين صامتين مستمعين ، وبين متكلم في مسائل فرعية لا تمس لب الموضوع .

عاد السادات فرحا وقال : إنه تكلم تليفونيا مع الرئيس كارتر الذي أبلغه بأن الوفد الأمريكي برئاسة وزير الخارجية سيروس فانس سيصل إلى القدس في اليوم التالي ١٧ يناير (كانون الثاني) للاشتراك في مباحثات اللجنة السياسية مع الجانبين المصري والاسرائيلي ويبدو أن سبب توتره في بداية الجلسة هو قلقه من ألا يحضر وزير الخارجية الأمريكي اجتماعات اللجنة السياسية .

طلب مني الرئيس الذهاب لاعداد نفسي للسفر بعد ظهر اليوم ، فعدت وأكدت له أنني لن انتقل من الكلام في البند (أ) الى غيره ما لم نكن قد توصلنا الى اتفاق على المبادىء ووافقني على ذلك .

من هو نيرون ؟

وقد يكون من المفيد قبل الانتقال إلى اجتماعات اللجنة السياسية في القدس الاشارة الى المناخ الذي خلقته اسرائيل قبل سفر الوفد المصري الى القدس .

لا شك أن اجتماعات الاسماعيلية في ٢٥ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٧ قد أظهرت بوضوح الهوة الساحقة التي تفصل بين

مواقف الطرفين وفلسفتها كما أشرت سابقا . مصر تسعى إلى تحقيق سلام عادل حقيقي شامل بكل ما يترتب على ذلك من ثمار واسرائيل تسعى – مع سبق الاصرار – الى توسيع رقعتها بضم الأراضي المحتلة

.و تعصي ما يمكن ضمه من تلك الأراضي وفي نفس الوقت الحصول على التزام الطرف الآخر بأمنها وسلامتها ؛ أى أن تأكل الكعكة وتحتفظ بها في نفس الوقت .

ونتيجة لتكشف هذه الهوة بين مواقف الطرفين ولانفضاح مقاصد مناحم بيجن في اجتماعات الاسماعيلية في تجريد سيناء من كل مظهر للسيادة المصرية عليها ، بل واقتطاع أجزاء منها وهى المستوطنات التي أقاموها في سيناء ورفح ومناطق أخرى من ناحية ومن الناحية الثانية تصميمه على اهدار حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة كما بدا ذلك من مشروع الحكم المحلي الذي قدمه في الاسماعيلية .

كان نتيجة ذلك وكرد فعل للتصريحات الاسرائيلية المتتالية من بيجن وديان وشارون بعد اجتماعات الاسماعيلية من أن القرار رقم ٢٤٢ لا يشمل الضفة الغربية وغزة ، وادعاء اسرائيل بحقها في الاستيطان في أي مكان ، أن قامت الصحافة المصرية بمهاجمة سياسة الحكومة الاسرائيلية ضيقة الأفق والتي من شأنها أن تجهض فرصة السلام . وشبه الكاتب المصري « مصطفى أمين » مناحم بيجن « بشيلوك » في رواية شكسبير « تاجر البندقية » .

وبينما الاعداد لاجتماع اللجنة السياسية في القدس يجري على قدم وساق وردت أنباء خطيرة لم تلبث أن تأكدت بأن اسرائيل تقوم بانشاء مستوطنات جديدة في سيناء .

تكهرب الجو وتصاعد التوتر وأفاق السادات من حلمه الجميل المفعم بالثقة والتفاؤل بأن مسعاه للسلام لابد وأن ينجح ، وأنه لن يخفى على اسرائيل آثاره العظيمة وليس أمامها إلا أن تهرع الى اغتنام الفرصة والترحيب بها .. وشعر بالصدمة إذ رأى اسرائيل تقوم بتقويض ذلك الحلم . وتنشط في بناء مستوطنات جديدة في سيناء لتكريس احتلالها غير الشرعي للأرض .

وفي حديث لمجلة « أكتوبر » المصرية ذكر السادات أنه يبدو أن اسرائيل لم تفهم ـ أو لا تريد أن تفهم ـ أنه في زيارته للقدس قدم لها أكثر مما كانت تحلم به عند إنشائها .. اعتراف ، وشرعية لوجودها بين الدول العربية ، وتعايش سلمي مع جيرانها في جو من الأمن والأمان .

وتضمن حديث السادات أنه لن يسمح ببقاء مستوطنة واحدة على أرض سيناء وأنه إذا أراد بيجن أن يحرق المستوطنات قبل الانسحاب منها فهو حر في ذلك .. وقد أثار ذلك غضب بيجن (أو تظاهره بالغضب) وقال إن الذي يحرق يكون « نيرون » الامبراطور الروماني . ورد السادات بأنه لم يقل (يحرق) بل قال « يحرث » والواقع أن اسرائيل عندما انسحبت من سيناء بعد حرب ١٩٥٦ بضغط ايزنهاور قامت بحرق كل شئ قبل انسحابها وكذلك فعلت بعد انسحابها في ١٩٨٢ . فمن هو « نيرون » ؟

ولا أستطيع في هذا المقام أن أترك قصة بناء تلك المستوطنات بدون تحليل .

كان الغرض منها ببساطة خلق عنصر جديد للمساومة عليه وقد خطرت هذه « الفكرة النبيلة » لاريل شارون وزير الزراعة الاسرائيلي وقتها ، بعد أن أدرك الاسرائيليون في الاسماعيلية تصميم المصريين على إزالة المستوطنات الاسرائيلية منها . واقترح الفكرة على موشى ديان الذي أيدها ولم يلبث أن اعتمدها مجلس الوزراء الاسرائيلي وكلفت لجنة برئاسة شارون مهمتها تخطيط ، وتنفيذ مشروع تكثيف المستوطنات الاسرائيلية على عجل وقبل اجتماع اللجنة السياسية .

ولأن الغرض لم يكن توطين بشر في هذه المستوطنات وإنما مجرد خلق مادة للمساومة في شكل « دمي » ـ جمع دمية ـ غير حقيقية اقتصر الأمر على نقل بعض الحجارة ووضع أتوبيسات قديمة

وتنكات مستهلكة للمياه .. وحفر بعض الخنادق وكل ما من شأنه أن يعطي مظهر بناء مستوطنات جديدة مع الاقتصاد في النفقات . وباختصار كانت الفكرة إحياء لزمن مبادلة الأحجار الكريمة والذهب وسن الفيل بعقود الخرز والمرايات الرخيصة . كانت إهانة ولا أدري ماذا كان يفعل (شيلوك) لو كان في زماننا هذا أكثر مما يفعله بيجن ؟

وقد كتب وايزمان ـ وزير الدفاع الاسرائيلي وقتها ـ عن الخداع الذي كان لا يوافق عليه ما يلي « كان الرأى السائد أنه لو وافق المصريون على هذه المستعمرات نكون قد كسبناها أما إذا رفضوها فتستطيع اسرائيل أن تظهر بمظهر الكريم وتتنازل عن هذه المستعمرات الجديدة مقابل الحق في الاحتفاظ بالمستوطنات القديمة القائمة »(1) ..

ولا بأس من أن أضيف السبب الذي من أجله كان يعارض وايزمان التجاء الحكومة الاسرائيلية إلى هذا الخداع الرخيص وهو الحرص على عدم إحياء سمعة اليهود القديمة . يقول وايزمان « والآن كنا على وشك أن نبدو بالمظهر الذي كان أكثر أعداء السامية تشددا قد صوروا اليهود به : تجار صغار مخادعون يستغلون بدهاء كل فرصة متاحة لتحقيق كسب وينكثون بعهودهم (تعهداتهم) كلما كان ذلك يحقق لهم منفعة »(2) .

ولم يكن غائبا عني احتمال استعمال مثل هذه الأساليب وقد شرحت تصوري لما سيكون عليه موقف بيجن في المفاوضات ، وإنما أرجو أن استرعي انتباه القارىء إلى أن هذا الأسلوب لم يكن يقتصر على استبدال مصابيح جديدة بمصابيح قديمة كما كان الهدف بالنسبة للمستوطنات في سيناء ، بل كان الأمر أبعد من ذلك . كان استبدال سيناء بأكملها إذا لزم الأمر في مقابل تحييد مصر وابتلاع

---

1) وايزمان معركة السلام ص ١٤٢

2) وايزمان معركة السلام ص ١٤٦

اسرائيل للضفة الغربية وغزة . كانت أرض الأجداد « جوديا وسماريا » هى الهدف .

وأعود إلى الاقتباس من وايزمان

« ولكن هؤلاء الذين تابعوا الأحداث مثلي من موقع قريب متميز ، ومن واقع معرفتهم الوثيقة بمناحم بيجن كانوا يعلمون أنه لم يتغير .. وليس هناك أدنى شك في أن التنازل عن سيناء سيكون مؤلما للغاية ، ولكن وراء الاستعداد للتخلي عن سيناء كان يقف مناحم بيجن الحقيقي يقظا ونشطا ، فلابد أنه قد قرر التوصل إلى حل وسط مع المصريين في الجنوب كوسيلة لاستمرارية الحكم الاسرائيلي وبشكل ما على « جوديا وسماريا » وبينما كان المصريون يرون أن اتفاقية سيناء هى نموذج لاتفاقات مماثلة تعقد مع الأردن وسوريا بشأن الضفة الغربية ومرتفعات الجولان ، كان بيجن يرى عكس ذلك تماما وفيما يتعلق به كان الانسحاب من سيناء يمثل نهاية القصة » .

معنى كلمة « شالوم »

أهذا هو المدلول الاسرائيلي لكلمة « شالوم » ؟ هل هو المقابل لعرض سلام مخلص يعم أنحاء المنطقة بأسرها بمن عليها من عرب واسرائيليين من مسلمين ومسيحيين ويهود ؟ سلام يبعد الخوف ، ويزيل التوتر ويحقن الدماء ويصون الأموال ويعيد الحياة والأمل إلى مئات الآلاف من الضحايا والمشردين واللاجئين . سلام يتعايش في ظله الجميع ويبنون رخاءهم ويعيشون حياتهم في أمن وأمان ، في محبة وإخاء وتعاون بناء ، سلام يتجاوز حدود المنطقة وتنعكس آثاره على العالم جميعا ، ويضع السابقة والمثل لحل منازعات الدول والشعوب في اسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية وفي كل مكان .

أهذا هو الأسلوب الشريف ؟ وهل هو ذكاء ..؟

هل هو شطارة ؟ هل هو بعد نظر ؟

إني لا أراه إلا تحطيما للمثل وتبديدا للأمل وزرعا لبذور الشر

ومع ذلك فقد اقتسم مناحم بيجن جائزة نوبل للسلام مع أنور السادات ، ويا لها من سخرية ويا له من نفاق ويا له من عار !!

الفصل الثامن

القـــــــدس

في الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر يوم ١٦ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٧٨ أقلعت الطائرة المصرية الخاصة تحمل الوفد المصري في اجتماعات اللجنة السياسية متجهة إلى اسرائيل .

وعند وصولنا إلى مطار بن جوريون كان في استقبالنا موشى ديان وزير الخارجية وبعض رجال وزارته . وصحبني ديان إلى منصة تجمع حولها عدد من الصحفيين ومصوري التليفزيون وألقى كلمة قصيرة رحب فيها بالوفد المصري وأعرب عن تمنياته بنجاح أعمال اللجنة السياسية ، ثم دعاني إلى الميكرفون فألقيت الكلمة التي أعددناها لهذه المناسبة ومدارها أننا حضرنا للمشاركة في اجتماعات اللجنة السياسية بقلوب وعقول متفتحة ونوايا خالصة لنبني معا سلاما عادلا دائما وأننا نتطلع إلى عمل مشترك ونستهدف نتائج واضحة محددة ، وأشرت إلى أن هناك حقائق أساسية لابد من مواجهتها بشجاعة وبعد نظر وهى أنه لا يمكن أن يقوم سلام مع استمرار احتلال الأرض ، أو مع انكار الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وفي مقدمتها حقه في تقرير مصيره . كما لا يمكن أن يقوم السلام الدائم ما لم تعمل شعوب منطقتنا على خلق الظروف للعيش معا في جو من الأمان .

القدس في البال :

كانت الشمس قد أوشكت على الغروب عندما تحرك موكب

السيارات التي تحمل الوفد المصري متجها إلى القدس . وكان وصولنا في المساء قد حال دون الانتقال إليها بطائرات الهليكوبتر . وركبت السيارة مع موشى ديان وزير الخارجية وكانت المسافة بين مطار بن جوريون والقدس تستغرق حوالي ساعة ، ولم نتكلم كثيرا فيما جئنا من أجله فيما عدا التعبير عن الأمل في نجاح المباحثات والتوصل إلى حل للمشاكل يحقق السلام . كان كلانا يعلم في قرارة نفسه أن ما ينشده هو العكس تماما لما ينشده الآخر . كان الظلام قد خيم تماما وساد سكون لا يقطعه إلا صوت محرك السيارة وصوت ديان من وقت الى آخر يشرح لي بعض المعالم كلما مررنا بشئ منها . أما أنا فكنت قد استغرقت في عالم آخر،عادت بي ذاكرتي إلى سنة ١٩٥٤ عندما زرت القدس لأول مرة،كنت عضوا شابا في الوفد المصري برئاسة الصاغ صلاح سالم وزير الارشاد القومي وعضو مجلس الثورة في ذلك الوقت . وقد زار الوفد وقتها السعودية واليمن ولبنان والعراق ثم الأردن . وكانت مهمة الوفد اجراء مباحثات مع هذه الدول تستهدف منع انضمامها لحلف بغداد الذي كانت الولايات المتحدة وانجلترا تعملان على تكوينه بين دول المنطقة ليكون خط دفاع ضد الخطر السوفيتي .

وكانت سياستنا تقوم على الابتعاد عن الأحلاف ولم نكن نرى الاتحاد السوفيتي يشكل خطرا علينا . كان الخطر الماثل الداهم هو اسرائيل التي تعيش بين جنبينا وتنقض في كل فرصة لتنهش شريحة جديدة من الأرض العربية المحيطة بها . وشمل برنامج زيارة الوفد للأردن زيارة القدس العربية وقد سافرنا اليها بالسيارات من عمان مخترقين مناطق صحراوية الى أن وصلنا إلى مشارف القدس من أول نظرة دخلت القدس قلبي واستقرت فيه . عادت الى ذاكرتي — والسيارة تمضي مسرعة في الظلام — تلالها الجميلة وألوانها الهادئة وأشجار الزيتون والنخيل ومبانيها القديمة الخالدة وكنائسها

وجوامعها وحوانيتها وشوارعها الضيقة المتعرجة وأنا أحس في كل نفس أتنفسه بقدسية غريبة تملأ الجو ثم وصلت الى المسجد الأقصى حيث كان جمهور كبير من أهل القدس على رأسه كبار العلماء والأئمة وموظفو المدينة في استقبال صلاح سالم والوفد المصري وتركت الجميع وسرت على قدمي وحيدا حتى وصلت إلى مسجد قبة الصخرة الذي أقيم فوق البقعة التي أُسري إليها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ودخلت فوجدت صخرة هائلة وفي جانب منها فتحة فدلفت منها إلى مغارة وسط الصخرة مساحتها حوالي خمسة أمتار في ثلاثة أمتار مضاءة بأنوار شاحبة وفي ركن منها علامة توضح اتجاه القبلة التي يتوجه إليها المسلمون في صلواتهم وشعرت بانفعالات روحية تموج في صدري لم أعرفها من قبل ، وبدون تفكير وجدت نفسي متجها إلى الله في صلاة خالصة نقية .

وعلى الجانب الآخر وخلف أسوار مدينة القدس القديمة كانت تمتد القدس الجديدة التي بناها الاسرائيليون يتربصون ويتحينون الفرص للانقضاض عليها واحتوائها حتى كانت سنة ١٩٦٧ . وارتدت ذاكرتي الى أيام الصليبيين الذين وفدوا من بعيد واحتلوا القدس في القرن العاشر وظلوا يحكمونها قرابة مائة عام حتى حررها صلاح الدين الأيوبي وعادت من وقتها إلى العرب ثانية . وبسبب القدس أغتيل الملك فيصل ملك السعودية لأنه كان يردد امله في الصلاة في المسجد الأقصى قبل أن يموت .

وأفقت من هذه الخواطر على صوت ديان وهو .. ينبهني إلى أننا ندخل المدينة ، ومررنا باحياء ذات مبان حديثة وشوارع فسيحة إلى أن وصلنا الى فندق هيلتون القدس الذي اختير لنزول الوفدين المصري والأمريكي في اللجنة السياسية بدلا من فندق (الملك داود) الذي كانت تقترح اسرائيل عقد الاجتماعات فيه ، ولكن تبين عدم وجود أماكن كافية لأعضاء الوفود . وكان فندق الملك داود هذا

مسرحا لعملية ارهابية كبيرة راح ضحيتها أكثر من عشرين ضابطا بريطانيا عندما نسفته جماعة الأرجون زفاى ليومي بقيادة مناحم بيجن عندما كانت فلسطين تحت الانتداب البريطاني .

وصول الوفد المصري :

قادني مدير الفندق الى الجناح المخصص لي وكان فسيحا مؤثثا أثاثا حديثا جميلا وكانت آنيات الزهور في كل مكان وعلى جانب من الجدار منضدة كبيرة عليها جبل من الفواكه المختلفة : المشمش والفراولة والخوخ والقشطة والتفاح والى جانبها بار ملىء بزجاجات المشروبات المختلفة . وكان الجناح يشتمل على ثلاث غرف نوم شغلت احداها وشغل السفير أحمد ماهر السيد مدير مكتبي الثانية والثالثة شغلها الرائد عمرو حمدي المكلف بحراستي .

ولم يلبث أعضاء الوفد أن تجمعوا عندي في الجناح بعد أن ترك كل منهم حاجاته في الغرفة المخصصة له . ثم حضر رجال الأمن المصريون فقاموا بفحص الجناح شبرا شبرا للتحقق من عدم وجود أجهزة تصنت أو تسجيل ثم انصرفوا بعد أن نصحونا زيادة في الاحتياط بألا نتبادل الحديث إلا والراديو مفتوحا على محطة اسرائيل ليصعب التقاط ما يدور من كلام .

وجلسنا حول المائدة حيث تناولنا العشاء ثم فتحنا الراديو على محطة صوت اسرائيل وكان يذيع الموسيقى العربية وأخذنا نتبادل الحديث والنكات كان يحيط بنا جو من المرح بعد عناء اليوم الطويل . ولم تلبث الموسيقى أن توقفت وأعلن المذيع عن نشرة الأخبار باللغة العربية فسكتنا لنستمع وكان الخبر الأول هو وصول الوفد المصري في محادثات اللجنة السياسية بالقدس . وكان الخبر التالي له أن مناحم بيجن رئيس الوزراء قد أبلغ وفدا من اليهود الهولنديين يزور اسرائيل عند اجتماعه بهم أن الرئيس السادات قد أخبره بأن زعماء منظمة التحرير الفلسطينية هم عملاء للاتحاد السوفيتي .

وقد شعرت بالغضب .. فما معنى إذاعة هذا الكلام وربطه بوصول الوفد المصري للتفاوض مع اسرائيل . لا معنى له الا بث الوقيعة بين مصر والفلسطينيين وما أكثر من أن يتهم الرئيس المصري منظمة التحرير الفلسطينية والممثل الشرعي الوحيد للفلسطينيين بعمالتهم للاتحاد السوفيتي . وهم الأمناء على القضية الفلسطينية التي هى لب النزاع العربي الاسرائيلي والتي دخلنا أربع حروب مع اسرائيل من أجلها ويقول هذا الاتهام لمن ؟ لمناحم بيجن عدو الشعب الفلسطيني رقم واحد ؟.

وظلت الاذاعة الاسرائيلية كل نصف ساعة يتصدر نشراتها الأخبارية هذان الخبران وصول الوفد المصري إلى اسرائيل وما نسبه بيجن للسادات من اتهام لزعماء المنظمة .

ولم أعجب لذلك كثيرا فقد كان هذا منطقيا للتكتيك الاسرائيلي ولكن ألا يعني ذلك وضع العراقيل لتفجير محادثات اللجنة السياسية ؟

سلام شامل لا منفصل :

ثم وصلتني برقية رمزية من الرئيس السادات بدون مناسبة يطلب مني فيها التحكم في أعصابي وعدم الاندفاع في المباحثات . وأنه فيما يتعلق بتصريحات بيجن السابقة على انعقاد اللجنة فترى القاهرة عدم اثارتها وستتولى القاهرة الرد عليها عند اللزوم .

في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي ١٧ يناير (كانون الثاني) عقدت اللجنة السياسية جلستها الافتتاحية التي اشتركت فيها الوفود الثلاثة وحضرها عدد غفير من الصحفيين ومراسلي وكالات الأنباء وشبكات التليفزيون .

وألقيت بياني الذي أشار إلى أن هدف الاجتماع هو السلام الشامل وليس المنفصل الذي يقوم على الانسحاب الكامل من كل

الأراضي العربية المحتلة منذ يونيه (حزيران) سنة ١٩٦٧ بما فيها القدس وكفالة الحقوق الأساسية للشعب الفلسطيني بما في ذلك حق تقرير المصير .

أما موشي ديان فقد تضمن بيانه أن عمل اللجنة السياسية هو التوصل لمعاهدات سلام بين اسرائيل وجيرانها ووضع مبادىء الحل العادل لمشكلة الفلسطينيين العرب . والاتفاق بشأن معاهدة سلام بين مصر واسرائيل ثم ألقى سيروس فانس بيانه الذي ركز على النقاط التالية :

ــ لابد من انسحاب اسرائيلي من أراض احتلت عام ١٩٦٧ والاتفاق على حدود آمنة ومعترف بها في اطار علاقات طبيعية وعلاقات سلام طبقا لقراري الأمم المتحدة (مجلس الأمن) ٢٤٢ ، ٣٣٨ .

ــ وضرورة حل المشكلة الفلسطينية بجميع جوانبها ولابد أن يعترف هذا الحل بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني مع تمكينه من المشاركة في تقرير مصيره .

وانتهت بذلك الجلسة الافتتاحية وأعقبها حفل استقبال قصير لأعضاء الوفود ثم عقدت أول جلسة سرية للمباحثات برئاسة ديان . وقدمت اسرائيل مشروعها للسلام وهو لا يختلف كثيرا عما قدمه مناحم بيجن في الاسماعيلية . كما قدمنا مشروعنا على نفس الأساس (اعلان المبادىء التي تحكم التسوية) .

ثم تحدثت فقلت إن جدول الأعمال الذي تنعقد على أساسه اللجنة السياسية هو جدول الأعمال الأمريكي وهو معد بالانجليزية ويتكلم عن الضفة الغربية فلا محل اذن لاستعمال عبارة (جوديا وسماريا) كما أشرت إلى أن اللجنة تنعقد في اطار اجتماع القاهرة التحضيري بهدف اعداد الطريق لتسوية شاملة وكنت تواقا لنقل اجتماعات اللجنة الى القاهرة لسبب أولى وهو أنه لو قدر لها النجاح في التوصل إلى إعلان المبادىء فيمكن اجتذاب الأطراف العربية الأخرى للمشاركة في المباحثات والتي كان يصعب ان لم يكن

مستحيلا ذهابها إلى القدس .

واقترح ديان تشكيل لجان عمل تختص كل منها باحدى نقاط التسوية وطلبت تأجيل ذلك إلى ما بعد مناقشة إعلان المبادىء الخاص بالانسحاب وتقرير المصير . وتأجل اجتماع اللجنة لبحث المشاريع المقدمة .

المسدس الاسرائيلي :

ثم أقام ديان حفل غداء للوفد المصري في فندق الملك داود ، دار فيه حديث عام لم يتطرق إلى الموضوعات محل البحث وقبل انتهاء الغداء مال علي ديان وذكر أنه يقترح عقد مؤتمر صحفي مشترك بعد الغداء يشارك فيه رؤساء الوفود الثلاثة وأجبته بأني لا أرى أن هذا من الحكمة وأن الأوفق تأجيل ذلك إلى ما بعد انتهاء اجتماعات اللجنة السياسية ، إذ ماذا سنقول للصحفيين الا تكرار مواقفنا المعلنة وهذا ليس فيه جديد وقد ينعكس على عمل اللجنة بالضرر إلا أنه صمم على اقتراحه فقلت له اني لن أشارك في هذا المؤتمر فقال إنه في هذه الحالة سيقوم هو وفانس بالمشاركة فيه وقلت إنه حر في أن يفعل ما يشاء . إلا أنه عندما عرض الفكرة على فانس اعترض عليها بدوره ولنفس السبب الذي أوضحته . والنتيجة أنه عقد المؤتمر الصحفي وحده وأدلى فيه بتصريحات لم تقدم شيئا ايجابيا لمناخ عقد اللجنة . وقال فيه « انه من الأفضل أن تفشل مبادرة السلام على أن تفقد اسرائيل مقومات أمنها ، وإن اسرائيل لا تستطيع التفاوض ومسدس موجه إلى رأسها . »

ولم أدر من الذي كان يصوب المسدس إلى الآخر . أما نحن فكنا نطلب سلاما قائما على العدل واسترداد الحقوق مقابل الأمن للجميع أما المسدس فكان تشبث الحكومة الاسرائيلية بالاحتلال غير المشروع للأرض ، وهو موجه نحونا ونحو السلام .

وكان ديان ثعلبا ماكرا لا يتسم حديثه بالجمود والتحجر مثل مناحم بيجن ، كان يلف ويدور ، والمستمع إليه يكاد يحس بأنه مرن قابل للتفاهم ولكنه كان في الحقيقة يستهدف توسيع رقعة اسرائيل ويمارس تحقيق ذلك بيد حديدية ولكن يغطيها قفاز من الحرير ، فهو صاحب نظرية « الجسور المفتوحة » مع العرب في الضفة الغربية وغزة وكان من رأيه عدم اقامة خط بارليف على حافة القناة بعد احتلال سيناء والبعد عن القناة بعشرة أميال مثلا حتى يقلل من الاستفزاز المباشر الذي يخلقه وجود الجنود الاسرائيليين على مرمى البصر من المصريين .

وهو صاحب نظرية تعليق السيادة على الضفة الغربية وغزة دون المطالبة بها فورا على نحو ماكان يرغب بيجن حتى يتيسر لهم الاستفادة من الوقت في إحداث تغييرات على الأرض تؤدي في النهاية إلى تكريس احتلالها ثم ضمها .

وكان منفر الصوت بادئ الهدوء ويتكلم من وراء قناع إذ كان وجهه يبدو دائم الابتسام من أثر العمليات التي أجراها في وجهه ذى العين الواحدة .

وكان ديان رغم شخصيته المتسمة بالتواضع مغرما بالظهور يتحرق شوقا إلى أن تتصدر صورته وأحاديثه وأخباره الأنباء .

كان اسمه قد حظى بشعبية كبيرة داخل اسرائيل وخارجها كبطل انتصار اسرائيل المذهل في سنة ١٩٦٧ ، إلا أن حرب سنة ١٩٧٣ أصابت سمعته بشيء من الذبول وكان من بين من حملوا مسؤولية ما أصاب اسرائيل في تلك الحرب ، ثم كان تحوله من حزب العمل وانضمامه إلى وزارة مناحم بيجن قد أثر على منزلته بدوره لدى الاسرائيليين ، فكان يعمل جاهدا لاثبات نفسه من جديد وتبوء المكانة

التي احتلها يوما في الرأي العام الاسرائيلي والدولي .

وفي اعتقادي أن هذا التشبث بالشهرة وحب الظهور قد اكتسبا أبعادا جديدة بعد اتساع دائرة وسائل الاعلام من صحافة واذاعة وتليفزيون وأصبح مرضا من أمراض العصر ينتشر بين أصحاب الشخصيات العامة ، أصاب الكثيرين ولم يلبث أن أصبح السادات بدوره من ضحاياه المزمنين كما سنتبين .

وعدت بعد الغداء إلى جناحي في الفندق فوجدت برقية من السيد حسني مبارك نصها « تابع الرئيس الجلسة الافتتاحية ويهنئك على التوفيق وعلى كلمتك ويرجو أن تكون هادئا باستمرار ويكون معدل القاء الكلمات ببطء وبأعصاب هادئة ، وعند تعثر أي موضوع يمكن أن تطلب الرجوع إلى القاهرة لكسب الوقت للتفكير ونخطر فورا لبحث الموضوع ويرسل أي استفسار في أي وقت ليلا أو نهارا وسيصلك الرد بأسرع ما يمكن . والرئيس يتمنى لك التوفيق » .

اتفاق واختلاف :

وبعد الظهر حضر عزرا وايزمان وزير الدفاع ورئيس الجانب الاسرائيلي في اللجنة العسكرية لزيارتي وأشار إلى أنه قد حضر لزيارتي للمجاملة بوصفي ضيفا على اسرائيل إذ أنه لا علاقة له بعمل اللجنة السياسية . وقد رحبت به وأخبرته أن الرئيس السادات يطمئن إليه وأننا نعول على حسن تقديره ونفوذه لدى رئيس الوزراء بيجن لاقناعه بأن يتخذ موقفا يتناسب وما تنشده مبادرة الرئيس السادات من تحقيق آمال كبيرة تحقق السلام . وأجاب وايزمان بأنه يعمل على ذلك دون شك ولكن يجب أن نضع في اعتبارنا أهمية الأمن بالنسبة لاسرائيل وان ندرك من الناحية الأخرى أن لبيجن مشاكل داخلية وأنه ليس قويا كالسادات . قلت له اننا نتفهم أهمية الأمن

تماما ونحن نحتاج إليه بدورنا ولكن الأمن لا يتحقق بضم الأراضي وهو رجل عسكري يتفهم ذلك وانما هناك وسائل عديدة لتحقيق الأمن المتبادل للطرفين . أما عن مشاكل بيجن الداخلية فانه لا يخفى عليه بالطبع أن لنا مشاكلنا بدورنا في العالم العربي وهذا لا يمنع من مواجهة الأمور بشجاعة كما فعل السادات .

وكان الانطباع لدي عن وايزمان أنه رجل طموح يميل إلى مناقشة المسائل بصراحة ودون لف أو دوران وهو بشوش الوجه مرح الشخصية شأن الطيارين بوجه عام ، وقد عاش في القاهرة سنوات أثناء الحرب العالمية الثانية عندما كان ملتحقا بسلاح الطيران الملكي البريطاني . وكان شعوري أنه أخذ مبادرة السادات مأخذا جديا وأنه أدرك أن التوصل إلى حل مع مصر يقتضي أن تدفع اسرائيل له ثمنا وتقدم تنازلات أما مدى هذه التنازلات فلم أكن أستطيع التكهن به فقد كان عضوا في حزب حيروت الذي ينادي باسرائيل الكبرى .

وأيا كانت شخصية وايزمان أو غيره فقد حرصت من البداية الى النهاية على أن يكون اتصالي بالشخصيات الاسرائيلية متحفظا ورسميا فلم أسمح لأحدهم بأن يناديني باسمي أو أن أنادي أيا منهم بغير صفته ولقبه .

وبعد انصراف وايزمان حضر لزيارتي سيروس فانس ودار بيننا حديث عن كيفية معالجة المباحثات . فذكرت أننا ابتداء نتطلع إلى قيامه بدور نشيط ايجابي في السعي إلى تحقيق اعلان مبادىء واضح في اتجاه التسوية الشاملة وتقرير المصير للشعب الفلسطيني . وأعدت له تأكيد موقفنا فيما يتعلق بما أثاره موشي ديان في جلسة الصباح من عدم موافقتنا على انشاء لجان فرعية لبحث بنود جدول الأعمال قبل أن نصل إلى اتفاق على المبادىء . كذلك أكدت له رفضنا لمشروع بيجن وأنني لا أوافق فانس على اقتراحه بأن نعتبره نقطة البدء في المباحثات . وردا على سؤاله فيما إذا كنا نقبل فترة زمنية في الضفة

الغربية وغزة ذكرت أننا لا نمانع في ذلك على أن يكون ثابتا منذ البداية ، أن ننهي هذه الفترة بممارسة الشعب الفلسطيني لحقه في تقرير مصيره وأن البحث في ذلك يجب أن تشارك فيه أطراف أخرى

وكان فانس يعتزم البقاء في القدس لمدة يومين يشارك فيها في اجتماعات اللجنة ثم يسافر إلى واشنطن حيث له ارتباطات أخرى ، وطلب مني أن تستمر مباحثات اللجنة بعد سفره فقلت : ان ذلك مرهون بما يتحقق من نتائج .

وسألني عما إذا كنا نوافق على أن تناقش اللجنة السياسية موضوع المستوطنات فذكرت أن ذلك يدخل في تفصيلات تنفيذ الانسحاب وأرى أن تعالجه اللجنة العسكرية ، أما اللجنة السياسية فتعالج مبدأ الانسحاب نفسه .

وفي اليوم التالي ١٨ يناير (كانون الثاني) أخذ فانس يتنقل ما بين مقر كل من الوفدين في الفندق محاولا تسجيل نقاط الاتفاق بينهما في بعض التفصيلات ونقاط الاختلاف وكنت أرى أن هذه الطريقة عقيمة وتبعد بنا عن المواجهة الأساسية للموضوع وهي : هل تقبل اسرائيل الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة في مقابل سلام تدعمه اجراءات أمن وضمانات ؟

« شيلوك .. يتكلم »

وتسلمنا دعوة من رئيس الوزراء الاسرائيلي لحفل عشاء يقيمه على شرف الوفدين المصري والأمريكي في الساعة الثامنة مساء . ثم لم يلبث أن بعث بيجن يدعوني إلى أن أذهب لمقابلته في مكتبه بالكنيست في الساعة السادسة بعد الظهر .

واصطحبت معي الدكتور بطرس غالي والسفير أحمد ماهر وتوجهنا إلى الكنيست حيث استقبلنا مناحم بيجن بترحاب وكان معه موشي ديان وأحد الجنرالات الاسرائيليين وأظنه الجنرال شامير

وبدأ بيجن حديثه قائلا : إنه يكن صداقة ومحبة للرئيس السادات وإنه تأثر بروح المودة التي استقبله بها في الاسماعيلية وذكر أنه تعرض بعد عودته من الاسماعيلية لهجوم عنيف على مقترحات السلام التي قدمها هناك وأن بعضا من أقرب أصدقائه يشتركون في هذا الهجوم .

وقال : ان مشروعه في الاسماعيلية يشمل الاحتفاظ بمستوطنات العريش ورفح وضرورة الدفاع عنها بالتالي وأنه كان واضحا أن هناك خلافا ولكن المفاوضات تبدأ بالطبيعة من الاختلاف الذي يجب التعبير عنه بهدوء . إلا أنه فوجئ وجرح بعد عودته لأن مصر صورت الأمر بعد ذلك على أنه يثير أزمة مع أن الرئيس السادات قد وافق في الاسماعيلية على مناقشة موضوع المستوطنات وغيره من الموضوعات في اللجان ..

وقال : إنه لو كان يريد المساومة لتقدم بمشروع تقسيم سيناء بين مصر واسرائيل خصوصا وأن حرب سنة ١٩٦٧ كانت حربا دفاعيا تؤدي الى تعديلات اقليمية ولكنه كان كريما ولم يطلب ذلك ..

أما عن مشروع الحكم الذاتي الذي قدمه فانه الحل الوسط الانساني لسكان (جوديا وسماريا) فالسكان الفلسطينيون العرب يريدون حكما ذاتيا لأول مرة في تاريخهم ومن الناحية الأخرى فان السكان (الفلسطينيين اليهود) يريدون الأمن ومشروعه يحقق آمالهم .

ومضى بيجن يقول : ان الخلاف بين الأصدقاء ممكن ولكنه فوجئ بالرئيس السادات يخلق أزمة حول مشكلة المستوطنات ـ هى مسألة انسانية ـ كما لو كان ذلك طلبا اسرائيليا جديدا غير معروف مع أن هذا لم يكن رد فعل الرئيس في الاسماعيلية .

وقال : انه لا يحب المهاترات وإنه جرح للغاية بمقال مصطفى أمين الذي شبهه (بشيلوك) وهذه قمة الاهانات المعادية للسامية . كما تضمن مقال الرئيس السادات لمجلة (أكتوبر) تعديات أخرى

على كرامته . وأضاف : ان الرئيس السادات ربما كان متعجلا ويريد دفع الأمور ولكن الاستعجال ليس مستحبا وأمامنا كل الوقت للتفاهم على كل شيء . وأرجوك أن تخبر الرئيس بما شرحته لك منعا لسوء التفاهم .

وأجبته بأنه ربما يرى المستوطنات حلا لمشكلة انسانية كما يقول ولكننا والعالم معنا نراها مظهرا من مظاهر التعدي على أرض الغير وتثبيت الاحتلال غير الشرعي لأجزاء من أراضينا ، وهو تعد على سيادتنا لا يحتمل النقاش . وأنه إذا كان قد فوجىء وجرح من حديث السادات في « أكتوبر » فقد صدمنا صدمة شديدة عندما وصلتنا المعلومات المؤكدة على قيام اسرائيل ـ ونحن نستعد لعقد اللجنة السياسية ـ بزرع مستوطنات جديدة في سيناء بدلا من أن تعمل على إزالة المستوطنات القائمة بالفعل وقلت : إن مثل هذه الأساليب لن تحقق تفاهما أو سلاما .

فقال : إذا كانت هذه وجهة نظركم بالنسبة للمستوطنات فلماذا لا نناقش ذلك في اللجنة السياسية ؟ قلت : لأن اللجنة السياسية مهمتها مناقشة المبادىء العامة ومنها الانسحاب الشامل أما المستوطنات فلا تخرج عن كونها جزئية من جزئيات تنفيذ هذا المبدأ ، شأنها شأن القوات والمطارات ومحطات الانذار وغيرها من مظاهر التعدي على سيادتنا والمجال المنطقي لبحثها هو اللجنة العسكرية .

أما ما ذكره مصطفى أمين فهو يعبر عن رأيه الشخصي ولكني أؤكد لك أننا لا نعادي السامية ، لسبب بسيط وهو أننا ننتمي إليها والأكثر من ذلك أننا نعتبرهم من أهل الكتاب ونعترف بأنبيائهم وبموسى وعيسى كما نعترف بسيدنا محمد .

ثم سألته : بماذا يفسر التصريح الذي استقبلتنا به اذاعة اسرائيل من أن السادات أبلغه بأن زعماء منظمة التحرير هم من

عملاء الاتحاد السوفيتي ؟ وهل يدرك مغزاه وتكرار الاذاعة الاسرائيلية لاذاعته كل نصف ساعة ؟ وارتبك بعض الشيء ثم قال : « لقد قال لي الرئيس ذلك فعلا » . قلت : إنني أشك في ذلك وحتى إن كان قد فعل فهل يصح « لجنتلمان » أدبيا اذاعة ما قيل في أحاديث خاصة ؟ قال : لم آمر باذاعته لقد ذكرته لبعض أعضاء الكونجرس فنشروه حتى وصل للاذاعة .

وانتهت المقابلة بعد أن اتفقنا على ضرورة تجنب التراشق بالتصريحات واتخاذ كل ما من شأنه أن يفسح للجنة السياسية جوا هادئا تعمل فيه على تحقيق النتائج المرجوة وعدت إلى الفندق وكانت الساعة قد جاوزت السابعة مساء حيث وجدت برقية من السيد حسني مبارك « الرئيس يوافق على كل ما اتخذته ويرى التحليل والتقدير ممتازا ويوصي بالتمسك باعلان المبادىء وابلاغ فانس بأن الرئيس كارتر والسادات قد اتفقا على أن يكون إعلان المبادئ هو الأساس » .

الفصل التاسع

العشاء الأخير :

وفي تمام الثامنة توجهت مع بعض أعضاء الوفد المصري إلى صالة الاحتفالات في الطابق الأول من الفندق حيث حفل العشاء وكنت أشعر بالانتعاش بعد أن أخذت دشا ساخنا وارتديت ملابسي وكانت أعصابي قد هدأت بعد الحديث مع بيجن والاتفاق الذي توصلنا إليه حول تلافي التصريحات التي تؤثر على أعمال اللجنة كذلك كانت برقية الرئيس السادات قد رفعت روحي المعنوية ، كما كنت أشعر بالارتياح وأتطلع إلى قضاء ساعتين وسط وجوه جديدة بعيدا عن جو العمل والأوراق والتوتر وجدران الغرف التي احتوتنا كسجن منذ وصولنا إلى القدس .

وبالفعل كان الحفل يموج بالمرح والناس كلهم يتطلعون بتفاؤل إلى نجاح في المباحثات يؤدي بهم إلى السلام والسعادة المترتبة عليه . وكان عدد المدعوين يزيد على مئة شخص رجالا وسيدات بينهم السياسيون من رجال الحكومة ورجال المعارضة والكتاب والصحفيون والقضاة وعدد من القناصل العامين المعتمدين في القدس . وتبادلت الحديث مع عدد كبير من المدعوين من بينهم شيمون بيريز زعيم المعارضة ولم نلبث أن دعينا إلى العشاء فانتقل كل إلى مكانه وتوجهت إلى المائدة الرئيسية التي كان يتوسطها رئيس الوزراء بيجن فجلست على يمينه وكان فانس جالسا على يساره وإلى يميني كانت تجلس زوجة موشي ديان ويليها ايجال يادين نائب رئيس الوزراء ورئيس حزب التغيير الديمقراطي .

وكنت أتبادل الحديث الخفيف مع بيجن تارة ومع زوجة ديان ويادين الذي أصر على محادثتي باللغة العربية تارة أخرى وقدمت لنا أصناف العشاء الواحد بعد الآخر.

وقبل نهاية العشاء فتح باب القاعة فجأة ودخل جيش طويل من المصورين والصحفيين ومندوبي شبكات التليفزيون وكان عددهم كبيرا للغاية والتفت إلى بيجن وقال في زهو « العالم كله جاء إلى هنا ليشاهدنا يا سعادة الوزير » وأخرج من جيبه ورقة صغيرة وأطلعني عليها وكانت فيها بعض عبارات مكتوبة باللغة العبرية وقال هذا هو خطابي فقلت له ضاحكا « أرجو ألا يتسبب لنا في مشاكل جديدة » فرد علي « بالطبع لا من يريد مشاكل جديدة ؟ » .

وبدأ بيجن يلقي خطابه وبعد دقائق كان قد بدد جو المرح وهدوء الأعصاب الذي كان يسود الحفل قبل خطابه ليحل محله جو من الغم والأسى إذ نقل المدعوين إلى جحيم دانتي في « الكوميديا الالهية » وهو يحكي تاريخ اليهود من أوله ويصف ما حاق بهم عبر العصور من عقاب وتشريد على يد فرعون مصر حتى يد هتلر واستمر في محاضرته ، وقد انتعش وهو في حالة النشوة لسماع صوته المزعج غير آبه للمكان أو الزمان ، وتعرض لما جاء في كلمتي عند وصول الوفد إلى المطار ولكلمتي الافتتاحية في افتتاح اللجنة السياسية وكأن هذا أخطر ما حاق باليهود من مآس .

كيف يجرؤ هذا القادم من مصر أن يطلب منا أن نعيد تقسيم عاصمتنا القدس بعد أن توحدت ؟ أيرضى أن أذهب إلى القاهرة وأطالبه بتقسيمها ؟ ويطالب بانسحابنا إلى حدود ما قبل سنة ١٩٦٧ . أنسي أننا كنا ندافع عن أرواحنا وأولادنا ضد حربهم الهجومية ؟ والأكثر من ذلك يطالب بحق تقرير المصير للفلسطينيين العرب . لماذا ؟ لينشىء دولة ارهابية على أبوابنا ليذبح نساءنا وأطفالنا ؟

إن العرب تمتعوا بحق تقرير المصير في إحدى وعشرين دولة وهم يريدون أن ينشئوا دولة جديدة بتقرير المصير ليقضوا على مصيرنا ، إنني أقولها صريحة عالية : لا لتقسيم القدس .. لا للانسحاب إلى حدود سنة ١٩٦٧ .. لا لحق تقرير مصير الارهابيين .

أساس السلام الوحيد :

كان صوته المنفر يرن في اذني ويكاد يشلني عن التفكير وأنا في حيرة من أمره فمنذ أقل من ثلاث ساعات طلب مني هذا الشخص نفسه أن يكف كلانا عن التراشق بالتصريحات لكي نفسح المجال للجنة السياسية في مباشرة سعيها للسلام بدون معوقات ووافقته على ذلك وتعاهدنا عليه أمام شهود من جانبه وشهود من جانبي . ماذا أفعل هل أغادر الحفل منسحبا ؟. هل أقوم وأصفعه ؟. هل أرد عليه بما فعله الاسرائيليون بالشعب الفلسطيني ؟. هل أذكره بأن يده هو نفسه مخضبة بدماء النساء والأطفال الذين ذبحهم في دير ياسين ؟... وشعرت به ينهي خطابه ويدعو وزير خارجية مصر إلى القاء كلمته في الحفل .

وقمت ببطء وقد تمالكت أعصابي ومزقت الورقة التي تحوي الكلمة التي كنت قد أعددتها لهذه المناسبة وتكلمت بهدوء قلت : إني أشكر حكومة اسرائيل على حسن استقبالها للوفد المصري . واننا عندما قبلنا الدعوة لحضور هذا الحفل كان يحدونا الأمل في قضاء ساعات طيبة خالية من التوتر بعد عناء عمل يوم طويل شاق ، كان هذا هو أملنا ولكن رئيس وزراء اسرائيل اختار غير ذلك وهذا حقه . اني لا أعتقد أن هذا الحفل هو المكان المناسب للرد على ما قاله . كل ما أريد أن أقوله هنا هو أن المبادىء التي حددتها في خطابي في افتتاح اللجنة السياسية والتي يرفضها رئيس الوزراء هي الأساس الوحيد الذي يمكن أن يبنى عليه سلام عادل شامل . أما ردي على ما قاله

www.library4arab.com/vb

فأحتفظ به لأقوله في اجتماع اللجنة السياسية غدا فهى المنبر المخصص لذلك .

اسألوا مستر بيجن !!

وجلست دون أن أشرب نخب السلام أو نخب الداعي أو أصافحه وساد سكون عميق لمدة ثوان ثم سمعت دوي تصفيق في القاعة أعقبه شيء من الهرج وارتبك بيجن بعض الشيء ثم سارع الى الميكروفون يدعو وزير الخارجية الأمريكي لالقاء كلمته وبعدها شعرت بيد بيجن تربت على كتفي فالتفت اليه وكانت تبدو على وجهه علامات الدهشة والقلق وقال : اني لم أقصد اساءة فلم أرد عليه وحولت وجهي عنه وانتهى فانس من خطابه وانتهى العشاء فقمت واتجهت مسرعا إلى « الأسانسير » لأذهب إلى غرفتي وأحاط بي بعض الصحفيين الأجانب وسألوني : هل ستقطع المباحثات فقلت : اسألوا مضيفنا المستر بيجن .

وفي جناحي تجمع أعضاء الوفد ورؤساء تحرير الصحف المصرية وكانوا يشتطون غضبا من بيجن . وقد أراحهم ردي عليه الهادىء المتزن حسبما قالوا ـ ولم يلبث أن حضر فانس لزيارتي وقال : إنه آسف للغاية لتصرف بيجن وقال : إن كان هذا يعزيك فلقد عانيت منه تصرفا مشابها في مناسبة سابقة في واشنطن .

وبعد انصراف الحاضرين وكانت الساعة قد بلغت الثالثة صباحا جلست وحيدا أدخن حتى نفدت سجائري وحاولت النوم فلم استطع إلى أن إستيقظ أحمد ماهر وحضر الي في الساعة السادسة صباحا فتناولنا افطارنا بعض الفاكهة وطلبت منه سيجارة ودخلت الى سريري حيث نمت حتى التاسعة والنصف .

الاعلان الأمريكي للمبادىء

وفي الساعة العاشرة اجتمعنا من جديد مع أعضاء الوفد الأمريكي برئاسة فانس وعرض فانس مشروع اعلان مبادىء أمريكي ولكننا لم نقبله إذ كان يقل كثيرا عن ما أعلنه كارتر في أسوان فقال : إنه يدرك ذلك ولكن معارضة اسرائيل ستؤدي الى عدم التوصل لاعلان مبادىء . وأجبته بأن مصر لا يهمها مجرد أى اعلان تحت عنوان « اعلان مبادىء » بل نحن نصر على اعلان واضح يؤدي الغرض ويشجع الأطراف العربية الأخرى على اتخاذ موقف ايجابي من المبادرة وأننا نصر على أن ينص الاعلان على الانسحاب وحل القضية الفلسطينية من جميع جوانبها على أساس حق تقرير المصير . ولن نقبل صياغات غامضة .

وهنا عرض أثرتون (مساعد وزير الخارجية للشرق الأوسط) أن تتقدم مصر بمشروع بشأن الضفة الغربية وقطاع غزة مقابل مشروع بيجن الخاص بالحكم المحلي وقد رفضنا ذلك فنحن غير مفوضين من أصحاب الشأن في ذلك والمفتاح للتحرك في هذا الاتجاه هو اعلان المبادىء الواضح الصريح .

وانفض الاجتماع على ذلك وقال فانس : إنه سيعاود الاتصال بنا من جديد ، وبعد ساعة اجتمعنا ثانية مع الوفد الأمريكي وقال : إنه أدخل تعديلات على مشروعهم لاعلان المبادىء وسألنا عما إذا كنا نقبل نص ما ذكره الرئيس كارتر في أسوان مع اضافة أن تكون المشاركة في تقرير المصير عن طريق التفاوض . كذلك ذكر أن مفهوم الأمريكان للحقوق المشروعة للفلسطينيين هو الحقوق السياسية والحقوق العامة والحقوق الاقتصادية فهل نوافقهم على ذلك : وبالنسبة للانسحاب والحدود فكان المشروع الأمريكي يربطهما في مادة واحدة وكنا اعترضنا على ذلك هل نقبل الاشارة إليهما في بندين مستقلين :

www.library4arab.com/vb

الأول : الانسحاب للقوات العسكرية من أراض احتلت سنة ١٩٦٧ .

والثاني : أن الحدود بين كل الدول في المنطقة سوف تكون

أمنة ومعترف بها .

وأخذنا نناقش ذلك الى أن حانت ساعة الغداء فذكر فانس أنه يدعونا للعشاء معهم في الساعة السابعة لمواصلة المناقشات ووافقنا على ذلك .

قرار مفاجيء

كان التعب والارهاق قد استبدا بي فتناولت غداء سريعا وتوجهت للنوم بعد أن طلبت منهم عدم إيقاظي قبل السادسة والنصف لأتهيأ لحضور عشاء فانس في الساعة السابعة . وكنت أغط في نوم عميق أقرب الى الموت عندما شعرت بيد تهزني هزا عنيفا وصوت يناديني ليوقظني ولكني لم أستجب وتكرر ذلك الى أن صحوت من النوم ولكن دون أن يستيقظ عقلي ووجدت شخصا غريبا لم أره من قبل يقف بجوار سريري ولم أدر كيف وصل الى غرفة نومي وسألته : من أنت ؟ فقال : إنه رئيس غرفة الاتصالات المصرية وأنه يحمل لي برقية عاجلة وصلت من الرئيس السادات وأنه يحاول ايقاظي منذ نصف ساعة دون جدوئ وتأسف لاضطراره لذلك .

وحاولت قراءة البرقية أكثر من مرة دون أن استطيع أن استوعب شيئا منها فقمت وغسلت وجهي بالماء البارد وعدت أقرأها فكانت تعليمات من الرئيس السادات بأن أعود مع الوفد الى القاهرة على الفور بعد أن تبين أن اسرائيل تعمد الى تمييع الموقف وطرح

حلول جزئية وأن تصريحات ديان بوجوب اجراء التوصل الى حل وسط وخطاب بيجن في حفل العشاء أوضحا عقم استمرار اللجنة في أعمالها . وطلب مني الرئيس في البرقية أن أوضح أن أمر العودة

ليس قطعا للمباحثات وإنما مجرد استدعاء وأن أقابل فانس لأشرح له الظروف . وأبلغه أن الرئيس يرغب في مقابلته في القاهرة .

ولم يكن أحب الى من ترك القدس والعودة الى القاهرة ولكنني أدركت على الفور خطورة هذا القرار المباغت ـ دون سبق التشاور معي ـ وأننا بذلك نلعب بين أيدي مناحم بيجن الذي سيقيم الدنيا ويقعدها ويصور هذه الخطوة بأننا غير جادين في السعي للسلام والا فما معنى قطع المباحثات الجارية في اللجنة السياسية وقد بدأت بالكاد ومن الناحية الثانية أدركت أن سحب الوفد بدون سابق إخطار سيكون لطمة مباشرة لوزير الخارجية الأمريكي سيروس فانس الذي جاء من واشنطن تاركا أعماله ليساهم في محاولة التوصل الى حل والذي كان يعمل جاهدا مخلصا على ذلك ويتخذ موقفا كريما متفهما لوجهة نظرنا .

إتجهت على عجل إلى غرفة الاتصالات المصرية وطلبت الاتصال بالرئيس السادات إلا أني لم أجده في أي مكان فاتصلت بالسيد حسني مبارك نائب الرئيس وأبلغته بوجهة نظري فقال : إن القرار قد اتخذ من مجلس الأمن القومي ولا سبيل الى التراجع فيه فاقترحت عليه أن يبلغ الرئيس بأن أعود وحدي وأترك الوفد لمتابعة الاتصالات المقررة في العشاء مع فانس ومعرفة آخر موقف . وأضفت أن استمرار انعقاد اللجنة السياسية قد يكون هاما على ضوء اجتماعات مجلس الوزراء الاسرائيلي لبحث المقترحات الأمريكية وأن قطع الاتصال سيستغله بيجن في لومنا في حين أن مصلحتنا في أن يبدو إستدعاء الوفد نتيجة لموقف اسرائيل المتعنت والذي ينتظر اعلانه بعد اجتماعات مجلس الوزراء الاسرائيلي وبالتالي نحملهم مسئولية فشل الاجتماع . ووعد السيد نائب الرئيس بنقل ذلك ومعاودة الاتصال بي .

وبعد حوالي ثلث ساعة اتصل بي نائب الرئيس من جديد وأبلغني أن القرار قد صدر ووصل الى علم وسائل الاعلام وأن راديو

القاهرة يذيع الآن البيان المصري الرسمي حول أسباب استدعاء الوفد الرسمي من القدس . وأنه أصدر الأوامر بسفر طائرتين مصريتين من القاهرة لعودة الوفد اليها وتمنى لي التوفيق .

عدت الى غرفتي واجتمعت باعضاء الوفد لبحث الموقف وفي هذه الأثناء وصلتني برقية ثانية من الرئيس السادات بأن أقابل رئيس الوزراء الاسرائيلي قبل عودتي الى مصر لأوضح له أسباب استدعاء الوفد المصري (دون أن يوضح هذه الأسباب) وان أبين له أن هذا ليس قطعا للمباحثات وإنما مجرد استدعاء مؤقت لحين دراسة الموقف .

في هذه الأثناء إقتحم فانس الحجرة ودخل ، وكنت لا أزال بالبيجامة وكان يبدو منزعجا حزينا وسألني عن صحة خبر استدعاء الوفد للعودة الى مصر فأكدته له . ودعوته الى الجلوس فشكرني وقال لماذا لماذا لماذا ؟ وأخبرته بأنني أسأل السؤال نفسه ولكني أود ابتداء أن أؤكد له تقديرنا الخاص لجهوده المخلصة وتفهمه لموقفنا وهو ما كنت أحيط الرئيس به أولا بأول وقلت له : إنه يدرك ولا شك اعتماد الرئيس على الولايات المتحدة وعلى الرئيس كارتر وعليه شخصيا في تحقيق السلام . وأن الرئيس طلب مني أن أقابله وأشرح له سبب استدعاء الوفد وأنه لا يقصد المساس به من بعيد أو قريب وإنما رأى الرئيس خطرا محققا في أساليب بيجن التي تستهدف إضاعة الوقت والدخول في مساومات ومتاهات فرعية لن تؤدي الى شيء وأشرت الى تصريح الاذاعة الاسرائيلية الذي واكب وصول الوفد المصري للقدس من أن الرئيس السادات قد أبلغ بيجن أن زعماء منظمة التحرير الفلسطينية هم عملاء شيوعيون والى المؤتمر الصحفي الذي قام به وزير الخارجية ديان أمس ـ والذي رفض كلانا المشاركة فيه لعدم جدواه قبل انتهاء اجتماعات اللجنة ـ وما أعلنه من ضرورة أن تتم التسوية على أساس تنازلات إقليمية . ثم الى خطاب بيجن الذي استمع إليه بنفسه بعد أقل من ثلاث ساعات من اتفاقه معي على عدم

الادلاء بتصريحات من شأنها اعاقة عمل اللجنة .. لكل هذا رأى الرئيس أن الأمر يحتاج الى وقفة نستأنف بعدها المحادثات على أساس بناء . وأبلغته أن الرئيس السادات يدعوه الى القاهرة ليشرح له الأمر ويتشاور معه .

وقال فانس : إنه لا شك في أن بيجن لم يصبه التوفيق وكان في امكانه تهيئة جو أفضل للمباحثات وأكد أنه سيسافر الى مصر لمقابلة الرئيس وذكر أنه يعتقد أنه كان قد اقترب من موافقة اسرائيل على نص خاص بالمشكلة الفلسطينية قد يكون مقبولا لنا وأنه كان يفضل لو أمهل فرصة ٢٤ ساعة أخرى ليحاول التأثير على بيجن الذي يلعب معه على أنه رجل قوي وأنه القادر الوحيد على ازالة العقبات ودخول التاريخ كرجل سلام وأنه كان يعتقد بأن الأمور كانت ستتضح له سلبا أو إيجابا في خلال هذه الأربع والعشرين ساعة بحيث يستطيع أن يذهب الى مقابلة الرئيس السادات ومعه جرد كامل للموقف يوضح ما هو ممكن وما هو غير ممكن حتى يستطيع السادات أن يتخذ قراره على ضوء ذلك وأضاف أنه يخشى أن يكون لقرار استدعاء الوفد المصري للعودة تأثير سلبي على الرأئ العام الأمريكي الذي قد يراه قرارا متسرعا ليس له مبرر كاف وأنه سيضطر الى أن يقول للصحافة أنه كان يشعر أننا في الطريق نحو تقدم وأن المباحثات كانت مفيدة وأنه يأسف لقرار مصر .

وفي هذه الأثناء استدعي فانس ليتحدث مع الرئيس كارتر الذي طلبه تليفونيا وعاد فأخبرني أن كارتر قلق للغاية من قرار استدعاء الوفد المصري للعودة وأنه أي الرئيس كارتر سيتصل تليفونيا بالرئيس السادات ليرى ما يمكن عمله كما أخبرني أن بيجن قد اتصل به بدوره يستفسر عن سر سحب الوفد ، فقلت له : إن لدي تعليمات من الرئيس السادات بمقابلة بيجن قبل العودة . فقال انه سيعاود الاتصال بي بعد انتهاء مقابلتي لرئيس الوزراء الاسرائيلي وقبل سفري .

اتضاح اهداف بيجن

في الساعة الثامنة والنصف مساء توجهت الى مكتب رئيس الوزراء الاسرائيلي وبصحبتي السفير أحمد ماهر وكان جمهور كبير من الاسرائيليين قد تجمع أمام المبنى الذي يضم مكتب رئيس الوزراء وكان القلق يبدو على وجوههم كانت أخبار استدعاء الوفد المصري للقاهرة قد انتشرت وعند دخولنا المبنى إنهالت علينا أسئلتهم ماذا حدث ؟ هل ستقطع المباحثات ؟ هل فشلت جهود السلام ؟

استمرت المقابلة بيني وبين بيجن نحو ساعتين حضر الشطر الأخير فيها موشى ديان وقد بدأت الحديث فشرحت بلغة واضحة صريحة كل ما كان في نفسي بشأن التصريحات والتصرفات والمواقف الاسرائيلية من مبادرة السلام وانتهيت من ذلك الى أن هذا الأسلوب لن يؤدي الى شيء غير ضياع فرصة تاريخية لتحقيق السلام الشامل وأن مسؤولية ذلك تقع عليه بالكامل .

وشرع بيجن في الرد فقال : إنه لم يفعل شيئا لم يقله من البداية لقد جاء السادات الى القدس يطلب منهم الانسحاب الى حدود ما قبل سنة ١٩٦٧ والاعتراف بحقوق الفلسطينيين وقد رد عليه بيجن في خطابه بأنه لن يفعل وكل شيء قابل للتفاوض . وفي الاسماعيلية قدم بيجن مشروعه للسلام فلم يوافق السادات وقدم مقترحات وعدنا بدراستها . ولماذا يغضب السادات على اعتراضى على عدم تسمية الضفة الغربية في المشروع الأمريكي بجوديا وسماريا لقد اتفقنا في الاسماعيلية على أن يعبر كل من الطرفين عن الاسم بالطريقة التي يراها بل إن الرئيس السادات نفسه استعمل تعبير جوديا وسماريا في المؤتمر الصحفي بالاسماعيلية فلماذا الغضب الآن ؟ وبعد الاسماعيلية هدد السادات بحرب جديدة إذا لم توافق اسرائيل على مطالبه قبل أكتوبر سنة ١٩٧٨ (موعد انتهاء فترة قوات الطوارىء الدولية) .

وكان تعبيره « أن علي أن أنتظر أكتوبر وأن العرب ممكن أن يتحدوا وتحدث أكتوبر جديدة » أى أنه يهددنا تهديدا مباشرا بالعدوان « والهولوكات » كيف يفعل هذا ونحن نتفاوض على السلام . وقد وعدني بأن تكون حرب سنة ١٩٧٣ آخر الحروب بين مصر واسرائيل .

أنتم تعتبرون أنكم انتصرتم في حرب أكتوبر نحن لا نحب التباهي ونقول : إنه في الأيام الاولى للحرب كانت لدينا صعوبات كثيرة وضحايا ولكن في النهاية استطعنا أن نرد من هاجمونا على الجبهتين . ثم يأتي السادات الآن ويهددنا بحرب جديدة . نحن لا نخشى التهديدات . وقال إن السادات قال لمجلة « أكتوبر » إنه أعطانا كل شيء ولم أعطه أى شيء إنظر يا سيادة الوزير الى الخريطة هل هذا لا شيء (كانت هناك خريطة كبيرة على الحائط لسيناء) وأن السادات قال في حديثه : إن اليهود تجار شطار . أنا مناضل ولست تاجرا ولا ديان ولا وايزمان ولا شارون نحن مناضلون نمثل شعبنا الذي انتخبنا ويجب أن نرعى مصالحه .

ثم تأتي أنت الى القدس كضيف وتجرح شعورنا بأن تطلب منا ان نترك القدس قلبنا . هذه عاصمتنا قسمت وحررناها في سنة ١٩٦٧ واتخذنا قرارا ديمقراطيا بعودتها الينا ولم نسمع دولة في العالم تقول ان عاصمتها يمكن تقسيمها ، تطلب منا أن نترك الجولان لكي تعود مسدسا مصوبا الى رؤوسنا ، تطلب منا أن نتنازل عن « جوديا وسماريا » مهد حضارتنا وتاريخنا ، وكان لابد أن أرد عليك بخطاب سياسي وكانت فرصتي هى حفل العشاء وهذا متبع في كل مكان ... ثم يأتي الرئيس السادات في منتصف المباحثات ويقطعها ويستدعيك .. لن نقسم القدس ولن نعود إلى حدود سنة ١٩٦٧ . وهذا ما سمعه مني الرئيس السادات في الكنيست وهذا ما قدمته له في الاسماعيلية .

وأنهى بيجن حديثه بسؤالي : هل ترى نشر محضر هذه المقابلة

بالكامل ؟ قلت : إنني سأقابل الرئيس وأنقل له ما ذكرت . فقال إذا لم تشأ أن ننشر شيئا عن المقابلة فلا ننشر . فقلت له أنت حر في النشر من عدمه وسأنقل كلامك الى الرئيس . وهنا التفت بيجن إلى ديان وسأله ما رأيه . وقال ديان انه لا يرى النشر ولكن الوزير كامل سيدلي بالطبع بتصريحات للصحف عندما يسأل عما تم في المقابلة فقال بيجن : « لماذا لا نقول اننا تحدثنا قبل سفرك عند استدعاء الرئيس لك وأنك شرحت لي أسباب ذلك وأنني عبرت عن الأسف لسفرك واننا مستعدون لاستئناف المباحثات فيما بعد ؟ »

أجبته بأنه لا مانع لدي من ذلك وأن استدعائي لا يعني بالضرورة قطع المباحثات وإنما هو للتشاور قبل اتخاذ خطوة جديدة .

فقال ديان : إنه يوافق على ذلك ويجب ألا ننسى أن هناك طرفا ثالثا يشترك معنا اشتراكا فعليا في المباحثات هو الولايات المتحدة وقد قرر فانس أن يبقى في القدس غدا حتى ولو لم يكن هناك ما يفعله وسيقابل بيجن غدا لأنه يريد الابقاء على باب استمرار المحادثات مفتوحا . ومن المهم ألا نصرح بشيء يخلق المشاكل للطرف الثالث في المباحثات .

واتفقنا على ذلك ولم يكن يهمني ما ينشر أو ما لا ينشر عن المقابلة كان كل ما يهمني أني تأكدت تماما مما كنت أتصوره عن أهداف وأساليب مناحم بيجن من المفاوضات : كسب الوقت دون التفريط في شيء مما تضع عليه اسرائيل يدها . وعلى أساس ذلك يجب أن يتحدد موقفنا وتكتيكنا .

كيف تنقل اسرائيل أفكارها ؟

عند عودتنا الى الفندق كانت الساعة نحو الحادية عشرة مساء وكان بهو الفندق يعج بمراسلي الصحف والاذاعات الذين أحاطونا بالأسئلة ولم أزد عن أن أقول اني عائد لمصر للتشاور مع الرئيس

بشأن الخطوة التالية .

وفي غرفتي والاستعداد للسفر على قدم وساق حضر فانس من جديد فاحطته بمضمون المقابلة وعبر لي من جديد عن أسفه لموقف بيجن المتشدد وقال : إن العملية تحتاج الى وقت ومثابرة وأنه سيزور القاهرة بعد غد وهو في طريق عودته الى واشنطن لمقابلة الرئيس السادات . وانتهى الحديث بيننا وكنت انتظر انصرافه حتى أغادر الفندق ويبدو أنه فهم ذلك فقال إنه سيذهب الى المطار لوداعي فقلت : إن هذا مستحيل لأن المطار يبعد ساعة عن القدس ومعنى ذلك أن يعود إليها في الساعة الثالثة صباحا بعد يوم طويل شاق . قال : إنه يدرك ذلك ولكنه يريد اظهار أن قرار استدعاء الوفد المصري لم يؤثر عليه في شيء وأنه يهمه أن يعرف الناس أن علاقته بي وبمصر ثابتة ومستمرة .

شكرت فانس وقلت له : إنه يكفي لذلك زيارته لي فقال : انه اذن سينزل معي ليوصلني الى السيارة حتى يشاهده جموع الصحفيين المنتظرين ببهو اللوكاندة وقد فعل .

ركبت السيارة في صحبة ديان من جديد واتجهت الى مطار بن جوريون وقد تبادلنا الحديث لبعض الوقت وقال لي : انه آسف لخطاب بيجن على العشاء لأنه في اعتقاده السبب المباشر لاستدعاء الوفد المصري وقال : ان بيجن رجل مهذب ولكنه لا يسعه أن يقاوم أية مناسبة ليشرح التاريخ اليهودي ومعتنقاته السياسية وانتهى الحديث وانصرف كل منا الى تأملاته .

وفي المطار لم نجد الطائرة . كانت قد سافرت لنقل الفنيين الملحقين بالوفد على أن تعود . وقد استغرق ذلك أكثر من ساعة قضيناها في كافيتريا المطار حيث قدمت لنا السندوتشات وكنت أجلس على مائدة صغيرة مع ديان وبطرس غالي ولم أشارك في الحديث إذ كنت غارقا في التفكير . وكان ديان يتحدث عن اتصالاته ومعرفته بالكثير من الفلسطينيين الذين نشأ بينهم فقد كان من « السابرا »

أى اليهود المولودين في فلسطين ولم يهاجروا اليها من الخارج وسمعته يقول لبطرس غالي ان قطاع غزة لا يهمهم في قليل أو كثير لأنه مساحة صغيرة يسكنها أكثر من ٤٠٠ ألف فلسطيني وليس له موارد اقتصادية فكل ما فيها تعايين وصخر وفقر واذا كان ذلك يسهل الأمور فانهم على استعداد للتنازل عنها متى تعهدنا بألا نجعلها منطلقا للارهابيين ضد اسرائيل . ولم أعر ذلك أى اهتمام إلا بعدها بشهور عديدة عندما أثار بعض رجال الكونجـرس الأمريـكان المتعاطفين مع اسرائيل مع سفارتنا في واشنطن أنه يمكن في المباحثات بين مصر واسرائيل البدء بحل الأوضاع في غزة .... ولم تلبث أن وصلت الفكرة الى السادات فتبناها ... وعجبت لمقدرة اسرائيل في نقل أفكارها .

الفصل العاشر

لا تضع البيض كله في سلة واحدة

كانت الساعة قد بلغت الخامسة صباحا عندما وصلت إلى منزلي عائدا من القدس . دهشت لوجود أضواء تنبعث منه في تلك الساعة المبكرة وعندما دخلت علمت أن زوجتي تتأهب للذهاب إلى المطار في طريقها إلى المانيا ، لاعداد نقل ملابسنا التي تركناها هناك عند حضورنا إلى مصر ، إبان زيارة المستشار شميت في آخر ديسمبر (كانون الثاني) ١٩٧٧ .

. تبادلت وزوجتي التحية ، وخرجت هي إلى المطار ، بينما استغرقت أنا في نوم عميق ، أفقت منه في الساعة التاسعة على جرس التليفون المتصل بالرئيس ، وهو يدق بدون انقطاع . رفعت السماعة وكان المتحدث أحد أمناء الرياسة الذي أخبرني بأن الرئيس ينتظرني في الساعة الحادية عشرة في استراحة القناطر الخيرية والتي تبعد نحو ساعة عن القاهرة ، وقد غضبت لاقلاقي من النوم ، وقلت له أن يخبر الرئيس بأني سأذهب إليه بعد أن أرتاح ، ولن يكون ذلك قبل الواحدة ظهرا .

حقيقة الدور الأمريكي :

وصلت القناطر في نحو الساعة الواحدة والنصف فوجدت الرئيس السادات جالسا في الحديقة مع السيد حسني مبارك ، والسيد ممدوح سالم رئيس الوزراء . رحبوا بي ترحيبا حارا وأخذت أحكي لهم ما جرى خلال الزيارة في القدس . ثم سألت الرئيس لماذا

استدعاني ، الأمر الذي قد يسبب حساسية « لفانس » والذي سيستغله بيجن بدون أدنى شك ؟

رد السادات قائلا : ان الاستدعاء كان نتيجة تصرفات وتصريحات بيجن وديان وأنه بعد تصريح ديان في افتتاح اللجنة السياسية بأنه لابد من تنازلات من الجانبين ، أحس بالقلق وخشى أن أتورط في بعض التنازلات ، فقلت له وماذا يدعوك الى هذا الخوف فأنا لا أملك التنازل عن شئ ، وقد كنت على اتصال مستمر به في كل خطوة وفي كل وقت ؟

وأخبرني أن الرئيس كارتر قد اتصل به تليفونيا أمس بعد قراره بسحب الوفد المصري ، وأنه ألح عليه في أن تستأنف اللجنة السياسية أعمالها في أقرب وقت ولكنه رفض ذلك ، ورأى اكراما لخاطر كارتر أن يوافق على اجتماع اللجنة العسكرية فقط !! ولم أفهم الحكمة من ذلك فعدت ألفت انتباهه الى أن هذا قد يثير الشكوك العربية في أن ما نسعى اليه هو استرداد سيناء ، وليس الوصول إلى حل شامل . فقال انه لا يبالي بما يقوله العرب ، وانما فعل ذلك ارضاء لصديقه كارتر .

ثم دعاني الى حضور فرح ابن عثمان أحمد عثمان في الساعة الثامنة والنصف مساء فقلت : ان هذا محال لأني متعب جدا ومحتاج الى نوم عميق الا أنه أصر قائلا : أن السهرة ستستمر ونم كما تشاء ثم احضر حتى ولو عند منتصف الليل .

ذهبت صباح اليوم التالي الى المطار لاستقبل فانس عند وصوله من اسرائيل ثم اصطحابه الى استراحة القناطر لمقابلة الرئيس السادات وقد شرح لفانس أسباب استدعاء الوفد من القدس وشكر له دوره البناء في المباحثات كما شرحته له : وقال ان السبب في قراره يعود إلى الموقف الاسرائيلي المتصلب الذي لم يتجاوب مع المناخ البناء الذي خلفته زيارته للقدس واستمرار الجانب الاسرائيلي في المعوقات.

التي تعمل على تخريب هذا الجو . كان السادات يسعى بكل الطرق لأن يكون الدور الأمريكي في المباحثات نشطا ومثمرا ولا يقتصر على دور وسيط سلبي .

كان يريد أن يصل إلى أن تصبح الولايات المتحدة شريكا كاملا في المباحثات وكان يرى أنه بعد أن تتكشف الأهداف الحقيقية الاسرائيلية كما ظهر من اصرارهم على الاحتفاظ بالمستوطنات في سيناء ومطالبتهم بالسيادة على الضفة الغربية وغزة فان المسؤولية تقع على الولايات المتحدة في الضغط على اسرائيل لتغيير موقفها . وسلم فانس مشروعا أمريكيا لاعلان المبادىء للرئيس كما وجه دعوة الرئيس كارتر للسادات لزيارته في كامب ديفيد يوم ٤ فبراير (شباط) القادم وقبل السادات الدعوة وكان بادي السعادة بها .

ومع تقديري لأهمية الدور الأمريكي في المباحثات ومشاركتها فيها إلا أنني كنت أشعر بأن السادات يبالغ كثيرا فيما تستطيع الولايات المتحدة أن تقوم به وكنت أخشى أن يؤدي هذا الارتماء عليها إلى خمول في النشاط الدولي الضاغط على اسرائيل وكنا قد كافحنا سنين طويلة حتى حققنا نجاحا طيبا في هذا السبيل ومن الناحية الثانية كان واضحا لدينا أن الولايات المتحدة تعمل على الاستئثار بالموقف والتوصل إلى حل أمريكي للنزاع .

وكنت أرى خطرا محققا في أن تخرج قضية الشرق الأوسط بشكل أو بآخر من دائرة المشاركة والاهتمام الدولية وتتركز بين يدي الولايات المتحدة وتكون هى وحدها الحكم بين العرب واسرائيل .

وقد حدثت وقتها واقعة أكدت مخاوفي ، إذ أبلغتنا سفارتنا في نيودلهي بأن الولايات المتحدة قد قامت مؤخرا بمساع لدى حكومة الهند كي تعترف باسرائيل وتتبادل التمثيل الدبلوماسي معها . وكانت الهند من الركائز الأساسية في مساندة الحقوق العربية وإدانة العدوان الاسرائيلي على أراضينا .

وقد رفضت الهند ذلك إلا أن السعي الأمريكي كان له دلالة . وحدث أن قام أثرتون بزيارتي في هذه الأثناء وقد صارحته بموضوع مساعيهم لدى الهند لتعترف باسرائيل فنفى ذلك نفيا تاما ولكني أجبته بأني على يقين من حدوث ذلك فوعدني بتحري الأمر والرد علي .

وفي اليوم التالي زارني وأيد صحة المسعى وبرره بأن الولايات المتحدة تعتقد أن شعور اسرائيل بالخروج من العزلة التي تعاني منها في المحيط الدولي ـ واعتراف الهند بها خطوة في هذا السبيل ـ سيكون له تأثير ايجابي على سياستها المنشودة وتتجه بالتالي إلى المرونة في موقفها . وأضاف أنه كان هناك اتفاق شفهي بعد توقيع اتفاقية فض الاشتباك الثانية بأن مصر لن تعارض « نشاط » عودة العلاقات الدبلوماسية بين اسرائيل والدول الأخرى .

وقد أجبته بأني أعتقد أنه كان من اللائق أن تفاتحنا الولايات المتحدة في الأمر بدلا من قيامها بهذا المسعى من وراء ظهورنا ومن الناحية الثانية فقد أثبتت هذه السياسة عقمها بل خطورتها وليس أدل على ذلك من أن الولايات المتحدة كانت تبرر دائما امداداتها لاسرائيل بالأسلحة المطلوبة بأن من شأنه أن تشعر اسرائيل بالأمان وبالتالي تتجه إلى المرونة في حين أن الذي كان يحدث دائما هو العكس تماما فكلما امتلأت ترسانتها من الأسلحة الأمريكية ازداد صلفها وتعنتها واستخدمت هذا السلاح في العدوان من جديد وفي العمل على تكريس احتلالها للأراضي . أما عن الاتفاق الشفهي الذي أشار اليه فأنا لا أعلم عنه شيئا وكل ما أستطيع أن أؤكده له أننا سنعارض « بنشاط » عودة علاقات اسرائيل مع الدول الأخرى إلى أن يتم التوصل إلى السلام .

ومن المؤكد أن الولايات المتحدة كانت تبذل نفس السعي لدى الدول الافريقية التي قطعت جميعا علاقاتها باسرائيل إثر حرب سنة

١٩٦٧ . وكان الأساس الذي استندت إليه الدول الافريقية في ذلك هو أن اسرائيل قد احتلت جزءا من أراضي مصر وهى دولة افريقية عضو في منظمة الوحدة الافريقية . أما الآن وقد دخلت مصر مع اسرائيل في مفاوضات مباشرة فليس هناك من حرج على الدول الافريقية في أن تعاود علاقاتها مع اسرائيل . ولم يحل دون ذلك في الواقع إلا تطلع الدول الافريقية إلى مساندة الدول البترولية العربية لها في مواجهة الأزمات الاقتصادية التي حاقت بها بعد ارتفاع أسعار النفط ، ومن الناحية الأخرى ساعد على ذلك التواطؤ الاسرائيلي الذي تكشفت أبعاده مع النظام العنصري في جنوب أفريقيا .

موقف تحيط به التناقضات :

ومن ناحية ثالثة فلم تكن سرا الضغوط الأمريكية الفجة أحيانا على مجموعة الدول الأوربية لعدم اتخاذ مبادرات أو مواقف لحل النزاع العربي الاسرائيلي رغم ما لهذه الدول من مصالح حيوية في استقرار منطقة الشرق الأوسط الأمر الذي لا يتحقق إلا بسلام شامل في المنطقة ، بدعوى أن ذلك يؤثر على جهود السلام الأمريكية الجارية .

وماذا عن مجموعة دول عدم الانحياز التي ساندت الموقف العربي بكل قوة وايجابية ؟ لقد وجدت نفسها في موقف بالغ الحرج والصعوبة إزاء الانقسام الذي حاق بالأطراف العربية في المواجهة مع اسرائيل بعد قيام الرئيس السادات بزيارة القدس . وأترك توضيح انعكاسات المبادرة المصرية على الموقف العربي وموقف دول عدم الانحياز وعلى الموقف الدولي عامة للرئيس جوزيف بروز تيتو حسبما جاء في خطابه إلى الرئيس السادات في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٧ :

« .. ومع ذلك أخذا في الاعتبار الحقيقة ــ غير القابلة للشك ــ بأن مصالح مصر وسوريا والشعب الفلسطيني هى متبادلة ومتصلة

بشكل يجعلها غير قابلة للانقسام . فقد خشينا منذ البداية أن عملا منفردا من مصر سيترتب عليه سوء تفاهم كبير وخلافات صعبة بين الدول العربية بالاضافة إلى التباين في ردود فعل دول عدم الانحياز وللأسف فان مخاوفنا هذه قد ثبتت صحتها .

إن الموقف الراهن في العلاقات العربية يثير قلقنا خاصة بسبب الانقسام الذي حدث بين الدول العربية وأنا على يقين شديد بأن هذا الانقسام يسبب أضرارا بالغة ، ليس فقط على صعيد العلاقات العربية المتداخلة ، ولكن على الموقف العربي بأكمله وعلى موقف الفلسطينيين الذين وجدوا أنفسهم في وضع بالغ التعقيد والصعوبة . كما أن هذه الحالة في نفس الوقت ضارة بحركة عدم الانحياز وكذلك أنا مقتنع بأنها ضارة بمصالح المجتمع الدولي بوجه عام وكلاهما (يقصد حركة عدم الانحياز والمجتمع الدولي) قد أيدا بدون أنانية عبر السنين الكفاح العادل للدول العربيـة ومنظمـة التحريـر الفلسطينية .

وأنا أعتقد أن اسرائيل سوف تنظر إلى الانقسام السائد الآن بين الدول العربية كميزة كبيرة لها وانها ستمارس تشددا أكبر وسوف تبدي عدم استعداد لابرام اتفاقيات سلام مقبولة للدول العربية المعنية مباشرة ومنظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني .

وللأسف فاني لا أرى في اسرائيل اليوم أى رجل دولة بعيد النظر بحيث يعني له السلام والصداقة وعلاقات حسن الجوار مع الدول والشعوب العربية ، أهمية أكثر من الجشع لضم الأراضي العربية وفرض شروط غير مقبولة على أساس تفوق اسرائيل الحالي والمرحلي في الشرق الأوسط » .

وباختصار فقد كنا في موقف صعب تحيط به التناقضات ما بين محاولتنا بأن تلقي الولايات المتحدة الأمريكية بكل ثقلها ومالها من

قوة تأثير مفترضة على اسرائيل في مباحثات السلام ، وبين أن نحافظ على الموقف الدولي المؤيد بوجه عام للقضية العربية ، والعمل على ألا يتآكل هذا الموقف أو يصيبه الجمود أو الذبول من جراء التواكل والاعتماد على الولايات المتحدة وحدها .

كان علينا أن نعمل باصرار لانقاذ الموقف العربي من الانقسام الذي مزقه ، ومحاولة التوصل إلى حد أدنى من التضامن والتعامل مع الدول الرافضة واستثمار امكانيات الدول العربية التي أيدت المبادرة واجتذاب تلك التي وقفت معها موقفا محايدا أو سلبيا ـ تراقب التطورات ـ إلى صفنا .

كان علينا أن نعمل على وقف التدهور المستمر في علاقاتنا بالاتحاد السوفيتي خاصة ودول الكتلة الشرقية عامة ، وأن نصل إلى مستوى من التعامل والتفاهم معه يقينا محاذير معاداته ويتيح لنا السبيل للاستفادة من امكانياته . وكان علينا أن نكون مستعدين ليوم تلقى فيه المبادرة حتفها ما بين التصلب الاسرائيلي والخذلان الأمريكي ونلتفت حولنا فلا نجد معينا .

ولم يكن كل ذلك سهلا أو هينا مع الرئيس السادات الذي كان قد كفر بالاتحاد السوفيتي وضاق ذرعا بالعرب ، والذي استبد به اعتقاد بأن مبادرته غير قابلة للفشل وان نظرية الدولتين العظميين هى نظرية خاطئة فليس في العالم سوى قوة عظمى واحدة هى الولايات المتحدة . وهى وحدها الكفيلة والقادرة على الوصول بمبادرته إلى غايتها في تحقيق السلام العادل الشامل في الشرق الأوسط .

وقد قامت وزارة الخارجية بنشاط كبير وجهود مكثفة في كل هذه الاتجاهات ، نجح الكثير منها وفشل بعضها بسبب عدم تقدير السادات لأهمية أي جهد ينصرف إلى غير الولايات المتحدة ، أو لا يكون في تقديره على هواها .

الفصل الحادي عشر

«كامب ديفيد فبراير سنة ١٩٧٨» «السيناريو» :

انتهى الاعداد لزيارة الرئيس السادات للولايات المتحدة المحدد لها ٤ فبراير (شباط) ١٩٧٨ وقد تقرر أن تبدأ الرحلة بزيارة الملك الحسن في الرباط كما تقرر أن يزور السادات كلا من انجلترا وألمانيا الاتحادية ورومانيا وفرنسا وايطاليا والفاتيكان في طريق عودته من الولايات المتحدة . وقد استغرقت رحلة الطائرة إلى المغرب أكثر من خمس ساعات حيث أخذت الطائرة خط سير طويلا متعرجا لتفادي الطيران فوق الأراضي الليبية لاعتبارات الأمن إذ كان هناك تخوف من أن العقيد القذافي لن يتورع عن اختطاف الطائرة أو حتى اسقاطها .

وكان الملك الحسن في استقبال الرئيس السادات في مطار الرباط وقد اصطحبه إلى أحد قصور الضيافة خارج المدينة وعدت مع باقي الوفد إلى فندق شيراتون حيث تقرر نزولنا . ولم نر السادات إلا في اليوم التالي حيث كانت هناك اجتماعات ثنائية بينه وبين الملك الحسن . أما باقي الوفد فقد دعي إلى العشاء في قصر أحد رجال الحاشية الملكية وحضر العشاء معنا وزير الخارجية المغربي أحمد بوستة وعدد من الوزراء ورجال البلاط الملكي .

جسر الاتصال العربي :

وكان جل اهتمامنا في الأحاديث التي دارت مع الوزير بوستة ومعاونيه أثناء العشاء هو الاستفادة من الجهود المغربية كجسر للاتصال والتفاهم مع الدول العربية الأخرى وكانت تربط الملك الحسن بالنظم الملكية العربية الأخرى علاقات خاصة وبالذات مع

المملكة العربية السعودية ومع المملكة الأردنية الهاشمية وكنا نعول كثيرا على هاتين الدولتين واجتذابهما إلى صفنا في مبادرة السلام .

ودون الخوض في الأوضاع الداخلية فقد تركت زيارتي القصيرة للمغرب أثرا رومانسيا جميلا في نفسي فهو بلد احتفظ بشخصيته وتقاليده ، وهى مزيج من التقاليد العربية الاسلامية والبربرية ... في كل شئ في العمارة والزي والطعام ... الخ .. دون أن يحول ذلك وأخذه بالأساليب والتطورات العصرية .

أما الملك الحسن فلاشك أنه رجل ذكي ولكنه في تقديري يشعر بذاته وكيف لا وتحيط به هالة من القدسية لأنه ينتسب في أصوله إلى سيدنا محمد . وهو ابن محمد الخامس الذي كان يحظى بمحبة الشعب المغربي لكفاحه في سبيل استقلال المغرب وما قاساه في سبيل ذلك إلى أن مات وهو في المنفى . كيف لا وكل من يلقاه من المغاربة صغيرا كان أو كبيرا ينحني له في خشوع وتبجيل ويقبل يده . وقد استرعى نظري منظر غريب في ردهات القصر الملكي وحدائقه تجلس جماعات من المغاربة يلبسون الثياب المزركشة على مسافات ليست بالبعيدة وكل عملها أنه متى مر الملك عليها في طريقه من مكان إلى آخر تهب واقفة وتهلل وتكبر وتتغزل في مكارمه وتدعو له بطول العمر .

وكان الملك الحسن من المؤيدين لمبادرة السادات والمتحمسين لها ولم أكن أعلم وقتها الدور الذي لعبه في الاعداد لمبادرة السادات حيث رتب عدة لقاءات سرية بين حسن التهامي وموشي ديان في قصره في شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٧٧ وبعده . وقد تحاشى السادات دائما أن يشير إلى ذلك وكان يردد لي أن الذي أوحى إليه بمبادرته هو خطاب الرئيس كارتر الذي أبلغه فيه أنه يشعر بحالة من الاحباط ازاء مساعيه لعقد مؤتمر جنيف للسلام .

ولم يحطني السادات علما بشيء محدد عن محادثاته مع الملك وأذكر عند مغادرتنا القصر الملكي في الرباط أن طلب الملك الحسن مرافقتي لهما في السيارة ، وتكلم عن علاقته بوزير خارجيته أحمد

بوستة فقال : انه محل سره ولا يخفي عنه كبيرة أو صغيرة ، وقال : إن هذه الثقة يجب أن تقوم بين الحاكم ووزير خارجيته بالذات ونصح السادات بأن يفعل ذلك معي لما سمعه عني من صفات طيبة على حد قوله . وياليت السادات اتبع هذه النصيحة . إذن لتجنبنا الكثير من المشاكل التي نشأت عن قيامه بتصرفات فجائية على أساس أفكار طارئة عنت له دون استشارة أو تمحيص .

تحريك الموقف :

وفي الطريق إلى الولايات المتحدة جلست مع أحمد ماهر في الطائرة نستعرض الموقف وقد بدا لنا من الواضح المؤكد ــ بعد تجربة الاسماعيلية والقدس ــ أن استمرار التفاوض المباشر مع اسرائيل لن يقدم شيئا بل سيخلق لنا مصاعب كثيرة وسلبيات كان من الواضح أن اسرائيل تستهدف كسب الوقت لتمييع المبادرة (وتكريس الفرقة بين مصر والدول العربية) وتثبيت جذورها في الأراضي العربية المحتلة وكانت الشواهد على ذلك عديدة لا غموض فيها وأولها مشروع الحكم الذاتي وهو على غرار المشاريع التي كانت تطبقها الدول الاستعمارية في القرن التاسع عشر على شعوب مستعمراتها .. وثانيها تواتر التصريحات الرسمية الاسرائيلية على أن اسرائيل لن تتخلى عن سياسة الاستيطان في الضفة الغربية وغزة وسيناء والجولان وستواصل تدعيم المستوطنات الاسرائيلية القائمة وإقامة مستوطنات جديدة فيها .

ثم خرج بيجن ببدعة جديدة إذ أعلن أن قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لا ينطبق على الضفة الغربية وغزة وهو تفسير يناقض تعهدات اسرائيل إزاء القرار ولم يجرؤ مسؤول اسرائيلي من قبل على إعلانه .

ومن الناحية الثانية فقد كان استمرار المفاوضات مع اسرائيل في ظل تصرفاتها وتصريحاتها على مرأى ومسمع من الدول العربية والشعب الفلسطيني أمرا مستحيلا لا يمكن تبريره أو تفسيره ويؤدي

حتما إلى النيل من اعتبار مصر الأدبي وإلى تدعيم الشكوك في نواياها وتكريس الفرقة والانقسام في العالم العربي وعزل مصر عنه وكان هذا هدفا اسرائيليا ثابتا .

وكان السادات قد بدأ يدرك أن آماله المتفائلة في استجابة اسرائيل بسرعة لمبادرته مبالغ فيها . وكان يرى أن الخروج من هذا المأزق لن يتحقق إلا عن طريق الولايات المتحدة وذلك بأن تتجاوز موقف الوسيط السلبي بين مصر واسرائيل وتمارس موقفا ايجابيا يسعى إلى تحريك الموقف الاسرائيلي الجامد المتعنت . وعلى هذا الأساس أعددنا مذكرة قوية بالموقف الذي نرى أن يتخذه الرئيس السادات أثناء المحادثات الثنائية المنفردة بينه وبين الرئيس كارتر (في كامب ديفيد) .

وقد أوضحت المذكرة المواقف الاسرائيلية الجامدة والأساليب الملتوية التي تتبعها اسرائيل في المفاوضات وبينت خطورة استمرار المفاوضات والحالة هذه . وأنه مالم تتعهد الولايات المتحدة باتخاذ ما يكفل دفع اسرائيل إلى اتخاذ مواقف ايجابية فسيعلن الرئيس السادات إنهاء المباحثات مع اسرائيل ويعود الموقف إلى ما كان عليه قبل المبادرة وسيكون واضحا للعالم أجمع من الذي يريد السلام ومن الذي يعمل على تقويضه وتتحمل اسرائيل وحدها مسؤولية اضاعة الفرصة التاريخية التي أتاحتها مبادرته .

وكان نوع من الحيرة المصحوبة بالقلق قد بدأ يساورني نحو شخصية السادات إذ لاحظت أنه مع الوقت ومن اتصالي المستمر به بعد تعييني وزيرا للخارجية أنها لم تكن ثابتة ملتزمة بوتيرة واحدة ففي بعض الأحيان كان يتسم بالبساطة والتواضع وأحيانا

أخرى يتسم بالتعقيد والتعالي وأحيانا يكون هادئا ثم يتسلط به الغضب دون مبرر ظاهر وأحيانا يكون واضح الفكر قوي المنطق منطلق الحديث وأحيانا أخرى يكون شارد الفكر عاجزا عن الكلام أو إيضاح ما يريده أو وجهة نظره أو ينصرف إلى أحاديث فرعية

أو بعيدة عن جوهر الموضوع محل البحث .

وفي بعض الأحيان كان متفتحا يستوعب تماما ما يقرؤه أو يسمعه وفي أحيان أخرى يصيبه الخمول وعدم المبالاة فلا يقرأ ولا يسمع أو يستوعب مهما كانت أهمية الموضوعات المعروضة . ولم أجد تفسيرا لذلك وكنت أرجعه إلى ضخامة المسؤوليات التي يتحملها منذ تولي الحكم بعد وفاة الرئيس عبد الناصر .

كان ذلك يدور في خلدي عندما أخذت المذكرة وتوجهت إلى صالونه الخاص في الطائرة لأعرضها عليه . وكان يجلس معه سيد مرعي رئيس مجلس الشعب الذي كان عضوا في الوفد وجلست وتبادلنا الحديث في أمور شتى بعيدة عن السياسة ثم عرضت عليه المذكرة فقرأها بامعان وسر منها للغاية وردها إلي . فقلت له : إن لدي نسخة منها وأني أرجو أن يحمل هذه المذكرة معه عند مقابلته لكارتر ويضعها أمام بصره أثناء المقابلة للرجوع إليها إذا اقتضى الحال . فنظر إلي باندهاش وقال : ولكني قرأتها واستوعبت ما فيها . فقلت اني أعلم ذلك ولكن ما الضرر من أخذها معه وادعيت أن كل الساسة الكبار يفعلون ذلك أو كانوا يفعلونه مثل تشرشل وديجول وشميت وأن هذا تقليد متبع . فدق الجرس وطلب سكرتيره الخاص فوزي عبد الحافظ وسلمه المذكرة وطلب منه أن يقدمها له عند توجهه للاجتماع بالرئيس كارتر .

اللقاء مع كارتر :

وفي قاعدة أندروز الجوية حيث هبطت الطائرة كان في استقبالنا نائب الرئيس الأمريكي مونديل ووزير الخارجية سيروس فانس . وقد توجه الرئيس مباشرة إلى كامب ديفيد حيث كان الرئيس كارتر في انتظاره وتوجهت مع باقي الوفد إلى واشنطن .

وفي اليوم التالي تلقينا دعوة للسفر إلى كامب ديفيد لاجتماع مشترك بين الوفدين المصري والأمريكي . وعند وصولنا كان الرئيس

www.library4arab.com/vb

كارتر والرئيس السادات مازالا في اجتماع مغلق . وجلسنا مع أعضاء الوفد الأمريكي حيث قدمت لنا بعض المشروبات وتبادلنا التعارف معهم والحديث بشكل غير رسمي . وبعد نحو ساعة دعينا إلى القاعة التي خصصت لاجتماع الوفدين المشترك ..

كان الجانب الأمريكي يتكون من الرئيس جيمي كارتر ونائب الرئيس مونديل ووزير الخارجية سيروس فانس وبرجنسكي مستشار الرئيس الأمريكي للأمن القومي وروي أثرتون مساعد وزير الخارجية للشرق الأوسط وهارولد سوندرز رئيس قسم الشرق الأوسط لوزارة الخارجية وهيرمان ايلتس السفير الأمريكي في القاهرة ووليام كوانت عضو مجلس الأمن القومي . وبعض المعاونين .

وكان الجانب المصري برئاسة الرئيس السادات وعضوية سيد مرعي رئيس مجلس الشعب وأنا والدكتور بطرس غالي وزير الدولة للشؤون الخارجية وحسن كامل رئيس الديوان الجمهوري والدكتور أشرف غربال سفيرنا في واشنطن والسفير أحمد ماهر مدير مكتبي .

وافتتح الرئيس كارتر الجلسة بقوله انه بعد أن اجتمع بالرئيس السادات على انفراد واستمع إلى شرحه وتحليله للموقف ، فانه يود الآن أن يشرح مفهومه لما قاله الرئيس السادات حتى يصبح الأمر واضحا أمام الجميع .

وكانت هذه فرصة نادرة للتعرف على ما دار في المباحثات المنفردة التي دارت بين الرئيسين . ومن الناحية الأخرى كان أمرا يدعو إلى الاستغراب أن يذيع الرئيس الأمريكي ما دار في حديث منفرد بينه وبين الرئيس السادات . ولكن لم ألبث أن عرفت السبب الذي حدا بالرئيس كارتر الى ذلك وهو ما حدث من مناحم بيجن رئيس الوزراء الاسرائيلي الذي كان قد اجتمع بالرئيس كارتر في شهر ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٧ اجتماعا منفردا ، وعرض عليه مشروعيه الخاصين بالانسحاب من سيناء وبالحكم الذاتي في الضفة

الغربية وغزة وقد ذكر له كارتر وقتها أن المشروعين يصلحان أساسا للمفاوضات وأنهما مرضيان تقريبا له

وعند عودة بيجن إلى اسرائيل قام بعرض المشروعين على مجلس الوزراء الاسرائيلي الذي أدخل عليهما تعديلات كثيرة بعد مناقشة استمرت سبع ساعات بحيث أصبحا مغايرين للمشروعين اللذين عرضهما على كارتر وفي اجتماع الاسماعيلية قدم بيجن المشروعين للسادات مؤكدا أن الرئيس كارتر ورئيس الوزراء البريطاني كالاهان قد امتدحاهما ووافقا عليهما . ولم يلبث أن أعلن بيجن ذلك لوسائل الاعلام . وقد خشي كارتر أن يتكرر ما حدث من بيجن من قبل السادات بأن يدعي أن كارتر قد التزم قبله بشيء في الاجتماع المنفرد سواء عن قصد أو سوء فهم فرأى أن يطلع الوفدين على ما جرى بينهما حتى يكونا شاهدين عليه .

وعلى مدى أكثر من نصف ساعة شرح الرئيس كارتر في هدوء وبلغة واضحة وتسلسل بديع ما دار بينه وبين الرئيس السادات في الاجتماع المنفرد بينهما وقد أعجبت بمقدرته على الاستيعاب والعرض وأنهى الرئيس كارتر كلامه بأن الرئيس السادات قد أكد له أن العرب بمن في ذلك السعودية والشعب المصري وأصدقاء الولايات المتحدة الآخرون مستاءون للغاية من الولايات المتحدة ويشعرون بخيبة أمل تجاهها لأنهم يعتقدون بأن موقف اسرائيل المتصلب غير ممكن لولا مساعدات الولايات المتحدة العسكرية والاقتصادية لها وأنه أي الرئيس كارتر منزعج للغاية لأن الرئيس السادات قد أبلغه بأنه لا يستطيع الاستمرار في المباحثات مع اسرائيل سواء في اللجنة السياسية أو اللجنة العسكرية وأنه قرر أن يعلن ذلك في نادي الصحافة الدولي يوم الاثنين القادم .

وتبادلت النظر مع أحمد ماهر وعلمنا أن الرئيس السادات كان يضع أمامه المذكرة التي قدمتها له في الطائرة أثناء اجتماعه المنفرد

بكارتر .

وقال فانس « انها تكون ضربة كبيرة إذا صدر تصريح الآن يفهم الشعب بأن التقدم نحو السلام قد توقف وستكون لذلك آثار خطيرة وعميقة ، أرجو أن يكون من الممكن التغاضي عن اصدار مثل هذا التصريح وأن نعمل معا على الاتفاق على الأهداف والعمل على وضعها موضع التنفيذ » .

وقال مونديل « تعرفون أن زيارتكم التاريخية للقدس كانت أكثر الأمور تأثيرا .. انك أصبحت في خلال ثمان وأربعين ساعة رجل دولة ورسولا للسلام ولقد حدث تغيير غير متصور . ومن المهم جدا حتى تتطور سياسة اسرائيل أن يستمر الناس في نظرتهم هذه لك ، وأن يظل الناس يسألون اسرائيل عما فعلته ردا على ما فعله السادات لذا يجب ألا تعطي لحكومة اسرائيل فرصة الافلات من السعي والادعاء بأن ما حدث لم يكن حقيقيا يجب ألا تعطي بيجن فرصة ليضعك في موضع يمكنه بعده أن يقول إنه لم يعد عليه القيام بشيء . »

انني أذكر ليلة نخب بيجن الخارج عن كل تقليد في اجتماع اللجنة السياسية بالقدس فلقد كان يعوزه الذوق ولا يتفق مع الروح الجديدة .

ان الضغوط تتزايد نظرا للشعور بأن بيجن لا يفعل شيئا . ان اليهود هنا لا يحبون المستوطنات وأنا أسمع ذلك منهم ولكني في اليوم التالي (لسحب الوفد المصري من القدس) سمعت منهم كلاما مختلفا .. أن من أهم الوسائل لتغيير موقف اسرائيل الضغط على بيجن للتحرك وليظهر تقدما ، أما اذا قلتم لن نتحدث فسيقولون أن المصريين غير جادين ويستخدمون ذلك حجة لعدم التحرك .

الضغط على بيجن :

وقال كارتر « اني أعلم عن خبرة كيف يمكن أن يكون الاسرائيليون منبطين للعزائم . ولكني أقول بصراحة ان الاسرائيليين يقتربون من فكرة ترك الأرض . انهم يقتربون من ذلك على مضض لأنهم يريدون الاحتفاظ بها ، وإذا تصوروا انهم يستطيعون الاحتفاظ بها وفي نفس الوقت الاحتفاظ بتأييد الرأي العام الأمريكي فلن ينسحبوا . عندما ذهب الرئيس السادات إلى القدس لم يكونوا مستعدين وقد وضعتهم الزيارة في وضع أعزل . ولكني الآن أفهم ما يثور من قلق بشأن اللجنة السياسية ، فعندما سحبتم وفدكم شعر الناس أن هذه غلطة الرئيس السادات ، أما قبل ذلك فلقد كان بيجن يتعرض لهجوم شديد . انني أفهم سبب سحب الوفد المصري ولكن الرأي العام يقول ربما لم تكن الغلطة غلطة بيجن .

انني لا أريد خداعك ولا أريد التخلي عن مسؤوليتي ولكن بدونك وبدون التأييد الشعبي فاني لا أستطيع اجبار اسرائيل على تغيير موقفها سواء بسرعة أو ببطء . أما بك فانني استطيع الضغط عليهم للتغيير ، ان اليهود الأمريكيين يتزايد شعورهم بأن بيجن وحكومته هم العقبة في طريق السلام بسبب اصرارهم على المستوطنات . ولكن في حالة مواجهة بيني وبين بيجن فسوف يكون من الصعب على اليهود الأمريكيين ألا يقفوا الى جانب بيجن .

انني استهدف أن أضم بعض زعماء الكونجرس وزعماء اليهود إلى جانبي للضغط على بيجن ليقبل ترك المستوطنات ويقبل فترة انتقالية خمس سنوات في الضفة الغربية .

أما إذا اتخذ الرئيس السادات قرارا بوقف المفاوضات فسيقول بيجن نحن نريد والسادات لا يريد وهذا يقضي على حجتنا بأنك تريد السلام وهم لا يريدون .

سيبدأ الكونجرس في الأسبوع القادم بحث معاهدة بنما وبصراحة ليست لدي حتى الآن الأصوات اللازمة وإذا رفض الكونجرس المعاهدة ستكون ضربة لقيادتي وسيخلق ذلك وضعا قد يؤدي إلى صدام عسكري مع بنما والكثيرون ممن يؤيدون المعاهدة هم من الذين يؤيدون اسرائيل بقوة وإذا حدثت أزمة في الشرق الأوسط بانهاء المحادثات فسوف يجعل ذلك الموقف صعبا بالنسبة لي ... أرجو أن تعطيني فرصة لأشرح لك الرأي العام الأمريكي ومشاكلي ثم نفكر معا لنحدد ما نأمل تحقيقه ونضع جدولا زمنيا ونرى كيف نصنع صورة ليزداد تأييد الشعب لنا . ونبحث أية ضغوط يمكن مزاولتها لجعل الاسرائيليين يتصرفون التصرف الصحيح . انه لسوف يؤسفني حقا أن تؤدي زيارتك لي هنا إلى مشكلة أصعب من المشاكل التي أمامنا فعلا .

وقال برجنسكي « لي ملاحظة إذا أعلنتم قرارا سلبيا عن المباحثات فان رد الفعل الأمريكي سيكون أن هذا الاجتماع كان فاشلا ، وهذا ليس في مصلحة أحد إلا الاسرائيليين الذين سيقولون ان مصر لا تقبل التفاهم ولذلك فاني أقترح أن تغير اعلانك بالاستعداد للاستمرار بتأكيد قوي لموقفك عن المستوطنات وانطباق القرار رقم ٢٤٢ على جميع الأراضي وهذا يضمن لك تأييدا كبيرا ويضعك في موقف ممتاز عندما تستأنف المفاوضات » .

الموقف الأمريكي الواضح :

وقلت « ان الرئيس السادات عندما يفكر في عدم استئناف المباحثات فانه يريد تجنب موقف مماثل لما حدث في القدس ، أي نستأنف المباحثات ثم نضطر إلى قطعها . أعتقد أنه ليس لدى الرئيس مانع من استمرار المباحثات على ألا نواجه بموقف مثلما واجهنا .

وأنا شخصيا أعتقد أنه يمكن ايجاد صيغة توضح استعدادنا

للاستمرار في المباحثات على أن يؤجل قيام مباحثات فعلية لفترة يمكن خلالها للولايات المتحدة أن تلعب دورا ايجابيا لتقريب وجهات النظر وحتى نتوصل مع اسرائيل إلى نقاط يمكن بدء المفاوضات منها . وهذا بالطبع يرتهن باستعداد اسرائيل لاتخاذ مواقف ايجابية ، وقال كارتر « أعتقد أن رد كامل على برجنسكي يتفق مع رأيي وأنا شخصيا لن أعود إلى المفاوضات إذا كان أول بند في جدول الأعمال هو المستوطنات والاحتفاظ بها ، أعتقد أنه يمكن ايجاد صياغة تعطي المسؤولية لأمريكا وتجعل الرأي العام ضاغطا على اسرائيل »

وهنا تكلم الرئيس السادات : « لقد سمعت ما قاله الأصدقاء ومن وجهة نظري لقد وصلنا إلى نقطة يجب أن يكون هناك موقف أمريكي واضح للاسرائيليين ، يضع المبادىء الأساسية التي لا يختلف عليها أحد لا عدوان على السيادة والأرض وهذا ليس ضد أمن اسرائيل .

ومن حق الاسرائيليين الشعور بالأمن وأن تكون لهم علاقات خاصة بأمريكا .. اني لا أعترض على الاستمرار في المفاوضات بل كما قلت للرئيس كارتر فان فكرة تشكيل لجنتين اتفقت عليها مع بيجن في خمس دقائق إذ انه بمجرد وصوله إلى الاسماعيلية اقترح ذلك فوافقت فورا .. لقد جئت هنا عندما دعوتني وقد ارتحت للدعوة لأني كنت أريد أن أعرض الأمر كله بوضوح .

اهتمامي الأساسي كما قلت لأيلتس ولأثرتون ان الشعب المصري والعربي يشعرون بخيبة أمل تجاه الموقف الأمريكي وبيجن يستغل بكل الطرق تأييد أمريكا ويدعي أمورا لم تحدث مثل قوله للرؤساء الأوربيين أن أمريكا تؤيد مقترحاته . وأتساءل هل يمكن أن نصل لنقطة يكون هناك موقف أمريكي محدد هل ترى الوقت مناسبا لذلك أم لا ؟ ان هذا يوفر وقتا كثيرا .. ان موقف بيجن هو الذي خلق الصعوبات لي ولكم فهل حان الوقت ؟ من ناحيتي لا توجد عقبة لاقامة

السلام وممكن تحقيق ذلك في أسبوع واحد .

وجاء رد كارتر « الجواب هو نعم لقد حان الوقت في اعتقادي لموقف أمريكي محدد يقدم للطرفين . وكما قال السادات في أسوان لا خلاف بيننا ومع ذلك فاني أرى أنه إذا أعلنت أمريكا أو تقدمت بموقف بعد اجتماعنا فسيكون من ناحية المظهر وكأنه اقتراح مصري – أمريكي ومهما كان محتواه فسيرفضه اليهود الأمريكيون . على نحو ما فعل العالم العربي عندما تقدمت بورقة عمل بعد اجتماعي بديان إذ قالوا عنها انها ورقة أمريكية اسرائيلية .

لذا فمن الضروري أن اجتمع مع بيجن ، أدعوه للحضور ثم بعد زيارته وبسرعة نضع ما نعتقد أنه يجب أن يكون موقف أمريكا ونعلنه ونحصل على التأييد له . وأعتقد أن ما سنقترحه سيكون مقبولا منكم وأنني سأختلف مع بيجن والمهم أن يفهم الرأي العام أننا قبل اعلان موقفنا تشاورنا مع الطرفين .

وباختصار فان ردي على سؤالك هو نعم ، لقد حان الوقت ونريد التنفيذ بسرعة ويمكن الاتفاق دون ابطاء على الجدول الزمني لأننا نتفق على أن الوقت قد حان للخروج بمشروع »

وقال السادات « أوافق على هذا »

وانتقلت المناقشة إلى كيفية اخراج المشروع الأمريكي إلى حيز الوجود وانتهت إلى الموافقة على سيناريو وضع برجنسكي خطواته على ضوء ما دار من مناقشات على النحو التالي :

١ – تتخذ مصر موقفا ايجابيا من استمرار المباحثات (بمعنى ألا يعلن الرئيس السادات وقفها)

٢ – تعلن مصر عن موقفها من انطباق القرار ٢٤٢ على جميع الأراضي المحتلة ورفضها القاطع لقبول المستوطنات .

٣ – تعرب الولايات المتحدة عن تأييدها للموقف المصري .

٤ – بعد اجتماع كارتر بمناحم بيجن تتقدم مصر بمشروع بشأن

الضفة الغربية وغزة .

(وقد حدث جدل حول ذلك إذ كان الموقف المصري مستقرا على عدم التقدم بمشروع متعلق بالضفة الغربية وغزة في غيبة الجانب الفلسطيني صاحب الشأن وبدون تفويضه . وأن يقتصر الموقف المصري على التوصل لاعلان مبادئ ما يكفل حل القضية الفلسطينية على أساس حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره إلا أن الجانب الأمريكي ردد ما كان يحتج به دائما من أن هناك مشروعا اسرائيليا مطروحا بالنسبة للضفة الغربية وغزة ــ مشروع بيجن للحكم الذاتي ــ دون أن يقابله مشروع من الجانب المصري . وطالما أنه مطلوب أن تتقدم الولايات المتحدة بمشروع أمريكي فمن الملائم أن يكون أمامها مشروع مصري مقابل المشروع الاسرائيلي . وقد وافقنا على ذلك) .

٥ ــ متى رفضت اسرائيل المشروع المصري . تتقدم الولايات المتحدة بمشروعها .

٦ ــ تطلع الولايات المتحدة مصر على المشروع الأمريكي لمناقشته قبل تقديمه .

معادن الرجال

كان السادات سعيدا للغاية بعد انتهاء الاجتماع فقد حقق الأمل الذي كان يراوده ويلح عليه وهو التزام الولايات المتحدة باتخاذ موقف ايجابي في المباحثات الثلاثية وهو ما كان يعبر عنه بموقف الشريك الكامل .

وبالنسبة لي كان الموقف مرضيا فقد تعهدت الولايات المتحدة بمسؤولية تحريك الموقف الاسرائيلي وكان هذا يعفينا من استمرار المفاوضات المباشرة مع اسرائيل وأسلوب بيجن البغيض فيها . كما كان يتيح لنا فرصة زمنية نعمل فيها على معالجة الموقف العربي المتشتت قدر الامكان واحاطة الموقف المصري بسياج من الأصدقاء

ومحاولة نزع الشكوك من مراميه وأهدافه

ومن الناحية الثانية فقد كانت هذه هي المرة الأولى التي أجتمع فيها بالرئيس كارتر وكنت أراقبه عن كثب وأحاول تعرف ملامح شخصيته وفكره . والحق أن انطباعي كان مشجعا فقد كان يبدو صادقا وكان اقتناعه بأن الانسحاب الاسرائيلي وفقا للقرار ٢٤٢ يشمل كل الأراضي ، كما أن التسوية يجب أن تتضمن الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني و« مشاركته » في تقرير مصيره ، كما كان موقفه في إدانة المستوطنات صلبا ، وهي في تقديري مفتاح وأداة التوسع الاسرائيلي ، كذلك كان من الواضح عدم ارتياحه لمناحم بيجن واهتزاز ثقته في المواقف الاسرائيلية كان يصف التفاوض مع الاسرائيليين بأنه مثبط العزيمة FRUSTRATING وقد أشار في حديثه إلى واقعتين : الاولى أن موشي ديان كان قد وعده بعدم اقامة مستعمرات جديدة وذلك عندما قابله في نيويورك في سبتمبر (أيلول) ١٩٧٧ فيما عدا ست مستعمرات قائمة سيزيدون عدد سكانها وأنها ذات طابع عسكري . إلا أنهم منذ ذلك الحين قد أقاموا ثلاث عشرة مستوطنة جديدة .

والثانية أن بيجن ادعى أنه (أي الرئيس كارتر) قد وافق على المشروع الذي قدمه في الاسماعيلية ، في حين أن ما عرضه عليه في ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٧ كان مشروعا مختلفا تماما عن ذلك . وذكر كارتر أن المشروع الذي عرضه عليه بيجن في الأصل كان يتضمن فترة انتقالية مدتها خمس سنوات تشارك خلالها كل من الأردن واسرائيل وربما مصر في الادارة ثم يكون للفلسطينيين المقيمين حق تقرير مستقبلهم . كما أن بيجن قد وعده وقتها بأن اسرائيل لن تدعي سيادة تتعدى حدودها في سنة ١٩٦٧ .

وبالاختصار كان انطباعي الأول عن الرئيس كارتر يبعث على التفاؤل وقد عزز ذلك عندي أنه كان أول رئيس أمريكي نادى بحق

الفلسطينيين في وطن قومي وأنه أعلن أن موضوع حقوق الانسان من محاور سياسته الرئيسية .

ورغم ادراكي لقوة النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة إلا أني تصورت وقتها أن رئيس أقوى دولة في العالم يستطيع أن يثبت في وجه أية ضغوط خاصة والأمر يتعلق بمصالح حيوية لبلاده في الشرق الأوسط ، وأنه ليس مطالبا بنقض التزام الولايات المتحدة بأمن اسرائيل بل على العكس أن يحقق هذا الالتزام ويحميه بأقوى ضمان باعادة الحقوق المغتصبة إلى أصحابها الشرعيين مما يتيح لاسرائيل أن تعيش في سلام مع جيرانها في المنطقة .

إلا أن معدن الرجال يختلف فلم يكن كارتر في صلابة أيزنهاور كما لم يكن السادات في صلابة عبد الناصر . كان كلاهما كارتر والسادات يرتدي قناعا رقيقا من الصلب يغطي ظاهره ولكن لا ينفذ إلى باطنه .

وكما سمعت وكما رأيت « أذل الحرص أعناقَ الرجال » كما سيتبين .

الفصل الثاني عشر

الخطـــر من الداخـــل

سافر الرئيس السادات في اليوم التالي إلى واشنطن ونزل في « بلير هاوس » وهو المقر المخصص لاقامة كبار زوار الحكومة الأمريكية في واشنطن وكان برنامج السادات مزدحما للغاية ويتضمن الاجتماع بأعضاء لجنتي الشؤون الخارجية في مجلس الكونجرس والعديد من ممثلي المنظمات والجماعات ومن بينها الجماعـات اليهودية والشخصيات السياسية الاقتصادية ورجال الأعمال وقد حضرت جانبا من هذه الاجتماعات والمقابلات وكان السادات بشكل عام موفقا فيها واكتسب تعاطف الكثيرين مع وجهة نظره وثقتهم في صدق نواياه نحو السلام .

وفي يوم ٧ فبراير (شباط) كنت في بلير هاوس وعند دخولي لاحدى الغرف وجدت المهندس سيد مرعي رئيس مجلس الشعب وعضو الوفد المصري جالسا إلى جوار الدكتور أشرف غربال سفيرنا في واشنطن والذي كان منهمكا في الكتابة . وسألت أشرف عرضا عما هو منهمك في كتابته فرد المهندس سيد مرعي بأنه يعد مذكرة بما دار بينه (أي سيد مرعي) وبين برجنسكي مستشار الأمن القومي للرئيس كارتر في الصباح (وبحضور أشرف غربال) بشأن وضع أسس الاتفاق على الاستراتيجية المصرية الأمريكية في الأسابيع القادمة . ولم أرد على سيد مرعي وإنما وجهت اللوم للسفير على قبوله المشاركة في مثل هذه المقابلة دون أخذ رأيي وهو يعلم أنه ليس من شأن

المهندس مرعي مناقشة مثل هذه المواضيع . ورد أشرف بأن سيد مرعي هو الذي دعاه ولم يكن يعرف الغرض من المقابلة . ورد سيد مرعي بأنه لم يقصد التدخل في اختصاصي وأجبته بأني لا أتدخل في عمل أحد ولا أحب أن يتدخل في عملي أحد وأن تدخله هذا يعقد الأمور في عملية معقدة في حد ذاتها .

وعندما اطلعت على الاتفاق المبدئي الذي تم بين سيد مرعي وبرجنسكي ثارت ثائرتي . كان معنونا باسم : « استراتيجية للأسابيع القادمة » .. وينص على ما يلي :

١ ـ يجب التوصل إلى إعلان مبادىء بأسرع ما يمكن حتى يتسنى توسيع دائرة المفاوضات الحالية لتضم الأردن وممثلين عن الشعب الفلسطيني وسوريا ولبنان بغرض انجاز تسوية شاملة لنزاع الشرق الأوسط .

٢ ـ التوصل إلى اتفاقية بشأن سيناء تتضمن على وجه الخصوص حكما بسحب المستوطنات تطبيقا لاحترام سيادة مصر ووحدتها الاقليمية .

٣ ـ دور الولايات المتحدة الآن هو تعديل الموقف الاسرائيلي فيما يتعلق بما هو مذكور أعلاه وباقي الموضوعات الخاصة بسيناء بما فيها المناطق المنزوعة السلاح ستعالج مباشرة بين مصر واسرائيل .

٤ ـ يجب التوصل لاتفاقية سيناء بأسرع وقت ممكن .. وتعلن مبادئها التي تتفق عليها مصر واسرائيل ، أما توقيعها فسيتم في تاريخ لاحق يتفق عليه بعد اعلان المبادىء وهذه الاتفاقية لن تشكل حلا منفردا

٥ ـ بعد زيارة رئيس الوزراء الاسرائيلي القادمة لواشنطن ستقدم مصر ورقة تتضمن وجهات نظرها بالمبادىء لتسوية وجوه أخرى متعلقة بالمشكلة الفلسطينية والضفة الغربية وغزة والقدس .

٦ ـ ومن المتوقع أن الولايات المتحدة ستقدم على ضوء الأوراق الاسرائيلية والمصرية وجهات نظرها واقتراحاتها لكيفية تحقيق حل عادل لمشكلة الضفة الغربية وغزة .

٧ ـ وفيما يتعلق بالضفة الغربية ستتضمن الورقة المصرية :ـ

أ ـ فترة انتقالية تحدد مدتها بواسطة الأطراف المعنية وتنتهي بممارسة حق تقرير المصير .

ب ـ تعتقد مصر أنه بعد الاتفاق على اعلان المبادىء والتوصل لاتفاقية بشأن سيناء يقوم ممثلو الشعب الفلسطيني والأردن بالاشتراك مع الأمم المتحدة واسرائيل في مفاوضات تتعلق بالضفة الغربية .

٨ ـ وتخضع غزة لنفس المفاوضات بين مصر وممثلي الشعب الفلسطيني واسرائيل والأمم المتحدة .

٩ ـ تستطيع سوريا من جانبها الدخول في مفاوضات مماثلة بشأن الجولان .

١٠ ـ ستشترك العربية السعودية مع مصر والأردن وممثلي الشعب الفلسطيني والأمم المتحدة في مفاوضات بشأن مستقبل القدس .

١١ ـ كل هذه المفاوضات ستعالج موضوعات الانسحاب من جميع الأراضي وكذلك موضوعات الأمن المتبادل بين اسرائيل وجيرانها العرب .

وفي المساء توجهت إلى غرفة نوم الرئيس السادات في بلير هاوس وكان يجلس معه المهندس سيد مرعي فأخبرته أمامه بما أقدم عليه المهندس سيد مرعي من تفاهم مع برجنسكي على أمور غاية في الخطورة ، وقدمت له صورة الورقة المعدة بينهما دون أن يأخذ رأيي أو ينسق معي .. وذكرت أنه لو قام كل عضو في الوفد بمثل ذلك فسنصل إلى أوضاع غريبة وسنفقد احترام الجانب الأمريكي ونظهر

وكأننا نسير بلا وعي أو هدف ، وأن ما اتفق عليه المهندس سيد مرعي وبرجنسكي لا أوافق عليه وهو يناقض الخط الذي نسير عليه وشرحت له ملاحظاتي بشأن التفاهم الذي جرى بينهما والذي سجلته في مذكرة تتلخص فيما يلي :

١ ـ ان الأولوية يجب أن تكون للاتفاق على إعلان مبادىء واضح ومحدد يشكل غطاء عربيا صالحا لمصر في جهودها من أجل التسوية الشاملة وفي اطار هذا الاعلان يمكن ـ كما صرح السادات بنفسه أكثر من مرة ـ السير في الاتفاقية الخاصة بسيناء بحيث تصبح جزءا من التسوية الشاملة .

٢ ـ ان ما يقترحه برجنسكي ومرعي بشأن التوصل إلى اتفاقية خاصة بسيناء وإعلان مبادئها وأسسها قبل الاتفاق على إعلان مبادىء التسوية الشاملة سيخلق وضعا يضغط فيه الشعب المصري واسرائيل والولايات المتحدة على الحكومة المصرية للاسراع بتوقيعها بصرف النظر عن باقي جوانب المشكلة . علما بأنه هو نفسه (السادات) لا يكف عن اعلان أن أي اتفاق لا يتضمن تسوية المشكلة الفلسطينية ـ وهي لب المشكلة وأساسها ـ سيكون اتفاقا هشا ولن يحقق الاستقرار والسلام .

٣ ـ ان الورقة المذكورة عند معالجتها للضفة الغربية وغزة تفصل بينهما بطريقة تتيح لاسرائيل فرصة الادعاء بأن يشترك في المفاوضات الخاصة بكل منهما ممثلون للفلسطينيين المقيمين بها .. وهذا أمر يتجاوز ما نطالب به اسرائيل حاليا ، كما أنه يحقق استبعاد الفلسطينيين المقيمين في الخارج من التسوية ، وأن الرئيس السادات عندما تحدث عن أن مصر تتولى موضوع غزة مع ممثلي الشعب الفلسطيني واسرائيل والأمم المتحدة وتتولى الأردن موضوع الضفة الغربية مع ممثلي الشعب الفلسطيني واسرائيل والأمم المتحدة فقد كان واضحا أن الأمر

يتعلق بترتيبات الأمن ، أما المستقبل السياسي للضفة الغربية وقطاع غزة فهو في وحدتهما ثم في ارتباط الكيان الفلسطيني الذي يضم الضفة الغربية وغزة معـــا بالأردن .

٤ ـ ان الجانب الامريكي عندما طلب منا ورقة تتضمن المطالب العربية حتى يمكن على أساس ذلك أن يقدموا حلا وسطا ذكروا بوضوح أنه سيكون أقرب إلى الموقف المصري منه إلى الموقف الاسرائيلي .

٥ ـ ان الورقة المصرية عن الضفة الغربية وغزة ليس من المفروض أن تتضمن تفصيلات مثل تلك التي تضمنتها الورقة التي أعدت على ضوء مقابلة المهندس مرعي والمستر برجنسكي .

ووافق السادات على ملاحظاتي قائلا للمهندس سيد مرعي (سيبه يا سيد علشان ما يتلخبطش شغله) .

ثم قدمت له الورقة التي أعدها أحمد ماهر وهى تحتوي على تلخيص دقيق أمين لما تناوله الحديث في كامب ديفيد في الجلسة التي تمت بينه وبين الرئيس كارتر ثم في الجلسة التي تلتها بين أعضاء الوفدين .. وذلك حتى يناقشها مع الرئيس كارتر بينما اتحدث إلى وزير الخارجية فانس في نفس الشأن وهى تحوي النقاط التالية :ـ

١ ـ فيما يلي مفهوم مصر لاستراتيجية الأسابيع القادمة كما تم الاتفاق عليه بين الرئيس كارتر والرئيس السادات ثم بـــين الوفدين :ـ

أ ـ يذاع بيان أمريكي يوم الأربعاء ٨ فبراير (شباط) يؤكد موقف الولايات المتحدة فيما يتعلق بالمستوطنات والقرار ٢٤٢ وانطباقه على كل الجبهات وسوف يوضح البيان أيضا تصميم الولايات المتحدة على الاضطلاع بدور ايجابي ورغبة مصر في استمرار مباحثات السلام .

ب ـ سيوفد المستر الفرد اثرتون إلى المنطقة لمتابعة

الجهود لتضييق الفجوة بين مصر واسرائيل فيما يتعلق باعلان المبادىء وسيقوم المستر اثرتون أيضا بالتشاور مع الأردن والسعودية لبحث السبل لاشراك دول عربية أخرى في مباحثات السلام .

جـ ــ سيدعى رئيس الوزراء بيجن إلى زيارة واشنطن في أواخر فبراير (شباط) أو أوائل مارس (اذار) ، وفي أثناء الزيارة ستقوم الولايات المتحدة بالتعبير له بقوة برأيهـا في المستوطنات وتفسيرها للقرار ٢٤٢ ، وعلى ضرورة حل المشكلة الفلسطينية من جميع وجوهها .

د ــ بعد انتهاء زيارة رئيس الـوزراء الاسرائيلي لواشنطن ستقدم مصر ورقة للولايات المتحدة تتضمن رأيها في حل المشكلة الفلسطينية وكما اتفق عليه في كامب ديفيد ، ستحتوي هذه الورقة على أقصى المطالب الخاصة بالضفة الغربية بما في ذلك القدس وغزة ومطالب الأمن المتبادل . ومن الممكن أن تتضمن الورقة كذلك استعداد مصر لبذل مساعيها لاقامة رابطة رسمية ومعلنة بين الأردن والضفة الغربية وغزة وستقوم مصر والولايات المتحدة ببحث إمكانية أن تكون هذه الورقة اقتراحا مصريا أردنيا .

هـ ــ وبعد الرفض المتوقع من قبل اسرائيل للورقة المصرية الخاصة بالضفة الغربية وغزة ستتقدم الولايات المتحدة بآرائها واقتراحاتها ومن المأمول أن الولايات المتحدة ستتشاور مع مصر قبل التقدم رسميا بمقترحاتها إلى الأطراف المعنية .

٢ ــ وتتوقع مصر

أ ــ أن خط السير هذا لن يؤخر جهودا جادة للتوصل إلى اتفاق على اعلان المبادىء في أقرب وقت .

ب ــ ان الولايات المتحدة سوف تقنع اسرائيل بالتخلي

عن مطلبها في الاحتفاظ بالمستوطنات والمطارات التي أقامتها في سيناء .

جـ ـ ان الولايات المتحدة ستعمل على التوصل إلى اتفاقية خاصة بسيناء في أقرب وقت . وهذه الاتفاقية المؤسسة على احترام سياسة مصر ووحدة أراضيها ستوقع في تاريخ لاحق على ضوء التقدم الذي يتم على الجبهات الأخرى أو على ضوء رفض طرف عربي التفاوض رغم الاتفاق على اعلان المبادىء .

د ـ أن ترد الولايات المتحدة ايجابيا على طلب مصر شراء أسلحة أمريكية .

ورقة الحل المنفرد ..

وأعود إلى الورقة التي أعدها المهندس سيد مرعي والمستر برجنسكي مستشار الرئيس الأمريكي للأمن القومي والتي أسماها « استراتيجية للأسابيع القادمة » .

ان نظرة فاحصة لمضمون هذه الورقة توضح بجلاء أنها ترسم الطريق إلى الحل المنفرد بين مصر واسرائيل تحت ستار واه من العبارات والشعارات ، ولا يستطيع أحد الادعاء بأن أيا من المهندس سيد مرعي أو المستر برجنسكي يتميز بالسذاجة ، فليس من شك في أن هذا الهدف كان محور تفاهمهما صراحة أو ضمنا .

وقد أثارت هذه الواقعة قلقي واهتمامي من زاويتين :

الاولى : وهى الأقل شأنا هى أنها تثير الريب والشكوك حول تمسك الجانب الأمريكي بالالتزامات التي تعهد بها في السيناريو الذي اتفق عليه في جلسة المباحثات بكامب ديفيد . لقد كان برجنسكي نفسه هو واضع هذا السيناريو فما باله وهو يتباحث مع المهندس سيد مرعي ـ عند اعداد هذه الاستراتيجية ـ فما باله يغض النظر عن كل ما اقترحه « في السيناريو » الذي لم يجف مداده بعد . ألا يعني ذلك أن الجانب الأمريكي لو تصيد تساهلات أو

تخاذلات من جانب مصر سيسارع باستغلالها لتحقيق تسوية سهلة سريعة بصرف النظر عن عواقبها بالنسبة لمصر والعالم العربي ويدق لها الطبول ، باعتبارها خطوة نحو الحل الشامل ستتبعها خطوات على نحو ما كان يقوم به كيسنجر. أليس ذلك في أقل القليل بالون اختبار أو محاولة لعجم عود مصر ؟

ولم أجد غرابة مثيرة في ذلك فلم يكن غائبا عني أنه يجب أن نأخذ جانب الحذر الدائم تجاه الولايات المتحدة على ضوء علاقاتها الخاصة باسرائيل من ناحية وعلى ضوء أولوياتها كدولة عظمى من الناحية الثانية ، كان علينا فقط ألا نتزحزح عن مطالبنا وحقوقنا ونحن نعمل على تعزيز مواقفنا .وكان من الواضح لي أن الغرض من التحرك الأمريكي الذي وعدوا به في السيناريو على تواضعه ، إنما اضطروا إليه أمام الموقف الحازم الذي اتخذه السادات مهددا بقطع المفاوضات مع اسرائيل .

أما الناحية الثانية التي أفزعتني فكانت ما يرمز إليه موقف المهندس سيد مرعي في لقائه مع برجنسكي .كان ذلك مصيبة لا أملك حيالها دفاعا ولا أستطيع لها علاجا حيث أن الخطر كان يترعرع داخلنا نحن . كانت بذوره كامنة فينا .

كان المهندس سيد مرعي مقتنعا بخطورة أن يطول أمد الاحتلال الاسرائيلي لسيناء بعد أن اتخذ طابع الاستيطان الاسرائيلي التقليدي بانشاء العديد من المستوطنات في رفح والعريش وأنحاء أخرى من سيناء وقد ضاعف من مخاوفه ما أعلنته اسرائيل من عزمها على تكثيف المستوطنات وإقامة مستوطنات جديدة في سيناء بعد اجتماع الاسماعيلية وقبل اجتماع اللجنة السياسية في القدس والحق أنه لم يكن يخفي ذلك فقد شرح وجهة نظره في اجتماع مجلس الأمن القومي قبل سفر الوفد المصري في اللجنة السياسية للقدس كما رددها في بعض أحاديثه معي ، ولم يكن هذا يعني عدم اهتمامه

بمصير سائر الأطراف العربية من ضحايا العدوان الاسرائيلي ، وإنما كان يعني ببساطة أنه الجانب الأولى بالنسبة لمصر .. وأنه إذا فقدت مصر سيناء من جراء تشعب جذور المستوطنات الاسرائيلية فيها فان ذلك بالتالي يضعف فاعلية مصر ـ كبرى الدول العربية ـ مستقبلا في مساندة العالم العربي في حل سائر أوجه المشكلة .

وكنت ومازلت أرى غير ذلك وأعتقد أن مستقبل مصر المفتوح الآفاق في هذه البقعة من العالم مرتهن بتسوية النزاع العربي الاسرائيلي ، تسوية شاملة متكاملة تحقق السلام والاستقرار في المنطقة . وأن مكانتها ورخاءها وازدهارها لن تصل إلى القمة إلا وهي في عقد عالم عربي متضامن ومتعاون تنتمي إليه بأوثق الروابط .. ويملك امكانيات هائلة وهو مجالها المؤثر . وعلى العكس فان انزلاقها إلى حل منفرد سيؤدي إلى وقوعها فريسة لاضمحلال وتدهور أدبي ومادي ومعنوي لا قرار له . وندخل في زمرة الدول ممسوخة الوجه التي لا تقدم ولا تؤخر وتصبح ترسا في آلة الولايات المتحدة الضخمة تسخرها وتوجهها حسبما تشاء .. ولم تخلق مصر من أجل ذلك .

ولم تكن الخطورة في رأي سيد مرعي المنفرد ـ صحيح أنه رئيس مجلس الشعب وهو بحكم صداقته للرئيس السادات ومصاهرته له واتصاله اللصيق به وما يتمتع به من شخصية يمكن أن يؤثر على السادات ـ ولكن الخطورة في أن رأيه كان يعكس جانبا كبيرا من الرأي العام المصري لسبب أو لآخر . وقد حلل الأستاذ محمد حسنين هيكل أسباب هذه الظاهرة في كتابه « حديث المبادرة » وأنا أنقل عنه « ان عروبة مصر حقيقة علمية ، ومصلحة مصر العربية حقيقة علمية ثانية وأمن مصر حقيقة علمية ثالثة ، ولكننا اتفقنا على أن الحقائق السياسية تكون أحيانا نقيضا مع الحقائق العلمية . ومن الحقائق السياسية في مصر ـ وهذه مسألة لابد من الاعتراف بها ـ

ان انتماء مصر العربي لم يعمق بعد بالقدر الكافي بين الجماهير المصرية لأسباب متعددة سبق لي في سلسلة سابقة من هذه الأحاديث أن أشرت إليها :

قلت : ان مصر أقدم دولة في التاريخ وذلك يخلق خلطا بين مفهوم الدولة ومفهوم الأمة فيها ، وقلت : ان الفكر والعقل السياسي المصري أخذا قضية انتماء مصر العربي أمرا مفروغا منه وبالتالي فان أحدا لم يبذل جهدا كافيا لتأصيله . وقلت : ان وحدة الأمن العربي ليست واضحة في اليقين المصري بالدرجة الواجبة ، وكذلك وحدة المصلحة العربية . ومن محصلة ذلك كله أن الفكرة العربية في مصر تكون معرضة لدعاوى من نوع « مصر وحدها » أو « مصر أولا » أو ما شابه ذلك وكلها دعاوى يسهل ترويجها والارتكان عليها بنجاح في بعض الأحيان ـ بقصد تعطيل التفاعلات الضرورية بين الشعب على ضفتي النهر وبين الأمة من المحيط إلى الخليج .

وقد ساعد على اشعال وجهة النظر هذه الخطابات والتصريحات المفرطة في التفاؤل التي تؤكد أن السلام على الأبواب بما يستتبعه من نهاية الحروب وويلاتها وموت للآباء والأبناء وثكل للأمهات وأن أبواب الرخاء قد فتحت على مصراعيها وأن جنة الرفاهية أصبحت دانية قطوفها ..

وكانت هذه مشكلة اضافية بالنسبة لي تتطلب مني جهدا لمحاولة معادلة تأثير بعض المحيطين بالسادات أو المتصلين به وموازنتها بالرأي الآخر .. لا أعني رأيي الشخصي بل الرأي المدعوم بدراسة وتحليل أجهزة وزارة الخارجية . وفكرت أن أعالج هذه المشكلة بزيادة الاتصال بالسادات لتحصينه قدر امكاني إلا أن ذلك لم يكن سهلا فمن ناحية كانت أعباء عملي ثقيلة ، ومن ناحية أخرى كانت صحتي ليست على ما يرام ، ومن ناحية ثالثة لم يكن دور الواعظ سهلا أو محبوبا بالاضافة إلى أن السادات كان بعيد المنال ما

بين استراحات القناطر والاسماعيلية وكنج مريوط إلى آخره »

بيان البيت الأبيض :

وفي ختام الزيارة صدر بيان لا بأس به من البيت الأبيض يوم ٨ فبراير (شباط) سنة ١٩٧٨ يؤكد :

١ ـ ان قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ينطبق على جميع الجبهات .

٢ ـ ان القضية الفلسطينية يجب حلها من جميع وجوهها وان يتضمن الحل الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وتمكينه من المشاركة في تقرير مصيره (صيغة أسوان) .

٣ ـ ان المستوطنات مخالفة للقانون الدولي وغير شرعية .

كما صدر بيان صحفي عن اجتماعات الرئيسين كارتر والسادات في كامب ديفيد في المدة من ٣ إلى ٥ فبراير (شباط) تضمن اهتمام الرئيسين باستمرار المباحثات التي بدأت منذ شهور والتزام الرئيس كارتر بدور ايجابي في البحث عن السلام ومضاعفة جهوده بضمان تحقيق تقدم في الأسابيع التالية كذلك أشار البيان إلى اتفاق الرئيسين على عودة مساعد وزير الخارجية أثرتون إلى الشرق الأوسط في المستقبل القريب لاستكمال السعي نحو التوصل إلى اتفاق على إعلان المبادىء .

وكان بيان البيت الأبيض والبيان الصحفي المذكور تنفيذا للبندين أ ، ب من السيناريو الذي تم الاتفاق عليه في المحادثات .

وفي ١٠ فبراير (شباط) عقد سيروس فانس وزير الخارجية مؤتمرا صحفيا هاجم فيه بشدة سياسة المستوطنات الاسرائيلية وقال : « إننا أعلنا عن اعتقادنا بأن كل المستوطنات مخالفة للقانون الدولي ولهذا السبب يجب أن تزول » كذلك أعلن فانس في المؤتمر الصحفي : « ان أراضي الضفة الغربية وغزة يجب أن تصبح الوطن القومي للفلسطينيين مع رابطة بالأردن » .

وثارت ثائرة اسرائيل وأصدر مجلس وزرائها بيانا هاجم فيه

فكرة الوطن القومي للفلسطينيين التي ستؤدي إلى دولة فلسطينية تحكمها المنظمات الارهابية تهدد اسرائيل بالفناء ، أما مشروعات الاستيطان فان الحكومة الاسرائيلية تصر على أنها لا تتعارض مع القانون الدولي وأنها كانت دائما وستبقى شرعية وضرورية » .

وهرع موشي ديان إلى الولايات المتحدة في جولة تستهدف مسح ما قد يكون السادات قد سجله أثناء رحلته وإثارة حمية المنظمات اليهودية الأمريكية لممارسة ضغوطها الحميدة على الادارة الأمريكية .

الفصل الثالث عشر

سلاطة أوروبية

في الطائرة من واشنطن إلى لندن ـ أول محطة في رحلة لزيارة سبع دول ـ كان السادات مغتبطا وفخورا ومتفائلا بما أسفرت عنه زيارته للولايات المتحدة ومن ناحيتي كنت راضيا عما تحقق وشعرت أني استفدت خبرة جديدة بالتعرف الشخصي على أغلب المجموعة الأمريكية التي تتولى معالجة قضية الشرق الأوسط وطريقة التعامل معهم . كذلك تأكد لي من واقع المناقشات مدى قوة النفوذ اليهودي في واشنطن . إلا أنه على الجانب الآخر فقد أوضحت لي الزيارة أننا كسبنا أرضية داخل الولايات المتحدة كانت غائبة وتتمثل في بدء تفهم قطاع كبير من الرأي العام الأمريكي لحقائق النزاع العربي الاسرائيلي والالمام بدرجة أو بأخرى بعدالة ومعقولية المطالب العربية وهو ماكان خافيا وراء شعار الدعايات الاسرائيلية والمنظمات اليهودية الحالك . وقدرت أنها بداية طيبة يجب أن نعمل على موالاة رعايتها واستثمارها .

في العاشرة من صباح اليوم التالي وصلنا إلى مطار « هيثرو » بالقرب من لندن حيث كان في استقبالنا رئيس الوزراء كالاهان و« دافيد أوين » وزير الخارجية . وتمت المحادثات في بعض قاعات المطار . وأثناء اجتماع الرئيس السادات بالمستر كالاهان اجتمعت بوزير الخارجية أوين وكان شابا وسيما إلا أنه بعد ربع ساعة من الحديث معه أثار حنقي عليه فقد كان مدار حديثه المستوطنات الاسرائيلية وأهمية التوصل إلى صياغة لاحتفاظ اسرائيل بها في سيناء بشكل أو بآخر .

ورددت عليه ببساطة لماذا ؟ فشرع يلف ويدور وفهمت في النهاية أنه كان يخشى أن تؤدي إزالة المستوطنات الاسرائيلية في سيناء إلى أن تصبح سابقة لازالة المستوطنات الاسرائيلية في الضفة الغربية وغزة وهو ماكان يراه صعبا من الناحية العملية وقاسيا من الناحية الانسانية ووجدت هذا المنطق يعكس تفرقة عنصرية . وماذا عن الناحية الانسانية للفلسطينيين أصحاب الأرض وأفهمته أن الانجليز آخر من يحق لهم الكلام في مثل ذلك فعلى بلاده تقع المسؤولية الأولى للمأساة التي حاقت بالشعب الفلسطيني منذ وعد بلفور ومن جراء سياساتها الملتوية أثناء الانتداب البريطاني على فلسطين ..

ومن لندن سافرنا إلى هامبورج حيث كان المستشار هلموت شميت – وهي محل ميلاده – ينزل بها للاشتراك في مؤتمر الاشتراكية الدولية الذي كان منعقدا فيها . وكانت المانيا قد تحررت مؤخرا من قبضة اسرائيل بعد سنوات طويلة ظلت فيها البقرة الحلوب لاسرائيل تحت سيطرة « عقدة الذنب » واستنزفت منها بلايين الماركات كتعويضات عن ضحايا النازية في عهد هتلر .. ومن العجيب أن دولة اسرائيل لم يكن لها أي وجود في ذلك الوقت ، إذ لم تقم إلا في عام ١٩٤٨ .

كانت ألمانيا تلعب دورا نشيطا داخل المجموعة الأوروبية سعيا وراء سلام شامل في الشرق الأوسط يحقق استقرارا يضمن استمرار امدادها بالبترول الحيوي لصناعتها وتعاملها التجاري مع دوله الغنية . كذلك كانت ألمانيا من أخلص المؤيدين لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره حيث كانت تتطلع ليوم يمارس فيه شعب ألمانيا الديمقراطية الشقيق حق تقرير المصير .

وقد اجتمع الرئيس السادات مع المستشار شميت بينما اجتمعت أنا مع وزير الخارجية « جنشر » الذي كانت تربطني به علاقة طيبة منذ كنت سفيرا لمصر في بلاده ، وأحطته بالتطورات التي طرأت منذ اجتماع الاسماعيلية ثم اجتماع اللجنة السياسية في

القدس ، وما حدث في زيارتنا للولايات المتحدة دون اشارة إلى السيناريو الذي اتفق عليه بطبيعة الحال .

ومن هامبورج طرنا إلى ميونيخ عاصمة اقليم بافاريا ومنها سافر الرئيس السادات إلى قرية برخشادين الجميلة على جبال الألب لقضاء يوم في الراحة ، وبقينا في انتظاره في ميونيخ إلى حين عودته للسفر إلى سالزبورج بالنمسا .

عزيزي السيد العمدة ..

في تلك الأثناء تذكرت واقعة حدثت قبل ذلك بعامين عندما زار الرئيس السادات ألمانيا وكنت سفيرا لمصر لديها ـ وشمل البرنامج زيارة بافاريا ، وقد سافرنا من بون إلى ميونيخ بقطار خاص في حراسة مشددة اشتركت فيها طائرات الهليكوبتر وسيارات البوليس طوال المسافة .

في محطة ميونيخ كان ينتظرنا استقبال رسمي حيث اصطف طابور شرف من البوليس البافاري وصدحت الموسيقى بالألحان البافاريه وتقدم رئيس وزراء بافاريا وصافح الرئيس وقدم له كبار المستقبلين ومنهم العمدة ثم صحبه إلى السيارة وركب معه متوجها إلى قصر رئاسة الوزراء البافارية حيث أعد له حفل استقبال يحضره علية القوم .

كان برنامج الزيارة يتضمن بعد زيارة مقر الرئاسة زيارة العمدة في قصر بلدية ميونخ التاريخي الرائع .. وكانت قد أعدت خطبتان ليلقيهما الرئيس السادات في مناسبتين مختلفتين وأعدت الفقرة الأولى في كلتا الخطبتين باللغة الألمانية بناء على تعليمات الرئيس ، وكان سكرتير الرئيس الخاص « فوزي عبد الحافظ » هو المكلف بحمل أوراق الرئيس ونظارته وغليونه .

وفي مقر رئاسة الوزراء انتهى رئيس الوزراء من خطاب

الترحيب بالرئيس وترك له المنصة .. تقدم الرئيس السادات ومن ورائه سكرتيره الخاص الذي سلمه النظارة والخطبة التي سيلقيها . كانت القاعة قد سادها سكون عميق بعد انتهاء التصفيق في انتظار سماع خطاب الرئيس .

كان مدير المراسم الألماني يقف بجواري عندما انطلق صوت الرئيس السادات الموسيقي العميق وهو يلقي خطابه قائلا : « عزيزي السيد العمدة » نظر إلي مدير المراسم وهو منزعج إلا أنه لم يكن هناك ما يمكن عمله بينما استمر السادات في خطابه إلى نهايته دون أن يشعر بشئ غير عادي وانطلق في نهايته تصفيق مهذب !!

لقد قدم فوزي عبد الحافظ ــ بطريق الخطأ ــ للرئيس الخطاب غير المناسب ولم يفطن الرئيس للأمر ، فقد ألقى الخطاب الذي كان مفروضا أن يلقيه .. ترحيبا بالعمدة أمام رئيس الوزراء .

بيريز في سالزبورج ..

في سالزبورج استقبلنا المستشار كرايسكي في المطار ، وتوجهنا إلى أحد القصور الأثرية حيث كان مقررا أن تجرى المباحثات . واجتمع الرئيس السادات بكرايسكي على انفراد بينما اجتمعت بوزير الخارجية « بار » الذي لم يخف تشاؤمه من نجاح المبادرة رغم أن تعاطفه مع القضية الفلسطينية ومنظمة التحرير كان واضحا وصريحا ، أساسه الاقتناع بعدالة حقوقهم وتقديره لمأساتهم الانسانية المؤثرة . وقد ارتحت لذلك وتوطدت بيننا علاقة تقدير وتفاهم .

وكان كرايسكي نفسه ــ وهو يهودي ــ يتخذ موقفا واضحا في تأييد القضية الفلسطينية وينتقد مواقف اسرائيل الجامدة المتعنتة ويهاجم سياسة بيجن الذي تقاعس عن التجاوب مع مبادرة السلام .

كذلك كان كرايسكي قد رتب لقاء للرئيس السادات مع شيمون

بيريز رئيس حزب العمل الاسرائيلي والذي قدم من هامبورج خصيصا حيث كان يرأس الوفد الاسرائيلي في مؤتمر الاشتراكية الدولية .

بعد اجتماع بيريز مع السادات الذي امتد لأكثر من ساعتين طلب بيريز مقابلتي . وقد بدأ الحديث بإعرابه عن الاعجاب بالرئيس السادات وشجاعته وأمله في أن يتحقق السلام ثم ما لبث أن انتقل إلى الحديث عن المستوطنات فقال ـ وكأنه يريد أن يكسب ودي ـ أنه لا يوافق على انشاء مستوطنات جديدة في سيناء . وأجبته بأنه لا يعنيني كثيرا مستوطناتهم القديمة أو الجديدة في سيناء فمصيرها الزوال على أي حال ، ولكن ماذا عن المستوطنات الجديدة التي تقيمونها في الضفة الغربية وغزة فقال مندهشا : وماذا في ذلك إن من حقنا الاستيطان في أي مكان وهذه مستوطنات مدنية يعيش فيها اليهود ويكدون ويكدحون لكسب رزقهم قلت : إن ذلك جائز في أرض لا صاحب لها ولكن هذه أرض الشعب الفلسطيني . فقال ومع من تتكلم ؟ فقلت : هأنذا أكلمك وأرجو أن تعمل على وقف بناء المستوطنات في الأرض الفلسطينية إلى أن تتفاوضوا مع ممثلي الشعب الفلسطيني وهم الذين يقررون الموافقة أو الرفض على انشاء المستوطنات .. وهنا حضر الضابط المكلف بحراستي وأبلغني بالاسراع إلى الخارج حيث يتأهب الرئيس السادات لركوب السيارة للذهاب إلى المطار فقمت وصافحت بيريز الذي كان يحدق في وجهي بنظرة ملؤها الاندهاش والتعجب ولم أفهم سر هذه النظرة التي طغت على أسارير وجهه إلا بعدها بشهور . كان سر دهشته أنه سمع وزير خارجية السادات يتكلم معه على وتر يخالف الوتر الذي تكلم عليه الرئيس السادات معه منذ أقل من ثلث ساعة .

بيان روماني مشترك ..

كانت الرحلة إلى رومانيا شاقة ومرهقة فبعد أن قطعت الطائرة نصف المسافة تقريبا تلقت رسائل بتعذر هبوطها في مطار

بوخارست ، حيث كانت هناك عواصف شديدة واستحالة في الرؤية ، وبالتالي الهبوط في الظلام وتقرر بعد مشاورة الرئيس السادات أن تتوجه الطائرة إلى باريس لقضاء الليل فيها ثم معاودة السفر إلى رومانيا في الصباح إلا أنه في منتصف الطريق إلى فرنسا تلقت الطائرة رسالة جديدة تفيد بأنه يمكن لها الهبوط في أحد المطارات التي تبعد نحو ١٢٠ كيلو مترا عن بوخارست وغيرت الطائرة وجهتها من جديد ووصلنا إلى المطار المذكور ــ بعد أن خيم الليل ــ وهو مطار عسكري . وكان قائد المطار في استقبالنا وكذلك مدير المراسم الروماني وركبنا السيارات التي كانت معدة لنا إلا أنها كانت قليلة فركب باقي المرافقين للوفد سيارتي أوتوبيس وكان السادات يصطحب معه في سفرياته عددا ضخما من المعاونين والمرافقين والحرس يزيد على المائة مما كان يسبب دائما مشاكل صغيرة متعددة ومتنوعة حيثما حلوا ــ وتحركت قافلة السيارات ببطء شديد وسط ضباب وشبورة والثلوج تغطي الأرض ووصلنا بوخارست بعد منتصف الليل وتوجهنا إلى مقر الضيافة وكان الرئيس شاوشيسكو في انتظارنا مع كبار معاونيه وقد أصابه القلق لتأخر وصول الوفد .

وتوجه الرئيس السادات إلى جناحه وتوجهنا إلى قاعة الطعام حيث تناولنا عشاء فاخرا .

وكان الرئيس شاوشيسكو يتمتع بمنزلة خاصة لدى الرئيس السادات حيث كان يعتبر نفسه مدينا له بالخطوة التي قرر على أثرها القيام بمبادرته عندما رد بالايجاب على سؤالي الرئيس له في زيارة سابقة وهما : هل بيجن رجل قوي وهل هو قادر على اتخاذ قرار السلام ؟

وأذكر أن الرئيس اليوغوسلافي تيتو كان قد أرسل خطابا إلى الرئيس السادات يسترعي نظره إلى الأضرار التي حاقت بالمعسكر العربي وإلى جمود الموقف الاسرائيلي وسعيه لضم الأرض قبل كل

شئ ، وكنا قد أعددنا ردا من الرئيس على خطاب تيتو إلا أنه ماطل في التوقيع عليه وألححت عليه في التوقيع قائلا : إن الرئيس تيتو غاضب بما فيه الكفاية بسبب المبادرة ولا داعي لأن نرش الملح على الجرح بالتأخير في الرد على خطابه ، خاصة وأنه كان دائما من الركائز القوية في مساندة القضية العربية وتبناها بكل قوة واقتناع وايجابية ، فوقع الرئيس أخيرا الخطاب وهو يقول « الحق معك .. أصل الرئيس تيتو يشعر بالغيرة لأني لجأت إلى شاوشيسكو دونه » !!

وجرت مباحثات ثنائية بين السادات وشاوشيسكو أما أنا فكان من نصيبي التحدث مع وزير خارجيته . وكان حديثا طويلا أملني . فقد كان وزير الخارجية يتحاشى الخروج في حديثه بشأن النزاع العربي الاسرائيلي عن إطار ترديد موقف رومانيا المعلن ، وهو موقف مؤيد للموقف العربي فيما يتعلق بالانسحاب من كل الأراضي وحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة وأحسست أن السبب هو الحرص على عدم الادلاء برأي يدين أو يؤيد أي طرف وأن السبب في ذلك يرجع إلى إستئثار الرئيس والزعيم شاوشيسكو بهذا الموضوع وذكرني ذلك بمواقف بعض الكبار والوزراء والسفراء عندنا الذين يؤثرون ترديد ما يقال لهم أو يسمعونه دون زيادة أو نقصان وكأن ما يرد على لسان « الزعيم » أو يدور في فكره هو نصوص مقدسة ــ ثم انتقل الحديث إلى العلاقات الثنائية بين مصر ورومانيا في شتى مجالاتها وكانت علاقات رومانيا بنا نشطة في المجال التجاري وفي التصنيع إلا أن ذلك الحديث لم يكن يستهويني ولم تكن قد اتيحت لي الفرصة ولا الرغبة في دراسة العلاقات الرومانية المصرية الثنائية .

وانتهت المحادثات المصرية الرومانية إلى اصدار بيان مشترك سجل من جديد الموقف الروماني من التسوية السلمية وعزم رومانيا على بذل الجهود لانجاز هذه التسوية وتحقيق السلام .. وكان أكثر ما أسعدني أن أصر الرئيس شاوشيسكو على الاشارة فيه إلى أن تنتهي

المباحثات بين مصر واسرائيل إلى مؤتمر جنيف للسلام كما تضمن الترحيب بدعوة السكرتير العام للأمم المتحدة فالدهايم لاجتماع الأطراف في الأمم المتحدة كخطوة تمهيدية لمؤتمر جنيف . وكنت أرى أن ذلك مهم كمخرج في حالة فشل المباحثات أو نجاحها بما يسمح باشتراك الأطراف العربية الأخرى في حضور الدولتين العظميين وفي دفء اطار الأمم المتحدة ، بينما كان الرئيس السادات تداعبه رغبة مكبوتة بأن ينسب نجاح مباحثات السلام إلى مؤتمر القاهـرة التحضيري الذي دعا إليه الأطراف ولم يحضره إلا مصر واسرائيل والولايات المتحدة .

تشاؤم فرنسي ..

ومن بوخارست طرنا في ظهر اليوم التالي إلى باريس وكانت الثلوج تغطي مبانيها وأشجارها وتكسوها بحلة جميلة ناصعة البياض المشوب بالخضرة ونـزل الـرئيس الســادات في قصر « مارينيه » الذي كان مملوكا في السابق لعائلة روتشيلد ، ونزلنا في أوتيل كريلون .

وفي المساء تناول الرئيس السادات العشاء مع الرئيس جيسكار ديستان واستمرت المباحثات بينهما بعده .. أما أنا فدعاني سفيرنا في باريس حافظ اسماعيل إلى عشاء بمقر إقامته دعا إليه سكرتير عام الخارجية الفرنسية وموظفيها المختصين بمصر والشرق الأوسط . وكان وزير الخارجية مسيو دي جرينجو وقتها في نيويورك للمشاركة في اجتماعات الدول الخمس (انجلترا وفرنسا والمانيا الاتحاديـة والولايات المتحدة وكندا) الخاصة بناميبيا .

وكان السفير حافظ اسماعيل قد نقل من الجيش وكيلا لوزارة الخارجية في سنة ١٩٦١ وكنت وقتها قنصلاً عاما في مونتريال . ثم عين وزير دولة للشؤون الخارجية إلى أن اختاره الرئيس السادات مستشارا للأمن القومي وقد سافر إلى واشنطن حيث اجتمع بهنري

كيسنجر مستشار الأمن القومي للرئيس نيكسون وقتها لتحسس الموقف الأمريكي بشأن النزاع العربي الاسرائيلي قبل حرب أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٣ . وكانت علاقتنا الدبلوماسية بالولايات المتحدة مازالت مقطوعة وكان حافظ اسماعيل رجلا جادا لا يخطىء الناظر إليه تكوينه العسكري ويتميز بنظراته الاستراتيجية الشمولية والدقة والمقدرة التنظيمية وكانت ملامحه الصارمة تخفي وراءها طبيعة رقيقة وصريحة خارج اطار العمل وكنت ومازلت أكن له مودة وتقديرا واحتراما .

ودار الحديث في العشاء حول مبادرة الرئيس السادات والتطورات التي تلتها وكان الجانب الفرنسي لا يشعر بالتفاؤل بل ويشعر بالتشاؤم بالنظر إلى جمود حكومة بيجن واستبعادهم لاقدامها على تنازلات تتفق مع ما كنا نستهدفه بفتح الطريق إلى حل شامل ودائم . ومن الناحية الثانية فقد أثار قلقهم الشديد الفرقة التي حاقت بالعالم العربي نتيجة لمبادرة السادات والتي أوقعت فرنسا في شئ من الحرج إزاء تعاملاتها الواسعة في المنطقة التي تموج بالثراء والامكانيات والتي نشطت باطراد سريع بعد تولي الرئيس ديجول للرئاسة في فرنسا ، واتخاذه سياسة مغايرة تماما لسياساتها السابقة التي كانت تتربص لضرب مصر واسقاط حكم الرئيس عبد الناصر نظرا للمساعدات والمعونات الفعالة التي كانت تقدمها مصر لمساندة الثورة الجزائرية على الاستعمار الفرنسي . وقد انزلقت فرنسا وقتها إلى الحد الذي حدا بها إلى الاشتراك مع انجلترا واسرائيل في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ .

ثم انتقل الحديث إلى افريقيا وكان الاتحاد السوفيتي قد حقق نجاحا كبيرا في انجولا وفي اثيوبيا بعد أن فقد قاعدته في الصومال واشتعل الموقف في منطقة القرن الافريقي .

أثار نجاح الاتحاد السوفيتي والذي كان من دعائمه تأييده لحركة التحرر الافريقية وموقفه الواضح من السياسات العنصرية

التي كانت تلهب العصب الحساس لدى الأفارقة ثائرة الرئيس السادات الذي اندفع يمارس خطا قوامه ملاحقة الاتحاد السوفيتي في افريقيا ومساندة بعض النظم الحاكمة المتداعية والتي تسير في ركاب العالم الغربي إلى حد التدخل في شؤونها الداخلية ومساندتها بالعتاد والسلاح وبالمستشارين العسكريـين المصريـين في بعض الحالات دون أن يلقي بالا لأسباب ما تعانيه شعوب هذه الدول من مصاعب كان محورها في الغالب الفساد المستشري والظلم والجوع والفاقة .

قرارات منفردة ..

حاولت مع السادات مرارا في ذلك الأمر وأوضحت له أن من شأن ذلك أن تهتز صورتنا في أفريقيا ويتأثر المركز الممتاز والاحترام الكبير لمصر فيها .. والذي حققته من جراء اتباعها سياسة مستقرة متصلة تقوم على مساعدة حركات التحرر الافريقية ومحاربة التفرقة العنصرية في ربوعها .. إلا أن ذلك كان عبثا « فقد كان يتخذ قرارات ويقدم على خطوات تقوم أجهزة أخرى في الدولة بتنفيذها دون أن يحيطني بها علما » .

وفهمت فيما بعد أنه كان يسعى إلى استثمار سياساته هذه لدى الغرب عامة والولايات المتحدة خاصة للحصول على تأييدها له سواء في مبادرته أو غيرها .. ولتعتمده رجل بوليسها في أفريقيا بما ظن أنه يدعم مركزه لديها .

وكان الرئيس السادات هو العامل الفعال في اقناع سياد بري بالهروب من جحيم الاتحاد السوفيتي والدخول في نعيم الغرب ، وقد زوده السادات ببعض الأسلحة السوفيتية التي كانت تملكها مصر وتولت السعودية دفع ثمنها وكان لسياد بري تطلعات لاقامة الصومال الكبرى بضم بعض الأقاليم الاثيوبية والكينية (وايرزبا) .

وقد انتهز فرصة الانقلاب الذي قام به منجستو في اثيوبيا

وتسرع في غزو اقليم الاوجادين سعيا وراء ضمه إلى الصومال . ويبدو أنه وقع في ظن أن تحوله عن الاتحاد السوفيتي واخلاءه للقاعدة السوفيتية في الصومال يخوله الحق في الحصول من الغرب على معونات وأسلحة تدعمه في تحقيق أماله التوسعية .

إلا أن الأمر لم يكن بهذه البساطة فقد كان من مبادىء منظمة الوحدة الافريقية مبدأ احترام الحقوق القائمة وكان موقف سياد بري يثير قلق باقي الدول الافريقية الشديد ، كما كانت أطماعه تشمل اقتطاع أجزاء من كينيا وهى دولة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالغرب .

وقد علق الغرب تزويد سياد بري بالسلاح على التزامه بعدم التعدي على أراضي الغير واعلان ذلك إلا أنه كان يرفض ذلك وقد حاولت اقناع وزير خارجيته بأن يعلن أن الصومال ليس لها أطماع اقليمية ولكن بدون جدوى ، إذ كان إعلان ذلك كما افهمني يعد خيانة لآمال الشعب الصومالي ـ بمن فيه سكان اقليم الاوجادين ـ ومؤداه سقوط سياد بري ونظامه .

وذكر لي سكرتير عام الخارجية الفرنسية : أن وزير الخارجية « جيرنجو » طلب منه ابلاغي أن الرئيس كارتر سيوفد مبعوثا يوم ١٣ فبراير (شباط) اليوم التالي إلى أديس أبابا يحمل رسالة للرئيس منجستو فحواها أنه ـ أي منجستو ـ يقف على الخط الفاصل ويكاد يصل إلى نقطة اللا عودة ، وأن عليه أن يختار فاما أن يستمر في تلقي المعونات العسكرية من الكتلة الشرقية وفي هذه الحالة سيصعب على الولايات المتحدة أن تستمر طويلا في سياسة الترقب والانتظار ، وإما أن يتبع سياسة أكثر تعقلا وفي هذه الحالة من الممكن أن تتخذ واشنطن خطوات ايجابية . كذلك أبلغني أن الدول الخمس استقر رأيها على عرض مشكلة القرن الأفريقي على مجلس الأمن إلا أن ذلك يستدعي أن يصدر الرئيس زياد بري تصريحا بأنه ليست له أطماع اقليمية .. حتى إذا اقترن هذا التصريح بمطالبته بحق تقرير المصير

للأوجادين وأنه إذا صدر مثل هذا التصريح فان الدول الخمس مستعدة للذهاب فورا إلى مجلس الأمن لمطالبة جميع الدول بالتوقف عن التدخل وارسال الأسلحة . أما إذا عرض الأمر على مجلس الأمن دون اعلان هذا التصريح فانه لن يتوصل إلى أية نتيجة خاصة وأن الصومال تبدو كدولة معتدية لأن قواتها هى التي عبرت الحدود مما يتيح للسوفيت الادعاء بأنهم يساهمون في الدفاع عن اثيوبيا بوصفها ضحية للعدوان .

نصائح مهمة ..

وبعد انصراف المدعوين أمضيت وقتا طويلا مع السفير حافظ اسماعيل نناقش مسائل مختلفة حول الموقف الراهن وكانت له نصائح وآراء أوليها كل الاعتبار واتفقت معه ـ وكان سفيرا لمصر في موسكو في السابق ـ على أن يؤيدني فيما ألح فيه على السادات كي يوافق على عودة السفير المصري إلى موسكو .

وفي اليوم التالي توجهت والسفير إلى قصر « مارينيه » وقد شاهدنا جانبا من اجتماع الرئيس السادات بوفد زعماء اليهود الأوروبيين برئاسة ناحوم جولدمان رئيس المجلس اليهودي العالمي . وكان جولدمان يختلف مع بيجن لخشيته من أن تؤدي مواقف بيجن المتصلبة والاستفزازية إلى أن تفقد اسرائيل مع الوقت تعاطف الرأي العام الدولي وبالذات في الولايات المتحدة الأمريكية وقد قام أعضاء الوفد كل بدوره بامتداح الرئيس السادات وشجاعته واخلاصه في السعي نحو السلام وألحوا إلى استعدادهم للقيام باستثمارات هائلة في مصر ، وكانوا يرددون له النصح بألا يفقد الصبر وأن يعطي مناحم بيجن فسحة من الزمن لأن مواقفه ستتحول إلى المرونة ولكن ببطء وأنهم سيعملون على ذلك ، وكانوا يشيرون إلى أن أية تنازلات يقدمها بيجن سيتقبلها الشعب الاسرائيلي عن طيب خاطر وهو ما لا ينطبق على غيره .

تركت الرئيس السادات في باريس وهو يتأهب لمغادرتها إلى ايطاليا حيث كان من المقرر أن يجتمع بالبابا في الفاتيكان ويجري مباحثات مع الحكومة الايطالية وسافرت إلى بون لأقوم بتوديع المسؤولين والأصدقاء بمناسبة انتهاء سفارتي في ألمانيا كما كنت في حاجة ملحة لاجراء بعض الفحوص الطبية .

اتفاق على الأراضي ..

وقابلت الرئيس الألماني والترشيل والذي كان وزيرا للخارجية عند وصولي لبون في شهر أغسطس (آب) ١٩٧٢ ، والحديث مع والترشيل متعة كبيرة فهو شخصية ذكية مرحة وجذابة محبة للحياة وقد تناول الحديث المصاعب التي تواجه المفاوضات بعد تجربة الاسماعيلية والقدس . وعبر شيل عن اعتقاده بأن الأمر سيتطلب جهودا مضنية حيث يشعر بأن الحكومة الاسرائيلية غير مستعدة لاتخاذ مواقف بناءة حاليا وأنه يرى وجوب مقابلة ذلك بالتمسك القوي بالمواقف القائمة على المبادىء كما عبر عن استحسانه لاتجاه الرئيس السادات إلى كسب الرأي العام الأمريكي ، لأن هذا يساعد الرئيس كارتر على اتخاذ المواقف التي يعتقد أنه يرغب في اتخاذها كذلك أعرب عن أمله في انضمام أطراف عربية أخرى إلى المباحثات فيما لو نجحنا في التوصل إلى إعلان المبادىء التي تحكم التسوية وأشار شيل في حديثه إلى أنه يشعر بأن مشاركة الاتحاد السوفيتي ستكون ضرورية لعملية البحث عن التسوية في مرحلة من المراحل .

وفي مقابلتي للمستشار شميدت ذكر أن السلام الذي ينشده الرئيس السادات يحظى بتأييد الرأي العام العالمي وأنه من الضروري للاحتفاظ بذلك أن يتضح للجميع أن سياسة مصر ثابتة سواء من ناحية الأهداف أو من ناحية أسلوب التوصل إلى تحقيق هذه الأهداف .

وقال شميدت أن انطباعه من أحاديثه مع شيمون بيريز أن موضوع المطارات في سيناء يمكن حله عن طريق تخلي اسرائيل عنها تدريجيا خلال فترة انتقال . أما بالنسبة للمستوطنات فقد أبلغه أنه من الصعب أن يغير بيجن موقفه منها . وسألني المستشار عما قال أنه سبق أن عرضه على السادات في هامبورج ـ من امكانية الاتفاق على تبادل الأراضي بين مصر واسرائيل بحيث تحتفظ اسرائيل بمنطقة المستوطنات في رفح وتأخذ مصر مقابلها جزءا من النقب . وقد أجبته بأننا لا نقبل ذلك لأسباب عديدة منها أن حدود مصر الدولية مستقرة من الاف السنين ولا يمكن تعديلها ، وأن الأراضي التي تعرضها اسرائيل على مصر كبدل هى أراضي ليست لها بل هى أرض فلسطينية احتلتها اسرائيل خارج حدود قرار التقسيم ولا نقبل ولا نملك أن تساومنا عليها اسرائيل فضلا عن أننا عرضنا على اسرائيل اتخاذ كل تدابير الأمن المتبادل مما يجعل موضوع الاحتفاظ بالمستوطنات أو تبادل الأراضي غير وارد .

تشاؤم ديستان ..

وأشار المستشار إلى أنه لمس لدى مقابلته للرئيس جيسكار ديستان تشاؤمه وتحفظه ليس فقط بالنسبة للعلاقات المصرية الاسرائيلية ولكن أيضا بالنسبة للموقف بين مصر ودول الرفض .. وأبلغه بأننا نعول كثيرا على جهود ألمانيا وأوروبا في دفع الجهود نحو السلام العادل والشامل ، فأكد استعدادهم لذلك وخاصة في المساعدة على تثبيت المواقف الأمريكية التي لمسوا تذبذبها والتي يرون انها يجب أن تكون أكثر ثباتا ، وهو ما يعتقدون أن زيارة الرئيس السادات لواشنطن قد ساهمت في إبرازه . وأضاف أنه كان هناك في ألمانيا منذ مقابلة المستشار الألماني إيرهارد وبن جوريون من نحو خمس عشرة سنة تيار متعاطف مع اسرائيل نتيجة الشعور بالذنب .. وأن هذا التيار قد ضعف الآن كثيرا وإن لم يختف تماما .

وقال فان فل وزير الدولة بوزارة الخارجية والذي كان حاضرا المقابلة ان هناك معلومات وصلتهم من سفارتهم في اسرائيل تفيد بأن اسرائيل لا تعير جولة أثرتون القادمة في المنطقة أهمية .. وأنهم يعلقون كل شيء على زيارة بيجن المقبلة لواشنطن وأضاف أن سكرتير عام الخارجية الاسرائيلية أبلغ السفير الألماني أن موضوع المستوطنات في سيناء موضوع هامشي وليست له أهمية كبيرة بالنسبة لهم . وقد علق المستشار شميت بأنه لا يصدق ذلك خاصة وقد أفهمه شيمون بيريز أن هذا الموضوع بالذات له أهمية كبيرة لدى بيجن شخصيا .

واستفسر المستشار شميدت عن التطور الأخير في العلاقات بين السودان وليبيا وكانت السودان قد اتفقت مع ليبيا على اعادة العلاقات بينهما وذلك بعد أيام من سفرنا إلى الولايات المتحدة وكان ذلك مفاجأة للسادات أغاظته كثيرا ـ وقد أجبته بأن السودان محاط بنزاعات وأنظمة تعمل على التأثير على استقراره وأن الرئيس نميري يحرص على تجنب المتاعب التي قد يحاول الاتحاد السوفيتي استغلال ليبيا في خلقها له . وأكدت أن علاقاتنا بالسودان متينة ولا يمكن أن يؤثر فيها شيء لأنها قائمة على مصالح حيوية بين البلدين .

ثم قابلت هانز ديتريش جنشر وزير الخارجية الألماني وكان وزيرا للداخلية عند وصولي إلى المانيا وقد بدأت علاقتي به منذ ذلك الوقت إذ كنت أسعى لرفع القيود على تأشيرات السفر للمصريين خاصة والعرب عامة والمعاملة الجافة والفظة أحيانا التي كان يلقاها القادمون من العرب إلى ألمانيا ، من تفتيش دقيق واحتجازهم إلى ما بعد الفراغ من بقية القادمين معهم على الطائرات وكان ذلك الوضع قد نشأ بعد أحداث ميونخ خلال دورة الألعاب الاوليمبية التي عقدت بها في سنة ١٩٧٢ .

www.library4arab.com/vb

وأخبرني جنشر أن المانيا تعمل حثيثا على استخدام علاقاتها

باسرائيل لدفعها إلى اتخاذ مواقف ايجابية وأنه حث زملاءه وزراء الخارجية الأوروبيين الذين اجتمع بهم في كوبنهاجن في اليوم السابق على اتخاذ نفس الموقف .. وأضاف أن الوزراء الستة قد استقر رأيهم على أنه من غير المفيد إصدار بيان جديد بشأن الشرق الأوسط خاصة وأن مواقفهم معروفة ومعلنة وثابتة ولكنهم اتفقوا على استخدام كل امكانياتهم الدبلوماسية مع اسرائيل ومع الدول العربية لتأييد جهود مصر من أجل السلام .

أضاف أنه شعر من اتصالاته بالأمريكيين خلال وجوده في نيويورك منذ أيام بأن زيارة الرئيس السادات لواشنطن تركت أثرا كبيرا لدى الرأي العام الأمريكي ولدى مراكز اتخاذ القرارات في الادارة والكونجرس وأنهم مدركون للدور الذي عليهم أن يضطلعوا به وعبر عن أمله في أن يتخذوا مواقف أكثر ثباتا من الماضي .

كذلك أبلغني أنه قابل موشي ديان في نيويورك وأنه أبلغه أن استقرار منطقة الشرق الأوسط وبالتالي أمن اسرائيل لن يتحقق إلا باستقرار جميع الدول المحيطة بها وأن ذلك لن يكون ممكنا طالما بقي الفلسطينيون في معسكرات وبالتالي فان حل المشكلة الفلسطينية وانشاء دولة فلسطينية مرتبطة بالأردن هو في النهاية لمصلحة اسرائيل .

وفي النهاية أكد جنشر على ثبات الموقف الألماني من المشكلة وأن هذا الموقف أساسه المبادئ وأيضا المصالح الأوروبية نظرا لارتباط المنطقتين ، وذكر أنه مقتنع بأن موقف مصر قوي وأن اصرارها باستمرار على مبادىء الحل الشامل والعادل لابد أن تكون له انعكاسات ايجابية على الموقف العربي وعلى عملية البحث عن التسوية .

وانتقل الحديث إلى الموقف في أفريقيا وكان جنشر يتحدث عن الصومال معبرا عن أمله في أن نحثه على اتخاذ بادرة مطمئنة نحو

كينيا باعلان أنه ليس للصومال مطامع اقليمية في أراضيها وأن ألمانيا ترى ضرورة وقف المد السوفييتي في القارة الافريقية وأن من شأن موقف سياد بري لغزو منطقة الاوجادين أن يتيح للاتحاد السوفيتي فرصة الادعاء بأنه يساهم في الدفاع عن أثيوبيا بوصفها ضحية للعدوان .

حادثة الأسلحة ..

وفي أثناء الاجتماع مع جنشر وصلته برقية صحفية من وكالة رويتر تفيد أن طائرة مصرية مدنية محملة بالأسلحة للصومال قد أجبرت على الهبوط في كينيا وأن السلطات الكينية تحتجزها ، فذكرت أنه لا علم لي بهذا الموضوع وأكدت أننا نساعد الصومال ولكن داخل حدوده وأننا نعارض أية أهداف توسعية له .. وأضفت أنه من الضروري أن يشعر الصومال بعد تخلصه من النفوذ السوفيتي أن هناك من يقف بجانبه خاصة وأنه شعر بأن الدول الغربية تخلت عنه .

التفاوض الضعيف ..

أثناء وجودي في المانيا وردت أنباء بأن اثنين من الفلسطينيين قد اغتالا الكاتب المصري يوسف السباعي في قبرص وكان يرأس الوفد المصري في اجتماعات لجنة التضامن الأسيوي الأفريقي المنعقدة في قبرص ، وقد تأثرت كثيرا لهذا الحدث ، ولم أكد أفيق من ذلك حتى داهمتني أخبار تطور خطير مزعج مفادها وصول طائرة مصرية إلى مطار لارناكا في قبرص وعلى ظهرها قوة من رجال الكوماندوز المصريين مهمتهم اختطاف قاتلي يوسف السباعي والعودة بهم إلى القاهرة لتقديمهم إلى المحاكمة . وانتهت المهمة بفاجعة مريعة

مؤلمة هى مقتل نحو عشرين شابا من رجال القوة المصرية على أرض المطار ولم يفعل ذلك الفلسطينيون هذه المرة بل القوات القبرصية وهى تدافع عن سيادة قبرص المعتدى عليها .

كان السادات يعشق « التمثيل » ولاح له ما ظنه فرصة سانحة ليلعب دور اسرائيل في عملية « عنتيبي » وغاب عنه أنه هاو واسرائيل محترفة . وسأعود الى هذه المأساه وذيولها فيما بعد .

الفصل الرابع عشر

رأسا لرأس

وقبل المضي في سرد أحداث التجربة التي عشتها أرى من المناسب التعرض لنقطة لعل القارىء لاحظها من قبل وهى أني في سردي لجولة الرئيس السادات الأوربية بعد زيارة الولايات المتحدة وفي طريق العودة إلى مصر ، لم أذكر شيئا عما دار في مباحثات السادات المغلقة مع كل من رئيس الوزراء البريطاني كالاهان ومع المستشار شميدت ومع المستشار كرايسكي ومع شيمون بيريز رئيس حزب العمل الاسرائيلي ومع الرئيس شاوشيسكو ثم مع الرئيس جيسكار ديستان .

والواقع أن المباحثات السياسية المغلقة على مستوى القمة ومن دونه أصبحت من سمات الزمن الذي نعيش فيه ولا شك أن لها مزاياها أحيانا إذ تتيح جوا هادئا متحررا من الكلفة ويبعث على الثقة والطمأنينة مما يساعد على حرية المناقشة وتبادل الآراء بسهولة ويسر ومما قد يؤدي إلى الاتفاق أو عدم الاتفاق على ما هو مطروح للمناقشة أو على بعض نقاطه .

إلا أن ما يدور في هذه المباحثات المغلقة ليس أحاديث شخصية بين الطرفين أو ملكية خاصة لهما وإنما هو يتعلق بالموضوع الذي من أجله سعى كل طرف إلى الالتقاء بالطرف الآخر في مهمة سياسية ، وهو بذلك يعتبر جزءا متمما أو مكملا للأجزاء والأنشطة الأخرى المتصلة بالموضوع ويجب أن يضاف إلى حصيلتها وتوضع تحت نظر الجهاز – أو الأجهزة – المختصة برسم وتنفيذ الخط السياسي حتى يتسنى لهذا الجهاز أن يدخلها في اعتباره وتقييمه في رسم خططه

وتكتيكاته أو تعديلها . ومن ثم فيجب تسجيل كل ما دار فيها بأمانة ، وحفظه على الورق ، حتى يكون مرجعا يسهل الرجوع إليه ، ومنطلقا للطرف الذي شارك في الاجتماع المنفرد في أية مباحثات لاحقة له أو لخلفه في المسؤولية . على أن هذا لا يعني تعميم ما يكون قد دار في هذه اللقاءات المغلقة على الكافة وإنما هذا موضوع يمكن التحكم فيه وحصر وتحديد من يحق له الاطلاع عليه وذلك بشموله لدرجة السرية المناسبة حسبما تقتضيه المصلحة والظروف .

لكن الحال لم تكن كذلك مع الرئيس السادات إلا فيما ندر ، ففي غالب الأحيان يكون مرتبطا بارتباط لاحق للاجتماع الثنائي المغلق سواء بموعد آخر يقابل فيه بعض الشخصيات أو الوفود أو بالقاء خطاب أو بحفل غداء أو عشاء أو يتوجه مباشرة إلى غرفته للراحة أو النوم ، مما يوجد فاصلا زمنيا بين اللقاء الثنائي وبين الوقت الذي أقابله فيه . وكنت بطبيعة الحال لا أتركه ساكنا بل ألاحقه بالأسئلة والاستفسارات عما تناولته المقابلة إلا أن روايته لها كثيرا ما كانت تكون مبتورة أو تتصف بالعمومية أو التركيز على جانب مما يكون قد استهواه في المقابلة أو استرعى اهتمامه واغفال باقي ما دار واحسست مع الوقت أنه لا يريد الالتزام بابلاغي أو غيري بكل ما يدور في هذه المقابلات . وكان ذلك يذكرني بطبيعته الكتوم الحريصة المشوبة بالغموض أيام كنا في سجن مصر العمومي إلا أن الموقف والظروف الآن كانت مختلفة ، وكان عدم اطلاعي على مجريات اللقاء يسبب لي مضايقات واحراجا في بعض الأوقات إلا أنه لم يكن من السهل أن أتمادى في الالحاح عليه وكنت افترض أن حديث السادات في هذه اللقاءات يدور داخل اطار خططنا وأهدافنا . وكان افتراضي يستند إلى سند منطقي بل ما هو أكثر من المنطق ، على الغريزة البشرية ، على الأنانية والذاتية في أن تحقق مبادرته غايتها في السلام الشامل العادل القائم على انسحاب اسرائيل من الأراضي المحتلة وتحقيق حقوق الشعب الفلسطيني وكفالة أمن العرب واسرائيل معا .

وإلا فلماذا غامر بالدخول في كل ذلك ؟ ولا يستطيع أحد الادعاء بأنه كان مضطرا ؟

وسأتناول هذه النقطة بمزيد من التفصيل إذ أنه سيكون مفتاحا لفهم الكثير من المتناقضات والطلاسم التي حفلت بها مسيرة المبادرة حتى وصلت إلى مؤتمر كامب ديفيد الثلاثي في سبتمبر (أيلول) ١٩٧٨ . فمع مرور الوقت وتوالي الأحداث ومع الملاحظة والتجربة وصلت إلى يقين بأن حصيلة السلسلة الطويلة من اللقاءات الثنائية التي كان السادات طرفا فيها ، كانت من أخطر العوامل التي أدت إلى تآكل مركز السادات وتدهوره حتى أنه عندما عبر بوابة كامب ديفيد كان مفلسا عاريا مكبلا لا يملك حراكا بسبب ما انفلت به لسانه داخل الغرف المغلقة من تنازلات وتجاوزات وتعهدات الواحد بعد الآخر وفي لقاء وراء لقاء حتى كتف نفسه وبدد ما كان معه من أرصدة ، وكانت النتيجة أنه لم يجد أمامه مفرا من التوقيع على اشهار إفلاس مبادرته .

ما خلف المبادرة :

وأحاول أن أبين خلفية ذلك فأعود إلى الوراء إلى سنة ١٩٧٧ وأذكر على سبيل المثال ما أعلنه السادات في أحاديث متعددة وما أورده في كتابه « البحث عن الذات » وما رواه لي شخصيا من أن فكرة المبادرة قد خطرت له لأول مرة بعد أن تلقى خطابا من الرئيس كارتر يخبره فيه بآخر التطورات والمصاعب حول عقد مؤتمر جنيف . وأنه رد عليه بأنه يفكر في القيام بعمل جرىء ، وكيف أنه بعد أن اجتمع بالرئيس شاوشيسكو الذي أكد له أن مناحم بيجن رجل قوي وأنه يريد السلام ، اختمرت في رأسه فكرة المبادرة وأنه لم يلبث أن استقر رأيه على الذهاب إلى القدس ، وهو في الطائرة من بوخارست إلى إيران .

هل كان هذا صحيحا ؟ لا أدري فقد استرعى نظري فيما بعد

وأنا أقرأ كتاب جولدا مائير « حياتي »[١] ما ذكرته من أنه في بداية عام ١٩٧٢ زار نائب وزير خارجية رومانيا اسرائيل تحت ستار مقابلة أقرانه في وزارة الخارجية الاسرائيلية وأنه طلب مقابلتها على انفراد ، حيث أبلغها أن الرئيس شاوشيسكو كلفه بابلاغها أن لديه رسالة هامة للغاية يريد أن يفضي بها إليها شخصيا وتتعلق بمباحثاته مؤخرا مع الرئيس السادات عندما زاره في القاهرة ، ووجه لها الدعوة لزيارة بوخارست سواء في زيارة سرية أو معلنة حسبما تراه .

وذكرت جولدا مائير أنها سافرت بعد ذلك إلى بوخارست وأمضت أربع عشرة ساعة في محادثات مع شاوشيسكو في جلستين أبلغها فيهما أنه « فهم من السادات نفسه أن الزعيم المصري على استعداد لمقابلة شخصية اسرائيلية ربما تكون هى جولدا مائير ، وربما تكون المقابلة على مستوى أقل قليلا من مستوى الرؤساء ولكن مقابلة ما ممكن أن تحدث » . وتقول جولدا مائير أن شاوشيسكو كان متحمسا على نحو ما كانت هى وأنه لم يكن هناك لديه شك في أنه ينقل إليها رسالة تاريخية وصادقة تماما ، وأنه تحدث معها بعد ذلك في التفاصيل ، إننا لن نعمل عن طريق السفراء أو وزراء الخارجية وأقترح أن يقوم نائب وزير خارجيته بالاتصال الشخصي بجولدا مائير عن طريق سكرتيرها السياسي « سيمحا دينتز » الذي صحبها في الزيارة إلى رومانيا .

وتذكر جولدا مائير أنها بعد عودتها إلى اسرائيل ظلت تنتظر وتنتظر دون جدوى ، فلم تتابع الموضوع بعد ذلك وأنها تعتقد أن السبب في أن شاوشيسكو لم يفاتحها فى الأمر بعد ذلك لأنه لم يستطع أن يعترف – حتى لها – بأن السادات قد ضلله .

وقد تجدر ملاحظة أن كتاب جولدا مائير صدر في سنة ١٩٧٥ أي قبل المبادرة .

(١) صفحة ٣٨٦ كتاب جولدا مائير طبعة ١٩٧٥م

البذرة الخبيثة :

وبعد أن عينت وزيرا للخارجية شرعت بعد اجتماع الاسماعيلية وقبل السفر إلى القدس لاجتماع اللجنة السياسية في دراسة ما سمي اتفاقيتي فض الاشتباك اللتين ابرمتا بين مصر واسرائيل ، الاولى في ١٨ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٧٤ والثانية في ٤ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٧٥ إذ كان يخامرني شعور قوي بأن هاتين الاتفاقيتين وخاصة الاتفاقية الثانية المعروفة باسم « سيناء الثانية » كانت هى البذرة الخبيثة التي أنبتت مبادرة السادات في سنة ١٩٧٧ نباتا غير حسن .

ولم تكن تعينني كثيرا دراسة ما أسفرت عنه هاتان الاتفاقيتان من نصوص وأحكام ، إنما كنت أريد أن أنفذ إلى خلفيتهما وكانت هذه ـ في تقديري ـ تكمن في المباحثات الثنائية التي جرت بين الرئيس السادات والدكتور هنري كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة ومستشار رئيسها للأمن القومي ، إلا أني للأسف لم أجد أثرا لأية محاضر أو أوراق في أرشيف وزارة الخارجية أو في أي مكان آخر .

وكنت قد قرأت وقت أن كنت سفيرا في المانيا كتاب « المحادثات السرية » لهنري كيسنجر من تأليف ماتي حولان الصحفي الاسرائيلي والذي صدر في سنة ١٩٧٦ وقد أثار الكتاب في نفسي وقتها كثيرا من القلق والشكوك حول مقدرة السادات التفاوضية إلا أنه لم يكن لدي ما يؤكد صحة ما أورده الكتاب المذكور من وقائع ، وعزوت بعضها إلى سوء النية من قبل المؤلف الاسرائيلي . إلا أنني عندما قرأت بعد ذلك كتاب وليام كوانت « حول من القرارات » عن السياسة الأمريكية تجاه النزاع العربي الاسرائيلي في السنوات من ١٩٦٧ حتى ١٩٧٦ ، اقتنعت ببعض ما أورده ماتي حولان في كتابه وتعزز لدي الانطباع في ضعف قدرة السادات التفاوضية ، ذلك أن كتاب كوانت تدعمه

المستندات والوثائق والمراجع من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان كوانت نفسه حجة في شؤون السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط ، وهو أستاذ العلوم السياسية في جامعة بنسلفانيا وهو عضو بمعهد بروكنجز وأحد المشاركين في وضع دراسة هذا المعهد للقضية الشرق الأوسط ، ثم هو من أعضاء مجلس الأمن القومي الأمريكي وشاهد مباحثات كيسنجر من الداخل ، كما كان عضوا في الوفد الأمريكي في المفاوضات التي تلت المبادرة وحتى انتهت في كامب ديفيد ، وقد عرفته شخصيا من خلال ذلك وأشعر بنزاهته وأكن لشخصيته كل التقدير .

واستطرادا لمحل البحث اقتبس بعض الأمثلة مما ورد في كتاب كوانت في صدد روايته لمباحثات كيسنجر مع الرئيس السادات .

« كان قد صدر قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ بتاريخ ٢٢ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٣ ونص في بنده الأول على وقف اطلاق النيران وانهاء العمليات العسكرية فورا وبقاء قوات كل طرف في المواقع التي تحتلها بالفعل في هذا التاريخ ، إلا أن الجانب الاسرائيلي رغم موافقة اسرائيل على قرار مجلس الأمن عمد إلى الاخلال به ومحاولة احتلال أراض ومواقع جديدة . وكان من شأن ذلك أن نجحت اسرائيل في فرض شبه حصار كامل حول قوات الجيش المصري الثالث ، فصدر قرار جديد من مجلس الأمن رقم ٣٣٩ بعد ظهر يوم ٢٣ أكتوبر (تشرين الأول) يدعو لوقف الاشتباكات فورا وعودة القوات الى المواقع التي كانت تحتلها يوم ٢٢ أكتوبر (تشرين الأول) ساعة تنفيذ وقف اطلاق النار ، إلا أن اسرائيل تجاهلت هذا القرار الثاني ، واستمرت في تقدمها لاحتلال مواقع جديدة ، وطالب الرئيس كلا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بارسال قوات لمراقبة انتهاك اسرائيل لخطوط وقف اطلاق النار ، وعندئذ بادر الاتحاد السوفيتي بأن وجه رسالة إلى الولايات المتحدة يبلغها فيها بخرق القوات الاسرائيلية لخطوط وقف اطلاق النار ، وأنه ما لم تعد إلى

مواقعها وتوافق الولايات المتحدة على إجراء مشترك سوفيتي أمريكي لتنفيذ ذلك فسيتخذ الاتحاد السوفيتي الخطوات المناسبة من جانبه وحده .

وعاد مجلس الأمن فأصدر قراراً ثالثاً في ٢٥ أكتوبر (تشرين الأول) رقم ٣٤٠ بالالتزام الفوري والكامل بوقف اطلاق النار والعودة إلى خطوط ٢٢ أكتوبر (تشرين الأول) إلا أن اسرائيل وان أوقفت النار فقد استمرت في احتلال المواقع التي احتلتها بعد صدور القرار ٣٣٨ » .

ونعود إلى ما ورد في كتاب كوانت عن أول لقاء تم بين كيسنجر والرئيس السادات يوم ٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٣ . « في المباحثات الخاصة في ذلك اليوم بدأ كيسنجر يشعر باعجاب حقيقي بالرئيس السادات ، وجاءت نقطة التحول عند مناقشة موضوع خطوط وقف اطلاق النار في ٢٢ أكتوبر (تشرين الأول) ، كان كيسنجر يشعر أنه في موقف غير مريح لأنه يعلم بأن الاسرائيليين ليس من السهل حثهم ، ولكنه كان يشعر أن السادات كان على حق في أنه يجب ألا يسمح للقوات الاسرائيلية بأن تبقي قوات الجيش الثالث تحت رحمتها .

وعرض كيسنجر على السادات اقتراح الحكومة الاسرائيلية ويتضمن أنها ستحترم وقف اطلاق النار وستسمح بتزويد الجيش الثالث بالمواد غير الحربية تحت مراقبة من الأمم المتحدة والقوات الاسرائيلية كذلك ستسمح لمدينة السويس بتلقي الغذاء والماء والأدوية بنفس الشروط وفي مقابل ذلك يتم تبادل الأسرى ويرفع الحصار البحري (عن باب المندب) أما خطوط ٢٢ أكتوبر (تشرين الأول) فمن الممكن مناقشتها في إطار اتفاقية لفصل القوات » .

انجاز مدهش :

ويذكر كوانت[1] أن السادات كان مستعدا لقبول أغلب هذه النقاط إلا أنه كان قلقا راغبا في انسحاب اسرائيل إلى خطوط ٢٢ أكتوبر (تشرين الأول) ، وأجابه كيسنجر بأنه إذا أصرت مصر على ذلك فانه يوافق على أن يسعى لاقناع الاسرائيليين بذلك ، ولكنه عرض رأيه أنه سيكون بنفس السهولة عليه – وإن كان الأمر سيتطلب وقتا أطول – أن يعمل على ابرام اتفاقية فصل قوات بما يتجاوز موضوع خطوط ٢٢ أكتوبر (تشرين الأول) في نفس الوقت يمكن اتخاذ ترتيبات لتموين الجيش الثالث .

ويقول كوانت « انه أدهش كيسنجر موافقة السادات على هذا المنطق » .

ويقول أيضا : إن كيسنجر أوفد جوزيف سيسكو وهارولد سوندرز إلى اسرائيل للاعداد لتفاصيل الاتفاق وأن جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل عندما علمت بموافقة السادات على التخلي عن موضوع العودة الى خطوط ٢٢ أكتوبر (تشرين الأول) وصفت ذلك بأنه انجاز مدهش .

ومثال آخر مما جاء في كتاب كوانت : في ١٣ يناير (كانون الثاني) سلم لكيسنجر الخريطة المقترحة لخط فض الاشتباك وفوضوا كيسنجر في عرضها على السادات وهو ما فعله كيسنجر في اليوم التالي ، وكان السادات قد سبق أن وافق في أول لقاء له مع كيسنجر على فكرة تحديد القوات في ثلاث مناطق كما كان قد وعده على العمل على إنهاء الحظر البترولي متى تم التوصل إلى اتفاقية ، والآن أبدى السادات استعداده لقبول قوات اسرائيلية غرب المضايق، ولكنه أبدى أنه لديه صعوبة في مدى تحديد القوات ، ولكي يتغلب كيسنجر على تحفظات السادات اقترح عليه أن تقوم الولايات المتحدة

---

(١) كوانت ص ٢١٧

بمسؤولية تحديد القوات ، فربما يكون من الأسهل على السادات أن يوافق على خطة أمريكية وليس على خطة اسرائيلية ، وبدلا من اعلان التحديد في وثائق رسمية يمكن عمل ذلك في خطابات متبادلة بين السادات ونيكسون ، وبالاضافة إلى ذلك فان ضمانات السادات لمرور السلع الاسرائيلية عبر القناة يمكن معالجتها في مذكرة تفاهم سرية ، وقد وافق السادات »[1]

ويمضي كوانت في رواية ما حدث ، والقارىء عامة والمصري أو العربي خاصة لا يسعه إلا أن يشعر بالمرارة والحسرة والخجل والغيظ والازدراء معا وهو يتابع عبر الصفحات مواقف التعنت الاسرائيلي اللا أخلاقي من ناحية وخضوع السادات المخزي من ناحية ثانية ، وتلاعب كيسنجر المكشوف من ناحية ثالثة وهو يستخدم كلا من مصر واسرائيل استغلالا مكيافليا في تحقيق استراتيجية الولايات المتحدة الدولة العظمى . وأسوق مثالا على ذلك مما سجله وليام كوانت أيضا .

« كانت المباحثات التي عرفت بمباحثات الكيلو ١٠١ على طريق السويس قد بدأت بين مصر واسرائيل حول فض الاشتباك الأول يوم ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) وكان يمثل الجانب المصري الفريق عبد الغني الجمسي ويمثل اسرائيل الجنرال أهارون ياريف . ويقول كوانت : واستمرت المباحثات عدة أيام وكان الجانب الاسرائيلي يقترح انسحابــا أعمق في مقابل تخفيضات كبيرة في القوة المدرعة المصرية ، وفي ٢٦ نوفمبر (تشرين الثاني) وصل ياريف إلى حد اقتراح انسحاب اسرائيل إلى شرق المضايق إذا خفضت مصر مستوى أسلحتها في سيناء إلى الحد الرمزي . وأبدت مصر تقبلا للاقتراح ولكنها أصرت على أن يكون تخفيض القوات من الجانبين . وبعد ذلك في ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) فوجىء الجمسي بياريف يعود إلى اقتراحه القديم بأن ينسحب كل طرف من الأراضي التي استولى عليها

---

(١) كوانت ص ٢٢٦

في الحرب ، وقد أدى هذا التراجع في الموقف الاسرائيلي إلى اغضاب المصريين وأدى إلى قطع المباحثات[1] .

ويمضي كوانت فيقول : كيسنجر يحمل مسؤولية اجهاض هذه التجربة المشجعة للمفاوضات مصرية اسرائيلية مباشرة ! وهناك بعض الحقيقة في هذا الاتهام . فقد شعر كيسنجر بأن المباحثات كانت تتقدم بسرعة كبيرة ، وكان قد بدأ يفكر في الجبهة السورية . وخشي إذا توصلت مصر واسرائيل إلى اتفاقية فض الاشتباك قبل مؤتمر جنيف أن يصمم الأسد على نفس الشيء مما قد يعني تأخيرا غير محدود في عقد مؤتمر جنيف . وكذلك كان كيسنجر يريد أن يكون من الواضح أن دور الولايات المتحدة ضروري للتقدم الدبلوماسي المستمر . ربما تستطيع مصر واسرائيل التوصل إلى اتفاق بدون مساعدته ولكن هل يكون ذلك نفس الشيء فيما يتعلق بسوريا أو الفلسطينيين أو حتى في خطوة مصرية تالية ؟ كان يشك في ذلك وإذا رفع الحظر العربي على البترول يجب أن يبدو ذلك في مقابل نجاح أمريكي في ابرام الاتفاق .

نصيحة كيسنجر :

وإذا كان اعتبار الاتحاد السوفيتي سيظل منخفضا فيجب أن تبقى سيطرة الولايات المتحدة على المفاوضات . وعلى هذا نصح كيسنجر الاسرائيليين بالابطاء في مباحثات الكيلو ١٠١ والاحتفاظ بموقفهم المتعلق بفض الاشتباك حتى مؤتمر جنيف ، وقد بدا ذلك لبعض المراقبين بعيدا عن الفضيلة ولكنه كان يتفق مع خطة كيسنجر الدبلوماسية الأوسع ، ويجب أن يضاف إلى ذلك أن اسرائيل لم تعارض هذه النصيحة[2] .

---

(١) كوانت ص ٢١٩

(٢) كوانت ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

ولعل من المفارقات الجديرة بالنظر في كتاب وليام كوانت ما أورده عن المباحثات بين كيسنجر والرئيس حافظ الأسد والذي اجتمع به لأول مرة في ١٤ ديسمبر (كانون الأول) . يقول كوانت : «وجد كيسنجر الأسد يتميز بالذكاء والصلابة والجاذبية وحاسة المرح ، ولكنه كان في نفس الوقت أقل الزعماء العرب الذين قابلهم تساهلا ، وألمح الأسد إلى أنه لا يعترض على عقد مؤتمر جنيف في ٢١ ديسمبر (كانون الأول) ولكن سوريا لن تحضره إلا إذا تم الاتفاق على فض الاشتباك أولا ، وهو (الأسد) يعتقد أن فض الاشتباك يجب أن يشمل جميع مرتفعات الجولان ، كذلك لم يكن الأسد مستعدا للرضوخ لالتماسات كيسنجر أن يسلمه قائمة بأسماء أسرى الحرب الاسرائيليين ، وبعد ست ساعات ونصف من المحادثات سافر كيسنجر إلى اسرائيل وهو خاوي اليدين »[١] .

والمتتبع لباقي المحادثات بين كيسنجر والأسد بشأن فض الاشتباك على الجبهة السورية لا يسعه إلا الاعجاب بالرئيس الأسد الذي حقق فيها أقصى ما هو ممكن . ويقول كوانت : ان علاقة شخصية مستغربة ـ ولكنها صادقة ـ بدأت تتوطد بين هذين الرجلين المختلفين تماما[٢] .

ولم يسعني إلا أن أشعر بالأسف أن سوريا لم تشارك في مبادرة السادات وتداعى خيالي فيما كان عليه الحال لو أن الأسد هو الذي تولى المفاوضات بدلا من السادات .

ولا يخامرني شك في أن محادثات فض الاشتباك كانت تجربة مفيدة بالنسبة للاسرائيليين ، فمن خلالها حللوا شخصية السادات وخبروا عوده وعرفوا مفاتيحه وسال لعابهم الشره إلى مزيد لا ينقطع من التنازلات يكنزونها في جيوبهم ولم لا ؟

---

(١) كوانت ص ٢٢٢ .

(٢) كوانت ص ٢٢٣ .

الاتفاقية الثانية .. لماذا ؟

وإذا كانت اتفاقية فض الاشتباك الأولى الموقعة في ١٨ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٧٤ قد اقتضتها ظروف ملحة حافلة بالمخاطر بالنظر إلى تشابك الخطوط العسكرية المصرية الاسرائيلية وتداخل قوات الطرفين في منطقة الدفرسوار غرب قناة السويس ، مما يصعب معه التحكم في الالتزام بوقف اطلاق النار نتيجة أي حادث استفزازي أو خطأ غير مقصود من ناحية ، ومن الناحية الثانية نتيجة وضع الجيش الثالث المحاصر الناشىء عن خرق القوات الاسرائيلية لوقف اطلاق النار وتجاوزها للمواقع التي كانت تحتلها في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) وفقا لقرار مجلس الأمن . فلم يكن هناك من ضرورة أو سبب يدعو إلى ابرام الاتفاقية الثانية بين مصر واسرائيل والتي اختاروا لها اسم اتفاقية (فض الاشتباك الثانية) من قبيل التمويه والخداع ، ذلك أن الاتفاقية الاولى تكفلت بنزع فتيل الخطر الناتج عن تشابك القوات وقت ابرامها والتى نشأ عنها فصل قوات الطرفين عن بعضهما بالفعل وحددت أعداد القوات وتسليحها وأصبحت تفصل بينهما منطقة عازلة تحت اشراف قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة ، وقد اعقب ذلك توقيع اتفاقية فض اشتباك مماثلة بين القوات السورية والقوات الاسرائيلية في ٣١ مايو (ايار) سنة ١٩٧٤ ، وإن كان ثمة مجال لاتفاقية فض اشتباك ثالثة فكان محل ذلك مع الأردن وهو ما كان يطالب به الملك حسين إلا أن ذلك لم يكن يكفل لهنري كيسنجر نجاحا سهلا ميسورا مما قد ينعكس على سمعته التي بدت اسطورية ويطفىء من بريقه ولمعانه فانصرف عنها ، فضلا عن رفض اسرائيل لذلك[1] حيث انه يعني انسحابها بضعة

---

(١) يقول محمود رياض في مذكراته أن كيسنجر لم يستطع أن ينفذ وعده للملك حسين باجراء فض إشتباك على الجبهة الأردنية على غرار الاتفاقيتين المبرمتين مع مصر وسوريا لأن اسرائيل رفضت ذلك وتمسكت بمذكرة التفاهم التي قدمها لها كيسنجر في عام ١٩٧٢ والتي تفرض على الولايات المتحدة مناقشة أي مبادرة سياسية مع اسرائيل قبل الاقدام عليها . (مذكرات محمود رياض ص ٤٨٩ ، ٥٠٤) .

كيلو مترات من الضفة الغربية التي تطمع في ابتلاعها .

كان الوضع الطبيعي والمنطقي بعد اتفاقيتي فض الاشتباك المصرية والسورية ، هو الاتجاه إلى مؤتمر السلام في جنيف سعيا وراء تسوية شاملة للنزاع العربي الاسرائيلي .

لكن هذا لم يكن على هوى اسرائيل كما لم يكن ما يريده كيسنجر لاعتبارات عديدة لعل أهمها عدم اتاحة الفرصة للاتحاد السوفيتي للمشاركة في جهود التسوية .

شهية كيسنجر المفتوحة والاتفاقيات السرية :

كان كيسنجر قد وجد ضالته المنشودة في الرئيس السادات رئيس مصر مركز الثقل في الجانب العربي ، وكان تعامله السابق معه أثناء مناقشة اتفاقية فض الاشتباك قد أغراه وفتح شهيته للمزيد من التعاملات فاتجه نحو ابرام اتفاقية ثانية بين مصر واسرائيل وليس هنا محل الخوض في احكام اتفاقية سيناء الثانية التي تم التوقيع عليها في ٤ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٧٥ في جنيف .

كل ما أريد أن أوضحه انها ليست اتفاقية عسكرية بحتة كما حاولنا تصويرها ، وإنما هى اتفاقية سياسية بالدرجة الأولى واتغاضى هنا عما ورد فيها من السماح بمرور البضائع الاسرائيلية عبر قناة السويس ذهابا وايابا ، وهو ما يعد تقويضا لسلاح هام من الأسلحة العربية هو مقاطعة اسرائيل . كما لا اعلق على المادة الأخيرة في هذه الاتفاقية والتي أوردت حكما عجيبا وهو أن الاتفاقية مستمرة ولا تنقضي إلا إذا حلت محلها اتفاقية جديدة ، فضلا عن التزامات شفهية من قبل الرئيس السادات مثل التعهد برفع الحظر على بعض الشركات الأجنبية التي تتعامل مع اسرائيل وتخفيف حدة الدعاية والاعلام ضد اسرائيل .. الخ .

ولكن المصيبة الحقيقية تكمن في الاتفاقيات السرية الثلاث

التي أبرمت مع هذه الاتفاقية وبسببها بين اسرائيل والولايات المتحدة واعتبرت من ملحقاتها وتتضمن العديد من الالتزامات الأمريكية التي كبلتها وقيدتها اسرائيل ومنها :

- أن يتم التشاور بين الولايات المتحدة واسرائيل على موعد عقد مؤتمر جنيف .

- تستمر الولايات المتحدة في التزامها بعدم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية طالما لم تعترف هذه باسرائيل وبقراري الأمم المتحدة ٢٤٢ ، ٣٣٨ ، وتنسق الولايات المتحدة مواقفها واستراتيجيتها في مؤتمر جنيف مع اسرائيل فيما يتعلق بهذه النقطة وكذلك فيما يتعلق باشتراك أية دول أخرى في المؤتمر .

- تستعمل الولايات المتحدة الفيتو في مجلس الأمن بالنسبة لأية محاولة لتعديل قراري مجلس الأمن ٢٤٢ ، ٣٣٨ .

- تلتزم الولايات المتحدة بتزويد اسرائيل بكل ما يلزمها من الأسلحة المتطورة مثل طائرات الفانتوم ١٦ .

- تتقدم الادارة الأمريكية إلى الكونجرس سنويا بطلبات الموافقة على مساعدات عسكرية واقتصادية لاسرائيل .

- تلتزم الولايات المتحدة بتلبية احتياجات اسرائيل من العتاد الحربي ومستلزمات الدفاع وكل احتياجات اسرائيل من الطاقة وكل احتياجاتها الاقتصادية .

- تتفق الولايات المتحدة مع اسرائيل في أن أي اتفاق في المستقبل بين مصر واسرائيل يجب أن يكون اتفاق سلام نهائي .

- ان الولايات المتحدة سوف ترفض أية محاولة لطرح مقترحات تُعتبرها هي واسرائيل ضارة بمصالح اسرائيل وفي نفس الوقت سوف تسعى لمنع جهود الآخرين من القيام بذلك .

- تقر الحكومة الأمريكية بأن التزامات مصر ، بمقتضى الاتفاقية المصرية الاسرائيلية (سيناء الثانية) لا تتوقف على أي تصرف أو أي

تطورات تجري بين دولة عربية أخرى واسرائيل .

أما الطامة الكبرى فهي ان هذه الاتفاقيات وإن كانت سرية بين الولايات المتحدة واسرائيل إلا أن سريتها لم تمتد إلى مصر فقد نصت الفقرة الأخيرة من الاتفاقية الثالثة على : « ان حكومة الولايات المتحدة الأمريكية قد أخطرت حكومة اسرائيل بأنها قد حصلت على موافقة مصر على ما تضمنه الاتفاق المشار إليه أعلاه » . أي أن الرئيس السادات كان قد أحيط علما بها ووافق عليها قبل ابرامها .

كل ذلك حصلت عليه اسرائيل من مصر ، ومن الولايات المتحدة مقابل انسحاب اسرائيل بضعة كيلو مترات أخرى إلى المرتفعات المطلة على شرق مضايق الجدي ومتلا وشمل الانسحاب عودة حقول البترول في أبو رديس ورأس سدر إلى مصر .

وقد حققت اسرائيل بالاضافة إلى كل ذلك نجاحا لهدف من أهدافها الثابتة وهو بث الانقسام والفرقة في المعسكر العربي إذ أدت هذه الاتفاقية إلى زعزعة الثقة العربية في مصر ودب الخلاف بين مصر وسوريا رفيقي السلاح في حرب أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٧٣ .

انطباعات شخصية :

ولا شك عندي في أن شخصية الرئيس السادات من النماذج الفريدة من نوعها التي سيتهافت علماء النفس على دراستها وتحليلها على مدى السنين ، ولست عالما نفسيا وانما رأيت أنه ربما يكون مفيدا أن أسرد انطباعاتي الشخصية عن ملامح شخصيته عسى أن يساعد ذلك في تفسير بعض تصرفاته السابقة واللاحقة وأنا أفعل ذلك والألم والمرارة يعتصراني .

وأول هذه الملاحظات انه كان يؤمن بحسن طالعه وحظه ولا غرابة في ذلك فقد مرت به أقسى التجارب وأشد المخاطر ولكنه يجتاز كل ذلك ويتركه وراءه ، ثم هو نشأ في بيئة متواضعة وعانى شظف

العيش وإذا به يشارك مجموعة من الضباط تقوم بثورة فتنجح ويصبح عضوا في مجلس قيادة الثورة ثم لا يلبث أن يختفي أعضاء هذا المجلس الواحد وراء الآخر من حول قائد الثورة جمال عبد الناصر ويبقى هو وحده صامدا ويصبح سكرتيرا عاما للمؤتمر الاسلامي ورئيسا لمجلس الأمة ثم نائبا لرئيس الجمهورية ، ويموت جمال عبد الناصر وهو في سن مبكرة وعلى غير انتظار فاذا به أنور السادات رئيس جمهورية مصر ، ويدخل في معركة صراع على السلطة مع مجموعة مراكز القوة التي تسيطر على مقاليد السلطة فينتصر ثم هو يطلب من الاتحاد السوفيتي سحب خبرائه من مصر فيتم ذلك في بساطة ، ثم يدخل حربا مع اسرائيل ويعبر في ساعات خط بارليف الذي قيل عنه ما قيل ، وهكذا .

ولعل ما كان يردده من أنه متفائل بطبيعته يعكس هذا الايمان بحسن حظه ، ومن جانب آخر فقد كان السادات رومانسيا بطبعه واسع الخيال محبا للطبيعة ، وكان يميل إلى الوحدة ـ ربما لأنه اعتاد عليها في تلك السنين التي قضاها في الحبس الانفرادي ـ فكان يقضي مددا متصلة بعيدا عن القاهرة في استراحة من استراحاته بعيدا عن عائلته يتزاورون من حين إلى حين . ومتى فرغ من مقابلاته جلس وحيدا لا يحيط به إلا السكرتارية والحرس والخدم من على بعد وفي تلك الأوقات ينطلق خياله ويرتع في آفاق فسيحة وقد اثبتت له تجربته في الحياة بأن ليس هناك مستحيل فيتطلع إلى ادوار جديدة من المجد والشهرة في هذا المجال أو ذاك .

رئيس جمهورية وليس بائع لبن

كان يذكرني بفيلم شاهدته من زمن طويل اسمه (حياة والتر ميتي السرية) ، قام بتمثيله داني كاي وكان دوره بائع لبن يتنقل بسيارته على منازل زبائنه وفي الطريق من منزل إلى آخر كانت تنتابه

أحلام اليقظة فمرة يتخيل نفسه نبيلا من نبلاء القرن الثامن عشر يبارز بالسيف نبيلا آخر من أجل حب حسناء جميلة ويصرعه ويفوز بها ، ومرة يتخيل أنه مغني أوبرا ذائع الصيت لا منافس له يطيح بصواب مستمعيه ، ومرة أنه طيار في الحرب العالمية الأولى كلما طلع يسقط طائرات الألمان الواحدة بعد الأخرى كالذباب ويعود سالما إلى هتاف الجماهير ... وهكذا كان السادات في تصوري أحيانا فهو بطل الحرب وهو نبي السلام هو الفلاح البسيط وهو كبير العائلة هو القيصر وهو الحاكم الديمقراطي هو عمر بن الخطاب ، أو هو صلاح الدين وهو ريتشارد قلب الأسد ، ولا أدري ان كان هناك توارد خواطر بيني وبين الشعب المصري في هذه النقطة ، فقد سمعت نكتة مصرية ـ وهى اسلوب شعبنا في التعبير عن أفكاره وملاحظاته ـ وهى أن الرئيس السادات (الذي كان يهوي الملابس وكان لديه (يونيفورم) لكل مناسبة كقائد للجيش وآخر كقائد للبحرية وثالث كقائد للطيران) سمع وهو في أسوان يقضي الشتاء عن قيام حريق كبير في أثناء أحداث ١٩،١٨ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٧٧ فركب الطائرة على الفور وعاد إلى مصر واستدعى وزير الداخلية وسأله عن مكان الحريق ، فأجابه الوزير بفرح وافتخار بأنه لا داعي لقلقه فقد تم اخماد الحريق تماما فقال السادات (يا للأسف كانت فرصة عظيمة لأرتدي زي القائد العام لقوات مطافىء الحريق) .

إلا أن السادات لم يكن بائع لبن وإنما كان رئيس الدولة يفكر في مشاكلها المتعددة وهو جالس وحده بعيدا فكانت تطرأ له الأفكار ولا تلبث أن تهيمن على خياله فكرة تلح عليه ، فيعشقها ثم ينقلها من حيز الفكر إلى حيز التنفيذ وفي تقديري ان فكرة المبادرة وزيارة القدس التي ذكر انه لم يشاور فيها أحدا أو يطلعه عليها حتى أعلنها كانت من قبيل ذلك .

ومن ناحية أخرى فقد كان ميالا إلى الاسراف في المجاملة والى

البذخ ، وهذا من الطباع الشرقية وربما كان من أخلاق القرية حسبما كان يحب أن يردد ، فليس مستغربا في الشعوب الشرقية أنه اذا نزل ضيوف فجأة على شخص ولم يكن لديه الا شاة أو دجاجة ذبحها وقدمها لهم طعاما ، أو إذا أعجب زائر بشيء لديه مسبحة كانت أو ساعة أن يصر على اهدائه له وطبعا هذا نظام قائم على التبادلية فلا يلبث من تناول الطعام أو تلقى الهدية أن يقوم برد مقابلها في أول فرصة ، ولكن اذا جاز ذلك على الصعيد الشخصي وفي حدود ما يملك الشخص فانه لا يجوز في صعيد الأعمال ، فاذا كان الأمر يتعلق بمسائل مصيرية كتلك التي كانت محل التفاوض بين مصر واسرائيل كان الحذر أوجب .

كذلك توجد لديه حاسة ومذاق الاطراء والمديح لصفاته ومميزاته وعبقريته يسمعه ويستسيغه في كل آن ، فاذا جاء هنري كيسنجر واخبره أنه قد قابل في آخر المطاف من يفوقه في ميدان الاستراتيجية فلا شك أن هذا يطربه ويسكره .

وكان بدوره يغدق الاطراء على الآخرين بلا روية ولا تحفظ . ومن مظاهر ذلك أنه كان يطرح صداقته على من يقابله في أول لقاء فهذا صديقه شاوشيسكو وهؤلاء أصدقاؤه نيكسون وفورد وكارتر ، وهذا صديقه جيسكار ، وهذا صديقه كرايسكي وهذا صديقه شميدت وهذا هنري . ثم يتوج صداقاته بصديقه بيجن ومتى أنعم بلقب الصديق لا يلبث الأمر أن يختمر في نفسه ويعتقد مع الوقت في صدق صداقته ويتعامل معه على هذا الأساس المريح فيبوح له بمكنونات صدره ويكشف له عن نفسه وفي هذا ما فيه لمن يتحين الفرص ويصيد في الماء العكر .

ومن ذلك أيضا أنه كان إذا جلس إلى طرف غنى عن هواه ربما لكسب ثقته وتعاطفه معه وأنه ربما بشيء من المرونة وتنازلات يراها غير ذات قيمة في حد ذاتها تكون طمعا بايقاع الآخرين في المصيدة فيحصل منهم على ما يريده ، فاذا كان أمريكيا هاجم السوفيت وإذا

كان مغربيا هاجم الجزائر وإذا كان راديكاليا هاجم الرجعية وهكذا . ولا أعلم ولا أريد أن أعلم إن كان ما نسبه إليه مناحم من أنه قال له « إن منظمة التحرير الفلسطينية هي عميلة الاتحاد السوفيتي » ، صحيحا أو غير صحيح .

ثم لم يلبث أن وقع في غرام سماع صوته ورؤية صورته وأصبح اجراء الأحاديث والادلاء بالتصريحات هوايته المفضلة ، ولم تلبث الصحف ووكالات الأنباء وشبكات الاذاعة والتليفزيون وفي مقدمتها الأمريكية والاسرائيلية أن عينت مراسلين لها مستديمين في مصر ولكنهم جوالون يشدون الرحال حاملين آلاتهم وعدساتهم ومسجلاتهم إلى حيثما ذهب الرئيس السادات من أسوان إلى الاسكندرية ومن الاسماعيلية إلى القناطر الخيرية . فاذا ذهب إلى صلاة الجمعة بالفيوم مثلا كانوا في انتظاره على باب الجامع عند خروجه وكذلك إذا ذهب لافتتاح مشروع أو زرع شجرة في الصحراء أو حضر اجتماع صيادي السمك أو احتفال يوم المعلم أو يوم المهندس وهكذا ، يلاحقونه بالأسئلة : ماذا عن العرب ؟ وماذا عن الاتحاد السوفيتي ؟ وماذا عن منظمة التحرير الفلسطينية ؟ وماذا عن الوضع في تشاد ؟..

وأجهزة الرصد والتسجيل في الدول المعنية تدرس وتغربل وتحلل حصاد كل يوم من طوفان الاجابات والتصريحات .. وتخرج منها بالمفيد .

هواية المؤتمرات الصحفية :

وشملت هوايته أيضا المؤتمرات الصحفية السياسية التي تلي اجتماعه برؤساء الدول والحكومات ثم ما لبث أن وسع من دائرتها فأصبح يجريها مع وزراء الخارجية ثم مع من هم دونهم من الشخصيات وأصبحت مقابلته وأخذ صورة معه من أهم معالم زيارة

مصر . وتلاحقت الوفود من كل فج هذا يقدم له ميدالية الشجاعة وذلك يقدم له ميدالية السلام ، ثم فتح باب المقابلات لغير الساسة والمسؤولين ورجال الأعمال فأصبح يقابل الأدباء والفنانين والرسامين وغيرهم . هذه اليزابيث تيلور ، وهذا خوليو ايجلسياس ، واختلط الأمر فيمن هو الأحق بالمقابلة . وأذكر أن سفير إحدى الدول الأوربية الكبيرة أبلغني أنه أصيب بالحرج والذهول عندما قدم وزير الدولة للشؤون الخارجية في زيارة رسمية إلى القاهرة وكانت مقابلة الرئيس السادات من أول اهتماماته ولكن الرئيس اعتذر عن عدم امكان مقابلته لانشغاله ، وإذا به يشاهد في اليوم التالي صورة للرئيس في الصحف وهو يقابل المغني الجزائري اليهودي انريكو ماسياس في حديقة استراحته بالقناطر وهو يغني له الأغنية التي ألفها ولحنها عن بطل السلام .

كذلك تولد لدي الانطباع أن هناك عاملا آخر كان ينعكس على شخصية السادات انعكاسا سلبيا ذلك أن السادات لم يكن ذا ثقافة عميقة تربط فكره وتحدد معالم شخصيته وتؤثر على مسلكه وتقيه من التناقضات .

فلم تتح له ذلك نشأته وظروفه أو دراسته ووقته وأنشطته السرية ، فعندما كان ضابطا في الجيش كان قد قرأ القرآن وحفظه في طفولته وقد مكنه ذلك من اللغة العربية وأتاح له الاقتباس منه في أحاديثه وخطبه ، وبعدها التزود بالقدر الثقافي اللازم لتدعيم شخصيته السياسية .

وإلى جانب ذلك كانت لديه حصيلة مختلطة وواسعة من المعلومات العامة وقشور مبعثرة من الثقافة وكانت مصادر هذه الحصيلة بعض قراءات في تاريخ مصر الحديث وبعض التراجم والمقالات التي تدور حول شخصيات سياسية كانت تستهويه مثل أحمد عرابي ومصطفى كامل وأتاتورك وهتلر ، وأتاحت له المدد

الطويلة التي قضاها في السجن قراءة بعض الكتب التي لم يخترها بل فرضتها عليه الصدفة ، أغلبها بوليسية[1] أو عاطفيـة وبعض المجلات مما كان يسمح بدخوله في السجن مثل ريدرز دايجست ولوك وبعض المجلات المصرية . ومن مصادر هذه الحصيلة أيضا الأفلام السينمائية خاصة الأمريكية التي كان يحبها ويقبل على مشاهدتها وهى بدورها أفلام تاريخية في قالب رومانسي أو أفلام رعاة البقر أو أفلام بوليسية وكان يستشهد في أحيان كثيرة بهذا المصدر من مصادر « الثقافة » والمعرفة في خطاباته العامة أو أحاديثه الصحفية . فمثلا إذا تكلم عن حقوق الانسان يشرحها بقوله « زي لما بتشوفوا في الأفلام في أمريكا فان ضابط البوليس عند القبض على شخص يذكره بحقوقه وينبهه إلى أنه يستطيع الامتناع عن الادلاء بأقواله إلا في حضور محاميه[2] .. » ومثلا في صدد دفاعه عن قانون العيب الذي أصدره يقول « إن قوانين العيب ليست بدعة من اختراعه بل هناك ما يقابلها في الولايات المتحدة الأمريكية ، وأنه قد علم بذلك من فيلم شاهده مؤخرا عن حياة « كلارك جيبل » الذي كان على علاقة غرامية بسيدة هى كارول لومبارد رغم أنه كان متزوجا مما أدى إلى اتهامه بخرق ميثاق الأخلاقيات الأمريكية .. وهو ما يسمح للقاضي بفصل مرتكب ذلك من عمله في الحكومة أو الغاء عقده مع الشركة التي يعمل بها » .

كذلك كان من مصادر معلوماته التقارير التي كان يقرأها في مواضيع مختلفة بعد أن أصبح عضوا في مجلس قيادة الثورة ثم في مجلس الأمة والمهمات الأخرى التي تقلدها إلى أن وصل إلى رئاسة الجمهورية .

---

(١) كثيرا ما أجاب السادات على سؤال من هو الكاتب الذي يفضله بأنه إدجار دالاس .

(٢) الأهرام عدد ١٩٧٩/٤/٢٤

اسلوب عضو الجمعية السريه :

لم يكن السادات متعمقا في العلوم السياسية والقانونية على المستوى الذي يسمح له بالدخول في مفاوضات سياسية معقدة ـ وحده أو دون إعداد مسبق ـ ففي كثير من الأحيان كان يفتقد الخلفية الفنية اللازمة لمدلولات بعض التعابير والألفاظ مثل حق السيادة أو إنهاء حالة الحرب أو الحكم الذاتي أو تقرير المصير .. مما كان يعجزه أحيانا عن التصدي بثقة لحجج الخصم متى كان مدار الحديث شيئا من ذلك ، أو أن يسلم بتفسير الخصم خشية أن يصيبه الحرج في الرد أو أن يبدو أمامه جاهلا بمدلول بعض التعابير التي يطرحها الآخر كقضية مسلم بها لا تحتمل الجدل .

وأضيف في النهاية أني كنت أشعر بأنه لم يستطع التخلص تماما من عقلية وأسلوب وتكتيك عضو الجمعية السرية الذي يفكر ويخطط في الخفاء لينفذ خططه سواء كانت اغتيال شخصية يعتبرها خائنة للوطن أو الاعداد لثورة أو انقلاب في نظام الحكم .

وظل شيء من ذلك يحكم تفكيره بعد أن تحولت عقارب الساعة وأصبح رئيسا للدولة ومدافعا عن قضية مشروعة تستند إلى الحق والعدل والقرارات الدولية .

وما قصدت من سرد كل هذا إساءة إلى الرئيس أنور السادات أو تشهيرا ، وإنما كان ذلك بصدد ايضـاح تأثـير السلبيـات وانعكاساتها على مسيرة المبادرة التي أقدم عليها والتي أقحمني معه فيها بتعييني وزيرا للخارجية .

فأنا لا أعتقد أن رئيس الدولة يشترط فيه أن يكون عظيم الثقافة أو عالما فذا أو قانونيا ضليعا أو مفاوضا جبارا فمسؤوليات رئيس الدولة في نظام رئاسي كما هو الحال في مصر عديدة ومتشعبة والمشاكل أمامه لا تنتهي ، سواء كانت تحرير الأرض المحتلة أو اقامة السلام أو كانت تتعلق بمعالجة رفع مستوى المعيشة أو الاسكان أو

التعليم أو غزو الصحراء .. الخ .. وليس في مقدور البشر التمكن من ذلك جميعا .

كل ما كان مطلوبا هو ألا ينفرد بالحلول أو يتصدى للمشاكل دون مشورة وزرائه ومستشاريه وخبرائه ، ووراءه وتحت أمره أجهزة الدولة متكاملة حافلة بكل الامكانيات ، وشعب متطلع لمباركة وتقدير كل الانجازات .

وكان لديه بما له من ماض وطني ونضال طويل ومقدرة على الخطابة وشخصيته التي لا تخلو من جاذبية وخلق ليس بشرير ، ما يمكنه من تحقيق الكثير على أساس صلب لا تذروه الرياح وعليه يعود فضل النجاح واليه ينسب . ولكنه لم يشأ أن يقتنع بأن عصر الفرد قد انتهى وأننا دخلنا في عصر الكومبيوتر .

وفيما يتعلق بي وبالطاقم الممتاز الذي كان يعمل معـي مستخدما كل امكانيات وأجهزة الوزارة فلم نكن نكل أو نمل أو نترك شيئا للمقادير ، كنا نزوده بانتظام بالمعلومات والتطورات والتقارير أولا بأول ، وأشهد بأني لم أترك مقابلة يجريها تتعلق بالقضية ، سواء كانت المقابلة على انفراد أو بحضوري إلا وزودته بمذكرة شاملة بخلفية الموضوع وموقفنا إزاءه وما نستهدفه منه وما نقبله وما نرفضه والحجج التي نستند إليها وتلك التي ندفع بها الحجج المضادة وأعزز ذلك كلما أمكن بايضاح شفهي شخصيا أو في التليفون لو كان بعيدا .

ولكن للأسف في كثير من الأحيان كان وقته ومشاغله لا تسمحان بالقراءة أو كان يكتفي بالقاء نظرة سريعة على المذكرة دون أن يستوعبها أو يتكاسل ببساطة عن القراءة معتمدا على قدرته على التصرف بشكل أو بآخر .

وحتى استكمل الصورة أقرر أنه كان ـ إذا ما قرأ المذكرات ـ يعجب بها ويوافق عليها ويلتزم بها إلا فيما ندر ، كانت ثقته بي وبأمانتي في العرض واخلاصي في القصد هائلة لا تهتز ، كان يكن لي

اعزازا ومحبة حقيقية ويسمح لي في حضرته بما لم يكن يتقبله من أحد ويحرص على عدم إغضابي أو جرح شِعوري ، إلا أن نفاد صبره وتلهفه على النجاح كانا أقوى من أن يحتويهما صدره فراح ـ من وراء ظهري ـ يتلمس طريقا خفيا عسى أن يختصر الوقت ويحقق المراد .

الفصل الخامس عشر

وأين أصحـــاب القضية ؟

عدت من ألمانيا إلى القاهرة يوم ٢٣ فبراير (شباط) واتصلت تليفونيا بالرئيس السادات في الاسماعيلية حيث كان يقيم وقتها فطلب مني التوجه لمقابلته في صباح اليوم التالي . وعندما قابلته كان يجلس مع السيد ممدوح سالم رئيس الوزراء في احدى غرف الاستراحة وكان يرتدي جلبابا وفوقه عباءة عربية من الصوف ، واستفسر عن صحتي وعن زيارتي لألمانيا ولم يلبث الحديث أن تطرق إلى موضوع اغتيال يوسف السباعي والفاجعة التي أعقبته في مطار لارناكا . وقد انتقدت بشدة عملية ارسال قوات كوماندوز مصرية إلى قبرص لاختطاف قاتلي يوسف السباعي ونقلهم إلى مصر ، وقلت أنه بغض النظر عن نجاح العملية أو فشلها فانها عملية اعتداء على سيادة دولة أخرى ولا تليق بمركز مصر في المجتمع الدولي وسمعتها الأدبية فضلا عن أن قبرص دولة صديقة وأن أقل القليل كان يقتضي التفاهم مع الحكومة القبرصية قبل الاقدام على هذه المغامرة وزاد الطين بلة الفشل الذريع الذي حاق بالعملية والمأساة المروعة التي نتجت عنها وتركني السادات أتكلم ثم قاطعني فجأة وصاح في انفعال : يعني نسيبهم يقتلوا فينا ونقعد نتفرج علشان نبقى هفية .

وأجبته : وماذا كانت النتيجة ، لقد فقدنا ثمانية عشر ضابطا في العملية وفقدنا الطائرة التي نقلتهم وتدهورت علاقاتنا بقبرص والعالم كله يدين العملية كما فشلت العملية في تحقيق أهدافها ،

وقلت : ان هذا موضوع خطير جدا ويجب اجراء تحقيق فوري لمعرفة المسؤول عن هذه العملية ، فقال السادات في غضب شديد (أنا الذي أمرت بهذه العملية)

ضرورة التنسيق وكبش الفداء :

فقلت : اني أدرك مشاعرك بشأن اغتيال يوسف السباعي وضحايا العملية ولكننا في موقف دقيق يتحتم معه ضبط الأعصاب ونحن في غنى عن المشاكل التي خلقتها هذه العملية . وأضفت : اننا جميعا معرضون لحوادث اعتداء كما حدث ليوسف السباعي وإذا لم تكن ردود فعلنا هادئة ومدروسة فسندخل في مشاكل فرعية نحن في غنى عنها ، وان الوضع يقتضي انشاء جهاز يختص ببحث أسلوب التصرف بدون انفعال في الأحوال الطارئة مثل حادث يوسف السباعي .

وبالفعل أرسلت مذكرة بعدها بأيام اقترحت فيها ضرورة دعم وسائل التنسيق والتخطيط على مستوى الأجهزة العاملة في مجالات الأمن القومي والشؤون الخارجية ، وانشاء لجنة فرعية دائمة منبثقة عن مجلس الأمن القومي على مستوى الفنيين من مساعدي الوزراء تمثل فيها وزارات الخارجية والداخلية والحربية والمخابرات العامة وأية جهات يرى الاستفادة من خبرتها حسب موضوعات البحث وتتولى وزارة الخارجية أمانة هذه اللجنة ، وتجتمع اللجنة عند تطورات طارئة تستدعي ذلك لاعداد الدراسات والاقتراحات التبادلية بالنسبة للموضوعات ذات الأهمية من وجهة نظر الأمن القومي لمصر وعرضها على الرئيس ، إلا أن الموضوع ضاع في زحمة الأحداث ولم يبت فيه .

فقد أدت مأساة مطار لارناكا إلى تطور خطير أدى إلى تصدع في المبادرة بفتح ثغرة محرجة في موقفنا ازاء القضية الفلسطينية وجاء ذلك على هوى اسرائيل بالطبع . فقد كان مصرع ضباط الكوماندوز

المصريين فاجعة قومية مؤثرة بمعنى الكلمة أثارت حزن وسخط وغضب الشعب المصري ولكن الأخطر من ذلك أنها أثارت التساؤلات حول مغزى العملية نفسه وهل كانت ضرورية ومن المسؤول عنها ؟ وكان لابد من تحويل مجرى سيل الهياج والسخط بعيدا عن الذين أمروا (فكروا) بالعملية وخططوا لها وأقدموا عليها ، ووجدوا كبش الفداء في جنسية قاتلي يوسف السباعي الفلسطينية ، فقام الاعلام المصري بحملة عنيفة ضد منظمة التحرير الفلسطينية وضد الفلسطينيين أينما كانوا أولئك الجاحدين المجرمين الذين قابلوا تضحيات مصر ودخولها في أربع حروب من أجلهم بقتل أبنائها .

وبالطبع لم يلق أحد بالا إلى البيان الذي سارعت منظمة التحرير الفلسطينية باصداره أثر مقتل يوسف السباعي تدين وتستنكر بكل شدة الاعتداء عليه ، ولو أراد أحد أن ينتظر نتيجة التحقيق مع القاتلين ليتبين هل قاما بارتكاب جريمتهما من تلقاء نفسيهما أم أن وراءهما جهة ما وكنه هذه الجهة ان وجدت هل هي عربية أم هل هى اسرائيلية ؟ ولِمَ لا ومن هو المستفيد المباشر ؟ ولم يشأ أحد أن يتذكر أو يذكر بأن من قتل الضباط المصريين في المطار لم يكن الفلسطينيون وانما الجنود القبارصة وهم يصدون غزوا أجنبيا فاجأهم ، وشارك مجلس الشعب الذي ناقش العملية في حملة الكراهية ضد الفلسطينيين وصدرت اجراءات ضد الفلسطينيين المقيمين في مصر تتعلق بأرزاقهم واقامتهم والمزايا التي منحت لهم من قبل مصر بعد أن قامت اسرائيل بطردهم وتشريدهم من وطنهم وديارهم منذ سنة ١٩٤٨ وما بعدها .

حاولت في خضم هذا البحر الهائج أن أوقف هذا التيار الجارف وانبه إلى مخاطره على مبادرة السادات وكل ما نجحت في تحقيقه بعد أن هدأت العاصفة هو تجميد تنفيذ الاجراءات التي صدرت ضد الفلسطينيين المقيمين في مصر حيث كان من الصعب الغاؤها ، لما في ذلك من اقرار بعدم مناسبتها أو عدالتها .

محام وخصم :

ولا خلاف على أن السلام الشامل الذي بنى السادات مبادرته على أساسه لايمكن تحقيقه إلا بحل القضية الفلسطينية حلا عادلا فهى لب وجوهر المشكلة وبالتالي فان حلها يشكل العمود الفقري للمبادرة ، فاذا كسر إنكسرت بالتالي ، أيضا فان العنصر الفلسطيني في تحقيق السلام الشامل حيوي وأساسي وعليه فكيف يتأتى لمن تطوع ونصب نفسه محاميا عن هذا العنصر أن يخاصم من يدافع عنه ويعاديه أو يتجاهله ويستبعده ؟

وقد لاحظت وأنا أستمع في ألمانيا لخطاب الرئيس السادات في الكنيست قبل تعييني وزيرا للخارجية أنـه أغفل الاشارة في الخطاب إلى ذكر منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني وفقا لقرارات مؤتمر القمة العربي في الرباط في سنة ١٩٧٤ . إلا أني لم أعلق وقتها على ذلك أهمية فالمنظمة وضعها مسلم به عربيا بل ودوليا تقريبا ، إلا أنني عندما قرأت كتاب موشى ديان استرعى نظري فقرة وردت في الحديث الذي دار بينه وبين الدكتور بطرس غالي وزير الدولة للشؤون الخارجية وهما في السيارة ، في الطريق من المطار إلى القدس بعد وصول الطائرة التي حملت الرئيس السادات والوفد المرافق له ، نصها : (ولمس حديثنا أيضا منظمة التحرير الفلسطينية واقترحت عليه أنه يحسن ألا يطلب السادات من اسرائيل التفاوض مع هذه المنظمة . وأنه إذا فعل فسيواجه رفضا قويا . ووعد غالي بأن ينقل ذلك إلى رئيسه وبالفعل عندما خطب السادات في الكنيست في اليوم التالي لم يذكر منظمة التحرير الفلسطينية) .

والواضح أن ما ذكره ديان كان السبب في عدم اشارة الرئيس السادات إلى المنظمة في خطابه أمام الكنيست وهو أمر يدعو إلى الدهشة ويستعصي على الفهم لعدة أسباب :

أولا : ان سياسة مصر الثابتة المعلنة منذ عهد الرئيس عبد الناصر وبعده هى تأييد ومساندة حركات التحرير في كل مكان وعلى رأسها ومن باب أولى منظمة التحرير الفلسطينية ، التي كان السادات نفسه

من أشد المتحمسين لاعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني . وقد ألقت مصر بكل ثقلها مع باقي الدول العربية في عام ١٩٧٤ في استصدار قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ، بدعوة منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثلة للشعب الفلسطيني إلى المشاركة في مناقشات الجمعية العامة ، وكذلك دعوتها للمشاركة في اللجان والمؤتمرات والمنظمات التابعة للأمم المتحدة بصفة مراقب ، وقد صدرت هذه القرارات بأغلبية ضخمة وهو ما يعتبر اعترافا دوليا بالمنظمة .

ثانيا : أنه لو كان الأمر مراعاة ما تقبله اسرائيل أو ترفضه مما يتضمنه الخطاب ، إذن لتعين على السادات ألا يشير إلى الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الأراضي المحتلة ، أو إلى حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة . وهو ما رفضته اسرائيل قبل القاء السادات لخطابه وبعد القائه وكل ما كان على اسرائيل أن تفعله هو رفض التفاوض مع المنظمة شأن رفضها الانسحاب ولحقوق الشعب الفلسطيني كما فعلت .

ثالثا : أن الخيار الذي كان مطروحا في مؤتمر الرباط بشأن تمثيل الشعب الفلسطيني كان ينحصر بين الملك حسين وبين منظمة التحرير الفلسطينية ، وقد قرر الملوك والرؤساء في المؤتمر اختيار المنظمة ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني بالاجماع ، حيث قرر الملك

www.library4arab.com/vb

حسين في النهاية الا ينشق عن ارادة المجتمعين ، واغفال ذكر المنظمة أمام الكنيست ـ عن قصد ـ مؤداه تمييع وتجهيل القيادة السياسية للشعب الفلسطيني فيصبح وكأنه جسد بلا رأس وقضية بلا صاحب وهذا بالطبع يتمشى مع أهداف اسرائيل التي تسعى إلى اختيار من

تتفاوض معه من بين الفلسطينيين الذين تختارهم على هواها .

ولعل من المفارقات العجيبة أن الرئيس السادات الذي رفض مطلب الملك حسين أثناء مؤتمر الرباط سنة ١٩٧٤م في أن يقوم بتمثيل الشعب الفلسطيني باعتبار أكثر من نصف سكان الأردن من أصل فلسطيني ـ وصوت مع باقي الملوك والرؤساء على أن تكون منظمة التحرير هى الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ـ لم يلتزم بذلك في ممارسته التفاوض مع اسرائيل بشأن الضفة الغربية بل أن الأمر تطور إلى اغفال المنظمة بل فعل السادات النقيض فعاد وأسند إلى الملك حسين دورا في اطار السلام الذي وقعه في كامب ديفيد دون تفويض من هذا الأخير أو موافقته كما سنبين .

وأعود من هذا الاستطراد إلى موضوع منظمة التحرير الفلسطينية . وكنت أثناء أن كنت سفيرا لمصر في بون على صلات طيبة مع عبد الله الأفرنجي ممثل المنظمة في ألمانيا الغربية وكان شابا جادا مخلصا مجدا في أداء مهمته في ظروف صعبة بالنظر إلى حساسية ألمانيا وقتها في كل ما يتعلق باليهود واسرائيل ، وكان يضعني في الصورة بالنسبة لأوضاع المنظمة الصعبة ومشاكلها الداخلية والخارجية . وفي اعتقادي الشخصي أن منظمة التحرير الفلسطينية قد اتخذت قرارا متسرعا باندفاعها إلى الانضمام إلى جبهة الرفض والمشاركة في مؤتمر هذه الجبهة الذي عقد في طرابلس في أعقاب المبادرة ، خاصة وأن لمصر دورا رئيسيا في القضية يقتضي أن تحرص المنظمة على إبقاء قنوات الاتصال بينها وبين مصر مفتوحة دائما وان كانت دول الرفض مثل سوريا والجزائر وليبيا تملك أن تتخذ القرار الذي تراه ، فان وضع المنظمة لم يكن يسمح لها باتخاذ مثل هذا القرار بهذه البساطة كان وضعا دقيقا حساسا . فهي ليست دولة لها مواردها وامكانياتها الخاصة وانما تعتمد في ممارسة نضالها الحربي والسياسي لتحرير الأرض الفلسطينية على الدول العربية إلى حد كبير ، وتقتضي ظروفها تلك الاحتفاظ بتوازن ليس سهلا من هذه

الدول وانحيازها لدولة عربية ضد أخرى يؤثر على قدرتها ويسبب لها مصاعب هى في غنى عنها . ولا أقول أنه كان على المنظمة أن تنصاع لمبادرة الرئيس السادات وتقبل دعوته للمشاركة في مؤتمر القاهرة التحضيري الذي أعلنه ، فهذا بدوره كان أمرا صعبا ان لم يكن مستحيلا وقد فاجأها السادات بمبادرته دون استشارة أو تفاهم مسبق ويوقفها في نفس الموقف الذي حدث باسراعها للانضمام الى جبهة الرفض ، وانما كنت أعتقد أنه كان في وسع قيادتها السياسية اتخاذ موقف متأن مرن لا يقطع صلاتها بأي طرف ، حتى تتبلور الأمور ويتسنى لها تحديد موقفها عن طريق الحوار مع الأطراف العربية جميعا .

استمرار صلتنا بالمنظمة :

وأيا كان الحال فقد حرصت من البداية على استمرار الصلات بالمنظمة وكنت دائما ألح على الرئيس السادات في ذلك وأقول له ان حدوث قطيعة بين مصر والمنظمة التي اعترفت بها أكثر من مائة دولة سيلحق ضررا بليغا بالقضية الفلسطينية ويبدو معه تصدي مصر لحل القضية الفلسطينية وكأنه ينطلق من فراغ . وكنت أغذيه أولا بأول بالتصريحات المعتدلة التي تصدر عن أعضاء المنظمة المعتدلين ، كما ألححت عليه في الاذن بعودة (جمال الصوراني) ممثل المنظمة في القاهرة حتى يكون جسرا للتفاهم مع قيادته السياسية . كذلك حرصت على مقابلة كل من حضر من أعضاء المنظمة أو مؤيديها ، وشجعت معاوني الوزارة ممن تربطهم صلات سابقة بأعضاء المنظمة على مواصلة الحوار معهم وكلفت سفيرنا في الأردن بأن يوالي الاتصال بالعمد والمشايخ والشخصيات الفلسطينية في الضفة الغربية ويطمئنهم إلى سلامة الموقف المصري واخلاص مساعيه لحل القضية الفلسطينية وازالة ما يتردد من شكوك حول اتجاه مصر إلى حل جزئي أو منفرد مع اسرائيل .

كذلك فقد نجحنا عن طريق مساعينا الدبلوماسية في افشال مساعي اسرائيل لدى الدول التي تعترف بالمنظمة أو تسمح لها باقامة مكاتب لها فيها بسحب الاعتراف بالمنظمة واغلاق مكاتبها فقد رفضت الدول جميعا ذلك .

وفي أحاديثي مع وزير الخارجية فانس ومعاونيه حرصت على إبراز أهمية مشاركة المنظمة في التسوية واستعداد قيادتها في تحقيق حقوق الشعب الفلسطيني بالطريق السلمي ان أمكن ، مؤكدا على شرعية أعمال المقاومة التي يقومون بها ضد اسرائيل طالما تحتل غصبا أراضيهم ، وأن آخر من يحق له وصف الكفاح الفلسطيني بالارهاب هم الاسرائيليون الذين أدخلوا الارهاب في منطقة الشرق الأوسط وعلى رأسهم رئيس الوزراء الاسرائيلي الذي كانت الحكومة البريطانية تعرض مكافأة قدرها عشرة آلاف جنيه استرليني لمن يقبض عليه بوصفه أرهب الارهابيين .

السادات يعبر عن قلقه :

أواخر شهر فبراير (شباط) جاء روى أثرتون إلى مصر وفقا للدور المتفق عليه في كامب ديفيد لينتقل بين مصر واسرائيل سعيا وراء التوصل إلى اتفاق على اعلان المبادىء . وقد شاركت في اجتماع أثرتون بالرئيس السادات في الاسماعيلية كما حضره معي السفير أحمد ماهر مدير مكتبي ولم تكن قد حدثت تطورات ذات أهمية منذ زيارتنا القريبة للولايات المتحدة إلا قرار صدر بعد وصول أثرتون إلى المنطقة من مجلس الوزراء الاسرائيلي بعزم اسرائيل على مواصلة سياسة انشاء مستعمرات جديدة وتوسيع المستوطنات القائمة .

وشرح السادات بهذه المناسبة من جديد أن مناحم بيجن لم يستجب لروح مبادرته وأشار إلى التعقيدات التي يثيرها في كل مناسبة وتحريفه للوقائع ولتصريحات السادات . ثم رأى السادات أن يرسل رسالة خاصة إلى بيجن يحملها معه أثرتون عند زيارته

اسرائيل ، وكلفني باعدادها على أساس النقاط التي تناولها الحديث مع أثرتون . ولعله من المفيد أن أشير إلى ما تضمنته الرسالة لتوضيح آمال الرئيس السادات وطموحه وتفاؤله في أن تحقق المبادرة التي قام بها غايتها .

استهل الرسالة بأنه يسعده أن يحملها إلى بيجن المستر أثرتون الذي يبذل باسم الولايات المتحدة جهودا حميدة لمساعدة الطرفين على تحقيق التسوية الشاملة وفقا لنظرية السادات في وجوب خلق الظروف لاقامة علاقات حسن جوار بكل ما تعنيه الكلمة وهو ما يقتضي ألا يتعدى طرف على أرض الغير أو سيادته أو شرفه وكبريائه .

وعبر عن قلقه من أن الأمور تسير في اتجاه خاطىء لا يتمشى مع روح زيارته للقدس حيث أنه بدلا من الاتفاق على المسائل الجوهرية يجري الخلاف على الكلمات والصياغات في حين أنه لو اتفق على الجوهر فيما يتعلق بالانسحاب والقضية الفلسطينية وأمن الأطراف لسهلت صياغته .

وأشار إلى أسفه أنه رغم اجتماعه ببيجن في القدس والاسماعيلية يجد نفسه في نفس الوضع الذي كان سائدا قبل زيارته للقدس بسبب ما أثارته اسرائيل في اجتماعات كل من اللجنة السياسية واللجنة العسكرية من مفاهيم بالية . وذكر أنه يوافق على استمرار أثرتون في مهمته وكذلك على استئناف اجتماعات اللجنتين السياسية والعسكرية من حيث المبدأ شريطة ألا تؤدي اجتماعاتهما إلى خذلان آمال العالم في تحقيق السلام . وقال انه يوافق على أن اسرائيل تحتاج إلى الأمن ولكن يجب الاتفاق أيضا على ألا يكون الأمن على حساب الأرض أو السيادة .

وفيما يتعلق بالقضية الفلسطينية التي أعلن دائما أنها جوهر المشكلة فيجب على اسرائيل ألا تثيرها في اطار الأرض أو السيادة أو

على أساس انكار الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . وأنه يقر بحقيقة احتياجات اسرائيل ولمواجهتها فانه مستعد في خلال الفترة الانتقالية بين توقيع الاتفاقية إلى حين ممارسة حق تقرير المصير أن يشارك بالنسبة لقطاع غزة مع اسرائيل والفلسطينيين والأمم المتحدة لضمان الأمن ، وبالنسبة للضفة الغربية فانه يرى أن تتولى الأمم المتحدة الأمر في البداية حسبما اتفق مع الملك حسين ، ويمكن بعد ذلك الاتفاق على اطار رباعي يضم الأمم المتحدة واسرائيل والملك حسين والفلسطينيين لضمان أمن اسرائيل في خلال المرحلة الانتقالية في الضفة الغربية .

وذكر أن جبهة الرفض والاتحاد السوفيتي ينشطون لافشال مبادرته ولكنه يتصدى لهم ولن يتراجع عنها وأن أعمال الارهاب ـ كما حدث بالنسبة لمقتل يوسف السباعي ـ لن تثنيه عن عزمه على تحقيق السلام ، ولكن مناحم بيجن هو الذي يغذي الرافضين بمواقفه المتعنة بالمادة التي يستخدمونها ضد مبادرته للسلام .

وأنه للأسف فان اسرائيل مازال تفكيرها يدور حول الحصول على مزايا استراتيجية والحصول على أرض الغير ولكن الأرض ليست شيئا يمكن التنازل عنه وفيما عدا الأرض والسيادة فانه مستعد لاعطاء كل ما تتطلبه طبيعة السلام كما أثبت بزيارته للقدس وبدعوته بيجن إلى الاسماعيلية وموافقته على القيام باتصالات مباشرة في مؤتمر القاهرة التحضيري ثم في اللجنتين السياسية والعسكرية .

كيف يفكر بيجن :

ولم يلبث أن عاد أثرتون حاملا رد بيجن على رسالة السادات في رسالة مؤرخة في ٥ مارس (اذار) سنة ١٩٧٨ واقتبس هنا عدة فقرات من نص هذه الرسالة كنموذج ليلقي الضوء على تفكير بيجن وأسلوبه في معاملة السادات . كتب بيجن :

« .. واسمح لي الآن أن أنتقل إلى موضوعات أخرى ضرورية

للحوار بيننا . انك تشكو من أننا مازلنا لسوء الحظ منهمكين في معالجة الصياغات . اننا جميعا معنيون بذلك لأن معاونيك يا سيادة الرئيس يعرضون علينا « صياغات» ليس لها إلا معنى واحد : أن تتعهد اسرائيل بالانسحاب إلى الخطوط التي كانت قائمة قبل حرب الأيام الستة الدفاعية . وهذا مفهوم قديم يعود إلى خريف سنة ١٩٦٧ . وكما ذكرت في الاسماعيلية فان اسرائيل ليست ملزمة بمقتضى القرار رقم ٢٤٢ بمثل هذا الانسحاب ، ولا هو مطلوب منها الموافقة على شرط مسبق كهذا ، ففي مايو ويونيه (ايار ــ حزيران) ١٩٦٧ كنا مهددين يا سيادة الرئيس بتدمير استقلالنا بل ــ وفي الحقيقة ــ شعبنا . وأذكر جيدا عندما تقابلنا آخر مرة أنك أنت نفسك تذكرت شعار تلك الأيام « ألقوا بهم في البحر » اسرائيل دافعت عن نفسها . »

« وكما تعلم فان القاعدة الكبيرة في القانون الدولي أنه في حالة ممارسة حق الدفاع الوطني الأصيل عن النفس ، فان تعديلات اقليمية تتقرر في معاهدات السلام . ولو كان الأمر غير ذلك فان خريطة أوروبا جميعها والشرق الأقصى يجب أن تتغير فورا .. » .

« وفي خطابك فانك تستمر في اعتناق تكوين دولة فلسطينية بعد فترة انتقالية في جوديا وسماريا وقطاع غزة . سيادة الرئيس يجب علي أن أقول ثانية كما شرحت في الاسماعيلية ، ان مثل هذه الدولة مهما كان الشكل الذي تتخذه فسوف تشكل خطرا داهما لاسرائيل ، وان فترة سنوات انتقالية قليلة لن تزيل هذا الخطر ولا يمكن أن يعيش أي شعب على وقت مفترض . إن الخطر المميت يجب ألا يخلق » .

« وفي المقترحات التي قدمت لك أدخلت الحكومة الاسرائيلية طريقا وفكرة جديدة ونحن نلتزم باقتراحنا في حكم اداري كامل للفلسطينيين العرب الذين يعيشون في جوديا وسماريا وقطاع غزة .

بينما يتأكد الأمن للفلسطينيين اليهود . وعند سماعك هذا مني في الاسماعيلية فان رد فعلك ـ ومرة ثانية فاني أتذكر كلماتك بكل الوضوح ـ كان « انها خطوة إلى الأمام » وخطوة كهذه من الصعب وصفها إذن بأنها « قديمة » أو أنها « خطوة إلى الوراء » ..

« أنني مسرور لما قرأته في خطابك عن رغبتك في الاستمرار في مباشرة جهود السلام وأنك لست ضد استئناف المباحثات في اطار اللجنة السياسية واللجنة العسكرية ، التي اتفقنا على انشائهما أثناء حديثنا الطيب في الاسماعيلية ، ولذلك فاني أقترح عليك مباشرة يا سيادة الرئيس أن تبدأ هذه المفاوضات من جديد ... » .

ولم يكن ما جاء في خطاب بيجن مفاجئًا لي ، ولم أكترث به كثيرا فقد كان يخيل لي أننا في موقف مريح نسبيا بعد أن ألقينا عبء تحريك الموقف الاسرائيلي على الولايات المتحدة الأمريكية حسبما تم عليه الاتفاق في زيارتنا الأخيرة لها . وانصرفت تماما إلى استغلال هذه الفسحة من الوقت في اعادة ترتيب بيتنا من الداخل ومحاولة اصلاح ذات البين مع أشقائنا العرب .

الفصل السادس عشر

حرب وسط مباحثات السلام

في بداية شهر مارس (اذار) كان العمل في وزارة الخارجية يجري على قدم وساق لدراسة كيفية الاستفادة من فرصة سانحة هى اجتماع مجلس الجامعة العربية المقرر عقده في النصف الثاني من شهر مارس بمقر الجامعة في القاهرة . وكان اجتماعا دوريا عاديا لبحث بعض الموضوعات المتعلقة بميزانية الجامعة ومسائل ادارية أخرى . وكان المقرر عقده على مستوى السفراء العرب المعتمدين لدى الجامعة العربية .

وبالنسبة لي كان الأمر يعني أكثر من ذلك بكثير . ذلك أنه كان أول اجتماع لمجلس الجامعة يحل بعد زيارة الرئيس السادات للقدس ومن ثم كان له مغزى ودلالات فيما يتعلق بمن يحضر الاجتماع ومن لا يحضره والمستوى الذي ينعقد على أساسه ومسار واتجاهات العمل في جلساته .

صحيح أن هذا قد لا يعني مصر مباشرة . فجامعة الدول العربية لها شخصيتها الاعتبارية المستقلة وكون أن القاهرة هى مقر اجتماعاتها بحكم ميثاق الدول العربية لا يعني أن من يحضر تلك الاجتماعات يقر السياسة المصرية ولو ضمنا ، بل هى منبر لمهاجمة هذه السياسة لمن يشاء ، وهو وضع مماثل إلى حد ما لمقر الأمم المتحدة في نيويورك حيث هو حق لكل دولة عضو في الامم المتحدة في حضور جلساتها بصرف النظر عن علاقاتها بالولايات المتحدة التي يقع المقر في أراضيها .

وكان هناك احتمال أن تقاطع الاجتماع دول جبهة الرفض :

سوريا والجزائر وليبيا واليمن الجنوبية وكذلك العراق ومنظمة التحرير الفلسطينية وهى عضو عامل في الجامعة . ولكن كان الأخطر من ذلك هو احتمال قيام هذه الدول بالتأثير على عدد من الدول الأخرى التي لم تتخذ موقفا صريحا من المبادرة بالقبول أو الرفض لمقاطعة الاجتماع بدورها .

ومن ثم فقد رأينا أن التحرك بسرعة والسعي بكل جهد لتحقيق انعقاد الاجتماع على مستوى الوزراء وضمان مشاركة العدد الأكبر من أعضاء الجامعة لما في ذلك من دلالات مظهرية من ناحية ، ومن الناحية الثانية وهى الأهم هى أن تتاح لي الفرصة وأنا في بلدي للالتقاء بمن قد يحضر من الوزراء العرب الاجتماع لأقدم نفسي لهم بوصفي وزيرا جديدا للخارجية المصرية ولأؤكد سلامة الموقف المصري وصدق نواياه في تحقيق تسوية شاملة للنزاع العربي الاسرائيلي ودحض ما يردده البعض بشأن التوصل إلى حل جزئي أو اتفاق منفرد مع اسرائيل .

كان يعنيني للغاية اجراء حوار معهم استمع إلى فكرهم وأنقل إليهم فكري عسانا أن نهتدي إلى سبيل يحفظ الجبهة العربية من التردي إلى انهيار كامل مما يؤثر على موقفنا في المباحثات مع اسرائيل خاصة بعد الموقف العنيف والعنيد الذي اتخذته جبهة دول الرفض ومنظمة التحرير الفلسطينية من مبادرة السادات .

ولست أدعي خبرة واسعة في الشؤون العربية ، كما لم يكن لي معرفة سابقة بوزراء الخارجية العرب ـ وإن كنت قد قابلت بعضهم أثناء عملي الدبلوماسي في الخارج عند قيامهم بزيارات للدول التي كنت معتمدا فيها ـ وهداني تفكيري إلى الاستعانة بأستاذي محمود رياض الذي عاصر مشكلة النزاع العربي الاسرائيلي منذ بدايتها وشارك في الوفد المصري في مباحثات رودس سنة ١٩٤٩ التي أسفرت عن توقيع اتفاقيات الهدنة بين مصر واسرائيل ، والتي تبعها توقيع

اتفاقيات مماثلة بين اسرائيل وسوريا والأردن ولبنان ، ثم عمل وزيرا للخارجية المصرية لمدة سبع سنوات متصلة وبعد ذلك انتخب أمينا عاما للجامعة العربية في سنة ١٩٧٢ . وهو شخصية جادة حنكتها التجارب ويحظى باحترام وتقدير الجميع كما أنه حجة ومرجع في الشؤون العربية فضلا عن علاقاته الوثيقة بالرؤساء والملوك العرب ووزراء خارجيتهم .

المبادرة لن تنجح :

وكان رأي محمود رياض أن المبادرة التي قام بها السادات لن تنجح في تحقيق التسوية الشاملة للنزاع العربي الاسرائيلي نظرا لتكالب اسرائيل على التمسك بالأراضي العربية المحتلة وفقا لمطامعها التوسعية من جهة ، ومن جهة أخرى نظرا للانقسامات التي أحدثتها المبادرة بين الدول العربية مما أثر على التضامن العربي الذي بلغ أقصاه في حرب سنة ١٩٧٣ وبعدها ، والذي زرعت بذوره اتفاقيات فض الاشتباك التي أبرمتها مصر واسرائيل . ومع ذلك فقد كان يرى أن المبادرة قد حدثت وأصبحت حقيقة واقعة ويتحتم التعامل معها على هذا الأساس .

وكان أكثر ما يعنيه في هذا المجال هو انقاذ الجبهة العربية من التفكك ومحاولة الحفاظ على قدر من التضامن بين الدول العربية يكون ذخيرتها ومنطلقها متى ثبت فشل المبادرة ، وبالتالي كان يعنيه عدم عزل مصر أو انعزالها عن العالم العربي . لذلك فقد استجاب تماما لرجائي في بذل مساعيه الحميدة ليتم عقد اجتماع مجلس الجامعة على مستوى الوزراء .

ومن الناحية الأخرى كان الملك الحسن الثاني ملك المغرب والذي كان مؤيدا ومتحمسا لمبادرة الرئيس السادات يبذل جهدا كبيرا في نفس الاتجاه .

وبالفعل بدأت البرقيات تصل الوزارة بقبول بعض وزراء

الخارجية العرب المشاركة في الاجتماع الواحد وراء الآخر وبدأ الأمر مشجعا ومبشرا بالخير .

وفي هذه الأثناء حدث تطور خطير أدى إلى عواقب وخيمة وزاد الموقف تعقيدا بين مصر وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية ، ففي يوم ١١ مارس (اذار) قامت مجموعة من الفدائيين الفلسطينيين بعملية جريئة ، إذ تمكن نحو عشرة منهم عن طريق استخدام قوارب من المطاط من الرسو على الشاطىء الاسرائيلي بالقرب من حيفا حيث نزلوا وتمكنوا من الاستيلاء على عربة أوتوبيس واتجهوا بها نحو تل أبيب حيث تصدت لهم القوات الاسرائيلية وقامت معركة بين الطرفين قتل فيها غالبية الفدائيين العشرة كما قتل فيها نحو خمسة وثلاثين اسرائيليا إلى جانب عدد من الجرحى ، وكانت غالبية القتلى نتيجة انفجار الأوتوبيس بمن فيه عندما هاجمته القوات الاسرائيلية . وبطبيعة الحال بتنا نتوقع رد الفعل الاسرائيلي .

الرد الاسرائيلي على العملية الفدائية :

أصدرت وزارة الخارجية المصرية تصريحا في يوم ١٢ مارس (آذار) نصه :

« ان الحادث الذي وقع أمس في اسرائيل إنما يعتبر تأكيدا جديدا بصحة الموقف المصري الذي عبرت عنه مبادرة الرئيس السادات للسلام من ضرورة الاسراع بايجاد التسوية السلمية الشاملة لمشكلة الشرق الأوسط ، ومن أن السلام لا يمكن أن يتحقق في المنطقة إلا بتسوية المشكلة الفلسطينية من جميع جوانبها وتمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقه المشروع في تقرير مصيره .

إن سياسة رفض الاعتراف بالحقوق العربية المشروعة هى التى أدخلت المنطقة خلال الثلاثين عاما الأخيرة إلى دائرة العنف وازهاق الأرواح التي تستهدف مبادرة الرئيس السادات الخروج

منها عن طريق اقرار الحق والعدل » .

وفي ساعة متأخرة من ليلة ١٤ مارس (اذار) جاء الرد الاسرائيلي في شكل عدوان شامل مدمر على جنوب لبنان بما لا يتناسب بحال مع العملية الفلسطينية الفدائية التي اتخذتها اسرائيل ذريعة له . وبشكل يفضح ويفضح بالنوايا الاسرائيلية المعروفة والمبيتة لضم جنوب لبنان وفقا لمخططها التوسعي والاستيلاء على منابع نهر الليطاني .

فقد قام أكثر من ثلاثين ألف جندي اسرائيلي من القوات البرية والجوية والبحرية بغزو واسع النطاق لجنوب لبنان بزعم مطاردة الفدائيين الفلسطينيين والقضاء على قواعدهم فيه ، واستخدم الجيش الاسرائيلي الأسلحة الأمريكية الفتاكة فكانت تحصد الأحياء دون تمييز بين لبناني وفلسطيني فدائيا كان أو لاجئا طردته اسرائيل من وطنه ودون تمييز بين رجل أو سيدة أو طفل أو طفلة ، وحاق الخراب والدمار حيثما حل الغزاة الاسرائيليون فدمرت أكثر من تسعين قرية آمنة وهرعت طوابير اللاجئين التعسة تحمل جرحاها وتجرجر أطفالها في اتجاه بيروت هربا من القتل والدمار وبلغ عدد النازحين أكثر من مائة ألف .

وكان يعاون اسرائيل في غزوها لجنوب لبنان الطابور الخامس من المليشيا المسيحية اللبنانية بقيادة الرائد سعد حداد الضابط اللبناني المنشق وعميل اسرائيل وقرينها في التعصب العنصري .

غير أن الغزو الاسرائيلي قوبل من جانب رجال منظمة التحرير الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية ببسالة وشجاعة منقطعة النظير فقتل وجرح من القوات المعتدية المئات كما دمر الكثير من الأسلحة والعتاد الاسرائيلي ولم ينجح الغزو الاسرائيلي في نهاية الأمر في تحقيق أحد أهدافه الرئيسية بالقضاء على المقاومة الفلسطينية .

الدرس الفلسطيني :

في صباح اليوم التالي للغزو الاسرائيلي لجنوب لبنان اتصلت تليفونيا بالرئيس السادات في استراحة القناطر الخيرية لأعرض عليه البيان الذي أعددته لاصداره باسم وزير خارجية مصر حول العدوان الاسرائيلي على لبنان إلا أني لم أتمكن من محادثته لأنه كان لايزال نائما . وعاودت الاتصال به بعد ذلك عدة مرات في فترات متباعدة دون جدوى . فبادرت باصدار البيان دون انتظار رأي السادات فيه إذ كان الموقف محرجا للغاية بالنسبة لمصر خاصة أمام العالم العربي وهى ترى الجيش الاسرائيلي ينتهك سيادة لبنان بالاعتداء على أراضيها والتعدي على قراها وأهاليها ، ويمارس عملية إبادة منظمة للفلسطينيين دون أن تحرك ساكنا .

وفي الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر اتصل بي السادات تليفونيا في الوزارة وسألني في صوت ملؤه التثاؤب عن السبب الذي طلبته تليفونيا من أجله عدة مرات في الصباح فأجبته بأن الأمر يتعلق بالهجوم الاسرائيلي على لبنان .

فقال السادات ضاحكا : « هل أعطوهم العلقة ولا لسه ؟ » ولم يخطر ببالي ما يقصده فقلت متسائلا « أفندم ؟ » فقال : « يعني أدبوهم ولا لسه ؟ » وفهمت أخيرا أنه يقصد إن كان قد تم للاسرائيليين تلقين الفلسطينيين درسا بسبب العملية التي قام بها الفدائيون داخل اسرائيل منذ أيام .

وكان الدم يندفع إلى شرايين رأسي وأنا أجيبه « لقد حدث العكس ولقن الفلسطينيون الاسرائيليين درسا » . وشرعت أقص عليه آخر المعلومات التي وصلتني عن المقاومة الباسلة التي يتصدى بها الفلسطينيون والقوى الوطنية اللبنانية للهجوم الاسرائيلي ، إذ يبدو أنهم كانوا قد أعدوا أنفسهم اعدادا جيدا لتوقعهم قيام اسرائيل بعملية مضادة داخل لبنان . وكان يستمع لكلامي في شيء من

الدهشة ، ثم أخبرته عن البيان الذي أصدرته فقال : « حسنا فعلت » وانتهت المكالمة .

وكنت أتفهم شعوره بعض الشيء ــ وإن لم أتفق معه ــ فقد كان غاضبا على منظمة التحرير الفلسطينية لانضمامها لجبهة الرفض وتهجمها عليه . كما أنه اعتبر ــ وكان هذا تقديري أيضا ــ العملية الفدائية التي قاموا بها داخل اسرائيل موجهة ضد مبادرته لاحراجه أمام الدول العربية وقطع الطريق على من قد يفكر فيها في الانضمام إلى مبادرته وخاصة الأردن ، إلا أن الأمركان في رأيي أكبر من غريزة التشفي .

الرسالة الاولى من نوعها :

وبعدها عندما صدر كتاب وايزمان « معركة السلام » في سنة ١٩٨١ قرأت فيه الفقرة التالية : « وبعد دقائق قليلة من اجتياز أول دبابة اسرائيلية لحدود جنوب لبنان ، دق جرس التليفون في مكتب « اليعازر ريمون » رئيس وفدنا في القاهرة . وبالرغم من الساعة المتأخرة في الليل صدرت تعليمات القيادة العامة في تل أبيب إلى ريمون للاتصال برئيس المخابرات المصرية « الجنرال شوكت » ليوافيه برسالة هامة . ولم يكن الأمر سهلا لأن العسكري « النوبتجي » كان يخشى أن يوقظ جنراله في مثل هذه الساعة غير المعتادة . وأخيرا اقتنع بعد إلحاح ريمون .

« منذ وقت قصير » أخطر ريمون شوكت : « بدأت قواتنا عملية محدودة على الحدود اللبنانية لازالة قواعد الارهابيين من المنطقة ، وأتعشم أن هذه العملية المحدودة لن تعطل المحادثات بين بلدينا » .

« كان هذا هو جوهر الرسالة ــ الاولى من نوعها ــ التي تلقاها

رئيس المخابرات العسكرية المصرية ، بعد أن اتفق على نصها بين بيجن وديان وأنا (أي وايزمان) » .

وعادت بي ذاكرتي إلى المحادثة التليفونية بيني وبين السادات منذ ثلاث سنوات وفهمت سر لهجته الهادئة وبرائته الضاحكة وهو يسألني عن درس التأديب ، فقد كان يعلم ـ قبل ذهابه إلى النوم ـ من الرسالة التي تلقاها أن اسرائيل بدأت « عملية محدودة » على الحدود مع لبنان ، كما فهمت سر دهشته وأنا أنقل إليه أخبار المعركة ، كان قد صحا لتوه من النوم عندما طلبني ولم يكن يخطر بباله أن « العملية المحدودة » قام بها جيش قوامه ثلاثون ألف جندي معزز بالطائرات والدبابات والأساطيل .

تجريح الموقف السوري :

وكما كانت العملية الفدائية الفلسطينية داخل اسرائيل والهجوم الاسرائيلي الذي أعقبها على جنوب لبنان محرجة لمصر ، فقد كانت بدورها محرجة لسوريا وبشكل مباشر .

فقد اضطرت سوريا إلى التدخل العسكري في لبنان بعد اشتعال الحرب الأهلية في سنة ١٩٧٥ بين القوى الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية من ناحية وبين القوات اليمينية المسيحية من الناحية الثانية ، مما أصبح يهدد وحدة لبنان ويعرضها للانقسام والتحلل . وقد نجح الجيش السوري في سنة ١٩٧٦ في السيطرة على الموقف بعد أن دخل معارك طاحنة مع الجانبين على التوالي وفي ٢٥ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٧٦ أقر مؤتمر القمة العربي الاستثنائي الذي انعقد في القاهرة الوجود العسكري السوري في لبنان ، داخل اطار قوات الأمن العربية الذي قرر تشكيلها .

وكانت قرارات المؤتمر تقضي بتوفير الضمانات اللازمة لتثبيت وقف اطلاق النار في لبنان والحفاظ على المقاومة الفلسطينية والتأكيد

على رفض تقسيم لبنان تحت أية صورة من الصور وعلى عدم التدخل في شؤونه الداخلية .

إلا أن الجيش السوري في لبنان كان يمثل العمود الفقري داخل قوات الأمن العربية فلم يكن اشتراك باقي الدول العربية وهى اليمن الشمالية واليمن الجنوبية والسودان والامارات العربية وليبيا إلا اشتراكا بقوات رمزية في الواقع .

ولا شك أن قيام الجيش الاسرائيلي بغزو جنوب لبنان في الوقت الذي توجد لسوريا قوات داخل لبنان تصل إلى نحو عشرين ألف جندي سوري ، دون أن تحرك ساكنا بل وتسعى إلى تلافي الاشتباك مع القوات الاسرائيلية بكل السبل كان يشكل احراجا بالغا لسوريا . ومهما يكن من سلامة وحكمة الموقف السوري بعدم الدخول في معركة مع الجيش الاسرائيلي لم تختر مكانها أو تحدد زمانها وتفرض عليها نتيجة عملية فدائية في لحظة عابرة إلا أن المظهر العام خاصة أمام الرأي العام العربي كان يصيبها بالحرج خاصة وأنها ترفض مبادرة السلام مع اسرائيل التي قام بها الرئيس السادات وتلعب دورا رئيسيا في جبهة الصمود والتصدي التي تكونت عقب المبادرة .

ولم يحاول السادات أن يفكر بعمق وإمعان في الموقف الناشىء عن الغزو الاسرائيلي للبنان أو أن يعهد إلى مستشاريه بدراسته من جميع الوجوه لاتخاذ الخط الذي يتسق مع خطورة الوضع ومع المصلحة العربية بل ومع مصلحة مصر نفسها . وإنما ترك العنان لانفعالاته وأصدر تعليماته لوزير الاعلام ولرؤساء تحرير الصحف للقيام بحملة اعلامية ضخمة لتجريح الموقف السوري وتعريته (وكشف عوراته) ببيان زيف موقف سوريا مما تدعيه من صمود وتصد وتقاعس جيشها عن مواجهة الغزو الاسرائيلي الذي يعتدي على سيادة لبنان وعن الدفاع عن المقاومة الفلسطينية التي يؤويها وسرد تاريخ سوريا الأسود في المذابح التي قامت بها ضد الفلسطينيين

في تل الزعتر وغيرها ..

وعبثا حاولت اقناع السادات بوقف هذه الحملة المتدفقة وكنت أخشى أن تندفع سوريا تحت ضغوط الاحراج والتشهير إلى الاشتباك مع القوات الاسرائيلية مما قد ينشأ عنه أوضاع خطيرة لا يمكن التكهن بنتائجها ليس فقط على صعيد الشرق الأوسط بل على الصعيد الدولي وستكون من بين نتائجه الجانبية القضاء المبرم على مبادرة السلام التي قام بها .

وقلت للرئيس السادات : إن هذا الموقف يذكرني بما حدث في مايو (ايار) ١٩٦٧ عندما كانت بعض الدول العربية وخاصة سوريا والأردن تهاجم تصريحات الرئيس عبد الناصر باستعداده للحرب مع اسرائيل وتعيره بأنه ما كان يعلنها لولا أنه يتستر وراء حاجز قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة والتي تفصل بينه وبين اسرائيل على الحدود المصرية وفي قطاع غزة مما حدا به في النهاية إلى أن يطلب من يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة سحب هذه القوات لتحل محلها قوات الجيش المصري وكان ذلك من الذرائع التي تعللت بها اسرائيل لشن حرب ١٩٦٧ مما أدى إلى احتلالها للأراضي العربية الذي نعاني منه إلى الآن .

كذلك شرحت له رأيي في أن موقفنا من الهجوم الاسرائيلي يجب أن يرتكز على اعلان تضامننا مع لبنان وسوريا ومنظمة التحرير إزاء الخطر الذي يتهددها وعلى إدانة وشجب العدوان الاسرائيلي بكل قوة خاصة وانها تقوم به في الوقت الذي تتفاوض فيه معنا على السلام ، وأن مصلحتنا هى في عدم تكريس الفرقة والمرارة التي نتجت عن المبادرة فاننا مضطرون إلى أن نرتد إلى عالمنا العربي سواء في الحرب أو السلام وسواء فشلت المبادرة أو نجحت وإلا فكيف سيتحقق ــ جدلا ــ ما طالب به الرئيس السادات في القدس من انسحاب اسرائيل من الجولان وحل القضية الفلسطينية والقطيعة راسخة بينه وبين سوريا ومنظمة التحرير ؟

www.library4arab.com/

والأكثر من ذلك أن مهاجمتنا لسوريا من هذه الزاوية ترتد وتنعكس علينا بدورها فبيتنا من الزجاج إذ نحن ملتزمون بمقتضى ميثاق الدفاع العربي المشترك بأن نهب عسكريا لنجدة لبنان أو أية

دولة عربية عضو في الميثاق إذا ما تعرضت لعدوان خارجي فما البال ونحن أكبر الدول العربية وأشدها بأسا . إلا أنه ــ مرة ثانية ــ كان الانفعال وكانت الغريزة أقوى من كل شيء .

احراج الولايات المتحدة :

وكان الطرف الثالث الذي أصابه الحرج بعد مصر وسوريا من جراء الهجوم الاسرائيلي على لبنان هو الولايات المتحدة الأمريكية نفسها من ناحيتين ، الاولى أن الولايات المتحدة كانت قد أكدت مرارا للعديد من العواصم العربية أنها لن تسمح بأي عدوان اسرائيلي على لبنان .

والثانية أن اسرائيل استخدمت في هجومها العدواني على لبنان الأسلحة الأمريكية المتطورة مثل طائرات الفانتوم وقنابل البلي (الانشطارية) الفتاكة وذلك بالمخالفة للاتفاقية المعقودة بينها وبين الولايات المتحدة منذ عام ١٩٥٢ والتي بمقتضاها لا يتم تسليم اسرائيل هذه الأنواع من الأسلحة إلا بعد تعهدها بعدم استخدامها في الهجوم على الغير . وقد أكدت وزارة الخارجية الأمريكية رسميا في شهر ابريل (نيسان) ١٩٧٨ « أن القوات الاسرائيلية قد استخدمت قنابل البلي الأمريكية الفتاكة المضادة للأفراد ضد السكان المدنيين أثناء غزوها لجنوب لبنان منتهكة بذلك القوانين الخاصة

بالأسلحة الأمريكية . فضلا عن أن الاتفاقية التي تم بمقتضاها تسليم مثل هذه الأسلحة لاسرائيل تقضي بعدم استخدامها إلا في حرب واسعة النطاق وضد الأهداف العسكرية فقط دون الأهداف المدنية » .

والأهم من ذلك أن الولايات المتحدة كانت تقدر مخاطر الموقف فيما لو تطور إلى اشتباك بين القوات الاسرائيلية والسورية على الأراضي اللبنانية وما قد يؤدي إليه وقوع مثل ذلك من تعقيدات على المستوى الدولي وخاصة بالنسبة للاتحاد السوفيتي ومن هنا سارعت الخارجية الأمريكية باصدار بيان رسمي يدعو اسرائيل إلى الانسحاب من جنوب لبنان على أن يقترن ذلك باعداد ترتيبات للأمن لضمان عدم تكرار هجمات المقاومة الفلسطينية على اسرائيل من الأراضي اللبنانية .

ولم يلبث أن أدرك الرئيس السادات بدوره خطورة الموقف في لبنان وأن من شأن عدم معالجته بسرعة القضاء المبرم على مباحثات السلام ، فطلب اعداد خطاب عاجل للرئيس كارتر يحثه على التدخل الجاد للعمل على انسحاب القوات الاسرائيلية من لبنان . وقد سلمته للسفير الأمريكي في ١٧ مارس (اذار) وأورد هنا منه بعض الفقرات :

« .... وأرجو أن أوضح بروح الصداقة التي تتطلب المصارحة التامة أن هذا الانسحاب (الاسرائيلي) يجب أن يتم فورا . ويجب العمل على أن يفهم الاسرائيليون أن الموقف الحالي الناشىء عن هجومهم واسع النطاق واحتلالهم لأجزاء كبيرة من جنوب لبنان مليء بالمخاطر ويخلق توترات متصاعدة قد تؤذي مباحثات السلام التي يلتزم كلانا نحوها بحزم ، ويجب أن تدرك اسرائيل أن أعمالها ، التي من الواضح أنها لا تتناسب مع حادث الأوتوبيس ـ الذي عبرت عن الأسف ـ بشأنه ، تقدم الحجج للذين يعتقدون أن حكومة اسرائيل غير مخلصة في رغبتها لمقابلة عزمنا على التوصل إلى سلام شامل وعادل ودائم ...

أما بشأن مشكلة الأمن ـ والتي أنا أعرفها تماما ـ فأعتقد أنها قد تحل جزئيا بوضع الجيش اللبناني أوقوات الأمم المتحدة على

الحدود بين اسرائيل ولبنان ولكن هذا في رأيي يجب أن يرتبط بقبول اسرائيل ـ على الأقل ـ بصياغتك الخاصة بحل المشكلة الفلسطينية من جميع نواحيها . وهذا في الواقع هو الطريق الوحيد لضمان الأمن الدائم ومنع الفلسطينيين الذين يعانون من الاحباط من الاندفاع إلى طريق العنف .

وأعتقد أن لدينا فرصة حقيقية لتحول هذه الأحداث المؤسفة إلى مناسبة لدفع جهودنا نحو السلام ، ولكن الأسبقية الأولى هى أن يتم الانسحاب بأسرع ما يمكن ، ويتبع ذلك بخطوات فورية في الاتجاه الذي أشرت إليه . »

وبالفعل تقدمت الولايات المتحدة بمشروع قرار وافق عليه مجلس الأمن في ١٩ مارس (اذار) برقم ٤٢٥ يقضي بأن تكف اسرائيل فورا عن عملها العسكري ضد وحدة وسلامة أراضي لبنان والمبادرة بسحب قواتها من الأراضي اللبنانية ، كما يقضي القرار بوضع قوات للأمم المتحدة فورا في جنوب لبنان تكون تابعة لحكومة لبنان » .

وتلكأت اسرائيل كالعادة في تنفيذ الانسحاب الذي ينص عليه القرار شأن موقفها الثابت من سيل القرارات الصادرة من الأمم المتحدة ضدها على مدى أكثر من ثلاثين عاما وكأن الأمم المتحدة لم تصدر في تاريخها إلا قرارا واحدا مقبولا لها هو تقسيم فلسطين إلى دولة فلسطينية وأخرى يهودية ، وهو ما سارعت اسرائيل بتنفيذه فأقامت دولتها وسرعان ما تحولت إلى الخطوة التالية في تنفيذ مخططها التوسعي لتلتهم أراضي الدولة الأخرى التي نص عليها القرار فاحتلت على مراحل أجزاء كبيرة من الأراضي التي خصصها القرار للدولة الفلسطينية . ولم تلبث أن احتلت في سنة ١٩٦٧ باقي هذه الأراضي في الضفة الغربية وغزة وهاهى تسعى إلى تكريس الاحتلال واقرار الأمر الواقع حتى تتهيأ لها ظروف ضمها وليذهب الشعب الفلسطيني ومن ورائه الأمم المتحدة إلى الجحيم .

الفصل السابع عشر

طعنـــــة عشــــــواء

وسط هذا الجو المضطرب بدأت وفود الدول العربية تصل إلى القاهرة الواحد بعد الآخر للاشتراك في اجتماع مجلس الجامعة العربية في ٢٧ مارس (اذار) ١٩٧٨م وحضر الاجتماع ممثلون عن الدول العربية جميعا عدا سوريا وليبيا والجزائر واليمن الجنوبية التي قاطعت الاجتماع احتجاجا على زيارة الرئيس السـادات للقدس ، أما منظمة التحرير فقد شاركت في الاجتماع مما أسعدني كثيرا ، وشارك في الاجتماع أربعة عشر وزيرا للخارجية وكان ذلك في حد ذاته ذا مغزى كبير .

وقد تحدثت في الاجتماع فأشرت إلى الآثار العميقة التي أحدثتها مبادرة السلام في الرأي العام الأمريكي الذي ضللته الدعايات الاسرائيلية طويلا ، وإلى ما نتج عنها من خلاف بين الحكومة الأمريكية والحكومة الاسرائيلية بسبب رفض اسرائيل للسلام الشامل وذكرت أن التفاعلات الناشئة عن طرح المبادرة في القدس قد وصلت إلى داخل اسرائيل نفسها .

كما أكدت على التزام مصر بالتسوية الشاملة المبنية على الانسحاب الاسرائيلي من جميع الأراضي العربية المحتلـة عام ١٩٦٧م وتحقيق حقوق الشعب الفلسطيني المشروعه وعلى رأسها حقه في تقرير المصير .

وعرض السيد محمود رياض الأمين العام للجامعة الموقف مركزا على ضرورة استعادة التضامن العربي ، خاصة بعد رفض

اسرائيل الاستجابة إلى مطلب السلام الشامل وبعد قيامها بالعدوان الواسع على جنوب لبنان . واقترح بالتالي السعى إلى وحدة العمل العربي عن طريق مؤتمر قمة عربي لمواجهة التحدي الاسرائيلي .

كما تقرر في الاجتماع الموافقة على اقتراح وزير خارجية الكويت الشيخ الصباح تشكيل لجنة لتصفية الخلافات العربية بين مصر والدول العربية الرافضة للمبادرة . وفعلا تشكلت لجنة للتضامن العربي برئاسة الرئيس السوداني جعفر نميري وعضوية الأمين العام للجامعة العربية ووزراء خارجية السعودية والكويت والأردن والامارات العربية واليمن الشمالية ، كما قرر المجلس عقد مؤتمر قمة عربي على مستوى القمة في أقرب فرصة .

وكان جو الاجتماعات طيبا بوجه عام وباعثا على الأمل في امكانية كسر حدة الخلافات العربية التي تعصف بها ويحقق قدرا من التفاهم بينها . إلا أن القيمة الحقيقية لهذا الاجتماع كانت فيما أتاحه لي من اتصالات جانبية غير رسمية مع وزراء الخارجية العرب .

ففي مساء يوم وصولهم زرت الأمير سعود الفيصل وزير خارجية السعودية في جناحه بفندق هيلتون واستمر لقاؤنا أكثر من ثلاث ساعات كان شابا وسيما ، متأصلة فيه سمات الارستقراطية العربية العريقة ، ذكيا ذا ثقافة عالية ونسب كريم . وكنت أشعر وأنا القاه لأول مرة أني أعرفه من قبل ربما لأني كنت أكن اعجابا وتقديرا كبيرين لوالده الراحل الملك فيصل .

كما كنت أتابع قبل أن أتولى وزارة الخارجية أحاديثه وتصريحاته في الصحافة العالمية وكنت أعجب باتزانه ومنطقها والتزامها .

وقد قدمت نفسي إليه والتزمت الصراحة التامة معه فيما يتعلق بالمبادرة وأكدت له ثقتي في عزيمة الرئيس السادات على تحقيق

السلام الشامل واستحالة الانحراف عنه إلى حل جزئي أو منفرد لأن طبيعة الموقف تأبى ذلك وذكرت له أن هذا كان شرط قبولي العمل معه وزيرا للخارجية ولو لمست غير ذلك لتركت الوزارة على الفور .

وأعربت له عن الأهمية البالغة في أن تقوم المملكة العربية السعودية بمساندته ودعمه بما لها من امكانيات ضخمة وقوة تأثير ضاغطة على الولايات المتحدة الأمريكية . هذا إلى جانب سعي السعودية لرأب الصدع الذي أحدثته المبادرة في العالم العربي والذي هو أخطر ما يهدد قضيتنا .

وقد جرى الحديث بيننا ببساطة ويسر ودون كلفة واتفقنا على أن نكون على اتصال مستمر نتبادل المعلومات وننسق المواقف قدر الامكان وعندما تركته كنت أشعر بأن علاقة صادقة قوامها الصراحة والتفاهم والثقة المتبادلة قد نشأت بيننا .

وبعد ساعة التقيت بالأمير سعود الفيصل من جديد في جناح الشيخ صباح وزير خارجية الكويت الذي كان قد دعا باقي وزراء الخارجية العرب والأمين العام للجامعة إلى عشاء غير رسمي .

ودار بيني وبين الحاضرين مناقشات امتدت إلى ما بعد الثانية صباحا وكان الشيخ صباح يقوم بدور المدعي العام ضد المبادرة وكنت أقوم بدور المحامي عنها . وفي أحيان كثيرة كانت الأسئلة توجه الي كما لو كنت المتهم إلا أن الجو العام كانت تسوده الصراحة والألفة والاخوة ، وقد أتاح لي هذا الاستجواب ايضاح ما حققته المبادرة من ايجابيات وتبسيط ما يدور حولها من شكوك وانتهيت إلى أن أحدا لا يستطيع أن يقطع بأن المبادرة قد فشلت حتى الآن فالموقف المصري من التسوية الشاملة ثابت مستمر والتحولات والتفاعلات في العالم أجمع حتى داخل اسرائيل تترى في صالح السلام الشامل .

وأعتقد أني كنت موفقا في عرضي ، كما بدا لي أن الحاضرين قد لمسوا في حديثي ملامح الصدق والاخلاص والاقتناع بما أقوله وربما

ساعد على ذلك ما تردد عن خلفيتي الوطنية كما كان موقفي في القدس أثناء اجتماعات اللجنة السياسية قد لاقى تقديرا في بعض الدوائر العربية .

تخريب التقارب العربي ..

وفي أثناء اجتماعات مجلس الجامعة في اليوم التالي أبدى لي الأمير سعود الفيصل رغبته في مقابلة الرئيس السادات فوعدته بتحديد موعد له معه . وعندما عدت إلى مكتبي اتصلت بالرئيس وأبلغته برغبة الأمير فقال انه متوعك ومشغول ، فقلت : انني لا أستطيع أن أعتذر له وليس ذلك من المصلحة ، وازاء الحاحي وافق على مقابلته في استراحة القناطر في الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم التالي ٢٨ مارس (اذار) وطلب مني أن أحضر المقابلة معه .

وفي ظهر اليوم التالي كنت في مكتبي وكان معي السفير أحمد عثمان وكيل الوزارة والسفير أحمد ماهر مدير مكتبي وكنت أسرد عليهما ما دار بيني وبين الوزراء العرب وأنا أشعر بالفرح والتفاؤل نتيجة ما أسفر عنه . عندما دق جرس التليفون المؤمن المباشر وكان المتحدث الرئيس السادات الذي سألني عن كيفية سير الأمور مع الوزراء العرب وأجبته بأنها كانت طيبة وأني أرسلت اليه مذكرة بذلك فقال :

على فكره يا محمد عزرا وايزمان أرسل لي برقية (عن طريق البعثة الاسرائيلية) يطلب الحضور إلى القاهرة وقد رددت عليه بموافقتي على ذلك .

وأجبته في ذهول « وكيف توافق على ذلك والوزراء العرب مجتمعون في القاهرة والجيش الاسرائيلي يحصد الأرواح وينشر الدمار في لبنان ؟ .

فقال « لابد وأن لديه رسالة هامة يريد أن ينقلها الي »

قلت « ولماذا لا يرسلها عن طريق السفارة الأمريكية حسب

ما يجري عليه العمل ؟ أو عن طريق المحطة الاسرائيلية » .

قال : « وماذا نخسر من حضوره والاستماع اليه ؟ وليس هناك داع لأن يعلم أحد بحضوره إلى مصر » .

وجن جنوني وأنا أرد عليه « نخسر الكثير ، ان اختياره الحضور في هذا الوقت الذي يجتمع فيه الوزراء العرب هنا ليس اعتباطا ، انه تخريب متعمد لأى تقارب عربي مع مصر ، أما اذا كنت مصرا على عدم الغاء دعوته فيجب أن يعلن عن وصوله فأنا أتعامل مع الناس على أساس الثقة ولست مستعدا لهدم سمعتي التي ظللت أبنيها وأحافظ عليها طوال عمري » .

فقال غاضبا « طبعا سأعلن عن وصوله فأنا لا أعمل في الظلام ولا أخشى أحدا » .

وعدت أرجوه في هدوء أن يلغي زيارة وايزمان أو يرجئها على الأقل في الوقت الحالي فقال السادات « انت أصلك لا تعرف وايزمان انه صديقي » .

وهنا انفجرت صائحا : أتنسى أنه عضو حزب حيروت ان أمامي الآن تصريحات وايزمان منذ أيام في التلفزيون الأمريكي وهو ملتزم فيها بخط مناحم بيجن مائة في المائة . ماذا يعني أنه صديقك ؟ لعنة الله عليه وعلى أبيه .

وسمعت صوته وهو يقول في عصبية « طيب يا محمد أفندي ، طيب يا محمد أفندي".. ثم سمعت صوت سماعة التليفون وهو يغلقها في وجهي .

لقاء السادات وسعود الفيصل ..

كنت أتجاذب الحديث مع الأمير سعود الفيصل والسيارة تنطلق بنا في اتجاه القناطر الخيرية . وكنت قد استعدت هدوئي بعد المكالمة التليفونية العاصفة مع الرئيس السادات وتناولتني الحيرة بين الصمت وبين أن أقول للأمير ما حدث . ثم أثرت السكوت اذ تغلب علي

الأمل في أن أنجح في اقناع الرئيس السادات بالغاء زيارة وايزمان دون ما داع لاثارة ضجة حولها .

وعند وصولنا أدخلنا إلى أحد صالونات الاستراحة وبعد دقائق

لحق بنا السادات وبعد أن حيانا جلسنا وسكت فترة وبدا لي أنه في احدى حالات الشرود التي تنتابه أحيانا . ثم قال موجها الحديث للأمير « أنا سعيد للغاية انك تقابلت أخيرا مع محمد كامل وأنا على ثقة من أنكما ستتفاهمان مع بعضكما تماما . وستجده شجاعا صادقا لا يعرف الالتواء وأنا أرجو أن تقوم بينكما علاقة إخاء وتعاون » .

ورد الأمير بأن ذلك قد حدث بالفعل وأنه يتطلع إلى قيام اتصال وثيق بيننا كما تكلمت بدوري في نفس الاتجاه .ثم ساد السكون فترة أخرى . وتكلم الأمير فنقل إلى الرئيس السادات تحيات وتمنيات كل من الملك خالد والأمير فهد ، فرد عليه السادات وحمله تحياته وتمنياته اليهما .

ثم شرع يستفسر عن عدد من الأمراء كالأمير سلطان والأمير تركي.. وأجابه الأمير سعود الفيصل على استفساراته ، ثم عاد السكون مرة ثالثة ، فبادرت برواية ملخص لما دار في الاجتماعات وبعض الطرائف التي تخللتها وعاد السكون من جديد .

ولم يلبث أن قطعه الرئيس السادات موجها الحديث إلى الأمير فذكر أن وايزمان وزير الدفاع الاسرائيلي قد طلب منه الحضور إلى القاهرة وأنه أذن له في ذلك لأنه الوحيد الذي يستطيع التفاهم معه من بين الطاقم الاسرائيلي وأنه يعتقد أنه يحمل معه أنباء عن تحول في الموقف الاسرائيلي المتعنت مما يقتضي الأمر بحثه معه وأنه سيستمع

اليه على كل حال ويقرر ما يفعله على ضوء ذلك . ونظر الى الأمير والدهشة تغلف وجهه ولم يعلق بكلمة .

ثم استرسل السادات في الحديث فعبر عن ثقته في نجاح مبادرته رغم ما يثيره بيجن من عقبات بعقليته المتحجرة ونظرياته

التوسعية وأنه ـ أي بيجن ـ سيضطر للتراجع ازاء الضغوط الدولية عليه وخاصة من الولايات المتحدة بل من داخل اسرائيل نفسها .

ومرة ثانية عاد السادات يحمل الأمير تحياته وتمنياته للملك خالد وأفراد العائلة وانتهت المقابلة .

ارجوك افعل ..

وفي طريق العودة إلى القاهرة لم يكف الأمير الفيصل عن ترديد الأسئلة وكان يبدو أنه يوجهها لي ولنفسه في ذات الوقت : لماذا يفعل الرئيس السادات ذلك ؟ ولماذا في هذا الوقت والوزراء العرب في القاهرة ؟ لماذا لا يفسح الفرصة لاعادة التضامن العربي الذي يعملون بكل جهدهم على انقاذه ؟ واذا كانت هناك مصلحة في لقاء وايزمان فهل الوقت مناسب لذلك وجيش اسرائيل يغزو لبنان ؟..

وكنت أجيبه بأني أتفق معه تماما في كل هذا وأني أبلغت السادات برأيي بل ووقعت مشادة بيننا في التليفون ، ولكني أؤكد له بأن الرئيس السادات لم يقبل حضور وايزمان بسوء نية وانما ربما يعتقد أنه ليس هناك خسارة في الحوار والمناقشة وربما يطمع في أن يقنعه بالانسحاب من لبنان أو بالعمل على تغيير الموقف الاسرائيلي أو ما شابه ذلك . وقبل وصولنا إلى فندق الهيلتون سألني الأمير الفيصل عن رأيي في أن يبرق للملك خالد ليرسل عاجلا إلى الرئيس السادات رسالة يرجوه فيها العدول عن استقبال وايزمان في القاهرة . فأجبته أني أوافق على هذه الفكرة بكل تأكيد ورجوته أن يفعل كما وعدته بأني سأثير الموضوع مع الرئيس من جانبي من جديد .

وصدقته مرة أخرى ..

وفي المساء حضر الوزراء والسفراء العرب ورجال الجامعة العربية حفل العشاء الذي أقمته تكريما لهم بمناسبة انتهــاء اجتماعات مجلس الجامعة ، وألقيت كلمة استأذنتهم ضاحكا في

بدايتها في القائها باللغة العربية المصرية حتى أتحاشى أغلاط النحو والهجاء أمامهم وهم أساطين اللغة العربية . وكانت كلمة قصيرة وبسيطة أكدت فيها من جديد عزم مصر على تحقيق الانسحاب الاسرائيلي الكامل من جميع الأراضي العربية وتحقيق حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة كما أكدت حرصنا البالغ على التضامن العربي وترحيبنا بكل جهد يسعى لازالة سوء التفاهم الذي نشأ بين مصر وبعض الدول العربية الشقيقة .

وفي صباح اليوم التالي ٢٩ مارس (اذار) بدأ الوزراء العرب العودة إلى بلادهم وفي المساء أعلن عن وصول وزير الدفاع الاسرائيلي وايزمان إلى القاهرة .

وبعدها بيومين طلبني الرئيس السادات في التليفون وقال ان وايزمان لم يحمل معه جديدا في زيارته وأنه طلب منه قبل عودته إلى اسرائيل أن يبلغ مناحم بيجن أنه لم يقم حتى الآن بالرد على مبادرة السلام وأن مصر لا تبحث عن تسوية منفردة أو جزئية وانما تسعى الى سلام شامل على أساس الانسحاب الاسرائيلي الكامل من جميع الأراضي العربية المحتلة .

ولم يكن أمامي ما يدعو إلى عدم تصديقه .

الفصل الثامن عشر

« القصة من الجانب الآخر بدون تعليق »

ومضت ثلاث سنوات دون أن أعلم بما حدث في لقاء السادات مع وايزمان في القاهرة في يومي ٣٠و٣١ مارس (اذار) ١٩٧٨م خلاف ما ذكره لي الرئيس السادات ـ الى أن أرسل لي أحد أصدقائي في الخارج نسخة من كتاب عزرا وايزمان « المعركة من أجل السلام » الذي صدر في مارس (اذار) ١٩٨١م .

وكم تمنيت لو لم يكتب وايزمان كتابه أو لو كان قد أسقط منه ما دار بينه وبين السادات أثناء تلك الزيارة . أو لم يقع الكتاب في يدي وأطلع عليه . فقد أثار في نفسي مرارة كبيرة وشعرت أنه كان يغرر بي وأطعن من الخلف ، أو بالأحرى تطعن الجهود المخلصة الصادقة التي كنت أبذلها مع زملائي في الوزارة على حساب أعصابنا وصحتنا عسى أن نحقق للسادات ولبلدنا وقضيتنا من قبله ما نعتقد أنه تعزيز لموقفنا في المفاوضات بما يكفل لنا النجاح أو على الأقل ألا يصيبنا الا أقل الخسائر .

ناهيك عن التردي في الهوة السحيقة الذي حدث في النهاية وتذكرت بعد قراءة كتاب وايزمان قصة « جورج أو رول » « مزرعة الحيوانات » وتذكرت شخصية « الرفيق نابليون » الخنزير وشخصية سنوبول « الحصان » ـ وأرجو ألا يخل بتواضعي اذا قلت اني أعتقد ـ أنه بالنسبة لشخصية هذا الأخير ـ بأني أكثر منه ذكاء وأقل منه براءة ولعل قراءتي لكتاب وايزمان وكتاب ديان كانت من الدوافع التي حدت بي الى المسارعة بتدوين تجربتي في هذه المذكرات .

وأبادر بالتحفظ فأقول إني لا أستطيع أن أقطع من الصادق ومن الكاذب . فقد قال لي السادات أن وايزمان هو الذي أرسل إليه يطلب الحضور إلى القاهرة ومقابلته . وكتب وايزمان في كتابه أن العكس هو ما حصل ، أي أن السادات هو الذي أرسل إليه يطلب حضوره إلى القاهرة .

اذن أحدهما قد كذب فيما يتعلق بواقعة من دعا من . أما باقي ما دار في المقابلات التي تمت بينهما ــ وهو خطير جدا ــ فلم يخبرني السادات بشيء عنه مكتفيا بما ذكره لي عن نتيجة المقابلات مع أنه أبلغ وايزمان نقل الرسالة التي أشرت إليها سابقا إلى بيجن . وبالتالي فان ما كتبه وايزمان في كتابه تفصيلا عما دار في هذه المقابلات هو الرواية الوحيدة المطروحة أمامنا وقد تكون صادقة وقد لا تكون وهو أمر لا أستطيع الحكم عليه .

وأنتقل بعد ذلك إلى رواية وايزمان لعل القارىء يستخلص منها لنفسه الجواب .

الرسالة السرية ..

يقول وايزمان « نقلت الينا محطتنا في القاهـرة « زاهانا » رسالة شفرية أحيت الأمل ــ فقد كان زملائي في القيادة العامة وفي وزارة الدفاع يرون أنه ليس هناك ثمة امكانية لاستئناف مباحثات السلام طالما أن قواتنا تقوم بعمليات نشطه في لبنان ــ ولكن الرسالة ــ ذات السرية القصوى أربكت كل تنبؤاتنا ــ كان الرئيس المصري يطلب مني الحضور ومقابلته في يوم ٣٠ مارس (اذار) ١٩٧٨م » ويعبر وايزمان عن شعوره الشديد بالفرح عندما تلقى هذه البرقية ويقول انه اتصل على الفور برئيس الوزراء بيجن وأخبره بمحتواها .

فبادر بيجن بدعوة مجلس الوزراء للاجتماع لبحث الموضوع ،

ثم يقول وايزمان « في الوقت الذي أبرق فيه السادات لي ، كانت القاهرة مكتظة بوزراء الخارجية العرب الذين اجتمعوا (لحضور) مؤتمر للجامعة العربية ودعوة لوزير دفاع اسرائيل بينما القوات الاسرائيلية ترابط على الأراضي اللبنانية كانت تحديا سافرا للعالم العربي .

ثم يسرد أنه أبلغ مجلس الوزراء أن الموضوع دقيق وأن المصريين طلبوا في برقيتهم ألا نعلن شيئا عن المقابلة مسبقا . وأنه سأل في اجتماع المجلس عما يقوله للمصريين وأن بيجن أجابه « أن على وزير الدفاع أن يقول انه ليس هناك أحد في اسرائيل يقبل فك المستوطنات ، وأن ما تطلبونه أيها المصريون هو الانسحاب الكامل واقامة دولة فلسطينية ، قل لهم كلا الأمرين غير مقبول فهل هم مستعدون للتقدم بشيء آخر .

ويضيف وايزمان أن وزير التجارة والصناعة ييجال هورفيتز قال في المجلس « ان عيزرا وايزمان دعي الى القاهرة لأنهم يتخيلون أنه أقرب إليهم . ويجب عليه أن يخبر السادات أن يجد صيغة لا تعيدنا إلى حدود ١٩٦٧ .. بعد زيارة رئيس الوزراء للولايات المتحدة واتخاذ كارتر جانب مصر . فان مزاج السادات يحلق في السماء وعينيه في السحاب ، وستنمو ثقته في نفسه ما لم يعده شخص ما إلى صوابه » .. واخيرا قرر مجلس الوزراء الاسرائيلي الموافقة على سفر وايزمان إلى القاهرة على أن يصطحب معه أهارون باراك المستشار القانوني لمجلس الوزراء .

ويذكر وايزمان أن عدسات التلفزيون كانت في استقباله في المطار وعند وصوله إلى مقر الرئيس السادات مما يدل على عزم السادات على المضي في السعي للسلام برغم حرج مركزه هو ودولته بسبب الهجوم العسكري الاسرائيلي على لبنان وأن الرئيس السادات صافحه بحرارة وقال له « اني أرحب بوزير الدفاع وأسعد بوصوله

ويجب أن تعلم أنه كانت هناك معارضة لحضورك إلى هنا ـ كان الملك خالد ملك السعودية . وحتى وزارة خارجيتي كانت أيضا ضد ذلك . ولكني أردت أن أراك ».

ويحكي وايزمان بعد ذلك أنه كان يشعر بالمصاعب التي تحيط بالرئيس السادات من قبل الدول العربية وكذلك على الصعيد الداخلي حيث بدأ هجوم الأحزاب المعارضة على مباحثات السلام في التصاعد .

كما كانت هناك محاولات من قبل الطلبة للتظاهر ضدها . ويقول وايزمان أن المعارضة الأخطر ـ من وجهة نظر السادات ومن وجهة نظر الاسرائيليين ـ كانت تلك التي تجيء من رجال وزارة الخارجية وأن الاسرائيليين لاحظوا ذلك منذ اجتماع الاسماعيلية حيث أظهر رجال الخارجية المصرية « عدم مرونتهم » باصرارهم على عدم امكان تحقيق السلام دون حل القضية الفلسطينية !!.

ثم يمضي وايزمان فيروي المناقشة التي دارت بينه وبين الرئيس السادات وهم جلوس تحت شجرة « السكامور » الفارعة في حديقة استراحة القناطر الخيرية . وفي نهايتها يقول انه عندما لخصت لنفسي حديثي مع السادات شعرت بمزاج أفضل .

فمثلا كان الرئيس المصري غير مهتم بدولة فلسطينية وكان مستعدا لأن يترك مستوطناتنا في الضفة الغربية في مكانها ، وكان مستعدا للحلول محل الملك حسين فيما لو رفض هذا الاشتراك في المفاوضات ، وكنت سعيدا لسماع أهارون باراك لحديثنا لأنه بدون شهادته لم يكن أحد في اسرائيل ليصدقني .

ويذكر وايزمان بعد ذلك أنه زاره في المساء في قصر الطاهره حيث كان يقيم الدكتور مصطفى خليل سكرتير عام الحزب الحاكم والدكتور بطرس غالي والفريق الجمسي . ثم يقول وأنا أنقل هنا من كتابه بالحرف الواحد :

« أجرى البروفيسير باراك والجمسي وزير الدفاع حديثا مثمرا ، فقد انسحبا لحديث طويل . عرض خلاله الجمسي محادثات سرية بين بلدينا تتم في القاهرة أو في اسرائيل أو في أي مكان آخر . وقال الجمسي أنه اذا رغب الطرفان فيمكن ادخال الأمريكيين في المحادثات . وهدف المباحثات سيكون اعداد تفاصيل الترتيبات للضفة الغربية وغزة وللمحادثات الثنائية بين اسرائيل ومصر . وفي نهاية المحادثات يوقع على وثيقتين بالحروف الاولى في السر .

وتتضمن الوثيقة الخاصة بالترتيبات في الضفة الغربية وغزة اعلانا للنوايا فمن وجهة نظر مصرية يجب أن يكون هناك اعلان اسرائيلي عن الاستعداد للانسحاب من الضفة الغربية وغزه ـ فيما عدا تلك النقاط التي تستمر قواتنا في احتلالها لاعتبارات الأمن مثل مستوطنات على نهر الأردن أو في أعالي سلسلة الجبال . وعندئذ سيعلن السادات أن مصر واسرائيل قد اتفقتا على اعلان نوايا ويدعو دول المواجهة للدخول في مفاوضات على أساس ثنائي .

ثم ينتظر عدة أسابيع يوقع بعدها اتفاقية سلام مع اسرائيل بالنسبة لسيناء واذا دخل الأردن في الصورة فيتولى حسين موضوع « جوديا وسماريا » وغزة واذا رفض حسين الدخول في المفاوضات فيدخل السادات مكانه ويوقع على اتفاقية لتغطية الضفة الغربية وغزة .

وبمقتضى الاتفاقية تبقى المستوطنات القائمة ويسمح لليهود باقامة مستوطنات على الأراضي الخاصة التي يشترونها وكذلك سيتم البحث عن حل للأراضي الحكومية لكي تطرح للبيع ليشتريها اليهود ويرابط الجيش الاسرائيلي في قواعد متفق عليها مثل تلك القائمة على نهر الأردن

واذا حدث أي نشاط لمنظمة التحرير الفلسطينية في الضفة الغربية وغزة فيكون للجيش الاسرائيلي اليد الطليقة في التعامل مع

الارهابيين . أما المستوطنات في سيناء فتبقى تحت السيادة المصرية ويحصل سكانها على الجنسية المصرية ولا يتمتعون بحماية الجيش الاسرائيلي .

التزام السادات ..

ويذكر وايزمان بعد ذلك أنه كان لديه سبب وجيه للرضى وأنه كان يعزم أن يشير في تقريره إلى مجلس الوزراء الاسرائيلي أن تقدما كبيرا قد تحقق وأنه كان يستعد في صباح يوم ٣١ مارس (اذار) للعودة إلى اسرائيل عندما تلقى مكالمة تليفونية عاجلة من الفريق الجمسي يدعوه للذهاب معه إلى القناطر الخيرية لمقابلة الرئيس السادات وأنه عندما قابله لاحظ عليه التوتر بشكل غير عادي .

وقال السادات وأعود للاقتباس « بعد مقابلة كارتر لبيجن ، سألني كارتر عما إذا كنت مصرا على دولة فلسطينية . وقد فكرت في ذلك كثيرا وقادني تفكيري إلى الاقتراح بعيد المدى الذي قدمته لك بالأمس . وبعد مقابلتك بالأمس قابلت في المساء ممثلين فلسطينيين عن غزة ولم يقبلوا أفكاري انهم يريدون تقرير المصير . وفي هذه المرحلة فان التأييد الفلسطيني لنا مهم . ونظرا لمعارضتهم لا أستطيع القول ان خطة الأمس مازالت قائمة .. ان لدينا مشكلة فأنا أعرف حدودي ولن أقترح شيئا لا أستطيع أن أنفذه ولكن عندما أتقدم بعرض فأنا التزم به . والآن بالنظر لمعارضة الفلسطينيين فأني لا أعلم إذا كنت أستطيع الالتزام بما عرضته .

لذلك فاني أعود إلى الموقف الذي كان قائما أول أمس : يجب على بيجن أن يظهر المرونة فأنا لا أطلب دولة فلسطينية فقط رابطه مع الأردن أن رابطه مع الأردن يفهم منها ضمنا أنه لا توجد دولة فلسطينية وكان هذا رأيي قبل مبادرة السلام وهذا هو رأيي الآن وسيكون هناك استفتاء .. » .

وهنا قاطعه وايزمان قائلا : ان الاستفتاء غير مقبول لنا دعنا نعود إلى حديثنا بالأمس وإلى اقتراحي عقد معاهدة سلام مع مصر كمرحلة أولى انك رجل شجاع . لقد طردت الروس وقت مبادرة السلام ويجب أن يكون لديك الشجاعة للوصول بها إلى النتيجة» ولكن الأمر قد انتهى !!

ويعلق وايزمان على ما حدث بأن التحول المفاجىء في موقف الرئيس كان مؤسفا للغاية ويبرر ما يتهمه به نقاده من أنه لا يثبت على حال ويتراجع عن تنفيذ تعهداته التى سبق أن التزم بها .

أما أنا فقد لاح لي الرئيس السادات في دور جديد متقمصا هذه المرة الشخصية المزدوجة لدكتور جيكل ومستر هايد . أم أنه لم يكن دورا ؟.

وان كنت أسفت على شيء فهو أن وايزمان لم يسارع بعد مقابلته للسادات في القناطر الخيرية بنشر ما دار بينهما بدلا من الانتظار ثلاث سنوات حتى يحكي القصة في كتابه . اذن لكنت تركت منصب وزير الخارجية منذ ذلك الحين ووفرت على نفسي عذاب الطريق عبر الساعات والأيام والشهور حتى وصلت إلى مؤتمر كامب ديفيد .

www.library4arab.com/vb

الفصل التاسع عشر

وقفة تأمل

وقبل أن أنتقل إلى المرحلة التالية من الأحداث والتطورات رأيت التريث قليلا فقد شعرت وقتها بالصورة تهتز أمامي أو بالأحرى أمام الرئيس السادات ولمست الحاجة إلى وقفة تأمل نعيد فيها تقييم موقفنا على ضوء ما حدث منذ قام الرئيس السادات بزيارة القدس حتى غزا الجيش الاسرائيلي جنوب لبنان حتى لا نجد أنفسنا تحت ضغط الأحداث وقد انحرفنا دون أن نشعر إلى طريق غير الذي نستهدفه وبالفعل قمنا في وزارة الخارجية بدراسة الموقف وقدمت للرئيس السادات في يوم ١٨ مارس (اذار) ١٩٧٨ المذكرة التي أعدها السفير أحمد ماهر في هذا الشأن بعنوان « ملاحظات حول الموقف السياسي الراهن » وهى توضح الموقف دون حاجة إلى تعليق وهذا نصها .

تمهيد ..

يمر الموقف السياسي الراهن بمرحلة تحتاج إلى وقفة تأمل لامعان الفكر واعادة التقييم ، بحثا عن عوامل القوة وتنميتها وتلمس نقاط الضعف وتلافيها وتثبيت الخطوط العريضة لسياستنا الخارجية حتى لا يؤثر التحرك التكتيكى على الأهداف الاستراتيجية .

ومما يدعو إلى ذلك بعض الظواهر ـ منها :

١ ـ تمسك اسرائيل بسياسة التوسع وعدم تقديم أي تنازلات والعمل على امتصاص الآثار الايجابية لمبادرة السلام المصرية عن طريق التغطية على القضايا الرئيسية بقضايا أخرى فرعية (اخرها العدوان على جنوب لبنان) .

٢ ـ الخلافات والانقسامات والحرب الاعلامية على الساحة العربية ،

وهو ما يشجع اسرائيل على التعنت من ناحية ولا يدفع الولايات المتحدة لممارسة ضغوط فعالة على اسرائيل من ناحية أخرى .

٣ ـ شعور متزايد في كثير من الدول الافريقية والآسيوية أن مصر أصبحت تعتمد أكثر مما يجب على الولايات المتحدة الأمريكية . وأن مصر أخذت بعض المواقف التي تثير قلق بعض الدول الصغيرة (النزاع المصري الليبي والذي أدى إلى انتهاك مسلح ، موقفنا من النزاع الصومالي ـ الأثيوبي عند بدئه ، وموقفنا من الأوضاع الداخلية في تشاد وحادث الطائرة المصرية في نيروبي ، واحتجاز طائرتين كبيرتين في مطار القاهرة ، وأحداث مطار لارنكا في قبرص ، وموقفنا من منظمة التحرير الفلسطينية والفلسطينيين بصفة عامة) .

٤ ـ اتباع أجهزة الاعلام المصرية أسلوبا مثيرا في معظم الأحيان ، يلجأ إلى التجريح الشخصي لرؤساء وكبار المسؤولين في الدول التي نختلف معها في التكتيك ولكننا نتفق في الأهداف الاستراتيجية . كما تلجأ هذه الأجهزة إلى المبالغة أو الانتقال المفاجىء من موقف معين إلى موقف آخر مخالف دون تمهيد كاف ، الأمر الذي لا يخدم أهدافنا السياسية ويضعنا في بعض الأحيان في مواقف متناقضة .

وتؤثر هذه الظواهر ـ كما تتأثر ـ ان سلبا أو ايجابا بالعوامل الأساسية التي تقوم عليها سياستنا الخارجية وهى

١ ـ الأوضاع الداخلية (اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وعسكريا) .

٢ ـ وحدة الصف العربي .

٣ ـ تعدد محاور الحركة في مجال العلاقات الدولية .

ويمكن تناول كل عامل منها بايجاز على النحو التالي :

اولا ـ الأوضاع الداخلية :

تعد الأوضاع الداخلية (اقتصاديا واجتماعيا وعسكريا) أهم مصدر من مصادر قوة سياستنا الخارجية ، بل ان سياستنا الخارجية ما هى إلا انعكاس لسياستنا الداخلية . ومن ثم تتضح أهمية اعطاء الاهتمام الأساسي لوحدة وتماسك الجبهة الداخلية واشعار المواطنين بالمشاركة والتجاوب المؤثر عن طريق التركيز على بعض القضايا مثل :

١ ـ تخفيف الأعباء المعيشية عن الشعب عن طريق :

أ ـ تحسين مستوى الخدمات الأمر الذي يؤدي الى زيادة الدخول الحقيقية دون حدوث تضخم .

ب ـ الحزم في تطبيق القوانين .

٢ ـ تدعيم الثقة بين الجهاز التنفيذي والشعب عن طريق :

أ ـ التزام كل مسؤول بتحقيق سياسته المعلنة .

ب ـ البدء بحل المشكلات التي لا تحتاج الى تمويل خارجي وتتصل بالحياة اليومية للناس .

جـ ـ زيادة كفاءة الجهاز الاداري وتبسيط اجراءاته .

د ـ التزام أجهزة الاعلام بالموضوعية والبعد عن التجريح الشخصي .

هـ ـ احكام الرقابة والمتابعة وتطبيق مبدأ العقاب والثواب .

٣ ـ التنسيق والتعاون بين أجهزة الدولة ضمانا لسلامة اتخاذ القرارات وتلافيا للازدواج وضياع الجهد .

ثانيا ـ وحدة الصف العربي :

١ ـ اذا كانت مصر بموقعها وسكانها وامكانيات التنمية الكامنة فيها قوة في حد ذاتها ، فان التفاف غالبية الدول العربية حولها قوة مضافة لها والعالم العربي هو المجال المؤثر لمصر .

من هذا المنطلق تأتي أهمية الحرص على وحدة الصف

العربي ولو عند الحد الأدنى من نقاط الاتفاق وأهمية الحفاظ على دورنا الفعال في الشؤون العربية بدون اثارة أية حساسيات لدى الدول العربية واشعارها دائما أن رأيها حتى لو خالفناه إلا أننا نحترمه.

٢ ــ وان استمرار الانقسامات والمحاور في العالم العربي تحمل في طياتها عدة مخاطر قد تؤدي إلى :

أ ــ حدوث استقطاب للدول العربية بين القوتين العظميين .

ب ــ اتاحة الفرصة وعلى نطاق واسع للتدخل الأجنبي في الشؤون العربية .

جـ ــ اتاحة الفرصة لبعض القوى التي تسعى إلى عزل مصر عن مجالها الحيوي وادخالها في صراع مع حلفائها الطبيعيين في العالم العربي .

٣ ــ وانطلاقا مما سبق قد يرى البدء بأسرع ما يمكن وبالتدريج في العمل على استعادة وحدة الصف العربي سواء عن طريق أجهزة الاعلام كمرحلة أولى ، أو عن طريق الدول العربية التي تسعى لنفس الهدف (السعودية ــ السودان ــ الأردن ــ دولة الامارات) تمهيدا لاعادة العلاقات مع الدول العربية التي قطعنا علاقاتنا معها ، أو عن طريق جامعة الدول العربية .

٤ ــ يلاحظ أن خلافاتنا مع الدول العربية تنبع في الجزء الأكبر منها عن الخلاف حول أسلوب تناول قضية الشرق الأوسط وليس حول الأهداف .

ويمكن أن نوضح للدول العربية ــ خاصة دول الرفض ــ أن المبادرة المصرية لم تفرط في أي حق عربي ويمكن استثمارها في عزل اسرائيل دوليا بعد أن كشفنا للعالم كله زيف ادعاءات السلام التي يغطي بها ساسة اسرائيل أهدافهم التوسعية وانكارهم للحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .

٥ ــ ان سوريا وليبيا والفلسطينيين حلفاء هامون لمصر ويرتبط أمنهم

بأمن مصر ويمكن بالتعاون والتنسيق معهم خلق قوة ضغط فعالة ، سواء على الولايات المتحدة أو اسرائيل ، ويحسن في علاقاتنا مع هذه القوى الثلاث أن نأخذ في الاعتبار العوامل التي تحكم كل منها .

أ ـ أن سوريا في حاجة لأن نتعاون معها سواء في الحرب أو السلام ولكنها واقعة تحت مؤثرات منها :

ـ ضغط البعث

ـ تورطها الاختياري في لبنان .

ـ ضغط العناصر الفلسطينية .

ـ الخوف من الانقلابات العسكرية .

ـ الخوف من أن تتركها مصر وحدها في مواجهة اسرائيل .

ويمكن الآن بعد أن تم استيعاب المبادرة المصرية ، بدء حوار مع سوريا تمهيدا لاعادة العلاقات معها .

ب ـ أما ليبيا فهي والسودان المجال الحيوي الطبيعي لمصر وان أمكن تحقيق تكامل بين الدول الثلاث حيث يتوفر المال والأرض الصالحة للزراعة والعنصر البشري ـ لأصبحوا قوة فعالة وعلى ضوء خطة التكامل مع السودان ، وفي نفس الوقت وجود جالية مصرية متغلغلة في جميع أوجه النشاط في ليبيا رغم قطع العلاقات معها فقد يرى بدء حوار مع ليبيا في جامعة الدول العربية لاعادة فتح مكتب مصري في ليبيا لرعاية شؤون المواطنين المصريين هناك كخطوة أولى نحو تحسين العلاقات .

إنه ليس من مصلحتنا ترك ليبيا سواء للمعسكر الاشتراكي أو لغيره خاصة وان ليبيا بدأت تتجه للحصول على الخبرات الفنية في بعض المجالات من دول أخرى (الأردن ـ تركيا) وقد يمكن التوصل إلى صيغة نستوعب بها العقيد القذافي مع التغاضي عن تقلباته .

جـ ـ أما الفلسطينيون ـ فان القضية الفلسطينية جزء لا يتجزأ من الأمن القومي لمصر ، حيث ستظل اسرائيل ـ باعتبارها جسما غريبا زرعته القوى الكبرى في المنطقة ـ هي العدو المباشر لمصر ـ حتى لو أمكن التوصل إلى تسوية سلمية ، ومن ثم فان دعمنا للموقف الفلسطيني فيه تقوية لموقفنا ـ ان سلما أو حربا ـ وان شعور الفلسطينيين بالضياع ، وبالحصار من كل جانب يدفعهم إلى تصرفات يائسة لا ينبغي أن تؤثر على موقفنا من الفلسطينيين حتى لا تزيد شعورهم باليأس .

ان حرصنا على منظمة التحرير رغم أخطاء بعض قادتها يقابل اصرار اسرائيل على رفض حتى مجرد الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني بينما هو شريك على الأقل في الأرض التي أنشئت عليها الدولة اليهودية .

٦ ـ ان ما قدمته مصر للدول العربية كثير ولكن اشعارها أننا نمن عليها أو أننا نادمون على ما قدمناه وأننا سئمنا الاستمرار في هذا الدور سيؤدي ذلك إلى :

أ ـ نفور الشعوب العربية من هذا الأسلوب .

ب ـ كراهية الشعب المصري لكل ما هو عربي .

والنتيجة عزل مصر عن مجالها الحيوي في عصر سمته التكتلات والوحدات السياسية الكبيرة وفي مرحلة نحن في أمس الحاجة فيها إلى وقوف الأمة العربية كلها بما تملك من ثروة وقوة إلى جانبنا في مواجهة تحديات السلام الذي لن يتحقق بدون قوة عربية فعاله تسانده .

ثالثا ـ تعدد محاور الحركة في مجال العلاقات الدولية :

ان تعدد محاور حركة السياسة الخارجية المصرية في مجال العلاقات الدولية يحقق لنا أهدافاً منها :

١ ـ تجنب الاستقطاب الدولي .

٢ ـ محاصرة اسرائيل بالمؤيدين لقضيتنا وتحييد مؤيديها .
٣ ـ الاحتفاظ بالمواقع التي اكتسبناها وعدم جعل أحدها بديلا للآخر .

وان تحقيق ذلك يقتضي ما يلي :

١ ـ توازن علاقاتنا مع القوتين العظميين على ضوء :

أ ـ مواقع التأييد التي اكتسبناها في الولايات المتحدة وأوربا الغربية .
ب ـ انهاء العلاقة الخاصة التي كانت قائمة بيننا وبين الاتحاد السوفيتي .
جـ ـ تعدد مصادر سلاحنا .

وتحقيق توازن علاقاتنا مع كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي يقتضي الخروج بالتدريج من مرحلة الفتور الشديد التي تمر بها علاقاتنا بالاتحاد السوفيتي وغالبية دول أوربا الشرقية ـ خاصة وأن الاتحاد السوفيتي قد أبدى رغبته في تنشيط العلاقات السوفيتية المصرية . واستجابتنا لذلك تنبع من عدة اعتبارات منها :

أ ـ دور الاتحاد السوفيتي في أية تسوية لقضية الشرق الأوسط .
ب ـ رصيد الاتحاد السوفيتي في تأييده قضايانا سياسيا وعسكريا .
جـ ـ دور الاتحاد السوفيتي في المنطقة المحيطة بنا في أفريقيا والعالم العربي .
د ـ الحد من جهود السوفيت الرامية إلى عزل مصر والتأثير على أوضاعها الداخلية .

هـ ـ استخدام تحسين علاقاتنا مع موسكو للضغط على الولايات المتحدة الأمريكية .

ويمكن أن يبدأ ذلك بعودة السفير المصري إلى موسكو ليبدأ اتصالات مع كبار المسؤولين السوفيت من هذا المنطلق .

٢ ـ علاقاتنا بالدول الافريقية :

ان رصيدنا السياسي كبير في أفريقيا ولكنه بدأ في السنوات الأخيرة في التناقص لصالح بعض الدول الأخرى (الجزائر ـ ليبيا) وليس الوقت متأخرا لتنشيط تحركنا السياسي والاقتصادي في أفريقيا مع اعادة تأكيد الأسس الثابتة لسياستنا تجاه أفريقيا وهى :

أ ـ احترام الحدود الدولية القائمة والتي أقرتها منظمة الوحدة الافريقية والأمم المتحدة وأننا لا نؤيد الانفصال أو أي اتجاه لتغيير الحدود .

ب ـ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الافريقية . وان تدخل أطراف أخرى افريقية في شؤون جاراتها لا يستوجب تدخلنا وانما يدفعنا إلى الوساطة لتسوية النزاع .

جـ ـ محاربة التفرقة العنصرية بجميع صورها وحكومات الأقلية البيضاء العنصرية ومناصرة حركات التحرير التي تقاومها خاصة في ناميبيا وروديسيا وجنوب أفريقيا .

د ـ دعم التعاون العربي ـ الافريقي .

هـ ـ مقاومة التدخل الأجنبي في القارة سواء من الكتلة الشرقية أو الغربية .

ان الدول الافريقية لديها حساسية مفرطه تجاه قضايا الحدود والتدخل في الشؤون الداخلية وان ما تردد عن مساعداتنا للصومال وموقفنا من حادث الطائرة المصرية في نيروبي وقبلها نزاعنا مع ليبيا قد أثار كثيرا من المخاوف لدى الدول الافريقية ويمكن أن نستغل بوادر تحسن العلاقات مع أثيوبيا ونهاية الصراع الصومالي الاثيوبي لايفاد عدد من المبعوثين الى دول القارة لتوضيح مواقفنا .

٣ ـ أما بالنسبة لدول عدم الانحياز ، فان تحقيق التوازن في علاقاتنا بالقوتين العظميين يساعد على تنشيط اتصالاتنا بدول مجموعه عدم الانحياز وتبادل الزيارات بين كبار المسؤولين المصريين ونظرائهم في تلك الدول في اسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية .

٤ ـ أما دول أوربا الغربية فقد حققت سياستنا فيها نجاحا ملموسا ولكنه يحتاج إلى متابعة مع التركيز على دور دول أوربا الغربية في تحقيق التنمية الاقتصادية والتكنولوجية في مصر والعالم العربي لأن دور أوربا السياسي يسير على بعد خطوة وراء الولايات المتحدة الأمريكية ، وهذا يتطلب دراسة وتجهيز مشروعات استثمارية انتاجية تشارك الدول الأوربيـــة في تنفيذها سواء بالخبرة أو المال لأن تجاربهم مع العالم العربي أظهرت أن كثيرا من القروض لم تستوعب في مشروعات عملية .

خاتمة :

١ ـ لقد أثبتنا للعالم كله بما لا يدع مجالا للشك صدق نيتنا في السعي نحو السلام العادل والدائم وقدمنا أقصى ما يمكن أن نقدمه في سبيل ذلك وأبدينا استعدادنا التام لتقديم كل ما يضمن أمن اسرائيل في مقابل انسحابها من الأراضي العربية المحتلة والاقرار بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني وقد تحملت مصر بسبب ذلك لوم الدول العربية وانقسامها بين مؤيد ومعارض وصامت .

ولم تتحول اسرائيل عن تعنتها وتوهمت أنها حققت نصرا سياسيا بتفاوض مصر المباشر معها وأن الواقع يبعد العرب عن مطالبهم السابقة ويحول انتباههم الى مجرد المطالبة بتغيير الواقع الجديد الذي تخلقه اسرائيل على الأراضي العربية التي استولت عليها بالقوة .

٢ ـ ان التعنت وعدم الواقعية والغرور الاسرائيلي الذي يعوق كل جهد نحو السلام قد يتطلب في المرحلة الراهنة والقادمة تركيز اهتمامنا على :

أ ـ تدعيم الجبهة الداخلية .

ب ـ استعادة وحدة الصف العربي .

جـ ـ تحقيق توازن في علاقاتنا مع كل من واشنطن وموسكو .

د ـ تنشيط اتصالاتنا بالمجموعات الدولية والاقليمية في اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وأوربا الغربية .

هـ ـ اتباع خط اعلامي ودبلوماسي قوي ومتشدد يعتمد على

- مبادرة السلام المصرية وعدم استجابة اسرائيل لها .
- تحسين علاقات مصر مع جبهة الصمود (الرفض)
- اقتراب انتهاء مدة اتفاق فصل القوات في سيناء (اكتوبر ١٩٧٨)

٣ ـ ان اسرائيل لا تفهم ولا تستند الا الى منطق القوة معتمدة على أن الرأي العام العالمي ، وان كان يتعاطف مع الضعفاء فانه لا يحترم الا الأقوياء . ومن واقع تجربة حرب اكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٧٣م فان اسرائيل لن تفيق من أحلامها الصهيونية التوسعية الا اذا عاملناها بنفس المنطق .. منطق القوة التي نملك والدول العربية الشقيقة الكثير من أسبابها .

الفصل العشرون

نحو تنفيذ السيناريو

عقب عودة الرئيس السادات من زيارة الولايات المتحدة في فبراير (شباط) ١٩٧٨ شرعت الولايات المتحدة في اتخاذ خطوات نحو تنفيذ المراحل الاولى من السيناريو الذي تم الاتفاق عليه بين الجانبين المصري والأمريكي في كامب ديفيد فوجه الرئيس الأمريكي الدعوة إلى رئيس الوزراء الاسرائيلي لزيارة واشنطن وكان المفروض أن تتم الزيارة في أوائل شهر مارس (اذار) إلا أن أحداث لبنان أدت إلى تأجيلها إلى يوم ٢١ مارس (اذار) .

وكان كارتر يستهدف من دعوة بيجن التأثير عليه وحثه على تعديل الموقف الاسرائيلي السلبي إلى موقف أكثر ايجابية مما يسمح باستئناف المباحثات المباشرة بين مصر واسرائيل . وكان الجانب المصري كما أشرت في حينه قد اتخذ موقفا حازما أثناء مباحثات كامب ديفيد بأنه لن يعود إلى التفاوض مع اسرائيل بحال إلا إذا تقدمت اسرائيل بعناصر ايجابية تسمح بذلك وتعهدت الولايات المتحدة بالسعي لدى اسرائيل لتحقيق ذلك .

وليس من شك في أن الجانب الأمريكي وبالذات الرئيس كارتر ووزير الخارجية فانس قد بذلا جهودا نشطة صادقة تستند إلى نوايا حسنة لمحاولة تغيير الموقف الاسرائيلي واخراجه من قالب الجمود الذي التزم به منذ زيارة الرئيس السادات للقدس ، فقد التزم الجانب الأمريكي في المباحثات التي جرت مع رئيس وزراء اسرائيل ووزير خارجيتها بالمبادىء التي تضمنها بيان البيت الأبيض الصادر في ٨

فبراير (شباط) بعد انتهاء زيارة الرئيس السادات من انطباق القرار رقم ٢٤٢ الخاص بالانسحاب على جميع الجهات وكان القصد من ذلك ابراز أن القرار يشمل الانسحاب الاسرائيلي من الضفة الغربية وغزة ؛ وليس فقط من سيناء والجولان وهو ما كانت تسعى حكومة بيجن إلى تلافيه بكل السبل ـ كذلك الالتزام بحل القضية الفلسطينية من جميع وجوهها على أساس الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ومشاركته في تقرير مصيره حسب الصياغة التي أعلنها كارتر وعرفت باسم « صياغة أسوان » وأخيرا ما أورده البيان الأمريكي من عدم شرعية المستوطنات في الأراضي المحتلة وأنها تمثل عقبة في طريق السلام .

وسبق أن أشرت إلى مهاجمة وزير الخارجية فانس للمستوطنات في ١٠ فبراير (شباط) بعد مغادرة الرئيس السادات للولايات المتحدة وإعلانه في مؤتمر صحفي وجوب ازالتها كما قام كارتر بتحركات لمست العصب الحساس لدى اسرائيل ، إذ اجتمع مع زعماء الجاليات اليهودية في الولايات المتحدة وأوضح لهم تصلب الموقف الاسرائيلي واعاقته لجهود السلام ونجح في اجتذاب العديد من هؤلاء إلى صفه واقناعهم بأن اسرائيل تعمل عن عمد لتقويض الفرصة التي أتاحتها مبادرة السادات للسلام . وكذلك اجتمع بلجنة مجلس الشيوخ للعلاقات الخارجية ولجنة الكونجرس للشؤون الدولية وتكلم معهما في نفس الاتجاه وكسب تعاطف الكثيرين من الشيوخ والنواب .

ويقول ديان في كتابه « الاختراق » وكان أهم حدث بعد الظهر هو ظهور الرئيس كارتر أمام أولى اللجان .. ماذا سيقول ؟ وكيف سيقوله ؟ كنا متخوفين .. وسريعا ما شعرنا بأنه كان لدينا سبب جيد لذلك فبعد أن غادرنا البيت الأبيض بقليل قام جهاز المعلومات التابع لوزارة الخارجية والبيت الأبيض بحملة واسعة طرحت موقفنا بشكل

معاد يظهر اسرائيل بشكل فظ قاس ومتمرد ، رافض للمقترحات التي يمكن أن تجلب السلام . واتجهت الصحافة الأمريكية إلى مسايرة رأي حكومة الولايات المتحدة وحتى أصدقاء اسرائيل في مجلس النواب والشيوخ ـ يهود وغير يهود ـ ساندوا الرئيس في إطرائه للسادات ونقده لاسرائيل وتوترت العلاقات بين كارتر وبيجن للغاية . وفشلت محاولات فانس وديان للاتفاق على إعلان للمبادىء حول القضية الفلسطينية .

مستقبل الضفة وغزة ..

وفي ٢٦ ابريل (نيسان) ١٩٧٨ وصل ديـان إلى واشنطن من جديد تلبية للدعوة التي وجهها إليه وزير الخارجية الأمريكي فانس ودارت بينهما محادثات محورها مستقبل الضفة الغربية وغزة وبمعنى آخر مستقبل الشعب الفلسطيني . وكان الموقف الاسرائيلي يقوم على أساس تنفيذ مشروع الحكم الذاتي الذي رفضته مصر عندما قدمه بيجن في الاسماعيلية .

أما الولايات المتحدة فكانت تعتبره يصلح مبدئيا كمنطق للتفاوض ـ وكان المشروع الاسرائيلي يطالب بفترة انتقالية مدتها خمس سنوات يقوم فيها حكم اداري ذاتي فلسطيني تحت السيطرة السياسية والعسكرية الاسرائيلية وبمقتضاه لا يجوز لأى طرف عربي أو اسرائيلي أن يطالب بالسيادة على الضفة الغربية وقطاع غزة طوال مدة السنوات الخمس الانتقالية .

ومن الواضح أن السبب الذي تطلب من أجله اسرائيل تعليق المطالبة بالسيادة خلال الفترة الانتقالية هو أنه ليس لديها أي سند شرعي تستند إليه في المطالبة بالسيادة ولا تستطيع أن تبني ذلك على أساس احتلالها غير المشروع لهذه الأراضي أو على أساس ادعاءاتها الواهية في أن الضفة الغربية وغزة كانتا أرض أجدادهم في غابر الزمان ، بينما تستطيع الأردن المطالبة بالسيادة على أساس أن تلك

الأراضي كانت جزءا من المملكة الأردنية الهاشمية منذ قامت بضمها سنة ١٩٤٨ وان كان لطرف أن ينازع الأردن في مطلب السيادة على هذه الأراضي فهذا الطرف هو الشعب الفلسطيني وحده وأما اسرائيل فخارج الموضوع تماما .

أما موقف الأردن في المطالبة بالسيادة فهو لا ينقص في أقل القليل عما تدعيه اسرائيل من سيادة على الأراضي الفلسطينية التي تم لها الاستيلاء عليها بالقوة خارج نطاق الأراضي المخصصة للدولة اليهودية بمقتضى قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة والذي قضى بتقسيم فلسطين إلى دولة عربية ودولة يهودية والذي كان شهادة ميلاد اسرائيل .

أما الحق الأصيل بلا منازع في السيادة على أراضي الضفة الغربية وغزة فهو حق الشعب الفلسطيني صاحب الأرض التي يعيش عليها منذ الاف السنين والذي قضى قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة سالف الذكر بتخصيصها للدولة الفلسطينية بنفس الاداة التي خصص بها أراض للدولة اليهودية .

اذن فما تسعى إليه اسرائيل من تعليق السيادة لمدة السنوات الخمس انما يرجع إلى نواياها التوسعية الخبيثة في اغتصاب هذه الأراضي من أصحابها الشرعيين عن طريق استغلال هذه الفترة الزمنية في اتخاذ اجراءات وانشاء أوضاع من شأنها استمرار سيطرتها الفعلية على الضفة الغربية وغزة إلى أن تتمكن من ضمها في النهاية بشكل أو بآخر .

وبمعنى آخر ان اسرائيل تطلب أن يمتنع صاحب الحق عن المطالبة به ليعطيها الوقت والفرصة لتهيء نفسها لتجوده منه وتغتصبه لنفسها ولا أعلم ما هو أكثر بجاحة من ذلك .

وأعود بعد هذا الاستطراد إلى المباحثات التي جرت بين وزير الخارجية الأمريكي ووزير الخارجية الاسرائيلي بشأن مستقبل

الضفة الغربية وغزة . فعبثا حاول فانس الحصول على اجابة واضحة في هذا الشأن من ديان الذي ظل يراوغ ويحاور بدعوى أن الاجابة على هذا السؤال سابقة لأوانها وانه يمكن لمن يشاء من الأطراف أن يطلب مناقشة الموضوع بعد انتهاء السنوات الخمس .

إلا أن ذكاء سايروس فانس لم يكن يخفي عليه النوايا الاسرائيلية المبيتة ولا هو قبل هذا اللف والدوران فأنهى المباحثات بأن وجه للحكومة الاسرائيلية سؤالين : هل اسرائيل مستعدة بأن تتعهد في نهاية الفترة الانتقالية (خمس سنوات) بأن موضوع السيادة على الضفة الغربية وغزة سيبت فيه ؟ وإذا كان الرد بالايجاب فما هى الكيفية التي سيتم بها اتخاذ القرار ؟

وظلت الحكومة الاسرائيلية تماطل في الرد يوما بعد يوم وأسبوعا بعد أسبوع حتى اضطرت في النهاية إلى تقديمه إلى الحكومة الأمريكية .

وكان الرد الاسرائيلي غامضا مائعا وملتويا إلى حد أن وصفه بعض المسؤولين الأمريكيين بأنه « ليس برد » .

تفاؤل مشوب بالحذر ..

كان الرئيس السادات سعيدا ومتفائلا بسبب الخلاف الذي نشب بين الولايات المتحدة الأمريكية واسرائيل والذي كان ولا شك نتيجة للمباحثات الناجحة التي قام بها في رحلته إلى الولايات المتحدة .

أما نحن في وزارة الخارجية فكنا ننظر بعين الارتياح إلى الخلاف الأمريكي الاسرائيلي ولكنه ارتياح مشوب بالحذر والترقب فلم يكن يغيب عنا أن معركة السلام ستستغرق وقتا طويلا .

ولم نكن من السذاجة بحيث نقلل من مدى النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة وقدرة اسرائيل على التأثير بما يحقق تجاوز الخلافات الأمريكية الاسرائيلية ، خاصة وأن الرئيس كارتر كان في

حاجة إلى اللوبي اليهودي وإلى أصوات الكثيرين من مؤيدي اسرائيل في الكونجرس لاقرار معاهدة بنما وكذلك مشروعه للطاقة وكلاهما كان يلقى معارضة قوية بالاضافة إلى قرب موعد انتخابات الكونجرس في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨ وكلها مناسبات تمرست اسرائيل على اتقان استغلالها عن طريق منظماتها في الولايات المتحدة للصيد في الماء العكر .

غير أن الخلاف الاسرائيلي الأمريكي كان يمثل بالنسبة لنا شيئا آخر مهما وهو أنه يفسح لنا مزيدا من الوقت لتدعيم مركزنا التفاوضي على أساس العناصر التي سبق الاشارة إليها ويؤكد لنا من جديد سلامة موقفنا من وجوب تحاشي الدخول في مفاوضات ثنائية مع اسرائيل وتحميل الولايات المتحدة عبء تحريك الموقف الاسرائيلي شريطة أن تبدو مصر دائما أنها لم تغلق الباب أمام السلام ولم تضع حدا لجهودها في سبيله .

ومن الناحية الأخرى فقد بدا أن الرئيس كارتر يتجه إلى تنفيذ السيناريو الذي تم الاتفاق عليه بين مصر وأمريكا في كامب ديفيد في شهر فبراير (شباط) مما يستدعي ــ اذا كانت واشنطن تنوي التقدم بأفكارها عن التسوية ــ أن نبادر بالتنسيق معهامن الآن قبل أن تبلور هذه الأفكار في صورتها النهائية ضمانا لأن تكون متفقة قدر الامكان مع الموقف المصري .

النقاط التسع الأمريكية ..

وبالفعل كان الدكتور غربال سفيرنا في واشنطن قد بعث إلينا بورقة تتضمن تسع نقاط تحوي تصورا أوليا لأمريكا لما يمكن أن يكون نواة فيما بعد لمشروع أمريكي تتقدم به الولايات المتحدة بعد أن تكون مصر قد تقدمت بمشروعها الخاص بالضفة الغربية وغزة حسبما تم الاتفاق عليه في كامب ديفيد في شهر فبراير (شباط) .

ثم لم يلبث أثرتون أن حضر إلى القاهرة في ٢٠ ابريل

(نيسان) حيث قابلته مع السفير أيلتس وأملى علينا نص النقاط التسع سالفة الذكر وقد ذكرت لأثرتون أن هذه النقاط على ما قد يكون فيها من بعض نواح ايجابية إلا أنها صيغت حول مشروع مناحم بيجن للحكم الذاتي الذي قدمه في الاسماعيلية ومتشربه بأفكاره وقلت اننا نرفض مشروع بيجن تماما وبالتالي فان الأفكار التي تضمنتها النقاط التسع بعيدة جدا عما يمكن أن نقبله وأنها لا ترقى إلى ما نتوقعه من الولايات المتحدة عند تقدمها بمشروعها .

ورد أثرتون أن الورقة التي قدمناها لهم في أوائل مارس (اذار) الماضي أثناء زيارته الأخيرة لمصر بشأن الضفة الغربية وغزة تعتبر أساسا طيبا من وجهة نظرنا إلا أنه يغلب عليها طابع العموم ولا تتضمن تفصيلات وكانت الورقة المصرية تدور حول انسحاب اسرائيل من الضفة الغربية وقطاع غزة وضمانات لكفالة الأمن للأطراف وأنهم ربما استقوا بعض النقاط مما ورد في مشروع بيجن الذي كان تحت أيديهم وغنيا بالتفصيلات . وحثنا على التقدم بمشروع أكثر تفصيلا خاصة فيما يتعلق بضمانات الأمن وقد أجبته بأننا سندرس الأمر . إلا أني أود قبل كل شيء أن أؤكد أمرين أساسيين :

الأول : اني أود أن أشرح له تصوري للعمود الفقري في أي مشروع تتقدم به الولايات المتحدة فيجب أن يستبعدوا تماما من تفكيرهم التقدم بمشروع وسط بين مشروع اسرائيلي وآخر عربي حول الضفة الغربية وغزة يكون نوعا من الخلط بينهما إذ أن ذلك لن ينتج إلا مسخا مشوها لن يؤدي إلى شيء .

وقلت له : انه عندما تتقدم الولايات المتحدة الأمريكية بمشروع فيجب أن يكون قائما على أساس المواقف الأمريكية الرسمية المعلنة والثابتة في الأمم المتحدة بمعنى :

– أنه فيما يتعلق بالانسحاب المنصوص عليه في القرار ٢٤٢ فيجب

أن يكون من جميع الأراضي المحتلة فيما عدا تعديلات طفيفة في الحدود . فهذا هو الموقف الأمريكي الثابت والمعلن .

ـ تأكيد الموقف الأمريكي بعدم الاعتراف بالقرار الاسرائيلي الخاص بضم القدس .

ـ الالتزام بقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤ الخاص بحق اللاجئين الفلسطينيين الذين أجبرتهم اسرائيل في حرب ١٩٤٨ على ترك بلادهم في العودة أو التعويض عن أملاكهم والذي صوتت أمريكا في صالحه واستمرت في ذلك على مدى السنين .

ـ حل القضية الفلسطينية من جميع وجوهها على أساس الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني بما في ذلك مشاركته في تقرير مصيره وهي الصيغة التي أعلنها الرئيس كارتر في أسوان في يناير (كانون الثاني) الماضي .

ـ الموقف الأمريكي الثابت بشأن عدم شرعية المستوطنات الاسرائيلية المقامة في الأرض المحتلة .

وهكذا فان المشروع الأمريكي عندما يطرح يجب أن يعكس تعهدات الولايات المتحدة السابقة كدولة عظمى تحترم وتتقيد بمواقفها الثابتة المعلنة .

والأمر الثاني : الذي أكدت عليه هو أن تقوم الولايات المتحدة قبل التقدم بمشروعها بعرضه علينا لمناقشته والتشاور فيه .

وعقب أثرتون بأن الأمر الأول هو منطق يصعب عليه أن يجادل فيه أما بالنسبة للأمر الثاني فقد أكد بأنهم سيقومون بعرض مشروعهم عندما ينتهون من اعداده علينا لمناقشته قبل التقدم به .

كيف تسرب السر ..

ولعله من المناسب هنا أن أشير إلى أن ما اتفق عليه في كامب ديفيد من أنه في حالة تعذر الحركة وجمودها بسبب رفض مصر

واسرائيل ـ كل لمشروع الآخر ـ تتقدم الولايات المتحدة بمشروع أمريكي كان على أكبر درجة من السرية بيننا وبين الأمريكيين . ذلك أنه كان ما يطالب به الرئيس السادات وهو ماكان يعبر عنه بضرورة قيام الولايات المتحدة بدور الشريك الكامل في المفاوضات بينما كانت اسرائيل تعمل بكل السبل على أن يظل التفاوض بين مصر واسرائيل ويقتصر الدور الأمريكي على دور الوسيط أو السمسار الشريف كما كانت تعبر عنه . وكانت نظرية اسرائيل أن يسهل عليها رفض أي مطلب مصري لا يروق لها بينما الأمر ليس بهذه السهولة إذا جاء من قبل الولايات المتحدة التي تعتمد عليها اسرائيل في كل شيء كما كانت اسرائيل تدرك أن مشروعا أمريكيا قد يعكس المواقف الأمريكية بالنسبة لقضية الشرق الأوسط التي أشرت إليها أو بعضها كما سيعكس بالضرورة مصالح الولايات المتحدة الحيوية في العالم العربي وعلاقاتها الوطيدة بالدول العربية المعتدلة . وهو ما يضع اسرائيل في موقف محرج بين أن تقبل ما تحكم به الولايات المتحدة ويكون دون مطالبها الجشعة وبين أن ترفضه لتصبح على خلاف مع الولايات المتحدة وهو ما لا تقدر عليه .

وكانت الخشية الأمريكية من تسرب ما اتفق عليه في كامب ديفيد في هذا الشأن هو أن تتعرض امكانية تقدمها في مرحلة ما بمقترحات أو مشروع أمريكي للاجهاض ، وتسلب منها اذ كان سيتعرض الجانب الأمريكي في هذه الحالة لضغوط من قبل الجماعات اليهودية والصهيونية ورجال الكونجرس المؤيدين لاسرائيل لا قبل له بها وتموت الفكرة في مهدها مما يصعب معه أن تقوم لها قائمة بعد ذلك .

وقد حدث بالفعل أن تسرب إلى الصحافة ما يفيد أن كارتر وعد بالتقدم بمقترحات أمريكية في وقت ما . وقامت الدنيا وقعدت وقد بادرنا بنفيه من ناجيتنا كما قامت الولايات المتحدة بنفس الشيء ولا

أدري مصدر الخبر ، فقد كان ما دار في كامب ديفيد سرا مغلقا في صدور من حضروا الاجتماع وكانوا محصورين بالاسم سواء من الجانب المصري أو من الجانب الأمريكي ، إلا أن الأمور ما لبثت أن هدأت ربما لالتزام الطرفين بنفيهما ولأنه كان يصعب على اسرائيل تصور أن يقدم رئيس أمريكي على مثل هذه المخاطرة بالنسبة لها مما يعرض موقفه في الداخل للتآكل .

اجتماع الغردقة ..

حدد الرئيس السادات ظهر يوم ٢٢ ابريل (نيسان) لمقابلة أثرتون في الغردقة على شاطىء البحر الأحمر وكان ينزل وقتها في أحد الشاليهات الملحقة بفندق شيراتون .

وقد سافرت إليها بالطائرة في الصباح الباكر وكان يصحبني السفير أسامة الباز والسفير أحمد ماهر .

وفي التاسعة صباحا ذهبت لمقابلة الرئيس وكان يجلس معه السيد حسني مبارك ، وكان الرئيس السادات يبدو مستريحا وفي حالة نفسية طيبة . فاغتنمت الفرصة وعرضت عليه الموافقة على تعيين السيد محمد رياض وزير الدولة للشؤون الخارجية السابق ـ والذي اعتبره السادات مستقيلا لتردده في السفر معه إلى القدس في ١٩ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٧٧ بعد استقالة وزير الخارجية اسماعيل فهمي ـ في منصب الأمين المساعد للجامعة العربية وكان الأمين العام محمود رياض قد طلب مني التحدث مع الرئيس في ذلك نظرا لقرب انتهاء عقد الأمين المساعد سيد نوفل وعدم رغبة الأمين العام في تجديده وبعد تردد بعض الوقت وافق السادات .

ثم عرضت عليه النقاط التسع التي حملها أثرتون والذي سيقوم بعرضها عليه عند مقابلته له . وأبديت ملاحظاتي المبدئية عليها . وأبلغته رأيي في وجوب أن يتطابق أي مشروع أمريكي يقدم

مع المواقف الأمريكية المعلنة من بنود قضية الشرق الأوسط . كما استرعيت نظره إلى وجوب التأكيد على أثرتون بأن تقوم الولايات المتحدة بالتشاور معنا قبل التقدم بأي مشروع كما قدمت له مذكرة بملاحظاتنا الأساسية على النقاط التسع ثم استأذنت في الانصراف إلى أن يحين موعد المقابلة .

وخرجت إلى الشاطىء وكان الجو صحوا مشمسا والنسيم منعشا وكان السكون يخيم على المكان لا يقطعه إلا صوت الأمواج الصغيرة وهي تتلاشى على رمال الشاطىء في نغم غامض رتيب ، والبحر يمتد على مرمى البصر في بساط أزرق جميل تتناثر عليه زوارق الصيد هنا وهناك .

خلعت سترتي ورباط عنقي وحذائي ومشيت على حافة الشاطىء حيث تتقدم الأمواج تعانق الرمال ثم ترتد لتعود من جديد في حركة أزلية لا تنتهي ، غير مكترثة بما يجري على وجه الأرض بين البشر من شقاء وصراع .

وشعرت لأول مرة منذ توليت وزارة الخارجية بالبهجة والسعادة تغمرني وأنا بعيد عن الأوراق والمناقشات والتليفونات والاجتماعات وعادت بي الذكريات إلى الماضي حيث كانت تتتابع تجارب الحياة الحلو منها ثم المر ثم الحلو مرة أخرى وهكذا . وقت أن كنت طليقا أنعم بالحرية قبل أن تكبلني هذه المسؤولية الخطيرة دون خيار مني والتي باتت تسيطر على فكري وتلتهم كل وقتي وتأكل صحتي وتعصف بأعصابي . ومضت ساعتان لم أشعر بمرورهما إلا بعد أن استدعيت لحضور اجتماع الرئيس السادات بأثرتون .

حضر الاجتماع من الجانب الأمريكي أثرتون والسفير الأمريكي أيلتس ومن الجانب المصري السفير أسامة الباز والسفير أحمد ماهر . وعرض أثرتون النقاط الأمريكية الواحدة بعد الأخرى وكان الرئيس السادات يبدي ملاحظاته على كل منها ويسألني عن

رأيي فيها ثم يعود ويقول لأثرتون نعم هذه النقطة يجب حذفها وتلك يجب تعديل لغتها وصياغتها .

وشرح أثرتون أن النقاط التسع لا تشكل مشروعا وإنما هي مجرد تصور عام بدون تحديد وأنهم حرصوا على عرضها علينا لمناقشتها والاستماع إلى رأينا وأن أهم ما يستهدفونه هو تحديد مصير الضفة الغربية وغزة في النهاية (بعد الفترة الانتقالية) وهو ما تعمد اسرائيل إلى التهرب منه والمراوغة فيه بكل الطرق .

وهكذا مضى الاجتماع في جو طيب بناء وفي النهاية أكد الرئيس السادات لأثرتون على وجوب عرض أي مشروع أمريكي علينا للتشاور والتنسيق قبل طرحه . وذكر له بوضوح أنه يفضل ألا تتقدم الولايات المتحدة بمشروع على الاطلاق على أن تتقدم بمشروع يضر بالقضية العربية ويوقعنا في الحرج ويؤثر على موقف الولايات المتحدة في العالم العربي جميعه .

وقد وعد أثرتون بعرض أي مشروع علينا ووافق على رأي الرئيس في خطورة التقدم بمشروع لا يرقى إلى تحقيق أساسيات حل النزاع العربي الاسرائيلي .

الرد على أثرتون ..

عند عودتنا إلى القاهرة كلفت ثلاثة من مجموعة العمل المصرية هم السفراء أسامة الباز وعبد الرؤوف الريدي ــ مدير ادارة التخطيط بالوزارة ــ وأحمد ماهر السيد بالاجتماع بالمستر أثرتون ومساعديه وذلك لاجراء مناقشة تفصيلية للجوانب الفنية والقانونية والصياغات المتصلة بالنقاط التي شملها حديث الرئيس السادات مع المبعوث الأمريكي أثرتون في الغردقة ، وقد عقدت المجموعتان اجتماعين سريين في يومي ٢٣و٢٤ ابريل (نيسان) وحرص الجانب المصري منذ البداية على تأكيد الطبيعة الفنية لهذه المناقشات بحيث

لا تشكل محصلتها أي ارتباط من جانبنا .

وكانت المناقشات طيبة ونجح الجانب المصري في اقناع الجانب الأمريكي بوجهات نظره في غالبية النقاط ووعد الجانب الأمريكي بأخذ ملاحظاتنا وآرائنا في الاعتبار عند إعداد مشاريعه وقدمت للرئيس مذكرة بما تناولته مناقشة الجانبين .

كذلك بعث الرئيس السادات برسالة شخصية إلى الرئيس كارتر في ٢٢ ابريل (نيسان) حملها أثرتون معه عند عودته إلى واشنطن اقتبس هنا بعض فقراتها :

« .... لقد دار بيني وبين السفير أثرتون حديث طويل سيعرضه عليك بالكامل . ولقد أحاطني بالنقاط التي تشكل الخط العام لأفكار حكومتكم بشأن الضفة الغربية وغزة . وأرجو أن أخبرك ـ بروح المصارحة والصداقة ـ السائدة بيننا أن مثل هذا الاقتراح الأمريكي يعقد المسائل بالنسبة لنا . وسيكون له انعكاسات سلبية في العالم العربي . فبدلا من أن يساهم في توسيع دائرة المفاوضات وتشجيع أطراف أخرى للمشاركة فيها والتخلي عن موقفهم ـ انتظر لترى ـ فسيشجع ذلك دولا كالعربية السعودية لاتخاذ موقف سلبي . كما سيمد ذلك بالذخيرة أولئك الذين يحاولون تخريب مساعينا نحو السلام » .

« واذ فهمت من السفير أثرتون أن هذه الأفكار تعكس حقيقة المشروع الوحيد ـ المطروح رسميا وهو مشروع بيجن للحكم المحلي ـ فقد أذنت له أن يقدم إلى الجانب الاسرائيلي في الوقت الملائم ، اقتراحاتنا بشأن الضفة الغربية وغزة المقدمة للولايات المتحدة في يوم ٦ مارس (آذار) ١٩٧٨ .. وأنا أعرف أن اقتراحاتنا ذات طبيعة عامة ولكنك تدرك أنها لا يمكن أن تكون أكثر تحديدا حيث أن هذا هو حد تفويضنا ، لأننا لسنا الدولة العربية الوحيدة المعنية بحل القضية الفلسطينية . وأعتقد مع ذلك بأنها ستكون كافية للسماح للولايات

المتحدة لاعداد حل وسط يلتزم بموقفك المعلن بشأن المشكلة وعلى وجه الخصوص بالبيان الذي ألقيته في أسوان . »

أسباب التأجيل :

وكان هناك اتفاق بين مصر والولايات المتحدة على أن تؤجل هذه الأجهزة التقدم بمقترحاتها حول تسوية القضية إلى ما بعد نهاية شهر مايو (ايار) لسببين رئيسيين :

الأول : أن تكون زيارة مناحم بيجن رئيس الوزراء الاسرائيلي للولايات المتحدة بمناسبة الاحتفال بمرور ثلاثين عاما على اقامة دولة اسرائيل قد تمت . وكان بيجن يعول على استغلال الجو العاطفي الذي يحيط بهذه المناسبة بالنسبة لليهود الأمريكيين لتعزيز مركزه الذي كان قد أصابه التزعزع بين الجماعات والمنظمات اليهودية في الولايات المتحدة ، حيث نجحت الادارة الأمريكية في اظهاره بمظهر الرافض لفرصة السلام التاريخية التي أتاحتها مبادرة الرئيس السادات ـ ليستخدم ذلك في الضغط على الادارة الأمريكية لتجاوز الخلاف الذي نشب بينه وبينها .

أما السبب الثاني فيعود إلى أن تكون الفترة الزمنية المحددة للكونجرس الأمريكي للاعتراض على صفقة الأسلحة الأمريكية للمملكة العربية السعودية ومصر قد انقضت دون مباشرة الكونجرس الأمريكي لحقه في الاعتراض .

وكانت هذه الصفقة تتضمن شراء المملكة العربية السعودية لطائرات فانتوم من طراز (ف ١٥) وخمسين طائرة لمصر من طراز (ف ٥) ـ العتيق والذي لا قبل له بالتصدي للطائرات الحديثة ـ إلا أن الرئيس السادات كان مهتما بتمرير الصفقة حتى يضع ـ على حد قوله ـ سابقة لمبدأ تزويد الولايات المتحدة لمصر بالسلاح .

وغني عن البيان أن اسرائيل كانت تسعى بكل جهد لعدم إتمام هذه الصفقة إلا أن جهودها باءت بالفشل في النهاية .

إلا أنه بعد عودة أثرتون إلى واشنطن وقبل نهاية شهر ابريل (نيسان) حملت الينا الأنباء تطورا مقلقا ، أوضح بجلاء ضعف حصانة مواقف الادارة الأمريكيـة إزاء مراكز القـوى الصهيونية المعززة لاسرائيل في الولايات المتحدة .

فكما أسلفت القول كان الخلاف قد احتدم بين كارتر وبيجن حول عدة أمور منها مدى تطبيق القرار رقم ٢٤٢ وانتهى الأمر وقتها إلى أن وجهت الحكومة الأمريكية إلى الحكومة الاسرائيلية السؤالين اللذين أشرت إليهما بشأن مصير الضفة الغربية وغزة في نهاية مدة السنوات الخمس الانتقالية . وكان الأمر المنطقي أن تنتظر الولايات المتحدة رد اسرائيل على هذين السؤالين قبل اتخاذ أية مواقف أو خطوات جديدة .

إلا أنه يبدو أن الرئيس كارتر لم يلبث أن أصابه الذعر وارتعدت فرائصه بسبب زيارة مناحم بيجن للولايات المتحـدة للاشتراك في احتفالات الجاليات اليهودية بذكرى ثورة اليهود في وارسو وكذلك بمرور ثلاثين عاما على إقامة دولة اسرائيل .

فسارع كارتر بعد وصول بيجن إلى نيويورك وقبل أن يقابله في الحفل الذي أقامه في البيت الأبيض بهذه المناسبة والذي دعا إليه أكثر من ألف ومائتي حاخام وزعيم يهودي ـ سارع إلى الادلاء بتصريحات نشرتها جريدة (النيويورك تايمز) في ٣٠ ابريـل (نيسان) ١٩٧٨ ، عبر فيها عن اعتقاده بأن « تسوية مشكلة الشرق الأوسط ستتحقق دون اقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية ، وأن مستقبل الضفة الغربية سيرتكز بدرجة أساسية على المشروع الذي أعده مناحم بيجن لمنح الحكم الذاتي للفلسطينيين العرب ، وأن التسوية الدائمة لمشكلة الشرق الأوسط ، لن تتطلب انسحابا كاملا من الأراضي العربية المحتلة ، وأن الاعتبار الأهم في

سياسته والذي سيستمر هو أمن اسرائيل فوق كل شيء » .

وكانت هذه التصريحات تعني تبني الرئيس الأمريكي لمواقف تساير مطامع اسرائيل وتناقض الحقوق العربية على طول الخط ، بل تناقض المواقف الأمريكية المعلنة والمسجلة بشأن تسوية النزاع العربي الاسرائيلي منذ حرب ١٩٦٧ .

وكان أخطر ما فيها أن مناحم بيجن سيسجل على كارتر هذه التصريحات وسيحملها بتفسيرات ربما أوسع مما كانت تقصده ولن يستطيع كارتر منه فكاكا .

والأكثر من ذلك أن تلك التصريحات كانت تمثل خروجا عن السيناريو الذي اتفق عليه بين مصر والولايات المتحدة في كامب ديفيد في شهر فبراير (شباط) الماضي ، والذي التزمت الولايات المتحدة بمقتضياه بالضغط على اسرائيل حتى تعتنق تحولا ايجابيا في موقفها المتعنت بما يسمح باستئناف المباحثات التي قطعت أثناء اجتماع اللجنة السياسية في القدس . فقد كانت هذه التصريحات أبعد ما تكون عن الضغط على اسرائيل بل بالعكس كان فيها تشجيع واضح على استمرارها في مواقفها الجامدة المتعنتة .

كذلك كان السيناريو المتفق عليه يتطلب قبل تقدم الولايات المتحدة بأي موقف أمريكي الانتظار حتى تتقدم مصر بمشروع خاص بالضفة الغربية وغزة حتى يكون أمام الولايات المتحدة مشروعان احدهما اسرائيلي والآخر مصري قبل أن تتقدم هي بمشروعها .

وأود الاشارة هنا إلى أن تلك التصريحات كانت مثلا بارزا على التذبذب والتأرجح الذي يحيط بشخصية الرئيس الأمريكي كارتر ، ما بين الحفاظ على الصورة (IMAGE) التي خاض بها انتخابات الرئاسة الأمريكية في ١٩٧٦ ، صورة الرجل الصلب ذي المبادىء ، المتمسك بالعدالة والمثل ، المؤمن والمنادي بحقوق الانسان في كل مكان ، وبين ما يعتمل في أعماق نفسه من حرص وطموح

وتلهف على عدم تعريض مركزه الداخلي لما قد يؤثر على فرص اعادة انتخابه رئيسا للولايات المتحدة بعد انتهاء مدة رئاسته الاولى والبقاء في البيت الأبيض . وذلك باسترضاء اسرائيل وبالتالي كسب تأييد جماعات الضغط الصهيوني المساندة لها ، ولو عنى ذلك اضرارا بالمصالح الأمريكية في المدى الأبعد ونقضا لمبادئه وتغافلا وتعاميا عن حقوق الانسان بالنسبة لمستقبل شعب بأكمله يعيش هناك في فلسطين ضحية لظلم ومآسي الاحتلال الاسرائيلي غير المشروع .

ملامح تحت السطح ..

وقد استدعيت السفير الأمريكي أيلتس على الفور وطلبت منه النص الكامل للتصريحات التي نشرتها (النيويورك تايمز) منسوبة إلى الرئيس الأمريكي كارتر وايضاحا لما تعنيه هذه التصريحات الغريبة وأكدت له من جديد أن موقف مصر الثابت هو أن جوهر مشكلة الشرق الأوسط هو المشكلة الفلسطينية وأن مصر ترفض مشروع بيجن للحكم الذاتي الذي سيستهدف ابقاء السيطرة الاسرائيلية على الضفة الغربية وغزة رفضا باتا . وترى أن هذا المشروع يعكس بوضوح النوايا التوسعية لحكومة بيجن وخرقها لجميع المواثيق والقرارات الدولية . وأن حل القضية الفلسطينية يستلزم إنسحاب اسرائيل التام من جميع الأراضي العربية المحتلة في ١٩٦٧ وتمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقوقه المشروعة وعلى رأسها حقه في تقرير مصيره .

وأبلغت السفير أيلتس بأن تصريحات كارتر فيها تراجع عن المواقف الأمريكية التي سبق أن أعلنتها . كما أبلغته بمخالفة هذه التصريحات لما تناولته المحادثات في كامب ديفيد وللسيناريو الذي اتفق عليه فيها .

وأوضحت له أنه يستحيل علينا إعادة التفاوض مع اسرائيل في ظل مواقفها المتجمدة أو في ظل تصريحات كارتر التي ستزيدها

تعنتا . وشعرت من المقابلة بأن أيلتس لم يكن سعيدا على الاطلاق بتصريحات كارتر .

وقد حضر أيلتس لمقابلتي في اليوم التالي وأبلغني بأن ما نسب من تصريحات للرئيس كارتر لا يعني تغيرا في الموقف الأمريكي كما تضمنه البيان الصادر من البيت الأبيض في ٨ فبراير (شباط) عقب زيارة الرئيس السادات لواشنطن .

كما أكد لي بصفة خاصة أن الولايات المتحدة لا تعتبر مشروع بيجن بشأن الحكم الذاتي للضفة الغربية وغزة أساسا صالحا للتسوية ، حيث أنه لا يتضمن إتاحة الفرصة للشعب الفلسطيني للمشاركة في تقرير مستقبله . وقد أخبرت السفير بأن الحكومة المصرية ستدرس الايضاحات والتأكيدات الأمريكية التي قدمها وسوف تقرر على ضوء ذلك ما إذا كانت تعتبرها كافية .

وقد عرضت الموضوع على الرئيس السادات واقترحت عليه أن نعد له خطابا قويا منه إلى الرئيس كارتر في صدد تلك التصريحات إلا أنه ذكر لي أن ما نقله لي السفير الأمريكي من تأكيدات فيه الكفاية ولا داعي لتصعيد الموضوع .

أما بالنسبة لي فقد اعتبرت هذه التصريحات مؤشرا إلى عدم إمكان الاطمئنان للرئيس كارتر وبدت لي تصريحاته تشكيلا لملامح التفكير الأمريكي الكامنة تحت السطح بشأن تسوية مشكلة الشرق الأوسط وأخذت ذلك في اعتباري .

الفصل الحادي والعشرون

وأين نذهب إذا فشلت المبادرة ؟

في هذه الأثناء انتهت مجموعة العمل المشكلة من السفراء أسامة الباز ونبيل العربي مدير الشؤون القانونية بالوزارة وعبد الرؤوف الريدي مدير إدارة التخطيط وأحمد ماهر السيد من إعداد مشروع بشأن الضفة الغربية وقطاع غزة وكان المشروع مبنيا على فكرة طرحها الرئيس السادات في حديث له مع صحيفة (نيويورك تايمز) ، أساسها أن تخضع الضفة الغربية للادارة الأردنية ـ وليست كجزء من الأردن كما كان الحال قبل ١٩٦٧ ـ وأن يعود قطاع غزة إلى الادارة المصرية كما كان قبل حرب ١٩٦٧ ، وذلك بعد انسحاب إسرائيل .

وكنت ـ رغم تحفظي السابق بعدم الخوض في القضية الفلسطينية إلا من حيث إقرار المبادىء ـ مرتاحا إلى هذا المشروع لأنه يقطع الطريق على إسرائيل في مناقشة حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني فهو حق مشروع أصيل ثابت له بمقتضى المواثيق الدولية كما هو ثابت بالنسبة لكل الشعوب ولا شأن لاسرائيل به فهو لا يستمد من موافقتها عليه ولا يسقط من معارضتها له . فمتى تم انسحاب اسرائيل من الضفة الغربية وغزة طبقا للقرار رقم ٢٤٢ وللمبدأ الذي ينص عليه صراحة في عدم جواز الاستيلاء على الأراضي المحتلة بالقوة ، تصبح مسألة تقرير الفلسطينيين لمستقبلهم مسألة عربية داخلية داخل الاطار العربي ولا شأن لأى أطراف خارجية بها .

وكان الملك حسين قد أبدى رأيه في مؤتمر القمة العربي في الرباط ١٩٧٤ بأن يتم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا

شرعيا للشعب الفلسطيني ، ولكن لا تكون هي الممثل الوحيد باعتبار أن نصف سكان الأردن هم من أصل فلسطيني حتى يتسنى للأردن المشاركة في أية مفاوضات أو نشاط دولي متعلق بتنفيذ قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ .

وفي هذه الحالة أكد الملك حسين « أنه سيعمل من أجل تحقيق الانسحاب الاسرائيلي من كافة الأراضي العربية المحتلة وفي مقدمتها القدس ، وبالنسبة للضفة الغربية فان الأردن يتعهد بعد تحريرها بأن يترك الاختيار لأبنائها ليقرروا المصير الذي يريدونه بحرية تامة وتحت إشراف دولي محايد وأضاف الملك حسين : أن الجدل حول مستقبل الضفة الغربية ليس له ما يبرره قبل أن يتم استخلاصها من أيدي الاحتلال الاسرائيلي . »

وفي بداية شهر مايو (ايار) سلمت نسخة من المشروع[١] إلى السفير الأمريكي أيلتس لنقلها إلى حكومته لدراسته . ولمناقشته مع الجانب الأمريكي عند سفري إلى الولايات المتحدة في الجزء الأخير من هذا الشهر للمشاركة في الدورة الخاصة بنزع السلاح التي ستعقدها الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك .

قصة النفايات الذرية ..

وقد حدثت في ذلك الوقت واقعة . أرى أن أشير إليها لأنها تبين البساطة والسطحية التي كان يقابل بها الرئيس السادات بعض المسائل شديدة التعقيد والخطورة .

فقد اتصل بي وزير الكهرباء والطاقة في الصباح المبكر ليوم ٢ مايو (ايار) وطلب أن يمر علي بعد ساعة لنتوجه معا في سيارته إلى شبرا الخيمة للاستماع إلى الخطاب الذي سيلقيه الرئيس السادات بمناسبة الاحتفال بعيد العمال في أول مايو (ايار) .

---

(١) نص المشروع المصري المقدم من وزير الخارجية إلى السفير الأمريكي أيلتس على ضوء المقترحات الأمريكية ـ راجع الملحق رقم (١) في صفحه رقم ٦٤٤

ووافقت على ذلك وفي الطريق إلى مكان الاحتفال قال الوزير : إنه يريد التحدث معي في أمر عاجل وفتح حقيبة أوراقه وأخرج منها ملفا قدمه لي ، وقال « إن الموضوع يتعلق بابرام اتفاقية بين مصر والنمسا تتسلم مصر بمقتضاها نفايات الوقود النووي الناتجة عن استهلاك المفاعلات الذرية في النمسا ، لتقوم مصر بحفظها وتخزينها في أراضيها .

وذكر أنه توجد في منطقة غرب قناة السويس كثبان جيرية تصلح لهذا الغرض . وقال ان مصر ستستفيد بخبرة تكنولوجية كبيرة من وراء هذه العملية تفيدنا للغاية عند انشاء مفاعلات ذرية في مصر لتغطية احتياجاتنا للطاقة .

أما عن وجه الاستعجال في الموضوع فهو أن دولا أخرى تسعى بكل السبل للحصول من النمسا على هذه المخلفات الذرية ومن بينها ايران وأن الشاه يعرض على النمسا مبالغ طائلة في سبيل ذلك ، غير أن المستشار كرايسكي من واقع الصداقة التي تربطه بالرئيس أنور السادات يفضل اعطاء هذه المواد لمصر مجانا بل أن النمسا ستتبرع لمصر بمبلغ مليون شلن نمساوي !! (حوالي ٥٠ ألف دولار) للمساهمة في اقامة مستشفى جديد بها .

وأضاف وزير الكهرباء والطاقة « انــه قد عرض هذا الموضوع عقب عودته من النمسا مؤخرا على الرئيس السادات الذي تحمس له ووافق عليه وطلب منه السير في إجراءات تنفيذه ، وأنه لذلك يرجو أن أعد له تفويضا مني بوصفي وزيرا للخارجية في توقيع الاتفاقية مع النمسا على الفور وقبل أن تطير الصفقة من أيدينا !!

وبعدها بيومين ذهبت لمقابلة الرئيس السادات لأعرض عليه بعض المسائل وكان يقيم وقتها في كنج مريوط ، وتقع في الصحراء الغربية في منطقة اشتهرت منذ قدماء المصريين بجوها الجاف المنعش والذي هو في حد ذاته علاج للكثير من أمراض الصدر ، وكان السادات ينزل في استراحة صغيرة ذات حديقة جميلة كانــت

تستأجرها الحكومة المصرية من مالكها اليوناني .

وأثرت مع الرئيس السادات ـ وكان معه السيد حسني مبارك نائب الرئيس ـ الموضوع الذي حدثني بشأنه وزير الكهرباء وعلمت منه أن الوزير قد عرضه عليه وأنه وافق عليه بالفعل من حيث المبدأ. وقلت للرئيس السادات : إني لست خبيرا في هذه الشؤون ولكن ما أعلمه أن الدول الأوروبية جميعا تواجه مشاكل في تخزين مخلفات الوقود النووي ويريحها ويسعدها أن تتخلص منها ، وأن شطرا كبيرا من الشعوب الأوروبية يعارض بشدة إقامة المفاعلات الذرية في أراضيه رغم الاعتراف بوجوب زيادة مصادر الطاقة ، وتقوم المظاهرات فيها ضد ذلك ، وأن الموضوع محل جدل وليس هناك ما يدعونا إلى تعريض مناخ مصر الجميل ـ وهو من نعم الله عليها ـ لمخاطر التلوث ومضاعفاته . وأنه مهما تكن هناك من فائدة فنية حسبما يدعي وزير الكهرباء لهذا المشروع فلا شك أنه ستكون له آثار جانبية خطيرة تطيح بما قد يكون له من فوائد .

وذكرت أن منطقة القنال التي اختارها الوزير لتخزين هذه المواد تقع في متناول أي هجوم اسرائيلي ، كما قد يؤثر تخزين هذه المواد على الملاحة في قناة السويس وعلى البيئة في المنطقة جميعا . فضلا عن أني لا أستطيع التكهن برد الفعل الشعبي إزاء التصور بأن مصر ستصبح مخزنا للنفايات الذرية للدول الغنية .

وخلصت من ذلك إلى أني أرى ضرورة عدم اتخاذ أية خطوة قبل اجراء دراسات فنية متعمقة ـ ودون أي استعجال ـ لتغطية الموضوع من جميع جوانبه وتشكيل لجنة لذلك تشترك فيها وزارات الخارجية والدفاع والصحة والزراعة والصناعة والري .

واستمع الرئيس إلى نهاية حديثي وقال «أضف إلى اللجنة التي تقترحها أكاديمية البحث العلمي وهيئة قناة السويس واتفق مع السيد ممدوح سالم رئيس الوزراء على تشكيل هذه اللجنة ومتابعة دراساتها على أن يحاط ذلك بسرية تامة » .

ثم عرضت على الرئيس صورة الرسالة التي أرسلتها إلى كورت فالدهايم السكرتير العام للأمم المتحدة بشأن النتائج الخطيرة التي تترتب على الأنشطة غير المشروعة التي تقوم بها اسرائيل في الاراضي المصرية المحتلة انتهاكا لوحدة مصر الاقليمية ولسيادتها الدائمة على مواردها الطبيعية .

فالى جانب استيلاء اسرائيل على البترول المستخرج من الأراضي المحتلة في سيناء ، شرعت اسرائيل مؤخرا في القيام بعمليات واسعة للبحث والتنقيب عن البترول في الأراضي وفي المياه المصرية .. وبلغت بها الوقاحة إلى أن رسمت خطا وهميا وسط مياه خليج السويس ـ وهو خليج داخلي يقع بأكمله داخل الميـــاه المصرية الاقليمية ـ واعتبرت أن النصف الشرقي من مياه الخليج داخل في مياهها الاقليمية بالتبعية لاحتلالها لسيناء .

وكانت تمنع نشاط شركات البترول المصرية والأجنبية التي تعمل في مصر من مزاولة نشاطها في هذا النصف الشرقي من الخليج وتخطي الخط الوهمي المذكور وتتحرش بها مما كان يؤثر على سير أعمال هذه الشركات ويعوق انتاجها .

وقد طلبت من السكرتير العام للأمم المتحدة في نهاية الرسالة ادراج شكوى مصر من الانتهاكات الاسرائيلية في جدول أعمال الجمعية العامة لمناقشتها .

وكذلك أطلعت الرئيس السادات على صورة الرسالة التي أرسلتها إلى وزير الخارجية الأمريكي ســيروس فانس في نفس الموضوع وطالبته فيها بضرورة تحذير الشركات الأمريكية التي تمارس أعمال البحث والتنقيب عن البترول في أراضينا المحتلة ومياهنا الاقليمية لصالح اسرائيل وتحميلها المسؤولية الكاملة عن هذه العمليات غير المشروعة .

وكنت قد تحدثت إلى الرئيس في هذا الموضوع بعد أن أثاره معي وزير البترول المصري . إلا أنه أشار وقتها بارجاء إثارته حتى لا

يؤدي ذلك إلى عرقلة المباحثات مع اسرائيل .

إلا أني رأيت عدم إمكان السكوت عليه حفاظا على حقوقنا وبادرت دون إخطاره بارسال تلك الرسائل . وقد عبر الرئيس عن ارتياحه لقيامي بذلك وقال : انه سيطالب اسرائيل عند التوصل إلى السلام بالتعويض عن كل قطرة بترول استولت عليها من سيناء أو من مياهنا الاقليمية .

الرغبة في زيارة السعودية ..

ثم تحدثت مع الرئيس في الغرض الأساسي من مقابلتي له وهو رغبتي في زيارة السعودية لاجراء مباحثات مع المسؤولين فيها . وكنت قد تحدثت معه من قبل في هذا الشأن إلا أنه كان يسوف ويطلب مني إرجاء ذلك إلى وقت اخر ، ولكني أصررت في هذه المرة وشرحت له أن الهدف الرئيسي من زيارة السعودية هو اقناعها باتخاذ موقف أكثر وضوحا في تأييد الجهود المصرية من أجل السلام : ويتلخص هذا الموقف في إعلان السعودية عن تأييدها للمبادرة وأن تكثف اتصالاتها بالولايات المتحدة الأمريكية لتضغط على اسرائيل لاتخاذ مواقف ايجابية وكذلك لتقوم بحث المملكة الأردنية الهاشمية على المشاركة في جهود السلام .

وأشرت له إلى تصريح صدر وقتها من السيد أحمد زكي اليماني وزير النفط في السعودية مفاده أنها ستخفض من انتاجها البترولي وستوقف دعمها للدولار الأمريكي إذا لم يوافق الكونجرس على صفقة الطائرات الأمريكية للسعودية . وذكرت أنه من المفيد إقناع السعودية باستخدام نفس الأسلوب في تأييد جهود السلام المصرية وأخيرا وافق السادات على سفري وإن اقترح تأجيل زيارتي إلى حين جلاء القوات الاسرائيلية عن لبنان . وقد أجبته ضاحكا أن ذلك قد يؤدي إلى عدم إتمام الزيارة على الاطلاق . فوافق على أن أقوم بها قبل سفري إلى نيويورك لحضور الدورة الخاصة بنزع السلاح في

أواخر شهر مايو (ايار) .

وعرضت عليه من جديد الموافقة على إعادة السفير المصري إلى موسكو ولكنه طلب إرجاء ذلك في الوقت الراهن إلا أنه وافق على ما اقترحته من تحريك علاقاتنا بدول شرق أوروبا التي أصابها الجمود عن طريق السماح لبعض الوزراء الفنيين مثل وزراء الصناعة والكهرباء والزراعة بزيارة بعض الدول الشرقية تلبية لدعوات سابقة على المبادرة كانوا قد تلقوها من تلك الدول .

الرئيس نميري يتوسط لاعادة العلاقات العربية ..

وفي ٧ مايو (ايار) وصل الرئيس السوداني نميري إلى مصر بعد أن قام بزيارة سوريا بوصفه رئيسا للجنة التضامن العربي . وقد استقبله الرئيس السادات في استراحة كنج مريوط وحضرت المقابلة .

وشرح الرئيس نميري نتائج زيارته لدمشق ومحادثاته مع الرئيس السوري حافظ الأسد وذكر أنه اقترح عليه التوسط لاعادة العلاقات الدبلوماسية بين مصر وسوريا كما اقترح عليه الموافقة على الاشتراك في مؤتمر قمة عربي لبحث الأوضاع الراهنة والعمل على استعادة التضامن العربي . وقال أن الرئيس الأسد رد عليه بأنه لا يمانع في كلا الأمرين بشرط أن يعلن الرئيس السادات فشل مبادرته للسلام وأن يعلن كذلك عن وقف الاتصالات الثنائية بين مصر واسرائيل .

وأعاد السادات تأكيده السابق ـ قبل سفر الرئيس نميري إلى دمشق ـ من أنه على استعداد للاستجابة إلى مسعى لجنة التضامن العربي في اعادة العلاقات الدبلوماسية مع دول الرفض ، وكذلك استعداده للمشاركة في مؤتمر قمة عربي شريطة أن يسبقه إعداد جيد . إلا أنه لا يستطيع الاعلان عن فشل مبادرته لسبب بسيط وهو

اقتناعه بنجاحها الذي تتضح آثاره يوما بعد يوم في تحول الرأي العام العالمي نحو تأييد القضية العربية وانعزال اسرائيل عن المجتمع الدولي .

أما عن الاعلان عن وقف الاتصالات الثنائية بين مصر واسرائيل فقال السادات : إن المباحثات بين مصر واسرائيل موقوفة من الناحية الواقعية سواء في اللجنة السياسية أو في اللجنة العسكرية ولكنه لا يستطيع الاعلان رسميا عن وقف المباحثات بين مصر واسرائيل ، لأن اسرائيل ستستفيد من ذلك في تصوير المبادرة التي قام بها بأنها مناورة تكتيكية وليست عرضا حقيقيا لاقامة السلام الأمر الذي يطيح بالمكاسب التي حققتها المبادرة في الرأي العام العالمي .

وأضاف الرئيس السادات أنه مع ذلك وحتى يفسح المجال أمام مهمة الرئيس نميري في استعادة التضامن العربي فانه يتعهد بألا تتم اتصالات مصرية اسرائيلية في المستقبل سواء في مصر أو في اسرائيل . وأنه إذا اقتضى الحال اجتماع وزير خارجية مصر مع وزير خارجية اسرائيل فسيعمل على أن يتم اللقاء بينهما في دولة ثالثة مثل رومانيا .

وسافر بعد ذلك الرئيس نميري لاستكمال زيارته لباقي الدول العربية سعيا وراء تحقيق مهمته .

محاولة تخريب اللقاء العربي

في يوم ٢٤ مايو (ايار) سافرت بالطائرة المستير الخاصة بالرئيس إلى جدة وكان يصحبني السفير أحمد ماهر وبعض أعضاء مكتبي بالوزارة .. وكان في استقبالنا بمطار جدة الأمير سعود الفيصل وزير خارجية السعودية وبعض كبار رجال وزارة الخارجية . وقد صحبني الأمير إلى مقر الضيافة ، وكان شعوري بمقابلة الأمير سعود من جديد هو شعور بلقاء أخ وصديق قديم وكنت أحس بأنه يشعر بذلك بدوره .

وبعد أن تناولنا الغداء بمقر الضيافة اتصل بي الأمير سعود

الفيصل وذكر أنه سيحضر إلى مقر الضيافة لتبادل الحديث معي فيه بدلا من تكليفي بعناء الذهاب لوزارة الخارجية للقيام بذلك .

وفي الساعة الرابعة حضر الأمير سعود الفيصل .وحضر اللقاء بيننا الذي دام نحو ساعتين ، السفير أحمد ماهر وقد شرحت له تطورات الموقف منذ تقابلنا في القاهرة في شهر مارس (اذار) الماضي .

وكان محور تفكير الأمير هو وجوب العمل على وقف التدهور الذي حاق بالمعسكر العربي والعمل على استعادة التضامن العربي في أسرع وقت وبكل الوسائل ، وهذا يقتضي من وجهة نظر المملكة العربية السعودية اتخاذ خطوات لتصفية الخلافات العربية الناشئة عن مبادرة السادات وبالذات العلاقات بين مصر وسوريا بوصفهما من دول المواجهة مع اسرائيل ، تمهيدا لعقد مؤتمر قمة عربي يتفق فيه على موقف موحد استنادا لمقررات مؤتمر القمة العربي في الرباط ١٩٧٤ . وأشار الأمير إلى أن قرارات مؤتمر الرباط لم تستبعد الحل السلمي مع إسرائيل طالما يحقق انسحابها من الأراضي العربية المحتلة ويحقق حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة في تقرير مصيره .

وقال الأمير إنه قد وضح لهم في السعودية نتيجة الاتصالات التي أجريت مع سائر الدول العربية ، وكذا الاتصالات التي قام بها الرئيس نميري ــ بوصفه رئيسا للجنة التضامن العربي ــ أن العقبة في سبيل التصالح وعقد مؤتمر قمة عربي تمسك جبهة الرفض ــ وسوريا بالذات ــ بأن يسبق الاعداد لعقد هذا المؤتمر إعلان من الرئيس السادات بأن مبادرته قد فشلت وتعهد منه بانهاء الاتصالات بين مصر واسرائيل .

وقد كان سعود الفيصل مقتنعا بأن مبادرة الرئيس السادات لن تحقق غرضها بسبب جمود الموقف الاسرائيلي وعدم تجاوبه معها .. ومن ثم كان يرى أن الوقت قد حان لا ليعلن الرئيس السادات فشله ، كما كان يطلب الرئيس الأسد ، وإنما ليعلن فقط إنهاء

الاتصالات مع إسرائيل لعزوفها عن التجاوب مع السلام . وذكر الأمير الفيصل أن العالم سيتفهم ذلك ، وأن وقف الاتصالات المصرية الاسرائيلية قد جاء نتيجة لمواقف اسرائيل الرافضة للسلام العادل الشامل .

وأضاف الأمير : أنه متى صدر هذا الاعلان من مصر فسينفتح الطريق إلى المصالحة العربية وإلى إنعقاد مؤتمر قمة عربي ، ويكون عودا إلى مقررات مؤتمر القمة في الرباط والتي لا تستبعد الحل السلمي كما أشار في السابق .

وقد شرحت للأمير أني لست أقل حرصا منه أو إدراكا للأهمية القصوى لتصفية الخلافات العربية وجمع شملها لمواجهة الموقف .. واشرت إلى إعلان الرئيس السادات إستعداده لاستئناف العلاقات الدبلوماسية مع الدول العربية التي قطعت معها هذه العلاقات ، وكذلك إستعداده للمشاركة في مؤتمر قمة عربي في أي زمان أو مكان . غير أني أرى أن قيام مصر باعلان إنهاء الاتصالات مع اسرائيل في هذه المرحلة يضر ولا ينفع وشرحت له الجوانب الايجابية التي نتجت عن المبادرة وأشرت إلى المظاهرات التي قامت في إسرائيل ، وإلى تقدم ثلاثمائة ضابط وجندي اسرائيلي بعريضة إلى رئيس الوزراء الاسرائيلي بأنهم يفضلون السلام على احتلال أرض الغير ، وهو أمر له دلالته . وكذلك التحول الذي حدث على صعيد الرأى العام العالمي وبالذات في الرأى العام الأمريكي ، والذي انعكس على موقف الحكومة الامريكية نفسها بحيث مررت صفقة الطائرات الحربية للسعودية ومصر رغم معارضة شرسة من إسرائيل وجماعاتها الضاغطة في الولايات المتحدة وهو مؤشر لا يمكن التقليل من أهميته ومغزاه بأي حال .

وقلت : انه من الناحية الفعلية فان الاتصالات بين مصر واسرائيل موقوفة ومجمدة منذ سحب الوفد المصري في اللجنة السياسية من القدس وقطع مباحثاتها فيما عدا زيارة وايزمان إلى

القاهرة في شهر مارس (اذار) الماضي والتي كانت خطأ سنعمل من عدم تكراره . وأن الموقف الحالي كما اتفقنا عليه مع الولايات المتحدة في زيارة الرئيس لواشنطن في شهر فبراير (شباط) الماضي، وهو امتناعنا عن الدخول في أية مباحثات مع اسرائيل إلى أن تغير اسرائيل من موقفها السلبي الذي اعتنقته منذ بداية المبادرة ، وأننا ألقينا عبء تغيير الموقف الاسرائيلي – إلى موقف ايجابي – على عاتق الولايات المتحدة التي قبلت ذلك . ونتيجة لذلك وجهت الحكومة الأمريكية إلى الحكومة الاسرائيلية سؤالين مبدئيين حول مصير الضفة الغربية وغزة بعد انتهاء الفترة الانتقالية منذ شهر ابريل (نيسان) الماضي . وهو ما وضع الحكومة الاسرائيلية في مأزق وأعجزها عن الادلاء برأيها بوضوح حتى هذه اللحظة ، فلم تقدم الاجابة عن هذين السؤالين .

وأني أرى ازاء ذلك انتظار الرد الاسرائيلي وسيكون واحدا من اثنين :

فاما أن يكون ردا ايجابيا بالنسبة لمستقبل الشعب الفلسطيني وممارسة حقه في تقرير المصير .. وفي هذه الحالة فما الذي يمنع من استئناف المباحثات مع إسرائيل على هذا الأساس ؟ بل وانضمام أطراف عربية أخرى لها ؟ وإما أن يكون ردا سلبيا وهو الأرجح – وفي هذه الحالة نكون في حل من إعادة المباحثات مع إسرائيل .

وأكثر من ذلك فاني أضمن له – هكذا اعتقدت وقتها – عدم استئناف المحادثات مع إسرائيل في المستقبل حيث أني نجحت في إقناع الرئيس السادات بذلك . ومراجعة لتصريحاته المعلنة الثابتة في الفترة الأخيرة تؤكد ذلك حيث يعلن أنه لا عودة إلى المباحثات إلا إذا تخلت إسرائيل عن الأرض والسيادة . وأنه متى أعلنت ذلك اقتصرت المباحثات على مسائل أمن الأطراف وعلاقات حسن الجوار والسلام وهو ما لا تستطيع دولة عربية أن تحتج عليه أو تعارضه .

والخلاصة اني أتفق معه تماما في وجوب إنهاء المباحثات

المصرية مع إسرائيل ــ ما لم تتخذ منها إسرائيل موقفا إيجابيا وهو أمر مستبعد ولا تشير إليه دلائل الحال . ثم عودة مصر إلى موقف عربي موحد . غاية ما هناك أن الخلاف بيننا في التوقيت واني أرى وجوب تخير أحسن الفرص لذلك وهو الوقت الذي نطمئن فيه إلى أننا وصلنا إلى تطوير الموقف الأمريكي وتثبيته ، فيما يتعلق باقتناع الولايات المتحدة ــ حكومة وشعبا ــ بأن ربيبتها إسرائيل هى التي ترفض السلام العادل الشامل وتعمل على تقويض مبادرة الرئيس السادات في هذا الاتجاه .. وأنا أركز على الولايات المتحدة بالذات باعتبارها السند الوحيد ذى الحول والقوة لاسرائيل ، ومتى تخلت عن حماية احتلالها غير المشروع لأراضي الغير واجهاض حقوقه يكون قد حدث تحول جذري في الموقف برمته لا تستطيع معه إسرائيل الصمود طويلا في وجه مطلب السلام .

عندئذ نعلن إنهاء المباحثات مع إسرائيل دون أن نتعرض لمن يتهمنا بأننا لم نكن جادين في السعي إلى السلام . ولا يستطيع أحد أن يجرؤ أن يطلب منا أن نمضي في التفاوض مع طرف يعلن في صلافة وعناد أنه يريد الاحتفاظ بالأراضي العربية التي اغتصبها بالقوة بالمخالفة للمواثيق والقرارات الدولية . وفوق ذلك وإضافة عليه يريد أن يجبرنا على منحه الأمن والسلام حتى يتسنى له استغلال أراضينا وإذلال شعبنا في اطمئنان وسكينة تحت سمعنا وبصرنا وباجازة منا .

وهنا يأتي دور السعودية في الاعداد من الآن للحظة التي نعلن فيها إنهاء المباحثات مع إسرائيل ، وذلك بتمهيد الطريق نحو إعادة العلاقات العربية إلى حالتها الطبيعية والتجهيز لعقد مؤتمر القمة العربي تمهيدا لمواجهة إسرائيل بموقف عربي متحد سواء في مؤتمر دولي ، أو باستصدار قرارات جديدة من مجلس الأمن أو غير ذلك ، مع إعداد أنفسنا في جميع الأحوال لخوض الحرب لتحرير أراضينا وإنقاذ شعبنا الفلسطيني إذا اقتضى الحال .

وقد سألني الأمير سعود الفيصل عن المهلة الزمنية التي أراها مناسبة قبل إعلان إنهاء المباحثات مع إسرائيل فقلت : انها في تقديري لن تتجاوز شهرين أو ثلاثة على الأكثر .

وأبدى الأمير تفهما وتقبلا لما عرضته وأكد أنه سيواصل على مستواه كوزير لخارجية السعودية اتصالاته بالدول العربية ، وكذلك بوصفه عضوا في لجنة التضامن العربي التي يرأسها نميري ، بالتعاون معه وسائر أعضاء اللجنة لتصفية الجو العربي والاعداد لمؤتمر القمة متى أعلنت مصر إنهاء المباحثات مع إسرائيل . وطلب مني أن نستمر على اتصال للتشاور والتنسيق وأنه قبل أن يحين وقت إعلان القرار المصري لوقف المحادثات مع إسرائيل فسيقوم الملك خالد والأمير فهد ولي العهد ورئيس الوزراء بالاتصالات النهائية مع الملوك والرؤساء العرب وقد عبر عنهما (الملك وولي العهد) ، بأنهما المدفعية الثقيلة للمملكة السعودية .

وقد شملت مناقشاتنا موضوع مؤتمر القمة وهل يكون مؤتمرا موسعا تشارك فيه الدول العربية جميعا ، أم مؤتمرا محدودا تشارك فيه دول المواجهة ومنظمة التحرير الفلسطينية والسعودية ، وربما دولة أو دولتان اخريان . ولم نستقر على رأي وتركنا ذلك تحدده طبيعة التطورات والظروف . كذلك تناول حديثنا أهمية قيام المملكة العربية السعودية بحث الولايات المتحدة الأمريكية ، بما للسعودية من إمكانيات وعلاقات خاصة معها ، على ممارسة الضغط على اسرائيل والالتزام بالمواقف الأمريكية المعلنة حول تسوية النزاع العربى الاسرائيلى .

وعند هذا الحد انتهى حديثنا في تلك الجلسة ، وتركني الأمير فيصل ثم عاود الاتصال بي تليفونيا ليخبرني بأنه قد تحددت الساعة السابعة مساء لمقابلة الأمير فهد وأنه سيمر علي ليصحبني إلى تلك المقابلة وقد استنتجت أنه بعد انتهاء حديثي معه بعد الظهر توجه لمقابلة الأمير فهد وأحاطه بمضمون ما دار بيننا .

وقد دامت مقابلتي مع الأمير فهد ـ التي جرت في حضور عدد من المسؤولين السعوديين ـ نحو نصف ساعة ، كان محور حديثه خلالها هو أنه لا أمل يرجى من التفاوض مع اسرائيل وأنه قد ثبت رفض الحكومة الاسرائيلية التجاوب مع مبادرة الرئيس السادات فلا داعي للاستمرار في محادثات لن ينتج عنها إلا زيادة الريب والشكوك والتمزق العربي . وأنه يتحتم على العرب مواجهة اسرائيل جبهة واحدة ويجب تصفية الخلافات العربية وعقد مؤتمر قمة عربي لهذا الغرض . وأكد استعداد المملكة السعودية لبذل كل جهودها في هذا السبيل ، كما أشاد بحكمة السياسة البترولية التي تتبعها السعودية .

وفي المساء أقام الأمير سعود الفيصل مأدبة عشاء تكريما لي حضرها عدد كبير من الشخصيات السعودية والسفراء العرب وكان من بينهم سفراء لدول من دول الرفض . ويبدو أنهم استجابوا لدعوة وزير الخارجية السعودي تكريما له .

الأسلوب الاسرائيلي ..

وعدت إلى القاهرة في اليوم التالي وكنت سعيدا متفائلا بما تم الاتفاق عليه بيني وبين الأمير سعود الفيصل ، فقد وضحت أمامنا معالم الطريق الذي نسلكه فيما لو فشلت المبادرة بسبب رفض اسرائيل للسلام الشامل وكان هذا يعزز موقفنا في التمسك بحقوقنا ويدعم معنوياتنا في التفاوض .

وقابلت الرئيس السادات وعرضت عليه ما جرى في زيارتي للسعودية . وقد عبر عن سروره بنجاحي في تأجيل ما يطالبنا به العرب من إعلان انهاء المباحثات مع اسرائيل . إلا أنه لم يعلق على غير ذلك ولم يعر اهتماما بالسيناريو الذي اتفقت عليه مع وزير خارجية السعودية .

وعندما عدت إلى مكتبي في الوزارة اطلعت على مذكرة سرية

أعدها السفير أسامة الباز بشأن واقعة حدثت أثناء غيابي في السعودية هذا مضمونها :

١ ـ كان الفريق الجمسي قد أبرق لوايزمان منذ أيام مستعلما عما يتبع بالنسبة للمجموعة العسكرية الاسرائيلية التي مازالت موجودة في مصر منذ وقف اجتماعات اللجنة العسكرية (كان هؤلاء الأفراد موجودين في قصر الطاهرة ثم نقلوا مؤخرا إلى فيلا مرفقة بقاعدة جناكليس الجوية) .

٢ ـ اقتنص وايزمان هذه الفرصة على الفور ورد على الفريق الجمسي مقترحا أن يحضر ومعه باراك (المحامي العام) للتباحث حول هذه النقطة ومسائل أخرى متعلقة بالتسوية السلمية .

٣ ـ تم الرد عليهم في نفس يوم وصول برقية وايزمان (أمس الخميس ٢٥ مايو (ايار)
وتضمن ردنا النقاط الآتية :ـ

أولا : أن المجموعة العسكرية الاسرائيلية لا تفعل شيئا في الوقت الحاضر وقد أبقيناها حتى الآن من قبيل المجاملة .

ثانيا : انه لا جدوى من اللقاءات مالم يكن هناك جديد في الموقف ، يتمثل في أفكار أو نقاط إيجابية محددة كفيلة باخراج الموقف من حالة الجمود . وبصراحة فان هذا يتطلب تغييرا في الموقف الاسرائيلي لأن عقد مزيد من الاجتماعات دون أن نوفر هذا العنصر يضر أكثر مما ينفع لأنه يعطي الناس آمالا زائفة وانطباعات كاذبة ثم يصابون بالاحباط بعد تبين حقيقة عدم حدوث تقدم ، ولا يصح أن يقال ان المقصود من الاجتماعات هو التعرف على رأي الطرف الآخر في نقاط معينة ، لأننا تجاوزنا المرحلة الاستطلاعية . وإسرائيل تعلم جيدا ما يمكن وما لا يمكن أن نقبله فلماذا نجتمع إذن إن لم يكن هناك جديد ؟

ثالثا : إذا كان لديهم جديد يستحق البحث والمناقشة فان الفريق

الجمسي يكون مستعدا للالتقاء به في بلد ثالث وعلانية لا سرا ولأننا لا نحب أن نعمل في الخفاء .

وعاد إلى ذاكرتي حضور وايزمان الأخير إلى القاهرة أثناء اجتماع وزراء الخارجية العرب بها في شهر مارس (آذار) ولم أملك إلا أن أتساءل : هل كان طلب وايزمان الحضور إلى القاهرة أثناء وجودي في السعودية ، مجرد مصادفة أم أن اسرائيل ترقب وترصد كل تحرك من ناحيتنا نحو أشقائنا العرب حتى تسارع بالعمل على تشويهه وتخريبه ؟

الفصل الثاني والعشرون

من أجل عيون الرئيس كارتر!

A SPECIAL FAVOUR TO CARTER

وفي ٢٧ مايو (ايار) طرت إلى نيويورك للمشاركة في الدورة الخاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن نزع السلاح والتي عقدت بناء على اقتراح مجموعة دول عدم الانحياز .

وقد تضمن الخطاب الذي ألقيته في الجمعية الفقرات التالية بشأن اسرائيل :

« وبقدر ما نعتبر المنطقة الخالية (من الأسلحة النووية) في أمريكا اللاتينية نموذجا يحتذى به في إقامة المناطق الخالية من السلاح النووي وخطوة هامة في سبيل نزع السلاح ، إلا أن الوضع في أفريقيا وفي الشرق الأوسط مختلف تماما . ذلك أن توافق الأهداف بين جنوب أفريقيا واسرائيل وكلتاهما تتبع سياسة عدوانية تتسم بالتحدي للارادة الدولية وتتميز باقتراف المخالفات الجسيمة المتكررة لأحكام الميثاق وقواعد القانون الدولي يجعل التواطؤ بينهما في المجال النووي تهديدا مباشرا للسلام والأمن في هاتين المنطقتين بل في العالم بأسره . فقد سعينا في دأب مع الدول الأفريقية الشقيقة لتنفيذ إعلان « أفريقيا لا نووية »

وعلى الرغم من تأييد وتدعيم المجتمع الدولي لهذا المسعى إلا أن تصميم النظام العنصري في الجنوب الافريقي على المضي في محاولاته للحصول على السلاح النووي من أجل دعم سياسته العنصرية العدوانية ، قد حال دون المضي قدما نحو التنفيذ العملي لهذا الاعلان .

أما في منطقة الشرق الأوسط ذات الوضع الاستراتيجي المتميز

فان ارتباط ما يدور فيها من أحداث بالأمن والسلم الدوليين هى حقيقة تدركها مصر . ومن ثم تقوم سياستها على استقرار أوضاع عادلة في المنطقة حتى تجنبها حدوث مواجهات بين القوى المختلفة ايمانا منها بأن نتائج أية مواجهات قد تقود العالم إلى حافة حرب عالمية ثالثة . ولا شك أن ما عانته المنطقة من حروب بسبب مخططات التوسع الاسرائيلي ، يجعل المجتمع الدولي يقدر الفوائد الجمة التي ستعود عليه من توفير ظروف السلام العادل والدائم في المنطقة وتحويلها بأكملها إلى منطقة سلام . ومن هنا جاءت المبادرة الايرانية المصرية منذ سنوات أربع ، لاعلان الشرق الأوسط منطقة خالية من السلاح النووي كمساهمة ايجابية في مجهودات نزع السلاح وفي الحفاظ على السلم والأمن الدوليين .

وقد ثابرنا وسعينا لتحقيق هذا الهدف المتفق مع رغبة دول المنطقة والمدعم بالتأييد الدولي ، ولكن صوت اسرائيل كان الصوت الوحيد الذي شذ عن الاجماع الدولي طوال السنوات الأربع الماضية عند طرح الموضوع في الدورات المتعاقبة للجمعية العامة ، بل هى مازالت ترفض حتى الآن الانضمام إلى معاهدة منع الانتشار ، كما وأنها ترفض وضع جميع أنشطتها النووية تحت نظام ضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية .

واسمحوا لي يا سيادة الرئيس أن أعلن من فوق هذا المنبر ، أن هدف مصر هو أن تبقى منطقة الشرق الأوسط خالية من الأسلحة النووية . وإذا كانت اسرائيل سوف تعوق هذا الهدف حتى تترك لمطامعها ومحاولاتها في هذا المجال فرصة التحقيق بالتعاون مع جنوب أفريقيا بالذات ، فان على المجتمع الدولي ممثلا في الأمم المتحدة أن يتخذ من الخطوات اللازمة طبقا لأهداف ومبادىء الميثاق ما يمنع تهديد السلم والأمن الدوليين بمثل هذه المحاولات غير المسؤولة ، آخذين في الاعتبار نص وروح قرار مجلس الأمن رقم ٢٥٥ لسنة ١٩٦٨ » .

وقد كان مندوبو الدول العربية في الأمم المتحدة من ناحية، ومندوب اسرائيل فيها من الناحية الأخرى، يترقبون موقف مصر في الدورة الخاصة لنزع السلاح وينظرون اليه بمثابة اختبار لنواياها. وبينما شعر المندوبون العرب بارتياح لما جاء في الخطاب حول اسرائيل، فقد غضب الجنرال حاييم هرتزوج مندوب اسرائيل في الأمم المتحدة غضبا شديدا ويبدو أنه كان يتوقع أن تعزف مصر عن مهاجمة اسرائيل من فوق منبر الأمم المتحدة بسبب مباحثات السلام التي بدأت بينهما منذ زيارة الرئيس السادات للقدس.

فضلا عن أن الربط بين جنوب أفريقيا واسرائيل في مجال التسلح النووي قد أصاب اسرائيل في عصب حساس ذلك أن العلاقات الوثيقة التي تربط اسرائيل بجنوب أفريقيا كانت العقبة الكؤود التي تحول دون اسرائيل واستعادة مركزها في القارة الأفريقية بعد أن قامت الدول الافريقية جميعا ـ فيما عدا ـ مالاوى ـ بقطع علاقاتها باسرائيل أثر حربها العدوانية في عام ١٩٦٧(١).

تهدئة العلاقات القبرصية المصرية ..

أثناء اقامتي في نيويورك قابلت عددا من وزراء خارجية الدول الذين حضروا للمشاركة في الدورة الخاصة لنزع السلاح، وقد كان محور الحديث يدور أساسا حول الموقف الراهن من المباحثات بين مصر واسرائيل واحتمالات الفشل والنجاح فيها. واجتمعت بكورت فالدهايم السكرتير العام للأمم المتحدة وكنت حريصا منذ

(١) ومن الأمور الملفتة للنظر في ذلك الوقت انه جرت بعد أيام من هذا الخطاب انتخابات مجلس المحافظين لوكالة الطاقة الذرية في فيينا ورشحت مصر نفسها للعضوية عن أفريقيا وحاولت جمهورية النيجر منافستنا ولكن امكن اقناعها بالتنازل عن ترشيح نفسها. وفوجئنا بعد ذلك بالولايات المتحدة الأمريكية تصر على ترشيح جنوب افريقيا ضد مصر وإصرارها على إجراء التصويت. وقد تم ذلك ونجحت مصر بفضل الدول الافريقية ودول عدم الانحياز ودول مجموعة الكتلة الشرقية

توليت وزارة الخارجية على أن يكون للأمم المتحدة دور في اية تسوية نتوصل إليها مع اسرائيل ، على أساس أن أية تسوية ستستند على أحكام ميثاق الأمم المتحدة والقرارات الصادرة من الأمم المتحدة بشأن النزاع العربي الاسرائيلي سواء من الجمعية العامة أو من مجلس الأمن . وكانت اسرائيل تحاول اخراج المباحثات بعيدا عن مظلة الأمم المتحدة . كذلك كنت حريصا على أن تظل دعوة السكرتير العام للأمم المتحدة لمؤتمر دولي لبحث مشكلة الشرق الأوسط في اطار الأمم المتحدة ، كتمهيد لمؤتمر جنيف كباب يمكن أن نطرقه إذا رغبت إحدى الدول العربية في الانضمام إلى المباحثات أو في حالة فشل المباحثات الثنائية بين مصر واسرائيل . كذلك تناولت محادثاتي مع السكرتير العام موضوع استغلال اسرائيل للموارد الطبيعية في سيناء ، من بترول وغيره ، وكذلك موضوع انسحاب اسرائيل من جنوب لبنان . وقد عبر لي فالدهايم عن ضيقه وتبرمه الشديد من أسلوب الخداع والالتواء الذي تمارسه اسرائيل لتسويف تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥ بانسحابها من لبنان .

واجتمعت بالرئيس القبرصي كبريانو ـ والذي كان يقيم بنفس الفندق ـ وكانت مصر قد قطعت علاقاتها الدبلوماسية بقبرص بعد أحداث مطار لارناكا . وكان الرئيس السادات يتخذ موقفا عنيفا من قبرص ورئيسها لرفضه تسليم قاتلي يوسف السباعي لمصر ، إلى حد أن السادات كان يلقب في أحاديثه وخطاباته الرسمية الرئيس كبريانو بأنه زعيم القبارصة اليونانيين ، مما يحمل على الفهم بأن الرئيس السادات يوافق على تقسيم قبرص بين القبارصة اليونانيين والقبارصة الأتراك وهو ما يخالف الموقف المصري المتمثل بالاعتراف بوحدة الدولة القبرصية . وقد عبر الرئيس القبرصي عن أسفه الشديد للأحداث الدامية التي أدت إلى الاطاحة بالعلاقات التقليدية الطيبة التي تربط مصر بقبرص منذ الاف السنين ، وشرح لي

صعوبة موقفه من امكانية تسليم قاتلي يوسف السباعي ، باعتبار أن ذلك يخل بسيادة قبرص التي وقعت الجريمة على أراضيها ، وأشار إلى استعداده مع ذلك بعد مضي فترة من الوقت تهدأ فيها الأمور إلى ايجاد طريقة لتسليمهما لمصر .

وكنت من ناحيتي أعارض تماما مطلب الرئيس السادات في تسلم قتلة السباعي واجراء محاكمتهما من جديد وتنفيذ حكم الاعدام عليهما في مصر ، فقد كنت حريصا على عدم اشتعال المشاعر العنيفة من جديد بين المصريين والفلسطينيين وهو ما كان سيؤدي إليه حتما إعادة المحاكمة وتنفيذ حكم الاعدام . وكان يهمني للغاية إنهاء هذا الفصل المأساوي في العلاقات المصرية الفلسطينية ، الأمر الذي تستفيد منه اسرائيل وحدها ويؤثر سلبا على موقفنا في المباحثات التي تستهدف أساسا حل القضية الفلسطينية بوصفها جوهر النزاع العربي الاسرائيلي . ولذا فلم أشر في حديثي مع الرئيس كبريانو إلى طلب التسليم ، وكل ما أصررت عليه هو أن تقوم قبرص بتنفيذ الحكم الصادر عليهما في أقرب وقت واتفقنا على العمل على تهدئة العلاقات بين البلدين تمهيدا لعودة العلاقات الدبلوماسية .

التنازل لمرة واحدة فقط ؟!

وفي ٢ يونيه (حزيران) قابلت وزير الخارجية سيروس فانس حيث دعاني إلى غداء عمل في الجناح الذي ينزل فيه بفندق بلازا ، وكان معي الدكتور عصمت عبد المجيد مندوبنا الدائم في الأمم المتحدة والدكتور أشرف غربال سفيرنا في واشنطن والسفير أحمد ماهر السيد ومن الجانب الأمريكي حضر المستر أندرو يونج المندوب الأمريكي في الأمم المتحدة والسفير أثرتون والمستر سوندرز مساعد فانس للشرق الأوسط . وكان مدار الحديث الرئيسي هو المشروع المصري بشأن الضفة الغربية وغزة والذي كنا قد قدمنا لهم

صورة منه في بداية شهر مايو (ايار) والمبني على أساس انسحاب اسرائيل وخضوع إدارة الضفة الغربية لاشراف الأردن وإدارة قطاع غزة لاشراف مصر . وقد أبدى فانس والجانب الأمريكي اهتماما بالمشروع المصري وتقبلا له ، من حيث المبدأ ، واستوضحوا عن بعض نقاطه . وكانت ملاحظاتهم الأساسية أنه لا يتضمن تفصيلات كافية فيما يتعلق باجراءات الأمن وقد رجا فانس لو استطعنا اضافة مثل هذه التفصيلات حيث أن اسرائيل تتعلل دائما بموضوع الأمن وقد وعدته ببحث الأمر عند عودتي إلى القاهرة .

وذكر فانس أنهم مازالوا ينتظرون رد اسرائيل على السؤالين الأمريكيين الموجهين لها بشأن مستقبل الضفة الغربية وغزة وأضاف فانس أنه لا يتوقع أن تكون الردود ايجابية وأنه يفكر على أي حال في زيارة منطقة الشرق الأوسط . بعد أن يتلقوا ردود اسرائيل ، فاذا كانت ايجابية فهو يرى أنه يمكن إجراء جولة أخرى من المباحثات المباشرة بين مصر واسرائيل . أما إذا كانت سلبية فسيقدم المشروع المصري إلى أسرائيل وبعد ذلك تتقدم الولايات المتحدة باقتراحاتها وأفكارها . وقد وافقت على ذلك وذكرت أنه في حالة اعتبار الولايات المتحدة ردود اسرائيل ايجابية فهذا لا يكفي ، بل يجب أن تكون كذلك في تقديرنا نحن ، ولن نقبل استئناف المحادثات المباشرة مع اسرائيل إلا إذا كانت الردود ايجابية بالفعل وليس مجرد تلاعب في الصياغة يعطي انطباعا خاطئا بأنهم قد حركوا موقفهم .

وكان الرئيس السادات قد طرح بعض القوانين والاجراءات المقيدة للحرية في استفتاء شعبي يوم ٢٢ مايو (ايار) بزعم أنها لحماية الجبهة الداخلية والسلام الاجتماعي وتشمل تطهير الأحزاب القديمة من العناصر التي ادعى أنها أفسدت الحياة السياسية في مصر ، وتكليف المدعي الاشتراكي بالتحقيق مع الصحفيين المصريين الذين يهاجمون سياسته ، كما قامت السلطات المصرية بطرد بعض

المراسلين الأجانب . وكان لهذه الاجراءات انعكاسات سلبية على الرأى العام الأوروبي والأمريكي حيث هاجمتها وسائل الاعلام واعتبرتها تراجعا من الرئيس السادات عن الديمقراطية التي كان يتشدق بها دائما ، كما رأت فيها مؤشرا على ضعف الجبهة الداخلية في مصر . وقد وجهت إلي الكثير من التساؤلات حول هذه الاجراءات أثناء وجودي في نيويورك كذلك ما كان يردده من تحديد شهر أكتوبر (تشرين الأول) كتاريخ لانهاء المباحثات المباشرة مع اسرائيل .

وغادرت نيويورك إلى باريس حيث أمضيت يومين قابلت خلالهما وزير الخارجية الفرنسية « لويس دي جرينجو » وسألني عن تطورات الموقف بشأن المباحثات مع اسرائيل . وكانت فرنسا غير متفائلة بنجاح هذه المباحثات ، وقد التزمت منذ قيام السادات بزيارة القدس بموقف التحفظ والحذر والامتناع عن المجاهرة بالتأييد لمبادرته حرصا على علاقاتها النشطة مع باقي الدول العربية . غير أن معظم الحديث تركز على المشاكل الأفريقية في القرن الأفريقي وزائير وتشاد والتي كانت تسبب قلقا بالغا لفرنسا .

ووصلت إلى القاهرة في مساء يوم ١٠ يونيه (حزيران) وفي ١١ يونيه (حزيران) زار السفير الأمريكي أبلتس الرئيس السادات وقدم له ورقة تتضمن بعض الاقتراحات الأمريكية بتعديلات على المشروع المصري يرون أنه من المفيد أن يشتمل عليها .

وفي ١٢ يونيه (تموز) سافرت إلى الأسكندرية لمقابلة الرئيس السادات الذي كان يقيم في استراحة المعمورة وقد استقبلني بترحاب وعرضت عليه نتائج رحلتي ومقابلاتي وبالذات ما لمسته من تقبل الجانب الأمريكي لفكرة المشروع المصري واعتبارهم إياه مشروعا معقولا ومنطقيا ، وإن كانوا يرون أنه يحسن أن يشتمل على تفصيلات اضافية في مجال الأمن . فأبلغني بأنه قد أحال إلي

المقترحات الأمريكية التي سلمها له أيلتس في هذا الصدد وطلب بحثها وتعديل المشروع المصري بما قد يكون مقبولا ومناسبا لها .

كذلك أشرت إلى القلق وعدم الارتياح الذي لمسته في الولايات المتحدة وفرنسا إزاء القوانين والاجراءات التي طرحها الرئيس السادات للاستفتاء الشعبي وما تحمله من معان الارتداد عن الديمقراطية وضعف الجبهة الداخلية وذكرت أن اسرائيل وراء تحريك وسائل الاعلام الأمريكية في هذا الاتجاه .

ورد السادات قائلا « مساكين فهم لا يفهمون أوضاعنا هنا وأن الاجراءات التي اتخذتها تعني مزيدا من الديمقراطية في مصر » !!

وكنت أتأهب للانصراف بعد أن انتهيت من عرض ما لدي من مواضيع عندما قال لي الرئيس « على فكره يا محمد .. الرئيس كارتر اتصل بي تليفونيا واقترح علي عقد اجتماع ثلاثي بين وزراء خارجية مصر واسرائيل والولايات المتحدة وقد ألح علي في ذلك ، وقد أبلغته بموافقتي على مبدأ عقد هذا الاجتماع بشرط أن يتم خارج مصر واسرائيل ، كما وعدت الرئيس نميري » .

وكنت قد بدأت أضيق ذرعا بتصرفاته في وضعي أمام الأمر الواقع دون أن يحفل بأخذ رأيي أو مشورتي وقلت « لقد توالت تصريحاتك بأنك لن تعود إلى التفاوض المباشر مع اسرائيل مالم تغير هذه من موقفها ، ومنذ أقل من أسبوعين اتفقت مع السعودية على أن تظل المباحثات مع اسرائيل موقوفة ما لم تفعل اسرائيل ذلك ، وهم (السعوديون) يمارسون اتصالات مع الدول العربية على هذا الأساس ، تمهيدا لاجراء مصالح عربي واجتماع قمة في الوقت المناسب ، وفضلا عن كل ذلك فقد وجهت الحكومة الأمريكية إلى اسرائيل سؤالين حول مستقبل الضفة الغربية وغزة منذ أكثر من شهر ولم تقم اسرائيل حتى الآن بالرد على هذين السؤالين ، فكيف نوافق

على مبدأ الاجتماع مع اسرائيل قبل معرفة ردودها وتقدير ما إذا كانت ايجابية أم لا ؟ والأكثر من ذلك أن فانس قد أبلغني بأنه غير متفائل على الاطلاق بأن الردود الاسرائيلية ستكون ايجابية .

وأضفت : إني بصراحة غير مطمئن إلى مواقف الرئيس كارتر التي تتسم بالتذبذب ، فمنذ عشرة أيام كنت مع وزير الخارجية فانس وأمضيت معه وقتا طويلا ولم يشر لي من قريب أو بعيد إلى مثل هذا الاجتماع وكل ما ذكره أنه بعد أن تصلهم الردود الاسرائيلية فانه سيقوم بزيارة المنطقة للتفاهم على الخطوة التالية » .

وقال الرئيس السادات : « لقد ألح علي كارتر في القبول وأنت تعلم مدى حرصي على التدخل الأمريكي بيننا وبين اسرائيل ، وأن تقوم أمريكا بدور الشريك الكامل في المفاوضات ولا أريد إغضاب الرئيس كارتر » .. فقلت : « اني أقدر ذلك ولكنني لا أتفهم الموقف الأمريكي فهو لا ينفذ السيناريو الذي اتفقنا عليه في كامب ديفيد ، وكلما سعينا إلى تحسين الموقف مع الدول العربية فاجأونا بما يقضي على هذه الامكانية ونحن في أشد الحاجة إلى الدول العربية وخاصة الأردن ، وإلا سنبقى وحدنا نعالج مسائل لا نملك التفاوض فيها لأننا غير مفوضين من أصحاب الشأن أو نحظى بموافقتهم . وقال السادات : إن الملك حسين لا يريد اتخاذ موقف وهو ينتظر حتى تقدم له الضفة الغربية على طبق من الفضة . وأضاف الرئيس : على كل حال فقد أبلغت الرئيس كارتر أن موافقتي على اجتماع الوزراء الثلاثة هى تنازل مني من أجل خاطره وأكدت عليه أن ذلك يتعلق باجتماع واحد فقط وأخير فوافق على ذلك واقترح عقد الاجتماع في لندن .

اسلوب الخطوط المتعرجة ..

عند عودتي كلفت مجموعة العمل بدراسة المقترحات الأمريكية بالتعديلات التي ترى ادخالها على المشروع المصري بشأن

الضفة الغربية وغزة ، وقد قامت المجموعة بذلك وأعدت مشروعا جديدا ضمنته بعض المقترحات الأمريكية بعد تعديلها بما يتفق مع مواقفنا ووافقت عليها كما وافق عليها الرئيس السادات .

وكان المستر هارولد سوندرز مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأوسط قد ألقى في يوم ١٢ يونيه (حزيران) بيانا سياسيا أمام اللجنة الفرعية للعلاقات الخارجية التابعة لمجلس النواب قال فيه « إن الموقف الأمريكي يتلخص الآن في معرفة موقف اسرائيل من الضفة وغزة وأنه يتعين على اسرائيل أن تعلن انسحابها من هذه الأراضي التي كانت خاضعة للانتداب البريطاني وكانت خارج حدود اسرائيل سنة ١٩٦٧ » .

وأضاف سوندرز أن موضوع الانسحاب من هذه الأراضي يجب أن يتم الاتفاق عليه كأمر أساسي مع استمرار مناقشة قضايا الأمن والسيادة وأنه إذا لم تعلن اسرائيل ذلك فان الأردن ودولا أخرى لن تستطيع الانضمام إلى المفاوضات ، وذكر أن واشنطن ترى أن مستقبل الضفة الغربية يرتبط بوجود روابط مع الأردن وأن قيام دولة فلسطينية يعتبر حلا واقعيا .

وفي ١٥ يونيه (حزيران) استقبلت السفير أيلتس وقدمت إليه مشروعنا المعدل وكان عنوانه « اقتراحات تتعلق بالانسحاب من الضفة الغربية وقطاع غزة وترتيبات الأمن[١] .. » .

وأكدت على السفير بضرورة عدم تقديم مشروعنا من جانبهم للجانب الاسرائيلي قبل رد اسرائيل على السؤالين الخاصين بالضفة وغزة في التوقيت الذي نتفق عليه مع الجانب الأمريكي . وذكر السفير أنهم يتوقعون أن يصل مجلس الوزراء الاسرائيلي إلى موقف في اجتماعه التالي خلال أيام وأن بيجن يحاول الوصول إلى حل وسط ، حيث أن هناك خلافات كبيرة داخل مجلس الوزراء حول الرد .

---

(١) نص المشروع المعدل والمقدم من وزير الخارجية المصري إلى السفير الامريكي أيلتس بتاريخ ١٠ يونيو (حزيران) - راجع الملحق رقم (٢) صفحه رقم ٦٤٠ .

وأشرت إلى طلب الرئيس كارتر من الرئيس السادات الموافقة على عقد اجتماع لوزراء الخارجية الثلاثة وقلت : هذا لا يتفق مع السيناريو الذي اتفق عليه بيننا ، وأن على أمريكا أن تضغط على اسرائيل لتعديل موقفها كشرط لمثل هذا الاجتماع فقال : إن هذا ربما يكون صحيحا ولكن مركز الرئيس الأمريكي يكون أقوى لو حدثت جولة جديدة من المباحثات والتزمت اسرائيل بالموقف السلبي . ففي هذه الحالة يستطيع أن يقنع الكونجرس والرأى العام الأمريكي بأنه اضطر لتقديم مقترحات أمريكية إزاء جمود الموقف الاسرائيلي .

وعلقت بقولي : إنه للأسف فان موقف بيجن هو الموقف الوحيد الذي لا يحيد عن الخط الذي التزم به بينما كل من الرئيس كارتر والرئيس السادات يمشيان في خطوط متعرجة خطوة إلى الأمام وخطوة إلى الخلف وهذا يشجع بيجن على التمادي في تشدده .

وفي يوم ١٧ يونيه (حزيران) قدمت للرئيس السادات المذكرة التالية :ـ

« أتشرف بأن أعرض على سيادتكم ما يلي بشأن الاقتراح الأمريكي بعقد لقاء في لندن :

١ ـ انه من الواضح من الأنباء الواردة من اسرائيل أن مجلس الوزراء الاسرائيلي في ورطة ، إذ أنه منقسم على نفسه بالنسبة للرد على سؤالي الولايات المتحدة . وفي هذه الظروف فان قبولنا للاقتراح الأمريكي قد يعطي الفرصة للحكومة الاسرائيلية للخروج من ورطتها وتجنب الرد على السؤالين انتظارا لما يسفر عنه اللقاء .

ولقد كان إدراكنا لضرورة عدم اتاحة الفرصة لبيجن لتجنب الرد هو الذي جعلني أخطر السفير الأمريكي ـ بناء على تعليمات سيادتكم ـ بألا يقدموا ورقتنا إلى الجانب الاسرائيلي قبل أن يرد هذا الأخير ايجابيا على السؤالين الأمريكيين .

www.library4arab.com/vb

كما أن هذا الموقف يتفق مع الموقف الأمريكي الذي عبر عنه علنا في الفترة الأخيرة كل من سوندرز وأثرتون من أن ردود اسرائيل الايجابية ضرورة لاستئناف المباحثات المباشرة .

٢ ــ ومن جهة أخرى فقد أدليتم سيادتكم بتصريحات تتضمن أننا مستعدون لجولة أخرى من المفاوضات إذا جد جديد في الموقف الاسرائيلي . كما أبلغتم سيادتكم ذلك للرئيس نميري .

٣ ــ إن اسرائيل قد مضى عليها شهر أو أكثر دون الرد على السؤالين الأمريكيين وليس هناك ما يدعو لأن تبدو مصر متلهفة فتقبل على الفور الاقتراح الأمريكي بشأن اللقاء .

وفي هذا الصدد أشير إلى ما يلي :ــ

أ ــ إذا كنا سنقبل اللقاء كتنازل للرئيس كارتر ، فيجب أن يقترن ذلك بتعهد من جانبه بأن يكون المشروع الأمريكي بشأن الضفة الغربية وغزة أقرب ما يكون إلى مقترحاتنا وأفكارنا .

ب ــ أنه يمكن أن نبلغ أمريكا موافقتنا من حيث المبدأ على أن نطالبها في نفس الوقت بأنه لن يمكن لنا اتمام اللقاء فعلا إلا إذا جاءت الردود الاسرائيلية بشكل يوحي بأن هناك تقدما في موقف الحكومة الاسرائيلية .

جـ ــ أما بالنسبة للتوقيت فاذا كان فانس لا يستطيع التواجد في لندن إلا في الفترة المقترحة[1] فانه يمكن عقد اللقاء بعد ذلك وبعد ورود الرد الاسرائيلي ، في واشنطن أو في أي مكان آخر يناسب فانس ، بل قد يمكن التفكير في تأجيل اللقاء إلى ما بعد

(١) كان السفير الأمريكي قد ابلغنا ان فانس يناسبه ان يتم اللقاء في ٩ يوليه (تموز) .

جولة فانس في المنطقة وعلى ضوء ما يستطيع خلالها تحقيقه من تقدم في الموقف الاسرائيلي .

د ــ إن طلب ديان اللقاء(١) جزء من الصراع الداخلي بينه وبين بيجن من جهة ، وبينه وبين وايزمان من جهة أخرى . وعلى أحسن الفروض فانه ليس هناك ما يضمن أن أي اتفاق مع ديان سينال موافقة مجلس وزراء اسرائيل في الوقت الذي يبدو هناك احتمال لسقوط حكم بيجن لأسباب صحية أو سياسية(٢) .

٤ ــ إن مصر تستهدف العمل على ضم دول أخرى للمفاوضات وهو ما تشاركها فيه أمريكا ، وقبول اللقاء دون أن يستند إلى تحرك إيجابي في الموقف الاسرائيلي لا يخدم هذا الغرض .

وبناء على ذلك فقد ترون سيادتكم أن نرد على أمريكا بما يلي :ــ

أ ــ اننا نوافق من حيث المبدأ على عقد اللقاء .

ب ــ انه يجب أولا انتظار رد اسرائيل فاذا كان ايجابيا فنعقد اللقاء .

جـ ــ انه ليس من المهم عقد اللقاء في لندن ، وإذا كانت ظروف المستر فانس لا تسمح له بالتغيب عن واشنطن إلا في الفترة المقترحة ، فيمكن عقد اللقاء في واشنطن في الوقت المناسب .

د ــ انه يمكن التفكير في عقد اللقاء على ضوء ما تسفر عنه جولة مستر فانس في المنطقة من تطور إيجابي على الموقف الاسرائيلي .

---

www.library4arab.com/vb

(١) ارسل ديان يقترح الحضور للقاهرة لمقابلة الرئيس عن طريق السفارة الأمريكية واعتذرنا عن قبول ذلك .

(٢) كانت الأنباء تؤكد وجود خلاف جوهري بين بيجن وبعض وزرائه من ناحية وبين بيجال يادين نائب رئيس الوزراء ووايزمان وزير الدفاع وبعض الوزراء من ناحية ثانية حول الردود الاسرائيلية ، كما كانت تدور شائعات قوية حول تدهور صحة بيجن واحتمالات عدم استمراره في رئاسة الوزارة .

ليس ردا ..

في اليوم التالي ١٨ يونيه (حزيران) ردت اسرائيل على السؤالين الموجهين اليها منذ حوالي شهرين وكان الرد كما يلي :ـ

« انه بعد مرور خمس سنوات من تطبيق الحكم المحلي والاداري في « جوديا وسماريا » وقطاع غزة فان الحكومة الاسرائيلية توافق على بحث طبيعة العلاقات المستقبلية بين الأطراف إذا اقترح ذلك أي طرف .

وان الوصول إلى اتفاق يقتضي مفاوضات بين الأطراف أنفسهم ، وأن يشارك في هذه المفاوضات ممثلون عن سكان الأراضي من المنتخبين وفقا لنظام الحكم المحلي الاداري » .

ولا أظن أن في هذا الرد ـ إن جاز وصفه بأنه رد ـ ما يحتاج إلى تعليق .

اسرائيل ترفض المشروع المصري قبل تقديمه ..

كان الرد الاسرائيلي أكثر من سلبي ولم يكن أحد يستطيع أن يجادل في ذلك حتى أصدقاء اسرائيل في الولايات المتحدة . وصرح هودنج كارتر المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية الأمريكية معبرا عن أسف أمريكا لأن الحكومة الاسرائيلية لم ترد على الأسئلة الأمريكية وأن ما أجابت به لا يعتبر ردا ولكن الحقيقة أن الرد الاسرائيلي كان يحمل في طيات صياغته المعقدة الغامضة رسالة بسيطة واضحة ، هى أن اسرائيل لا تعتزم بحال الانسحاب من أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة بعد الفترة الانتقالية ، وأن هذه الفترة ما هى إلا فسحة من الزمن تعمل اسرائيل خلالها على تكريس احتلالها لتلك الأراضي تمهيدا لضمها وابتلاعها كل ما هناك أنها ستمن على الفلسطينيين التعساء الذين يعيشون على تلك الأراضي بحكم محلي إداري تحت السيطرة الاسرائيلية كشأن النظام الذي كان يحكم طائفة المنبوذين في الهند .

وبالنسبة لي فقد كنت أرى أن رد اسرائيل قد حسم الموقف وأغلق الباب نهائيا على إعادة التفاوض المباشر بيننا وبين اسرائيل ، وأصبح على الولايات المتحدة أن تتحمل مسئوليات ما تعهدت به لنا من تقديم مقترحاتها على أساس ما أعلنته وأكدته مرارا من انطباق الانسحاب المنصوص عليه في قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ على جميع الأراضي المحتلة ، والذي قام المستر سوندرز باعادة تأكيده في البيان

الرسمي الذي ألقاه أمام لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس النواب الأمريكي منذ أيام قليلة .

وقد بدا لي واضحا أن مبادرة الرئيس كارتر بالاتصال تليفونيا بالرئيس السادات ـ بعد مغادرتي نيويورك ـ والاتفاق معه على قبول اجتماع ثلاثي لوزراء خارجية مصر واسرائيل والولايات المتحدة ، كان الباعث عليها معلومات مؤكدة على أن الرد الاسرائيلي سيكون سلبيا .. بل أكثر من ذلك فليس في مقدوري استبعاد حدوث تنسيق بين الولايات المتحدة واسرائيل لضمان استمرار المفاوضات المباشرة بين مصر واسرائيل رغم رفضها التحرك ، ربما لتأكيد عزل مصر عن العالم العربي والعمل على جرها إلى متاهات تنتهي بها إلى الصلح المنفرد .

واعقبت الرد الاسرائيلي فترة من الارتباك تعددت فيها التصرفات المصرية والأمريكية وتعددت مقابلاتنا مع السفير الأمريكي كما تبادل السادات وكارتر الرسائل . وقد أعلنت من جانبي أن الرد الاسرائيلي يعكس تصميم اسرائيل على مشروع الحكم المحلي الذي قدمته في الاسماعيلية والذي رفضناه في حينه ولانزال نرفضه وتجاهل تماما مبدأ الانسحاب وأننا إزاء ذلك لا نستطيع ـ ولا نرى أية فائدة ـ في استئناف المباحثات مع اسرائيل .

وأعلن السادات أمام اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي (الحزب الوحيد في مصر وقتها) أن الرد الاسرائيلي غير ايجابي وغير محدد وأن موقفنا مازال الاستعداد لمناقشة ضمانات وترتيبات الأمن ولكنا لن نتفاوض على شبر واحد من الأرض العربية .

محاولة تأمين الاتفاق ..

ونشط السفير الأمريكي أيلتس يحاول تأمين الاتفاق الذي

تم بين كارتر والسادات ـ قبل الرد الاسرائيلي ـ على اجتماع وزراء الخارجية الثلاثة وكان موقفي أن هذا الاتفاق قد سقط وانتفت الفائدة منه بعد رد اسرائيل .

إلا أنه لم يلبث أن توصل إلى اقناع الرئيس السادات الذي ربما أراد أن يقتنع بفائدة عقد هذا الاجتماع على أساس ما يعوله كارتر من أهمية قصوى على الاجتماع ، تمكنه من تنفيذ الخطة التي اتفق عليها في سيناريو كامب ديفيد ذلك أن الرئيس كارتر يصعب عليه للغاية أن يتقدم بمقترحات أمريكية لحل النزاع مالم يثبت للرأى العام الأمريكي وبالذات للجماعات اليهودية والصهيونية وأعضاء الكونجرس المتعاطفين مع اسرائيل أن التفاوض المباشر بين مصر واسرائيل قد استنفذ نفسه وأصبح من المقطوع به أنه لن يؤدي إلى نتيجة وأن ليس هناك من وسيلة أكثر فاعلية لاثبات ذلك من اجتماع بين الوزراء الثلاثة فاذا لم يسفر عن نتيجة فانه يسهل عليه عندئذ التقدم بالمقترحات الأمريكية .

إلا أن الخطة المتفق عليها بين مصر والولايات المتحدة في كامب ديفيد كانت أمرا بالغ السرية ولا يمكن الاعلان عنه كسبب لعقد الاجتماع الثلاثي . ومن الناحية الأخرى كان يصعب على مصر بعد إعلان الرد الاسرائيلي الرافض أن تعلن موافقتها على اجتماع وزراء الخارجية والتفاوض من جديد مع اسرائيل على مرأى ومسمع من العالم وبالذات من الدول العربية والشعب الفلسطيني .

ولم يلبث أن وجد الأمريكيون ضالتهم المنشودة في المشروع المصري بشأن الضفة الغربية وغزة والذي كنا سلمناه لهم واشترطنا عليهم عدم تسليمه لاسرائيل قبل أن ترد على الأسئلة الأمريكية وبعد التشاور بيننا وبين الجانب الأمريكي ، وأصبحت الواجهة التي تبرر اشتراك مصر في مباحثات جديدة مع اسرائيل والولايات المتحدة هى طرح المشروع المصري ـ الذي يجرى اعداده ـ بوصفه عنصرا

جديدا من المباحثات ربما أدى إلى توصل الطرفين إلى صيغة مقبولة لهما . وصدرت تصريحات أمريكية تمهد لذلك كما أعلن في ٢٤ يونيه (حزيران) عن اقتراح أمريكي باجتماع بيني وبين فانس وديان في ٩ يوليه (تموز) .

إلا أن مجلس الوزراء الاسرائيلي اجتمع في يوم ٢٥ يونيه (حزيران) وصرح المتحدث الرسمي للحكومة الاسرائيلية بعد الاجتماع بأن اسرائيل ترفض الاقتراح المصري كلية ودون تحفظ لأنه يشكل من وجهة نظرها شرطا مسبقا للسلام بينما تصر اسرائيل على ألا تكون هناك شروط مسبقة .

وأصدرت وزارة الخارجية المصرية تعليقا على القرار الاسرائيلي برفض المشروع المصري جاء فيه :

« إن هذا القرار يثير مرة أخرى التساؤل حول حقيقة النوايا الاسرائيلية فانه من الغريب أن اسرائيل التي انتظرت أكثر من شهر لاعداد رد على أسئلة الحكومة الأمريكية لا يعتبر في الواقع ردا بل تكرارا لمواقف سابقة تتسم بالتعنت وعدم الرغبة الحقيقية في التمشي مع جهود السلام المخلصة تسارع الآن إلى رفض مشروع مصري لم يتم بعد الانتهاء من إعداده وبالتالي لا تعلم اسرائيل من تفصيلاته شيئا » . وكأن اسرائيل بموقفها ـ الذي يدل على عصبيتها وانزعاجها من الصدى الذي تعنيه في العالم الفكرة التي طرح الرئيس السادات خطوطها العامة في تصريحاته الصحفية ـ تحاول أن تغلق الطريق أمام الجهود من أجل السلام ـ وهى نفس المحاولة التي ظهرت في رد فعلها إزاء الأسئلة التي وجهتها إليها الحكومة الأمريكية بهدف ايجاد الأساس الملائم للسير قدما في طريق السلام العادل الشامل الذي شقه الرئيس السادات والذي سعت اسرائيل منذ البداية لوضع العقبات والعراقيل فيه .

www.library4arab.com/vb

رد مخيب للآمال ..

وأربك إعلان الحكومة الاسرائيلية رفض المشروع المصري من قبل تقديمه الولايات المتحدة إن أفسد عليها ذريعة استغلال المشروع المصري في عقد اللقاء الثلاثي ، فسارع الرئيس كارتر يوم ٢٦ يونيه (حزيران) باعلان أن رد اسرائيل على الأسئلة الأمريكية جاء مخيبا للآمال وأنه يشعر بالأسف لرفض اسرائيل مشروع مصر قبل أن يتم اعداده في الصياغة النهائية ، وأضاف أنه سيكون من المناسب اجتماع الوزراء الثلاثة وأن مصر واسرائيل قد يكون لديهما مقترحات جديدة عند عقد الاجتماع وأن الاجتماع يمكن أن يتم بعد أن تنتهي صياغة المقترحات المصرية ويتم ارسالها إلى اسرائيل عن طريق واشنطن .

وسارعت اسرائيل بالتراجع عن رفضها للمشروع المصري فصدر بيان رسمي من مجلس الوزراء الاسرائيلي في ٢٧ يونيه (حزيران) يعلن أن مصر لم تقدم خطة سلام لاسرائيل ومن ثم لم ترفض اسرائيل مثل هذه الخطة !!. ومن ثم أعيد فتح الباب أمام الاجتماع الثلاثي على أساس طرح المشروع المصري .

وعاد بيجن فأدلى بتصريح يدعو فيه مصر لاستئناف المباحثات مع اسرائيل فنشرت ردا عليه تضمن « أن رئيس وزراء اسرائيل يتناسى أن جهود السلام الحالية قد بدأت بمبادرة الرئيس السادات التي استهدفت القضاء على حواجز الشك والسير قدما وباخلاص في طريق التسوية الشاملة العادلة لمشكلة الشرق الأوسط على الأسس التي تبناها المجتمع الدولي وهي الانسحاب الكامل والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وضمان الأمن لجميع الأطراف .

وإذا كانت هذه الجهود المخلصة قد واجهت المصاعب التي

أدت إلى توقف المباحثات ، فان مرجع ذلك إلى المواقف التي اتخذها بيجن والتي تدل على أنه لم يتخل عن المفاهيم البالية التي لا يمكن أن تصلح أساسا لاقامة سلام راسخ ومستقر ولعله من الغريب أنه في الوقت الذي يطالب فيه بيجن مصر بتقديم مشروع للسلام ، فانه يتناسى أنه سارع يجمع مجلس وزرائه لاعلان رفض مشروع مصري للسلام حتى قبل أن ننتهي من إعداد هذا المشروع ، وهو موقف من جانب بيجن يدل على أنه ــ على عكس ما يدعيه ــ يسعى باستمرار إلى اغلاق أي باب قد يؤدي إلى تحقيق السلام الذي تتطلع إليه شعوب المنطقة ..

وفي هذه الأثناء عقد في القاهرة إجتماع طارىء للجامعة العربية على مستوى الوزراء ــ لم تحضره دول الرفض ــ لبحث شكوى الجمهورية العربية اليمنية ضد اليمن الديمقراطية لدورها في اغتيال الرئيس اليمني أحمد الغاشمي . وكان قد قتل من جراء انفجار عبوة ناسفة حملها إليه مبعوث من عدن في شكل رسالة من رئيس اليمن الديمقراطية . وبعد انتهاء الاجتماعات في المساء ذهبت إلى مقابلة وزير خارجية السعودية وتحدثنا حتى ساعة متأخرة من الليل وكان معنا وزير خارجية البحرين وهو صديق شخصي للأمير الفيصل . ولم أجد بدا من أن أصارحه بأني اضطررت إلى عدم الالتزام بما اتفقت معه عليه في جدة من وقف الاتصالات المباشرة بيننا وبين اسرائيل لموافقة السادات على ما عرضه عليه كارتر من اجتماع ثلاثي للوزراء ، وشرحت له الظروف وأكدت عليه أن هذه ستكون المرة الأخيرة .. وقد أبدى تفهما للظروف وعبر عن أمله في أن يكون هذا هو اللقاء الأخير بالفعل .

كما أعلنت الولايات المتحدة في ذلك الوقت أن الرئيس كارتر سيوفد المستر مونديل نائب الرئيس الأمريكي إلى اسرائيل ومصر حاملا رسالة إلى كل من مناحم بيجن والسادات تستهدف تحريك جهود السلام في الشرق الأوسط .

وفي أول يوليه (تموز) صرح الرئيس كارتر بأنه لا يتوقع أن تكون مقترحات السلام المصرية مقبولة تماما لاسرائيل ومهمة الدور الأمريكي أن يبحث امكانية الوصول إلى حل وسط من خلال دراسة أوجه الاتفاق وأوجه الخلاف بين وجهتي النظر .

وقال كارتر : أنه إذا لم تثمر الجهود المقترحة لعقد اجتماعات بين وزراء الخارجية الثلاثة في لندن للوصول إلى حل وسط فلن يكون أمامنا سوى العودة إلى الأمم المتحدة ومؤتمر جنيف[١] .

وقد أذعت تصريحا عقب ما أدلى به كارتر ذكرت فيه أن تصريحات الرئيس كارتر غير مشجعة على الاطلاق وأننا لا نعرف بالضبط ما يقصده الأمريكيون عندما يتحدثون عن ضرورة ايجاد صيغة وسط فيما يتعلق بالضفة الغربية وغزة وذلك أن مطالبنا عادلة ويقرها المجتمع الدولي كما أن هناك مبادىء لا تقبل المساومة .

موافقة دون مناقشة ..

وفي ٣ يوليه (تموز) وصل مونديل إلى الاسكندرية قادما من اسرائيل ونقلته طائرات الهليكوبتر والوفد المرافق له من مطار جناكليس إلى استراحة الرئيس السادات في المعمورة ، وكنت قد اتفقت مع الرئيس السادات على أن نشرط قبولنا الاجتماع الثلاثي بأن يكون الموقف الأمريكي الذي سيقدم بعد فشل الاجتماع متفقا مع الموقف المصري وليس صيغة وسط بين الموقفين المصري والاسرائيلي حسبما ورد في تصريحات كارتر الأخيرة .

إلا أنه بمجرد أن أبلغ مونديل الرئيس السادات بموافقة مناحم بيجن على اشتراك وزير خارجيته في الاجتماع الثلاثي في لندن سارع السادات بابلاغه بموافقته بدوره على الاجتماع دون مناقشة ..

(١) الأهرام ٣/٧/١٩٧٨م

... السادات في ذلك قال انه وجد من الأحسن ألا يربط موافقته بشروط طالما أن بيجن وافق على الاجتماع بلا شروط وإلا ظهرنا بمظهر المتشدد !!

وبعد انتهاء المحادثات بين الرئيس السادات ونائب الرئيس موندیل عقدا مؤتمرا صحفيا بحديقة الاستراحة أعلن فيه موندیل أن الرئيس السادات قد قبل دعوة الرئيس كارتر لاشتراك وزير خارجيته في الاجتماع الثلاثي .. وأن بيجن بدوره كان قد وافق على اشتراك موشي ديان في الاجتماع وأنه تحدد يوم ١٧ يوليه (تموز) ١٩٧٨ لعقد الاجتماع .

وأكد الرئيس السادات موافقته على ايفاد وزير خارجيته إلى لندن كما أعلن أن مصر قدمت مشروعها للسلام إلى النائب مونديل الذي سوف ينقله إلى كارتر ثم ينقله كارتر إلى اسرائيل ، ورفض الرئيس السادات التصريح بأية تفاصيل تتعلق بالمشروع المصري وقال : انه سيعلن بالكامل عقب أن تتسلمه اسرائيل . وأضاف السادات أن مصر تبذل أقصى جهودها للتوصل إلى السلام وانها على استعداد للذهاب إلى مؤتمر جنيف ، ولكن جنيف بدون ترتيبات مسبقة واعداد جيد تعني الفشل ، والفشل يعني كارثة .

وعن الاجتماع الثلاثي في لندن قال الرئيس السادات « لقد قدمت إلى المستر مونديل بعض المقترحات الخاصة بهذا الاجتماع كمقترحات بديلة مثلا فقد اقترحت أن يتم اللقاء في العريش عاصمة سيناء ولكني وافقت على أن يتم الاجتماع في لندن » وأرجو أن استرعي نظر القارىء إلى هذه الفقرة التي ستكون لها عواقب فيما بعد . وبعد انتهاء المؤتمر الصحفي تقدم مني وليام كوانت ــ عضو مجلس الأمن القومي الأمريكي وكان من ضمن الوفد المرافق لمونديل ــ وسألني : هل يقصد السادات عقد اجتماع ثلاثي في لندن يعقبه

اجتماع آخر في العريش ؟..

وأجبته على الفور : بل اجتماع واحد فقط فالسادات تكلم عن العريش كبديل لاجتماع لندن وأضفت ان الحقيقة أن الموقف لم يكن يقتضي أي اجتماع على الاطلاق .. «وضحك كوانت .

مشروع الضفة وغزة ..

كان الرئيس السادات قد طلب مني أن أعد نفسي للسفر معه إلى فيينا في أوائل شهر يوليو (تموز) تلبية لدعوة من المستشار برونو كرايسكي وأشار لي وقتها إلى احتمال دعوة كرايسكي لشيمون بيريز رئيس حزب العمل الاسرائيلي للذهاب إلى فيينا في نفس الوقت وترتيب لقاء بينه وبين الرئيس السادات . وكانت صحيفة « الأهرام » قد أشارت في يوم وصول مونديل إلى القاهرة إلى خبر دعوة كرايسكي للسادات لزيارة فيينا ، وقد انتهز الصحفيون فرصة المؤتمر الصحفي فوجهوا إلى الرئيس السادات بعض الأسئلة حول هذه الزيارة ، منها سؤال حول ما إذا كان سيقابل شيمون بيريز أثناء وجوده في النمسا ورفض السادات الاجابة عن هذا السؤال . وبعد انتهاء المؤتمر قال لي الرئيس السادات : انه أعاد التفكير في دعوته لي لمصاحبته إلى النمسا وانه رأى من الأوفق عدم سفري معه لأنه سيجتمع في النمسا مع شيمون بيريز والمستشار السابق الألماني ويلي براندت والمستشار برونو كرايسكي بوصفهم زعماء أحزاب واجتماعه سيكون بوصفه رئيسا للاتحاد الاشتراكي العربي وبالتالي فان الاجتماعات ستكون لها صفة حزبية وليست رسمية ، ووجودي كوزير للخارجية قد يكون فيه احراج لي حيث انه من غير المستساغ حضوري اجتماعات حزبية . وأخبرته بأني أتفهم ذلك ولا داعي لسفري بالفعل خاصة وأن لدي عملا كثيرا للاعداد لاجتماع لندن .

وفي ٤ يوليه (تموز) سلمت الولايات المتحدة لاسرائيل

المشروع المصري[1] بشأن الضفة وغزة ، وفي يوم ٥ يوليه (تموز) نشرت مصر النص الكامل للمشروع وقد لقى المشروع ترحيبا من قبل الدول الأوروبية وتأييدا من قبل الأردن .

---

(١) راجع الملحق رقم (٢) صفحه رقم ٦٤٠

الفصل الرابع والعشرون

صـــــدق أو لا تصـــــدق

في الساعة السادسة والنصف من صباح يوم ٧ يوليه (تموز) استيقظت على رنين التليفون كان المتحدث السيد حسني مبارك نائب رئيس الجمهورية ، وسألني ضاحكا : إنت لسه نايم يا محمد بك ؟ فقلت إني كنت نائما بالفعل فقد سهرت لمدة طويلة أمس فقال : هل رتبت نفسك للسفر إلى النمسا ؟ فقلت : إني غير مسافر وقد أخبرني الرئيس بذلك منذ أيام فقال : بل ستسافر فقد كنت أتحدث مساء أمس مع الرئيس فطلب مني أن أبلغك بأن تعد نفسك للسفر معه ، وسيستقل الرئيس الطائرة من مطار جناكليس في الساعة الحادية عشرة قبل ظهر اليوم . وسأسافر بالطائرة إلى جناكليس لأكون في وداعه فأرجو أن تقابلني في مطار الماظه المطار الحربي بجوار هليوبوليس لنسافر معا . وأيقظت بدوري أحمد ماهر ثم النقيب عمرو حمدي ضابط الحراسة وكان معه جواز سفـري وأبلغتهما بالاستعداد للسفر والمرور علي في الساعة التاسعة للتوجه معا إلى المطار . وقامت زوجتي باعداد حقيبة سفري على عجل كما اتصلت بسكرتيرتي في الوزارة لابلاغها بالغاء مواعيـدي خلال الأسبوع القادم .

ووصلنا إلى مطار جناكليس في العاشرة والنصف وقدم الرئيس وكانت بصحبته السيدة زوجته من الأسكندرية بطائرة هليكوبتر وبعد انتهاء مراسم وداعه أقلعت الطائرة في الساعة الحادية عشرة إلى فيينا .

كان الرئيس صائما كعادته كل يوم خميس ، وجلست في مقعدي بالطائرة مع أحمد ماهر نراجع بعض الأوراق حتى الساعة الواحدة ، ثم توجهت إلى مقصورة الرئيس ، وجلست معه ومع السيدة زوجته ، وظللنا نتحدث في ذكريات قديمة وأمور عامة إلى أن جرفنا الحديث إلى الاجتماع الثلاثي لوزراء الخارجية المقرر عقده في لندن بعد عشرة أيام وقال الرئيس إنه لا يتوقع أن يحقق الاجتماع أية نتائج إيجابية ولكنه سيساعد الرئيس كارتر فيما بعد للتقدم بالمقترحات الأمريكية . فضلا عن أنه سيكون مجالا لفضح مزاعم اسرائيل في انها لا ترغب في السلام. وأضاف الرئيس السادات : الحقيقة اني كنت أرغب أن يعقد هذا الاجتماع في مدينة العريش وليس في لندن فهى أولا في أرضنا وهى عاصمة سيناء وهذا له دلالته . وثانيا فهى قريبة من القاهرة واسرائيل وتستطيع إذا أثير أمر يحتاج إلى التشاور أن تغادر العريش وتكون معي في خلال نصف ساعة ثم تعود ، كما أنه إذا قررت أطراف عربية أخرى مثل سوريا والأردن الانضمام إلى المباحثات فستكون العريش على مسافة قريبة من دمشق وعمان . وقلت للرئيس : إنه من ناحيتي فلا يمكن أن أقبل الذهاب إلى العريش فقال السادات : ولماذا ؟ فقلت : ان لدي سببين الأول : أنك وعدت الرئيس جعفر نميري عندما قابلته في شهر مايو (ايار) بأنه إذا اقتضى الأمر عقد مباحثات مباشرة بين مصر واسرائيل فانك ستعمل على أن يتم ذلك خارج مصر واسرائيل وفي دولة ثالثة كرومانيا ، وذلك حرصا على مشاعر الدول العربية التي كانت تطالب باعلان وقف الاتصال المباشر بيننا وبين اسرائيل وحتى نفسح المجال أمام مهمة لجنة التضامن العربي برئاسة نميري وابتسم الرئيس وقال : أنا لم أقل خارج مصر واسرائيل وإنما قلت خارج القاهرة والقدس . فقلت : لا يا ريس أنا متذكر جيدا أنك قلت خارج

مصر واسرائيل وأن هذا ما فهمه الرئيس نميري ونقله إلى العرب على كل حال .

سكت الرئيس برهة ثم قال : وما هو السبب الثاني الذي لا تريد الذهاب إلى العريش من أجله ؟ قلت : السبب الثاني هو أني أفضل أن أشنق على أن أذهب إلى العريش لأتفاوض مع الاسرائيليين على أرضي وتحت العلم الاسرائيلي وفي حراسة القوات الاسرائيلية المحتلة . ونظر إلي الرئيس فترة دون أن يعلق ثم نهض واقفا وقال : إنه سيذهب لينام قليلا للراحة من عناء الصيام قبل الوصول إلى فيينا وترك المقصورة إلى غرفة نومه .

لا ندعه وحيداً ..

بقيت وحدي مع السيدة جيهان السادات التي دعتني إلى تناول الغداء معها ، وكانت تكن لي بعض التقدير منذ زيارتهما الأولى إلى ألمانيا الغربية في عام ١٩٧٤ ـ وقت أن كنت سفيرا بها ـ وقد كانت زيارة ناجحة للغاية وتركت شخصية السيدة جيهان السادات أثرا طيبا باقيا في نفوس كل من قابلتهم من المسؤولين وفي نفوس الشعب الألماني عامة .

وفي أثناء الغداء قالت لي : بالله يا محمد بك لا تترك الرئيس وحده عند مقابلته لشيمون بيريز في فيينا . فقلت « الحقيقة أني محرج » . ورويت لها ما ذكره لي الرئيس السادات عندما أبلغني بعدوله عن سفري معه إلى النمسا منذ أيام باعتبار أن المقابلات التي ستجرى فيها غير رسمية وأنها على المستوى الحزبي ولن يحضرها وزراء خارجية وأني لم أعلم بتغيير هذا القرار الا في الساعة السادسة والنصف من صباح هذا اليوم نفسه » فقالت « لا لا أرجو الا تتركه وحده اطلاقا مع هؤلاء الجماعة ، فان الاسرائيليين في غاية الخبث والدهاء والرئيس رجل صريح وما في قلبه على لسانه وسيعمدون حتما إلى الافادة من ذلك واستغلاله » وقلت « ولماذا لا تطلبين منه أنت

ذلك ؟ » قالت « لا أستطيع فهو يغضب إذا حدثته في شؤون العمل ، وهو يحبك ويثق فيك ولن يمانع في حضورك معه إذا طلبت أنت منه ذلك » . وقلت « سأحاول » .

وانتهى الغداء وشكرتها واستأذنتها في الانصراف وعدت إلى مقعدي في الطائرة إلا أن حديثها ظل يرن في أذني ويجول في فكري ، ترى ما الذي دعاها إلى ما قالته لي ؟

إنها سيدة ذكية قوية الملاحظة وهي قريبة منه ، ثم أن لديها من الكبرياء ما يحول دون افصاحها عن ملاحظاتها ومشاعرها ، ولكنها تعلم أن العلاقة بيني وبين زوجها تعود إلى أكثر من ثلاثين عاما وأنها تستطيع أن تثق في . لماذا هي قلقة ؟ لابد أنها لاحظت شيئا ما على السادات ، ربما أنه لم يعد يعالج الأمور بما تقتضيه مسؤولياته الخطيرة من دراسة وتبصر ، ربما شعرت أن الغرور قد أصابه وأنه تجاوز مراحل الحذر ، ربما أنه يسرف في التفاؤل ولم يعد يحفل برأى غيره وربما وربما . ولكن شيئا ما دفعها إلى ما قالته لي . ومر برأسي خاطر ، ترى هل كانت السيدة جيهان وراء عدول السادات عن قراره بعدم اصطحابي معه إلى النمسا وقراره في آخر لحظة بأن أسافر معه ؟

لقاء التهامي ..

وهبطت الطائرة في مطار فيينا وكان في استقبال الرئيس السادات رئيس الجمهورية والمستشار برونو كرايسكي . ونزلنا في فندق « إمبريال » الذي يعود بالخيال إلى أيام عظمة الامبراطورية النمساوية الهنغارية وقصص ومآسي أسرة الهابسبورج التي حكمتها طوال قرون حتى نهاية الحرب العالمية الأولى .

وأرسل لي الرئيس السادات يدعوني إلى العشاء معه في جناحه ــ الافطار بالنسبة له ــ وذهبت إليه في الساعة السابعة مساء وتحدثنا في أمور شتى ثم انتقلنا إلى غرفة المائدة وواصلنا الحديث ونحن

www.library4arab.com/vb

نتناول الطعام . وفي منتصف العشاء دخل سكرتير الرئيس وأبلغه أن السيد حسن التهامي قد حضر فطلب منه السادات أن يدعوه ليشاركنا العشاء . ودخل التهامي وعانق الرئيس السادات الذي قدمني له فصافحني بحرارة وكان شخصا وسيما ذا عينين زرقاوين وشارب ولحية مدببة ، طويل القامة ، قوي البنية ، تبدو عليه معالم القوة والحيوية والصحة ويشع من عينيه بريق غريب .

كانت هذه المرة الأولى التي أقابله فيها ، كنت قد سمعت عنه روايات وأساطير غريبة منها أنه كان في صدر شبابه يعيش حياة متحررة صاخبة ثم تحول فجأة إلى الدين والى التصوف ، وكان من الضباط الأحرار الذين قاموا بثورة ٢٣ يوليه (تموز) ١٩٥٢ وعمل في المخابرات العسكرية ثم عين سفيرا لمصر في النمسا لسنوات طويلة في الستينات ثم أمينا عاما للمؤتمر الاسلامي ومنها أنه كان على اتصال مع الجـن والأنبياء ويتحدث مع الموتى .

وقال الرئيس السادات انه كان يتوق لأن ألتقي بحسن التهامي الذي كان عضوا في الجناح العسكري للجمعية السرية التي كان السادات من أفرادها بينما كنت أنا عضوا في الجناح المدني لها .. وقال التهامي : إنه كان يتطلع للقائي وأنه يعرف عني الكثير منذ كنت في السجن ولعلي لا أعلم أنه كان قد أعد خطة مؤكدة النجاح ليهربنا من السجن فيما لو حكم علينا بالادانة في قضية الاغتيالات السياسية عام ١٩٤٦ ، وظل يروي قصصا عن بطولاته وجساراته تتضمن أعمالا خارقة لا يصدقها العقل ولكنه كان يرويها بتأكيد وثقة لا تقبل المناقشة وكان حديثه رغم ما فيه من مبالغات وجنوح إلى الخيال ظريفا مسليا على غرار قصص « ألف ليلة وليلة » .

وقد فهمت أنه كان قد سبقنا إلى النمسا منذ مدة لاعداد زيارة السادات لها وترتيب اللقاء بينه وبين شيمون بيريز ، وأنه كان يستعين في ذلك برجل أعمال نمساوي يهودي من أصدقاء المستشار

كرايسكي يدعى كارل كاهان ، وبعد انتهاء العشاء عاد كل منا إلى غرفته .

قبل مقابلة بيريز

وكنت قد قدمت إلى الرئيس السادات يوم ٥ يوليه (تموز) قبل سفره إلى فيينا ، مذكرة بمواقف حزب العمل الاسرائيلي ورئيسه بيريز من تسوية نزاع الشرق الأوسط ومستقبل الضفة الغربية ويتضح منها أن الخلاف الرئيسي بين بيجن وبيريز هو حول الضفة الغربية ومدى انطباق القرار ٢٤٢ عليها ، وامكانية اقامة دولة فيدرالية من الأردن والضفة مع إقامة تواجد عسكري اسرائيلي في الضفة الغربية .

وليس هنا محل مناقشة موقف حزب العمل بشأن التسوية وإنما ضمنت مذكرتي استرعاء نظر الرئيس السادات إلى بعض النقاط وقد جاء فيها :

إن لقاء سيادتكم مع بيريز سيسبق بوقت قصير اللقاء الثلاثي في لندن بين وزراء خارجية مصر والولايات المتحدة واسرائيل وقد ترون سيادتكم إزاء هذه الظروف :

أ ــ ان أى مرونة في المواقف المصرية قد يعلن عنها بيريز أو تتسرب عن طريقه إلى الحكومة الاسرائيلية قد تجعل هذه الأخيرة تتشدد في اجتماع لندن على أساس أن المواقف التي سنتمسك بها في لندن ليست آخر كلام لدى مصر . وفي هذا الصدد فقد أوردت الأنباء أن بيريز رد على هجوم ديان عليه بسبب مقابلته لسيادتكم وخاصة قبل اجتماع وزراء الخارجية في لندن . بأنه سوف يطلع الحكومة الاسرائيلية على نتائج المقابلة .

ب ــ وقد يلجأ بيريز أيضا إلى تسريب أى مواقف مصرية تتسم بالمرونة على أساس أنه هو الذي استطاع التوصل إليها مستغلا ذلك في

سعيه للوصول إلى الحكم . وإذا كان ذلك في حد ذاته ليس بالأمر السيىء لأنه قد يساعد على تقويض مركز بيجن ، فانه قد يظهر مصر بالازدواجية في المواقف ، ويشجع الحكومة الأمريكية على الضغط علينا لمزيد من المرونة تتعدى الدرجة التي نحن على استعداد للذهاب إليها .

الضيق من حديث السادات ..

وفي اليوم التالي ٨ يوليه (تموز) إجتمع الرئيس السادات بشيمون بيريز وشارك في الاجتماع كرايسكي وويلي براندت مستشار ألمانيا السابق والذي خلف كرايسكي في رئاسة الاشتراكية الدولية . وبعد الاجتماع عقد الأربعة مؤتمرا صحفيا وكانت تصريحاتهم في المؤتمر تدور حول وجوب التوصل إلى تسوية شاملة عادلة وأعلنوا أنه حدث تبادل جاد لوجهات النظر المختلفة وأعلن براندت عن سعادته بنجاح الاشتراكية الدولية في عقد لقاء بين الرئيس السادات وبيريز رئيس حزب العمل الاسرائيلي في نطاق مبادىء الاشتراكية الدولية الخاصة بحل المنازعات الدولية عن طريق الحوار السلمي الذي تسوده روح التضامن الانساني .

وقد ذكر لي السادات بعد المؤتمر أن الاجتماع كان طيبا وأن بيريز على خلاف بيجن متفتح وعلى استعداد لتقديم تنازلات وأنه اتفق معه على ايجاد صيغة توائم بين متطلبات أمن اسرائيل وحقوق الشعب الفلسطيني .

وفي المساء أقام المستشار كرايسكي وزوجته حفل عشاء محدود حضره الرئيس السادات والسيدة زوجته والمستشار السابق ويلي براندت ورئيس البرلمان النمساوي وزوجته ووزير الخارجية وزوجته وأنا .

ودار الحديث حول موضوعات شتى إلى أن أشار كرايسكي إلى أن الوقت قد حان لاشتراك الملك حسين في مباحثات السلام حتى

يمكن حل القضية الفلسطينية ، خاصة وأن المشروع المصري يطالب بعودة الضفة الغربية إلى الادارة الأردنية . فرد الرئيس السادات بأن الملك حسين يتبع سياسة انتهازية فهو لا يريد المخاطرة بأى شيء وينتظر حتى تقدم له الضفة الغربية كهدية . وقال أن ما وصف به الملك حسين ، من أنه يتخذ القرار غير المناسب في الوقت المناسب ، هو وصف صحيح ، فقد انضم الملك حسين إلى الرئيس عبد الناصر في حرب ١٩٦٧ وكانت النتيجة أنه فقد الضفة الغربية ورفض الانضمام إلى مصر في حرب ١٩٧٣ وفاته المشاركة في النصر الذي حققه العرب فيها . وأضاف الرئيس السادات : إنكم تعلمون بطبيعة الحال أن الملك طلال والد الملك حسين قد مات مجنونا وأن لديه معلومات أن الملك حسين بدأت تظهر عليه أعراض الشيزوفرانيا . وقد تضايقت مما ذكره السادات وشعرت بأن باقي الحاضرين قد شاركوني هذا الشعور وانبرى كل من كرايسكي وبراندت يشيدون بسياسة الملك حسين وبشجاعته وذكائه . ويعبرون عن تفهمهم للظروف الصعبة التي تحيط بالأردن .

ورقة اليهود السرية ..

انتهت زيارتنا لفيينا وكان المقرر أن نقضي بعدها بضعة أيام في منطقة « سالز كمرجوت » وهى منطقة البحيرات بالقرب من سالزبورج للراحة والاستجمام وفي طريقنا إلى مطار سالزبورج وكان قد ركب الطائرة معنا السيد حسن التهامي دار حديث حول وزير خارجية اسرائيل موشي ديان وكان السادات لا يشعر بالارتياح نحوه على الاطلاق بخلاف شعوره نحو وايزمان وزير الدفاع . وفجأة قال حسن التهامي أنه يعتقد أن ديان هو المسيح الكذاب الذي تنبأت التوراة بظهوره وأنه قد واجهه بذلك عندما قابله في المغرب . وهنا قاطعه السادات قائلا « يا حسن .. مش عاوزين نجيب سيرة الموضوع ده الآن » وسكت التهامي . ولم أكن أعرف وقتها أنه سبق

المبادرة اجتماع بين حسن التهامي وموشي ديان في المغرب بترتيب من الملك الحسن الثاني [١]

ومن مطار سالزبورج ركبنا السيارات واخترقنا منطقة من أجمل مناطق العالم تكسوها الجبال والوديان والبحيرات حتى وصلنا إلى فندق قلعة فوشل والذي كان الرئيس السادات قد نزل فيه منذ ثلاث سنوات عندما قابل الرئيس الأمريكي السابق فورد ونزلت في بانجلو صغير جميل تابع للفندق على حافة البحيرة .

وفي المساء مر علي أحمد ماهر ثم ذهبنا لتناول العشاء في قاعة الطعام بالفندق وكنا نفحص قائمة الطعام عندما دخل القاعة حسن التهامي ولمحنا عن بعد فاتجه إلى مائدتنا وسألنا إذا كنا نسمح له بمشاركتنا ورحبنا به وجلس معنا ، وما هى إلا دقائق حتى كان منطلقا في الحديث يروي قصصه ومغامراته وتطرق الحديث إلى الديانة اليهودية فقال : إنه تعمق في دراستها وقرأ التوراة والتلمود وتسنى له الاطلاع على وثائق ومخطوطات قديمة من بينها وثيقة سرية لا يعرف بأمرها أحد فيما عدا قلة معدودة من أحبار اليهود وتعتبر ذات سرية مطلقة وتتحدث هذه الوثيقة عن أن اليهود سيعيشون في الشتات لأكثر من ألفي سنة يعودون بعدها إلى القدس كي يذبحوا . ولم نفهم فسألناه كيف يكون ذلك ؟ فقال إن الله بعد أن أغضبه اليهود حكم عليهم بالخروج من القدس والعيش في المنفى مشردين في أنحاء الأرض وأنهم تظلموا إلى الله وأعلنوا عن توبتهم والتمسوا من الله غفرانه ، وآية ذلك أن يعودوا إلى القدس أرض الميعاد على أن يذبحوا بعدها وبذلك يكونون قد تطهروا من آثامهم وتابوا عن معصيتهم لله وأزالوا غضبه ونالوا عفوه .

وقال حسن التهامي : إنه بعد أن اطلع على هذه الوثيقة ظل

---

(١) كتاب ديان .

يوالي البحث والتقصي إلى أن ذهب إلى انجلترا وقابل كبار أحبار اليهود فيها ، وذكر أنهم أصيبوا بالذهول ثم بالذعر عندما اطلعهم على معرفته بما تضمنته الوثيقة المذكورة وعبثا حاولوا أن يعرفوا منه كيف اطلع على هذا السر الخطير ، ووقع في روعهم في النهاية أن اطلاعه عليه ومجيئه إليهم هو إشارة إلهية فطلبوا منه أن يعود إليهم بعد ستة أشهر . وبالفعل سافر إليهم بعد ستة أشهر وقابلهم فقالوا له انهم تداولوا في الأمر وأن ماجاء في الوثيقة صحيح ، ورجوه أن يعطيهم مهلة مدتها خمس سنوات حتى يرتبوا أمورهم . ونظر التهامي إلى ساعته ــ وكانت قد بلغت الحادية عشرة والنصف ولم يبق غيرنا في قاعة الطعام ــ فقام وحيانا وانصرف وتابعته أنا وأحمد ماهر بعيوننا حتى خرج من القاعة وانفجرنا ضاحكين في نفس اللحظة .

وليصدق القارىء أو لا يصدق ، ولكن هذه القصة كانت السند المستتر لبعض الاقتراحات التي ترددت في فكر الرئيس السادات بعد ذلك بشهرين أثناء مؤتمر القمة الثلاثي في كامب ديفيد بخصوص حل مشكلة القدس ، كما سأروي في حينه .

صيحة حسن التهامي ..

وفي اليوم التالي ١٠ يوليه (تموز) أرسل لي الرئيس السادات لأقابله في الساعة العاشرة صباحا لنقوم بنزهة في البحيرة . وكنت في طريقي إلى الفندق عندما قابلت حسن التهامي فصافحني وذكر أنه اتخذ قرارا بأن يهديني أرشيفه السري بأكمله ليكون تحت يدي في الوزارة ، وهو يتضمن وثائق سرية ومعلومات وبيانات على أكبر قدر من الأهمية وذلك لتقديره لي ولوطنيتي وأنه رفض تسليمه لأي وزير من وزراء الخارجية السابقين ، ثم انتقل إلى الحديث عن الاجتماع الثلاثي القادم في لندن فقال لي انه يعرف موشي ديان جيدا ثم أضاف : عندما تقابله إذا لاحظت أنه يراوغ في الحديث معك فما عليك إلا أن تقبض يدك اليمني وأنت تنظر إليه ثم ترفعها أمام وجهه

وتفرد أصابعك أمام وجهه وأنت تصيح «ياتهامي» وستجد أنه سيعود إلى رشده على الفور وبذلك تستطيع التفاهم معه . وفي هذه الأثناء حضر أحد أفراد السكرتارية وأبلغني أن الرئيس سيغادر غرفته بعد دقائق لبدء النزهة في البحيرة فحييت حسن التهامي وانصرفت .

وركبنا زورقا صغيرا يعمل بموتور تحركه بطاريات كهربائية وجلست مع الرئيس في المقعد الخلفي وفي المقعد الأمامي كان قائد الزورق وبجانبه أحد رجال الحرس وانساب الزورق على مياه البحيرة التي تعكس مياهها صور الجبال المحيطة وخضرة الأشجار وزرقة السماء وكان الجو صحوا مشمسا والهدوء شاملا إلا من صوت الأمواج التي يحدثها الزورق وهو يشق المياه وبعد نصف ساعة وصلنا إلى الشاطىء الآخر من البحيرة حيث نزلنا إلى مقهى جميل تحيط به الأزهار من كل جانب ولم يلبث أن تجمهر عدد كبير من المصيفين يرغبون في مصافحة الرئيس ويرجون توقيعه على بطاقات وصور فوتوغرافية للمكان وكان واضحا أنهم يكنون اعجابا كبيرا بالسادات وتطلعا إلى توفيقه في تحقيق السلام . ولمدة طويلة استمر الرئيس في مصافحتهم الواحد بعد الآخر وتوقيع بطاقاتهم وفي هذه الأثناء كان قد انضم إلينا أحمد ماهر الذي كان قد تبعنا مع عمرو حمدي ضابط حراستي في زورق آخر ، وجلسنا نحن الثلاثة في المقهى نحو ساعة شربنا خلالها عصير التفاح « ايفل زافت » وفرض الجو الشاعري المحيط إطار الحديث فكان عن جمال الطبيعة ومباهج الحياة بعيدا عن السياسة والمشاكل وبعد ساعة ركبنا الزورق عائدين إلى الفندق .

الرد على بيان كرايسكي ..

بعد عودتي إلى الشاليه اتصل بي تليفونيا حمدي عزام المستشار الصحفي لسفارتنا في بون والذي حضر إلى النمسا لتغطية زيارة الرئيس السادات وذكر أن بيانا صحفيا صادرا عن ولي

براندت وبرونو كرايسكي باسم الاشتراكية الدولية قد أذيع باللغة الألمانية وأنه يعد ترجمته وسيوافيني بها خلال ساعة .

وعكفت أنا وأحمد ماهر على دراسة البيان وقد ورد فيه أن براندت وكرايسكي يعتقدان أن المبادىء التالية تمثل بصدق فكر حركة الاشتراكية الدولية بشأن تسوية النزاع في الشرق الأوسط . وأنهما يعتزمان على ضوء ذلك عرض تلك المبادىء أثناء اجتماع مكتب الاشتراكية الدولية في باريس في شهر سبتمبر (ايلول) القادم .

وتلا ذلك النص على المبادىء وهي أربعة ، الأول : يتعلق بأن يتم اقرار السلام عن طريق التفاوض المستمر . والثاني : إن السلام يجب أن يستند إلى علاقات طبيعية وإقامة نظام تعاون إقليمي في المنطقة . والمبدأ الرابع : يتعلق بتسوية المشكلة الفلسطينية وهو تكرار لصيغة أسوان . ولم يكن لنا اعتراضات جوهرية على صياغة هذه المبادىء الثلاثة .

أما المبدأ الثالث فكان ينص على « أن عنصرا هاما من عناصر التسوية السلمية يقوم على أساس إقامة حدود آمنه وفقا لقراري مجلس الأمن رقم ٢٤٢و٣٣٨ . وستنسحب اسرائيل من كل قطاع وفقا للحدود الآمنة التي يتفق عليها . أما تحديد حدود السلام بالضبط فيجب أن يتقرر عن طريق مفاوضات السلام . ويجب أيضا أن يكون هناك نص على نزع السلاح وترتيبات أمن لاسرائيل في تلك المناطق التي تتطلب مثل هذه الترتيبات .

وتلاشت آثار نزهة الصباح فقد كان هذا كلاما خطيرا وأخذا بالنظرية الاسرائيلية في الأمن الاقليمي الذي يستهدف التوسع تحت ستار الأمن وهو ما يخالف صراحة القرار رقم ٢٤٢ الذي ينص صراحة على مبدأ عدم جواز اكتساب الأراضي بالقوة . ويزيد من خطورة البيان أنه صدر من براندت وكرايسكي بعد اجتماعهما

بالرئيس السادات وشيمون بيريز ، مما يفهم منه ضمنا موافقة الرئيس السادات على ما جاء فيه . وكان سكوتنا على هذا البيان يعني بالتالي موافقتنا عليه . ويفتح المجال أمام ديان في اجتماع لندن القادم ليطلب أن تكون النقاط الأربع بمثابة إعلان المبادىء التي تحكم التسوية ، خاصة وأن شيمون بيريز كان قد أذاع تصريحا بأن الرئيس السادات أبلغه أنه على استعداد لسحب مشروعنا بشأن الضفة الغربية وغزة إذا وافقت اسرائيل على إعلان مبادىء . كما أن هذا البيان قد يشجع الولايات المتحدة على أن تشكل اقتراحاتها في نفس الاتجاه . يضاف إلى كل ذلك أن الاشتراكية الدولية تمثل قوة سياسية دولية يعتد بها وإذا ما وافق مكتب الاشتراكية الدولية في اجتماعه القادم في باريس على المبادىء التي اشتمل عليها بيان براندت وكرايسكي فانها تكتسب نوعا من الوزن الذي يجب عدم الاستخفاف به .

وشرعت مع أحمد ماهر على الفور في إعداد بيان يوضح موقفنا من بيان كرايسكي وبراندت ويؤكد موقفنا من الانسحاب ومن ترتيبات الأمن ، التي يجب أن تكون دولية وليست إسرائيلية ، ولمصلحة الجميع وليس لمصلحة اسرائيل وحدها . وما أن انتهينا منه حتى ذهبت لمقابلة الرئيس السادات في جناحه وكانت الساعة السابعة مساء ووجدته جالسا مع السيده جيهان مرتديا الروب دي شامبر وهما يشاهدان التليفزيون . ودعاني الرئيس للجلوس معهما فجلست ولم أشأ مفاتحته في الموضوع أمام زوجته وظللنا نتبادل أحاديث خفيفة لمدة خمس دقائق وكنت على عجل من عرض البيان الذي أعددناه عليه حتى نذيعه في وقت مناسب بحيث تنشره صحف الصباح في نفس وقت نشر بيان براندت وكرايسكي . فسألت الرئيس إذا كان قد اطلع على بيان كرايسكي وبراندت فقال لا ، ماذا جاء به ؟ فقلت إنه « زى الزفت » . وهنا أدركت السيده جيهان السادات أني أريد أن أحدثه على انفراد فتركتنا وغادرت الغرفة . وشرحت له ما

جاء في المبدأ الثالث للبيان ، فقال إنه لم يوافق على مثل ذلك . وسألته عما أذاعه بيريز من استعداده لسحب المشروع المصري إذا وافقت اسرائيل على المبادىء فقال : إنه لم يقل ذلك بالضبط وإنما أبدى استعداده للمرونة وأنه إذا وافقت إسرائيل على إعلان جيد للمبادىء فما المانع ؟ وقلت : ان بيجن لم يحد خطوه عن مشروعه للحكم الذاتي منذ عرضه علينا في الاسماعيلية ومن الخطأ أن نبدي استعدادا لسحب مشروعنا حتى من قبل مناقشته مع اسرائيل في اجتماع لندن وما لم يشعر الاسرائيليون والأمريكيون بأننا نتمسك بما نقدمه فسيعملوا على الافادة من ذلك . وفكر الرئيس برهة ثم قال « اصدر بيانا بوجهة نظرنا في بيان الاشتراكية الدولية » وقلت « لقد أعددت بالفعل بيانا وأحضرته معي لعرضه عليك قبل نشره » . وقرأت عليه مشروعنا وعندما وصلت إلى ذكر إمكان موافقتنا على تعديلات طفيفة في الضفة الغربية على أساس متبادل لأسباب إنسانية أو إدارية قال السادات : أضف « أو لأسباب أمنية » وقلت إن هذا بالذات ما نعترض عليه . فقال « ولكني وافقت بيريز على التوصل إلى صيغة توازن بين أمن اسرائيل وحقوق الشعب الفلسطيني » فقلت « إن الأمن ممكن تحقيقه بوسائل شتى ولا نستطيع قبول أن يكون ذلك عن طريق ضم اسرائيل لأراض عربية » وفكر السادات برهة ثم قال « إذن اكتف بعبارة تعديلات طفيفة دون اشارة إلى كونها إنسانية أو إدارية » وفعلت ذلك .

وكنا حريصين على أن يصدر بياننا في الصحف المصرية في صباح اليوم التالي وقد ظل أحمد ماهر يملي البيان في التليفون على القاهرة لمدة تزيد على الساعة بسبب رداءة الاتصال التليفوني ولكنه نشر في النهاية في صباح اليوم التالي .

www.library4arab.com/vb

مقابلة بين السادات والسكرتير العام للأمم المتحدة ..

في اليوم التالي ١١ يوليه (تموز) استقبل الرئيس السادات كورت فالدهايم سكرتير عام الأمم المتحدة وقد حضرت المقابلة . وانقل فيما يلي ، بدون تعليق ، الحديث الذي جرى فيها لأنه يوضح جوانب من تفكير السادات كما تضمن حديثه بعض المفاجآت لي :

فالدهايم : لقد انتهزت فرصة وجودي في النمسا لقضاء بضعة أيام للراحة مع ابنتي التي تقيم في منزل قريب من هنا لزيارتكم وسأبقى هنا حتى موعد انعقاد مؤتمر القمة الافريقي في الخرطوم الذي دعيت إلى حضوره .

السادات : اني سعيد بهذه الفرصة للتحدث إليك وسنتقابل في الخرطوم لأني سأحضر مؤتمر القمة الأفريقي بدوري .

فالدهايم : ماذا عن الموقف الآن ؟

السادات : جهود كرايسكي كانت مدهشة ، فقد أرسل لي لأوافق على لقاء شيمون بيريز ولقد اجتمعت مع كرايسكي وبراندت وبيريز أول أمس . إن موقف بيجن متشدد جدا وقد ذكر لي « كاهان » أنه رجل مجنون . وكان « ناحوم جولدمان » قد قال لي نفس الشيء ثم أرسل لي بعد ذلك مبعوثا يحثني على الصبر ومواصلة المباحثات . لكن بيجن يثير دائما صعوبات وقد قلت « لمونديل » إني أوافق على اجتماع وزراء الخارجية في

لندن تلبية لدعوة « كارتر » رغم يقيني من أن شيئا لن ينتج عن هذا الاجتماع . وبيجن يريد استبعاد الولايات المتحدة بكل طريقة من المباحثات .

فالدهايم : كنت أظن أنه حريص على دور الولايات المتحدة ؟

السادات : لا ، لا ، إنهم لا يريدون الولايات المتحدة وأنا أرى أنه يجب الاحتفاظ بأمريكا كشريك كامل في المباحثات . وقبل حضوري إلى هنا طلب « فايتسمان » أن يقابل « الجمسي » ولكن الجمسي رفض لعدم وجود عناصر جديدة في الموقف الاسرائيلي خاصة بعد الرد السلبي على أسئلة أمريكا ، وأنا مازلت معجبا « بفايتسمان » لأنه يقدر أهمية تحقيق السلام . ولم أجد أى خلاف بيني وبين شيمون بيريز خاصة بالنسبة للقدس والضفة الغربية وهى أصعب المسائل بالنسبة لاسرائيل . آراؤنا متفقة . شيمون وأنا !!

فالدهايم : هل بيريز مستعد للانسحاب من الضفة الغربية وغزة ؟

السادات : نعم بشرط الجلوس معا لمناقشة ترتيبات الأمن .

فالدهايم : تقصد النقاط الست(١) إني أجدها متفقة تماما مع قرارات الأمم المتحدة وأنا سعيد لأن دور الأمم المتحدة واضح في المشروع المصري .

السادات : اجتماع لندن لن يحقق شيئا لأن ديان منضم الآن إلى بيجن تماما . ديان يحب المظاهر ويغار من وايزمان الذي تربطني به علاقة صداقة وديان كذاب وقد طلب مني كارتر مرارا أن أقابل ديان ولكني رفضت . ولا أعتقد أن محمد ـ يقصدني ـ وديان سيصلان إلى شىء « في اجتماع لندن » وسيسعى ديان لتحسين صورة

---

(١) النقاط الست المتعلقة بالأمن التي أوردناها في المشروع المصري الخاص بالضفة الغربية وغزة .

راجع الملحق رقم (٢) صفحه رقم ٦٤٠

اسرائيل .

فالدهايم : لقد احدثت زيارتك لواشنطن تغييرا هائلا في الرأى العام الأمريكي كما أحدثت انقساما في صفوف الجاليات اليهودية ؟

السادات : حذرت محمد من أن ديان لن يقطع المفاوضات لأنه يسعى مع بيجن لتحسين صورة اسرائيل أمام العالم واليهود وهما يريدان أن يستبعدا أمريكا طالما أن هناك مفاوضات مباشرة بين مصر واسرائيل .

اتفقت مع أمريكا ـ وهذا كلام سري للغاية ولعلمك الشخصي ـ بعد فشل اجتماع لندن أن تكون الخطوة التالية أن يتقدم كارتر بمشروعه للتسوية والا فسنذهب إلى الأمم المتحدة . ليس هناك تفاصيل وخطة كارتر لن تتضمن تفاصيل بل المبادىء العامة ، ولكن يجب أن تكون منصبة على المسائل الرئيسية . ثم نذهب بعد ذلك إلى الأمم المتحدة المؤتمر « يقصد المؤتمر الذي دعا إليه فالدهايم » أو مجلس الأمن ثم نذهب بعد ذلك إلى جنيف . لقد ذكرت دائما أن كل شيء هو تحضير لجنيف ولم استبعد جنيف أبدا فأنا أسعى إلى السلام وهذا لن يتحقق إلا باجتماع كل الأطراف .

اسرائيل تخشى جنيف لأن روسيا وسوريا ستحضرانه وكذلك سيكون الموقف الأمريكي قد تغير .

ولكني متفق مع بيريز على جميع الأمور ! ذكرت له بالنسبة للقدس ، فلا تقسيم للمدينة ولكن هناك ميلا مربعا من القدس العربية يجب أن يكون تحت علم عربي !.. وليكن العلم الأردني وتكون هناك إدارة عربية ومجلس ادارة مشترك بين الادارة الاسرائيلية والعربية .

وبالنسبة للضفة الغربية سيصدر اليوم[١] بيان من الاشتراكية الدولية وقد وافقت بيريز على هذا البيان أمس[٢] . البيان يعالج أساسا الضفة الغربية وقد اخترنا شيمون وأنا لغة تقول بأن الحدود مع الضفة الغربية يجب أن تحقق أمن اسرائيل وتطلعات الفلسطينيين .. وهذا يعني تعديلات طفيفة في الحدود .. ونظر إلي السادات وأضاف .. ولكني سأغير بعض العبارات في البيان . .

وسألني بيريز عن موقف الملك حسين فأجبته بأني أوفدت السيد حسني مبارك من أسبوعين إلى الأردن والسعودية ومعه مشروعي بشأن الضفة الغربية وغزة ليناقش المشروع معهما وقد صدر بيان أردني يؤيد مشروعي تماما وعلنا .

فالدهايم : لقد اطلعت عليه وأسعدني كثيرا وهذا أمر في غاية الأهمية .

السادات : أعتقد أنه عندما يقدم الأمريكيون مقترحاتهم فستكون هناك معركة اسرائيلية أمريكية ولكني أعلم أن كارتر سيخوض هذه المعركة حتى النهاية ، كما أن كثيرا من الجماعات اليهودية ستضغط على اسرائيل .

وأعتقد أننا سنمر بمرحلة خطيرة في شهر أكتوبر عندما يطلب منا تجديد مدة قوات الطوارىء « التابعة للأمم المتحدة » ولم اتخذ قرارا حتى الآن ، ولكن من هنا حتى سبتمبر (ايلول) سيحدث الكثير خاصة بعد أن تتحمل أمريكا مسؤولياتها كشريك كامل . ولكني

(١) كان البيان قد صدر بالأمس ١٠ يوليه (تموز)

(٢) يقصد يوم لقاء بيريز قبلها بثلاثة أيام في ٨ يوليه (تموز)

سأخبرك في سبتمبر (ايلول) بما يستقر عليه رأيي بطريقة سرية .

فالدهايم : أكون شاكراً لك ذلك للغاية لأنه يجب عليّ أن أتقدم بتقريري إلى مجلس الأمن .

السادات : لا تنسى يا محمد أن تذكرني بارسال ما سأقرره في سبتمبر (أيلول) إلى المستر فالدهايم .

فالدهايم : أريد أن أخبركم بأني سأتوقف في دمشق لمدة أربع وعشرين ساعة وأنا في طريقي إلى حضور مؤتمر القمة الأفريقي في الخرطوم . وسأرسل لكم ما يدور بيني وبين المسؤولين السوريين . والسبب في هذه الزيارة هو أن القوات الدولية في لبنان لا تلقى تعاونا من قبل سوريا وقد طلبت منها ارسال قوات الردع العربية إلى بعض المناطق حتى أتلافى حدوث اشتباكات بين الأمم المتحدة والفلسطينيين ولكن سوريا رفضت ذلك . وسأنتهز الفرصة وأتحدث مع الرئيس الأسد في الوضع في الشرق الأوسط فهل تطلبون مني شيئا .

السادات : إنهم غارقون في لبنان ولن يخرج الأسد سالما وتستطيع سؤالهم ما شئت ولكنهم لن يجيبوا عليك والسبب الحقيقي هو أنهم يريدون ضم لبنان .

فالدهايم : مشكلتنا أن اسرائيل تسلح المسيحيين وبالذات قوات سعد حداد وقد طلبت من الرئيس كارتر مساعدتنا في أن تتولى الأمم المتحدة هذه المنطقة لأني أخشى أن تبدأ منظمة التحرير الفلسطينية القتال في جنوب لبنان ، وقد اتفقت مع ياسر عرفات على عدم القتال في الجنوب فوافق على ذلك والتزم به ــ فيما عدا الحادثة التي وقعت مع القوات الفرنسية ــ وأخشى إن لم نغط حزام

الأمن بقواتنا أن يبدأ القتال وهو ما سوف يؤدي إلى انفجار المنطقة . ولا أدري ماذا سيحدث عندئذ وكيف سيتصدى مجلس الأمن لمثل هذا الموقف . وما هو مدى تأثير سوريا على منظمة التحرير في رأيك ؟

السادات : مائة في المائة .. وعرفات يرسل لي سرا كي أترك له مكانا حتى ينضم إلى المفاوضات وأنا اعتزم اشراك أهالي الضفة الغربية وبعض العناصر المعتدلة في منظمة التحرير مثل خالد الحسن وغيره . ولكني لن أخبرهم بذلك حتى يحين الوقت المناسب فان أعدى أعداء الفلسطينيين هم قياداتهم . سمعت اليوم أن محطات الانذار المبكر تتولاها الأمم المتحدة .

فالدهايم : طبعا ذلك ضد رغبات اسرائيل التي تريد ابعاد الأمم المتحدة .

السادات : ذكر لي جولدمان وكاهان أن بيجن ميؤوس منه ولكنهم نصحوني بأهمية أن يأتي التغيير من داخل اسرائيل نفسها وأنه يجب أن نكون على حذر شديد حتى لا يستغل بيجن الفرصة ويجمع الشعب الاسرائيلي وراءه .

فالدهايم : تذكر أني أثناء مؤتمر القاهرة التحضيري اقترحت عقد مؤتمر للأطراف في نيويورك تحت مظلة الأمم المتحدة . وقد وافقتم وقتها على ذلك وأريد أن أسألكم عن شعوركم نحو هذه الفكرة الآن ؟

ولقد كان الاتحاد السوفيتي في البداية يؤيد فكرتي ربما لأنها ضد فكرتك ولكن السفير الروسي في نيويورك زارني وقدم لي مذكرة من موسكو تذكر فيها أنها لا ترى الموافقة الآن على مشروعي وترغب في

الذهاب إلى جنيف مباشرة ، وقد أجبت السفير الروسي بأني أعتقد أن حلقة ما يجب أن توصل بين مؤتمر القاهرة ومؤتمر جنيف الذي يجب أن يكون المرحلة النهائية ولذلك فاقترح أن يكون المؤتمر الذي دعوت إليه هو هذه الحلقة وقد شعرت أن السوفيت لم يغلقوا الباب نهائيا أمام ذلك .

السادات : أترك لك الخيار إما في نيويورك ثم جنيف وإما جنيف رأسا هذا متروك لتقديرك ، وأنا لا أخاف المقابلة في نيويورك أو في جنيف . اسرائيل هى التي تخاف من ذلك . وقد ناقشت فانس في هذا الموضوع وهو يؤيد الفكرة ولكنه طلب مني مؤخرا أن ننتظر لندن أولا ثم نلتقي ونقرر على ضوء ذلك .

فالدهايم : أشكرك على هذا لأنه يهمني معرفة رأيكم مقدما حتى أستطيع أن أمهد لعقد المؤتمر .

السادات : دع الموقف للأمريكان الآن وإذا لم يفعلوا شيئا فسنتفاهم على الخطوة التالية .

فالدهايم : معك الحق أعتقد أن من الأفضل الآن انتظار المقترحات الأمريكية لنرى رد فعلها وقد اقترحت على سيروس فانس أنه إذا احتاج إلى الأمم المتحدة لتحريك الموقف يستطيع عقد مؤتمر نيويورك .

السادات : من ناحيتي أعطيك « كارت بلانش » وأترك لك حرية التصرف تماما ولكن أرى تأجيل ذلك إلى ما بعد تقديم المقترحات الأمريكية .

الفصل السادس والعشرون

هيا بنا نسقط بيجن

بعد انتهاء مقابلة الرئيس لفالدهايم اتصل بي السيد حسن التهامي وذكر أن لديه أمرا هاما يريد أن يحدثني بشأنه والتقينا بالفعل فقال التهامي : إن الموقف الداخلي في اسرائيل أصبح مهلهلا ، فمن ناحية : حدث انقسام في الرأي العام وظهرت تيارات قوية تطالب بالسلام ولو تطلب ذلك رد الأراضي المحتلة إلى أصحابها ، كما حدث انشقاق داخل الحكومة الاسرائيلية نفسها حول عدد من الموضوعات ، منها إقامة المستوطنات ومنها الخلاف على الرد الاسرائيلي على أسئلة الحكومة الأمريكية وازدادت المعارضة أمام بيجن وأصبح رمزا للجمود ، وتهديدا بالخطر وباضاعة فرصة السلام التي سنحت بمبادرة الرئيس السادات ، فضلا عن أن حالته الصحية في تدهور مستمر وأن النزاع بينه وبين وايزمان وعدد من الوزراء قد أضحى واضحا عنيفا وأن هناك تقاربا بين بيريز ووايزمان وذكر أن مصادره الخاصة توافيه بأدق الأنباء من داخل اسرائيل نفسها ، وأنه لابد لنا من استغلال هذه الأوضاع وأن نضرب والحديد ساخن . وقد حققنا نجاحا كبيرا بترتيب اللقاء بين الرئيس السادات وشيمون بيريز رئيس حزب العمل المعارض لأن من شأنه تعزيز مركز بيريز وزيادة إضعاف مركز بيجن ، وأن الخطوة التالية هى أن ندعو وايزمان الآن لمقابلة الرئيس السادات هنا وفشل مما سيؤدي إلى زيادة انهيار مركز بيجن وسقوط حكومته ، الأمر الذي سيؤدي إلى تشكيل حكومة جديدة تكون أكثر اعتدالا ويمكن التعامل معها .

وأنا أنفر من التآمر والوقيعة بطبعي ، فضلا عن اقتناعي بأنه

سلاح خطر وذو حدين وممكن أن يرتد على صاحبه وليس هناك ما يدعو إليه طالما أن طريقنا واضح أمامنا ولدينا خط نتبعه .

فقلت : إن ما تذكره عن الوضع الداخلي في اسرائيل صحيح إلى حد كبير ولا شك أنه يعود علينا بالفائدة لأنه يشكل ضغطا على سياسة بيجن الرافضة للتسوية الشاملة ولكن يجب أن ندرك أن مبعث السخط الداخلي في اسرائيل شعور جارف من الرأي العام الاسرائيلي . إن تشدد بيجن قد يؤدي إلى ضياع فرصة السلام التي طرحها الرئيس السادات ونحن نساعد على ذلك بتأكيد تمسكنا بحقوقنا من ناحية والتأكيد على رغبتنا واستعدادنا لتقديم كل الضمانات لأمن اسرائيل والعيش معها في سلام ، وفي علاقات حسن جوار . ومن الناحية الثانية أنا أرى أن نستمر في التوجه إلى الرأي العام الاسرائيلي على أساس هذا الخط .. وان الأفضل ترك هذه التفاعلات داخل اسرائيل تنمو وتضطرد دون تدخلنا بحيث يأتي التغيير من داخل اسرائيل نفسها وانه في اللحظة التي يحس فيها الشعب الاسرائيلي أننا نعمل على الوقيعة بين زعمائه واسقاط حكومته فسيكون رد فعله الطبيعي والتلقائي هو الالتفاف من جديد حول بيجن وحكومته .

إلا أن التهامي لم يقتنع بما قلته وظل يردد أهمية عدم إضاعة هذه الفرصة وفي النهاية قال لماذا لا نذهب إلى الرئيس السادات ونعرض الأمر عليه ؟ فقلت إني لا أحب اقحام الرئيس السادات في هذه الشكليات الفرعية وان العالم ينظر إليه نظرة كبيرة على أساس أنه رجل يسعى إلى السلام القائم على الحق والعدل . وان الرئيس السادات حضر إلى هذه البقعة لقضاء أيام قليلة للاستجمام والراحة ويجب أن نعمل على توفير ذلك له كما أني بدوري في حاجة إلى الراحة

وفي المساء لم أجد أثرا لحسن التهامي ولم يحضر إلى قاعة الطعام كالمعتاد .

لنحكم الحصار حول بيجن ..

في اليوم التالي ١٢ يوليه (تموز) أبلغني أحد أفراد السكرتارية أن الرئيس يرغب في مقابلتي أنا والسيد حسن التهامي في الساعة العاشرة والربع من صباح اليوم في شرفة الفندق .

وذهبت إلى الشرفة في الساعة العاشرة وجلست مع السيد حسن كامل رئيس الديوان الجمهوري والسفير أحمد عثمان الذي كان قد تولى منصبه كسفير لمصر في النمسا منذ أسابيع قليلة ومع أحمد ماهر نشرب القهوة ونطل على منظر البحيرة والجمال الرائع ، وفي الساعة العاشرة والربع تماما دخل الرئيس السادات إلى الشرفة ومعه السيد حسن التهامي فذهبت وحييته وجلست على منضدته أنا وحسن التهامي . وقال الرئيس لقد طلبتكما لنناقش موضوعا عاجلا وهو أني أفكر في دعوة وايزمان للحضور إلى هنا ومقابلتي فما رأيكما .. ولم يتكلم التهامي . فقلت « وما الفكرة من وراء حضور وايزمان إلى هنا ؟ فقال « لنحكم الحصار على بيجن ونزيد الضغط عليه » فقلت « يا ريس إن وايزمان وزير في حكومة بيجن وهو عضو في حزب حيروت ، وربما يكون أكثر اعتدالا من بيجن وربما أنه على خلاف معه في بعض وجهات النظر إلا أن ذلك لا يعني أنه سينضم إلينا ضد بيجن » قال السادات « وما المانع من حضوره والحديث معه وهو يستطيع أن ينقل وجهة نظرنا إلى بيجن » ، قلت « ولم العجلة في ذلك ؟ اني سأسافر في خلال أيام معدودة إلى لندن للمشاركة في الاجتماع الثلاثي مع ديان وفانس . وسنطرح مشروعنا خلال هذا الاجتماع وسينقل ديان وجهة نظرنا إلى حكومته وليس هناك ما نقوله لاسرائيل في الوقت الحالي إلا عرض مشروعنا وهذا من اختصاص وزير الخارجية الاسرائيلي وسيكون موجودا في لندن فماذا سنقول لوايزمان الآن ؟ » .. فقال التهامي « إن حضور وايزمان الآن ومقابلته للرئيس سيغيظ ديان وسيزيد حدة الخلاف بين وايزمان

وبيجن وبين وايزمان وديان » فقلت « إنه يجب أن نتبع سياسة النفس الطويل وأمامنا الآن اجتماع لندن فلماذا لا ننتظر لنقرر على ضوء نتائجه الخطوة التالية ؟ إن التوجه لوايزمان قد يكون له ما يبرره بعد انتهاء الاجتماع الثلاثي أما الآن فلن يحقق شيئا اللهم إلا حرق وايزمان نفسه » .. وساد السكون عدة دقائق قطعه الرئيس السادات بقوله « اكتب يا حسن » واخرج التهامي نوتة وقلما واستعد للكتابة وأملى عليه السادات برقية منه إلى الفريق الجمسي وزير الدفاع يطلب منه الاتصال بوايزمان عن طريق البعثة الاسرائيلية في جناكليس للحضور لمقابلة الرئيس غدا ويطلب من الفريق الجمسي الحضور بدوره . وانتهى الاجتماع

وفي صباح اليوم التالي١٣ يوليه (تموز) كنت أتناول الافطار مع أحمد ماهر في شرفة الفندق عندما وصل الفريق الجمسي حوالي الساعة التاسعة والنصف ولم يكن الرئيس قد غادر غرفته بعد وجلس معنا الفريق الجمسي لتناول قدح من القهوة وأعطاني جرائد الصباح التي أحضرها معه من القاهرة وكان من المفارقات العجيبة أن قرأت في الصفحة الأولى من « الأهرام » عنوانا بالخط العريض « الجمسي لن يلتقي بوايزمان قبل تحديد نتائج مؤتمر لندن » ويقول الخبر « أكد الفريق الجمسي أنه لن تكون هناك لقاءات جديدة بين العسكريين في مصر واسرائيل قبل أن يحدث شيء جديد يوضع للمناقشة وكان وايزمان قد بعث إلى الجمسي مؤخرا يطلب الاجتماع به قبل اجتماع لندن الثلاثي ورفض الجمسي » .

الغضب يملأ صدري ..

وفي الساعة الثالثة بعد الظهر وصل وايزمان وزير الحربية الاسرائيلي إلى شرفة فندق « شلوس فوشل » .. وكان معه كارل كاهان وقد صافح الفريق الجمسي كما صافحني وقد تركتهما وذهبت إلى الجلوس مع بعض زملائي وأبلغ الرئيس السادات بوصول وايزمان

ولم تمض دقائق حتى أرسل يستدعيه لمقابلته في جناحه بالفندق فغادر الشرفة مع الفريق الجمسي الذي صحبه إلى المقابلة ثم لم يلبث بعد فترة وجيزة أن ترك وايزمان مع الرئيس السادات في لقاء منفرد .

واستمرت المقابلة نحو ثلاث ساعات وبعدها عاد وايزمان إلى الشرفة حيث كان في انتظاره الفريق الجمسي وكاهان الذي بقى معهما لمدة دقائق ثم اتجه نحوي وذكر أنه يشرفه لو قبلت دعوته للعشاء مع الفريق الجمسي ووايزمان في مطعم جميل يطل على منظر رائع . وقد اعتذرت بأني مشغول إلا أن ثلاثتهم ألحوا علي في الحضور فقلت إني سأحضر لقضاء بعض الوقت معهم قبل العشاء وفعلا توجهت مع ماهر إلى المطعم المذكور وكان فعلا يطل على منظر خلاب وتبدو أضواء القرى المتناثرة بين الجبال وهى تتلألأ ، وبعد ربع ساعة عدت وماهر إلى الفندق حيث أخبروني بأن الرئيس السادات سأل عني وترك رسالة بأن أذهب إلى لقائه في غرفته حال عودتي من الخارج .

وتوجهت إلى غرفته بخطى ثقيلة وقلب مهموم واستقبلني الرئيس بحرارة وقال « لقد طلبتك لأخبرك بما تم بيني وبين وايزمان وأعتقد أنها كانت مقابلة مفيدة وناجحة رغم أنك كنت معترضا عليها لقد أخبرت وايزمان أن تصرفات بيجن ستؤدي إلى ضياع فرصة السلام ، وأنه قد ثبت لي أنه لا يفقه شيئا في السياسة ولو كان لديه حس سياسي لكان قدم لي مقابلا لمبادرتي بذهابي إلى القدس ولكنه عجز عن فهم مدلول المبادرة وقابلها بالتشدد والمراوغة مما أثار عليه حنق العالم كله ، وعلى سبيل المثال كان يستطيع أن يقوم بمبادرة بسحب القوات الاسرائيلية من سيناء إلى خط العريش — رأس محمد ، ولو فعل ذلك فانه سيكون قد نقل الكرة إلينا ويكون

الدور علينا في اتخاذ خطوة مقابلة ولكن جموده وجشعه أعمياه عن القيام بأي تحرك . وقلت لوايزمان اني لا أستطيع الاستمرار إلى ما لا نهاية في مباحثات عقيمة بدون جدوى وانه ما لم يحدث تحول في الموقف الاسرائيلي قبل شهر اكتوبر (تشرين الأول) (فترة انتهاء

مدة قوات الطوارىء) فسيكون الموقف خطيرا بالفعل . واقترحت على وايزمان أن يقنع بيجن بضرورة عمل شيء قبل هذا التاريخ كأن يعيد إلى مصر مدينة العريش ـ ونرفع عليها العلم المصري وبذلك نستطيع أن نذهب إليها للتفاوض مع الاسرائيليين كما تستطيع ذلك سوريا والأردن متى قررتا الاشتراك في المباحثات (وعاد إلى ذاكرتي حديثنا في الطائرة حول العريش) كذلك يعيد إلينا جبل سيناء الذي اعتزم أن أنشيء فيه مجمعا للأديان الكتابية الثلاثة اليهودية والمسيحية والاسلام يكون رمزا للارتباط بين هذه الأديان الثلاثة والمحبة والسلام في المنطقة التي كلم الله فيها موسى[1] » .. وسكت لم أعلق بشيء على ما قاله الرئيس وبعد برهة قال « ماذا بك يا محمد هل هناك ما يضايقك ؟ » وشعرت بالغضب يملأ صدري حتى يكاد ينفجر وقلت « لا شيء » .. فقال « يبدو عليك التعب . اذهب وحاول أن تستريح فأمامك عمل كثير في لندن » وتركته وانصرفت . كان قد أصابني شعور بالاشمئزاز والسخط من السادات وبيجن والتهامي وعلى عملي كوزير خارجية . ما هذا العبث ؟ ألم يجد السادات وسيلة لقضاء بعد الظهرية ـ في هذه البقعة الجميلة التي حضر إليها للراحة والاستجمام غير استدعاء وايزمان من آخر الدنيا ليقول له هذا الكلام الفارغ أيعقل ونحن نطالب بانسحاب اسرائيل من سيناء والجولان والضفة الغربية وغزة أن نستدعي وزير الدفاع الاسرائيلي كى نلتمس وساطته لدى بيجن حتى يمن علينا باعطائنا العريش لتصبح جزيرة في بحر الاحتلال الاسرائيلي لأراضينا وكى يعيد إلينا جبل سيناء ليبني عليه السادات هرما له ؟ وفوق كل ذلك يصبح الدور علينا إذا استجاب بيجن لالتماسنا في تقديم التنازلات . لقد أدت المقابلة بين وايزمان والسادات والتي كانت بايحاء من حسن التهامي إلى تعقيدات سأرويها في حينها .

عدت إلى غرفتي وكان أحمد ماهر في انتظاري وقبل أن أقص

---

(١) راجع كتاب وايزمان ـ المعركة من أجل السلام ـ صفحة ٢١٢ وما بعدها .

www.library4arab.com/vb

عليه ما حدث أطلعني على برقيات صحفية تفيد أن محطة سي . بي . إس (C.B.S.) الأمريكية قد أذاعت الخبر التالي « يبدو أن كلا من مصر واسرائيل قد وافقتا على استمرار مفاوضات السلام على مستوى الوزراء بعد انتهاء مؤتمر لندن القادم وأن الاجتماعات القادمة سوف تجرى في العريش وسيتحدد موعد اجتماع العريش في اجتماع لندن » ، ثم خبر ثان « اسرائيل تعلن موافقتها على اقتراح مصر استكمال المباحثات بعد انتهاء مؤتمر لندن في العريش » ؟ و« ديان يقول ان اسرائيل مستعدة لحضور اجتماعات العريش وانه يتوقع أن تشمل محادثات السلام في اجتماع لندن القادم ثلاث نقاط :ـ

١ ـ مقترحات السلام المصرية الأخيرة

٢ ـ خطة السلام الاسرائيلية

٣ ـ وضع اطار لاستمرار المباحثات بين مصر واسرائيل .

وكان واضحا أن الولايات المتحدة سواء من تلقاء نفسها أو بالتواطؤ مع اسرائيل هى التي اختلقت هذا الخبر الكاذب من أساسه ، والذي يتنافى مع الموقف المصري مائة في المائة ، وعملت على تسريبه عساها تفلح في إحراجنا وخضوعنا للأمر الواقع ونقبل الالتزام بجولة أخرى من المباحثات مع اسرائيل حتى قبل أن يبدأ الاجتماع الثلاثي في لندن وقبل أن نعلم ما سوف يسفر عنه . وتذكرت سؤال وليام كوانت لي بعد انتهاء المؤتمر الصحفي للسادات ومونديل في الاسكندرية ولعنت اللحظة التي نطق فيها السادات باسم العريش في ذلك المؤتمر كبديل لاجتماع لندن .

تأجيل لحظة الحقيقة :

كان هدف الولايات المتحدة من دفع عملية التفاوض المباشر بين مصر واسرائيل إلى الاستمرار هو ارجاء مواجهة « لحظة الحقيقة » THE MOMENT OF TRUTH بأن

نضطر إلى إعلان مقترحاتها في مواجهة اسرائيل وفقا لما تعهد به الرئيس كارتر في سيناريو كامب ديفيد في فبراير (شباط) الماضي .. ولعله من المضحك المبكي أن أقوى دولة في العالم ترتجف أمام دولة صغيرة اصطنعتها مع الاتحاد السوفيتي وزرعتها في وسط الدول العربية ـ وتتهرب وتتردد في أن تطلب منها الالتزام بالشرعية الدولية والانسحاب من أرض الغير التي احتلتها بقوة السلاح الأمريكي وبوازع من الجشع والتوسع .

تفعل الولايات المتحدة ذلك وهى تعلم تماما أن اجتماعا مصريا اسرائيليا ثانيا أو ثالثا أو رابعا لن ينتج شيئا لأن اسرائيل ترفض أن تنزع مخالبها من أراضينا وترخي من قبضة يدها على عنق الشعب الفلسطيني ، وليس أدل على ذلك أن اسرائيل رفضت الرد بصلافة على الأسئلة التي وجهتها إليها الولايات المتحدة نفسها حول مستقبل الضفة الغربية كشرط لاستئناف المباحثات بعدها إذا ما كان ردها إيجابيا .

تفعل ذلك غير حافلة بما سوف يسببه استمرار هذه الاجتماعات العقيمة لمصر من إذلال ومهانة وتقويض لمركزها في العالم العربى ولاعتبارها أمام المجتمع الدولي .

أما عن مسارعة اسرائيل بالاعلان عن موافقتها على عقد اجتماعات تالية لاجتماع لندن فأمر طبيعي وهدية من السماء ، والا فأى شيء يحقق لها تكريس الانقسام في العالم العربي وعزل مصر عنه وانعزاله عنها ، أكثر من أن تجرجر مصر حول العالم في متاهات مباحثات تعلن اسرائيل سلفا وجهارا أنها لن تؤدي إلى انسحاب من الأراضي العربية المحتلة أو الى إقرارها بحقوق الشعب الفلسطيني الذي اقتلعته من أرضه وشردته في الآفاق .

وقلت لماهر اني لا أبالي بمثل هذه المناورات من جانب الولايات المتحدة أو من اسرائيل فكل منهما يعرف طريقه ويحاول تحقيق مصالحه ومثل هذا يجب أن نتوقعه وعلينا ترجع مسؤولية مقاومته

والتغلب عليه وذكرت أني لن أشارك في اجتماع تال لاجتماع لندن ما لم يتضح في هذا الاجتماع تحول في الموقف الاسرائيلي يبرر اجتماعا لاحقا.

ولكن المشكلة الأولى بالنسبة لي أصبحت تصرفات الرئيس السادات العفوية المرتجلة والتي يفاجئنا بها دون سابق إنذار والتي تشكل خروجا وانحرافا عن الخط السياسي والتكتيكي الذي نتبعه ، وغالبا ما ينتهي ذلك إلى أوضاع تسيء إلى موقفنا مما يتطلب منا جهودا إضافية لاصلاحه . وقلت ألا يرى أسلوب الجانب الآخر ؟ وأن مناحم بيجن لا يقدم على خطوة قبل أن يقتلها بحثا مع مجلس وزرائه . وأضفت اني أصبحت في حيرة من أمره وأجد صعوبة كبيرة في العمل معه ورويت لماهر قصة حضور وايزمان إلى فوشل وكيف أن السادات استطلع رأيي في استدعائه فأجبته بأمانة بأني لا أوافق عليه لأسباب أعتقد أنها وجيهة ومنطقية إلا أنه كان قد اتخذ القرار في نفسه قبل سؤالي ، فاستدعاه دون أن يبدي لي أسبابه في ذلك . وكنت مستعدا للتغاضي عن ذلك لو أنه كانت لديه أسباب قوية لمقابلة وايزمان – اختار ألا يطلعني عليها لسبب ما – ولكنه عندما أبلغني بنتيجة المقابلة وجدتها سخيفة وأن الأمر لم يكن غير نزوة استبدت به دون إعداد أو دراسة .

وهدأ ماهر من روعي وقال : إن مسؤوليات السادات ضخمة مرهقة وانه يلجأ أحيانا إلى مثل هذه التصرفات بدافع القلق من مرور الوقت دون أن تحقق مبادرته شيئا محسوسا وانه يظن أنه بمثل هذه التصرفات يدفع الأمور إلى التحرك . وقال إن وجودي إلى جانب الرئيس السادات له أهمية قصوى فهو يقدرني ويستمع إلي دون أن يغضب وليس ذلك الحال بالنسبة للآخرين الذين ربما يفضلون عدم الافصاح له عن آرائهم حرصا على مرضاته وأنها على كل حال مسؤوليتي المباشرة كوزير لخارجيته .

وشرعنا نقيم زيارة السادات للنمسا وكانت النتائج في نظرنا

سلبية ، ففي الاجتماع مع شيمون بيريز أقر السادات وجهة نظر اسرائيل في الأمن الاقليمي ، عندما وافق على تلك الصيغة التي ذكرها أمامي لفالدهايم التي تقوم على التوازن بين أمن اسرائيل وتطلعات الشعب الفلسطيني ، وقد أصدر ويلي براندت وكرايسكي بيانهما على هذا الأساس كما سبق إيضاحه .

كما أنه في اجتماعه مع وايزمان تخطى الحديث عن مشروعنا بشأن الضفة الغربية وغزة وهو الأصل إلى الحديث عن جزئيات لا تقدم بل تؤخر ـ عن استرداد مصر للعريش ولجبل سيناء ـ وهو ما يعتبر نشازا وخروجا عن خطنا الثابت المعلن والتحول إلى مسائل هامشية لا قيمة لها .

وفي اليوم التالي ١٤ يوليه (تموز) ركبنا الطائرة عائدين إلى مصر .

سأستقيل إذا اقتضى الأمر ..

وزارني السفير الأمريكي أيلتس يوم ١٥ يوليه (تموز) حيث تكلمنا في بعض الترتيبات المتصلة باجتماع وزراء خارجية مصر والولايات المتحدة واسرائيل والذي كان مقررا أن ينعقد في فندق تشرشل في لندن ثم قررت الحكومة البريطانية نقل مكان انعقاده إلى قلعة ليدز في مقاطعة كنت لاعتبارات تتعلق بالأمن ، وفي أثناء الحديث سألني أيلتس بطريقة عرضية عن رأيي في الموقف لو اضطرتنا الأحداث إلى تأجيل حل المشكلة الفلسطينية لمرحلة لاحقة واجراء حل جزئي بيننا وبين اسرائيل حول سيناء . فقلت إن هذا مستحيل لأنه سيهدم المبادرة التي تقوم على التسوية الشاملة للنزاع العربي الاسرائيليوسيؤدي ذلك إلى عواقب وخيمة في المنطقة فقال أيلتس وماذا لو ارتأى الرئيس السادات أن الأفضل التوصل إلى ذلك مرحليا ؟ فقلت : إن الأمر عندئذ سيكون واضحا بالنسبة لي

سأستقيل من الوزارة . فقال أيلتس منزعجا : أرجو ألا تفعل ذلك !

وقلت لأيلتس اني أريد بهذه المناسبة أن أتحدث معه في موضوع دقيق وهو أن الرئيس السادات يعمل بإخلاص من أجل تحقيق السلام الشامل وهو مستعد لاتخاذ قرارات شجاعة في هذا السبيل ولكنه ـ أي السادات ـ كما لا يخفي على أيلتس ، يشتط أحيانا ويرتكب بعض الأغلاط والتجاوزات والحماقات وهو يثق في السفير أيلتس ويبوح له بأفكاره بصوت عال ، واني أرجو منه عدم استغلال هذا الضعف الذي يعتري شخصية السادات في بعض الأحيان ، بأن ينقلها إلى حكومته فتقوم هذه برصد هذه الأخطاء والحماقات عليه وتكبله بها وتبني مواقفها على أساسها فهذا أسلوب غير عادل وغير شريف . وقلت اني سمحت لنفسي بمصارحته بهذا الأمر لأني أثق فيه من ناحية ومن ناحية أخرى لأنه رجل ذكي وأنا أعلم أنه يدرك تماما ما أقصد ولا داعي للتظاهر بيننا بغير ذلك .

ولم يبد على أيلتس أي أثر للدهشة مما قلت وقال ببساطة : ولكنه الرئيس وأنا سفير ومن واجبي أن أحيط حكومتي علما بكل شيء .. وأجبته بأني أحاول أن أحمي السادات من نفسه وفي استطاعته دائما (أي أيلتس) التحدث معي في أي أمر مما أشرت إليه وسأحاول أن أراجعه (أي الرئيس) فيه وأن المسألة ليست شخصية بل إنها لحماية مسيرة السلام نفسها واتاحة الفرصة أمامها لتحقيق غايتها وقال أيلتس انه يتفهم قصدي .

وكانت آثار رحلة النمسا لاتزال تنعكس على نفسيتي وحدث في مساء ذلك اليوم ما زاد من احباطي . كنت جالسا في بيتي مع أحمد ماهر ندرس بعض الأوراق التي أعددناها للاجتماع الثلاثي عندما طلبني السيد حسني مبارك في التليفون في الساعة الحادية عشرة مساء وأبلغني تعليمات من الرئيس السادات بشأن الاجتماع الثلاثي

في قلعة ليدز ، وقلت : ولكن لدي عدة موضوعات للمناقشة مع الرئيس قبل سفري ـ وكان قد تحدد يوم ١٧ يوليه (تموز) للسفر فقال أن الرئيس لديه بعض المشاغل وانه سيكون على اتصال تليفوني معي ـ في لندن ـ طوال المؤتمر وغضبت وقتها وقلت أني لا أستطيع العمل بهذه الطريقة . وكانت علاقتي بالسيد حسني مبارك تقوم على الاحترام المتبادل والصراحة فقد كان رجلا جادا أمينا لا يعرف الالتواء .

وبعدها بساعة اتصل بي السيد حسني مبارك من جديد وقال أن الرئيس وافق على أن يقابلنا في الساعة الحادية عشرة من صباح الغد في استراحة المعمورة وبعد أن انتهيت من عرض الأسلوب الذي سنتبعه في مؤتمر قلعة ليدز قال الرئيس أريد أن أسألك سؤالا فقد لاحظت عليك تغيرا في المدة الأخيرة : هل تناقش خططنا مع بعض رجال المعارضة وهل هناك من يؤثر عليك ؟ قلت غاضبا « كيف أناقش أسرارنا مع الغير ؟ إن أحدا لا يؤثر علي في شيء وأنا أعمل بوحى أفكاري بعد مناقشتها مع الخبراء والفنيين في الوزارة في نطاق سرية مطلقة » .

فقال « دعني أسألك عن شخص معين هو نبيل العربي ـ وكان السفير نبيل العربي سفيرنا الحالي في نيودلهي يعمل مديرا للادارة القانونية بوزارة الخارجية وتربطه صلة نسب بالسيد محمد حسنين هيكل رئيس مجلس إدارة « الأهرام » السابق والذي كان يتخذ موقفا معارضا لمبادرة السادات ـ قلت « إن نبيل العربي موظف كفء ، وملتزم ويقدر المسؤولية وأنا أثق في أنه لا يمكن أن يطلع أحدا على أسرار العمل » .

وغلبني الانفعال فأضفت « أنت تعلم أني لم أسع للعمل وزيرا للخارجية وأنا قبلت قرارك بتعييني في هذا المنصب بوازع من الصلة القديمة بيننا وكواجب وطني حتى أستطيع أن أعاونك في خدمة قضيتنا ، وأنا لا أخاف منك ولست حريصا على منصب أو جاه ولا

يسعني إلا أن أدلي برأيي بصراحة وأمانة ، والقرار في النهاية لك وإذا رأيت في أي لحظة أن أترك الوزارة فلا تتردد بحكم علاقتنا السابقة وسأترك الوزارة على الفور وبالشكل الذي تراه سواء بإقالتك لي أو باستقالتي بدعوى أن صحتي لم تعد تتحمل أعباء العمل » .

وتأثر الرئيس السادات وقال : وأنا أخذتك وزيرا للخارجية لهذه الأسباب ، ولأني أثق في إخلاصك ونزاهتك فلست أريد موظفا ينفذ ما أقول دون مناقشة وليس هناك ما كان يدعو لانفعالك لقد وجهت إليك سؤالا وقبلت إجابتك وانتهى الأمر .

وصافحني الرئيس متمنيا لي حسن التوفيق في اجتماع قلعة ليدز وغادرت المعمورة مع السيد حسني مبارك عائدين إلى القاهرة لأسافر في اليوم التالي إلى لندن .

الفصل السابع والعشرون

بين جدران قلعة ليدز

استقل الوفد المصري في الاجتماع الثلاثي طائرة الرئيس ظهر يوم ١٧ يوليه (تموز) كان الوفد يتكون مني ومن السفراء أسامة الباز ونبيل العربي وعبد الرؤوف الريدي وأحمد ماهر السيد والسكرتير الأول أحمد أبو الغيط من مكتبي وهو من الشبان الذين يبشرون بمستقبل باهر ، وكان الجو في الطائرة مرحا سعيدا فقد كانت المجموعة متآلفة متضامنة تعمل بروح الفريق وتشعر بمسؤولياتها الوطنية والعربية ، وفوق ذلك كنا نحمل معنا إلى مائدة المباحثات مشروعا قويا محصنا يصعب رفضه أو النيل منه على أساس موضوعي ومعقول .

وعند وصولنا إلى مطار هيثرو بالقرب من لندن كان في استقبالنا مندوب عن وزارة الخارجية البريطانية والسفير المصري سميح أنور . ونظرة عابرة على المطار كانت توضح مدى إجراءات الأمن التي اتخذتها السلطات البريطانية لاستقبال الوفود الثلاثة عند وصول كل منها فقد كان المكان يعج بالقوات والسيارات المصفحة والدبابات .

وانتقلنا إلى إحدى قاعات المطار حيث تجمع عدد من مراسلي الصحف ووكالات الأنباء وقد ألقيت عليهم كلمة قلت فيها « ان هذا الاجتماع كما هو معروف يعقد بمبادرة من الحكومة الأمريكية في متابعتها لجهودها لتحقيق سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط واننا حضرنا إلى هنا بقلوب وعقول مفتوحة لأننا مصممون على استكشاف جميع السبل لتحقيق الهدف الذي تتطلع إليه جميع شعوب المنطقة واننا نأمل أن تكون هذه الروح متبادلة من قبل الحكومة

الاسرائيلية ، وإذا كانت هذه هى السبل فلا شك أننا سنستطيع تحقيق التقدم المرجو .

إن السلام ممكن أن يتحقق وتقوم علاقات حسن جوار طبيعية

ويتحقق أمن جميع الأطراف طالما أن طرفا منها لا يحاول استعمال هذه الآمال المشروعة كستار يخفي أهدافا وطموحات لا تتفق مع قانون الشعوب ولا مع الروح التي حضرنا بها .. إن التوسع لا يبني الثقة وضم أراضي الغير لا يخلق أمنا حقيقيا أو دائما والتعدي على حقوق الغير وسيادته يؤدي حتما إلى الاحباط والعنف .. وهذه الحقائق الأولية التي يعترف بها العالم جميعا يجب أن تكون المبادىء الهادية لهذا الاجتماع وعدم الالتزام بها سيؤدي إلى إعاقة السلام وسيتحمل المسؤولون عن ذلك مسؤولية ثقيلة وخطيرة أمام شعبهم وأمام العالم أجمع » .

وركبنا الهليكوبتر إلى قلعة ليدز على بعد نحو ستين ميلا في قلب مقاطعة كنت .. وطرنا فوق مناظر ساحرة يبدو فيها الريف الانجليزي في أحلى صورة ، وعندما وصلنا إلى القلعة انتابني شعور بالأسف والحسرة لأني لا أزورها سائحا أو لقضاء وقت للراحة . كانت تبدو كدرة جميلة في بحر من الهدوء والسكينة يحيط بها عقد من المياه الفضية التي تعكس أسوار القلعة وأبراجها وعلى سطحها تسبح أسراب من البجع الأسود والأبيض تتهادى في عظمة وكبرياء وحول كل ذلك مساحات شاسعة من التلال والوديان تغطيها الخضرة الغنية وتتناثر فيها أشجار البلوط الباسقة والتي تعود أعمارها إلى مئات السنين .

وقد أنشئت القلعة في القرون الوسطى في عهد وليام الفاتح

وشهدت قرونا من التاريخ الانجليزي وقد عاش فيها الملك هنري الثامن حقبة من الزمن مع زوجته الثانية آن بولين قبل أن يطيح برأسها .

ودخلت القلعة ورحب بنا المشرف عليها وقادنا إلى الغرف التي

خصصت لنا وكانت تشكل جناحا مستقلا بذاته كما خصص جناح لكل من الوفد الأمريكي والوفد الاسرائيلي ، وعندما دخلت غرفتي شعرت بأني في عالم آخر كانت غرفة شاسعة ذات سقف مرتفع وفي مواجهة بابها شباك عريض مرتفع ذو ثلاثة أضلاع يطل على بانوراما خلابة ، وفي وسط الحجرة سرير عال ذو أربعة أعمدة وفوقه سقف من المخمل وعلى الجدران كانت هناك لوحات زيتية لبعض الشخصيات الانجليزية التي عاشت وماتت قبل ميلادي بمئات السنين وبعض مناظر الصيد وكنت لا أملك أن أدفع إحساسا ملحا بالتاريخ والماضي السحيق بكل ما فيه من روائع ومآس .

وقبل العشاء اجتمعت الوفود الثلاثة في قاعة الاحتفالات لتناول بعض المشروبات وكسر الجليد بينها ووقفت بعض الوقت مع سيروس فانس وانضم إلينا موشي ديان والذي لم التق به منذ اجتماعات اللجنة السياسية في القدس في شهر يناير (كانون الثاني) الماضي . ودار الحديث بعيدا عن العمل حول أمور شتى وكان هناك تمثال أسود من البرونز لقط مصري من العصر الفرعوني استأثر باهتمام ديان وحديثه والذي كان مولعا بالآثار .

وتحدثت بعد ذلك مع هيرمان أيلتس الذي قال لي ان وايزمان قد أبلغ صامويل لويس السفير الأمريكي في تل أبيب ما دار بينه وبين الرئيس السادات في سالزبورج . وذكر أيلتس أن رواية وايزمان للويس كانت مطابقة لرواية السادات لأيلتس حول المقابلة ، إلا أنه أضاف أن وايزمان طلب من الرئيس ضرورة الكف عن محاولة ايجاد الفرقة داخل صفوف حكومة اسرائيل . وذكر أن روح وايزمان المعنوية كانت عالية بعد عودته من سالزبورج ولكنها انخفضت إلى الحضيض بعد اجتماع مجلس الوزراء الاسرائيلي ، وذكر وايزمان أنه لو تلقى دعوة من الرئيس السادات لزيارته في مصر فانه يشك في أن يسمح له بتلبيتها وقد تعرض لهجوم شديد في مجلس الوزراء قاده

أريل شارون بينما كان بيجن يتفرج عليه . كما أخبرني أيلتس أن ديان قد اجتمع طويلا مع وايزمان قبل سفر ديان إلى قلعة ليدز وألمح أيلتس إلى أن هناك احتمالا أن تعتبر اسرائيل ما قاله الرئيس السادات لوايزمان في سالزبورج بمثابة اقتراحات مصرية جديدة وسارعت بنفي ذلك وقلت انه ليس لدينا ما نناقشه هنا غير المشروع المصري السابق تقديمه لاسرائيل عن طريق الولايات المتحدة ورجوته أن يبلغ فانس بأنه ليس لدينا أية مقترحات جديدة .

ودخلنا إلى قاعة العشاء وحول منضدة طويلة جلس أعضاء الوفود وقدمت لنا أطعمة فاخرة تكذب سمعة المطبخ الانجليزي المتواضعة وقد أشاعت جيى فانس زوجة وزير الخارجية الأمريكي والتي كانت تجلس قبالتي جوا من المرح بأحاديثها الظريفة .

المشروع الاسرائيلي .. والمشروع المصري ..

وفي الساعة الحادية عشرة مساء زارني فانس وكان معه أيلتس وحضر المقابلة أحمد ماهر وأبلغني فانس أنه اجتمع بديان قبل حضوره لزيارتي وأنه يود التفاهم معي على بعض النقاط قبل بدء الاجتماعات .

وقال إنه وجد على ضوء دراستهم للمشروع الاسرائيلي ـ مشروع الحكم الذاتي ـ والمشروع المصري الخاص بالضفة الغربية وغزة نقاط التقاء فكل منهما يتضمن فترة انتقالية لمدة خمس سنوات ونوعا من الحكم الذاتي خلال هذه الفترة ، كما يتضمنان ترتيبات أمن خلال الفترة الانتقالية وحتى بعدها وأن يكون هناك دور للأردن إذا شاء خلال فترة الانتقال وأن هدف المشروعين هو إقامة سلام حقيقي وعلاقات طبيعية .

وأضاف فانس أن الخلاف الحقيقي يتعلق بما بعد السنوات الخمس وبالانسحاب ومشاركة الفلسطينيين في تقرير مصيرهم وعبر

عن اعتقاده بأن صيغة أسوان قد تحل هذا الخلاف ، وقال ان الخلاصة في رأيه أن هناك أرضية مشتركة في المشروعين أكبر مما كان يتوقع قبل مقارنتهما ولذا فانه يرى من المفيد خلال الاجتماعات استكشاف الأرضية المشتركة وتحديد نقاط الخلافات ومناقشتها بصراحة .

وقلت : إننا نقدر دوره ولكن الأسلوب الذي يقترحه سيؤدي إلى لا شيء لأن المشروعين مختلفان تماما في الفلسفة والهدف النهائي . مشروع مصر يقوم على تطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بينما مشروع اسرائيل يعكس موقفها الذي يتجاهل القرار ٢٤٢ ويدعي عدم انطباقه على الضفة الغربية وغزة وبالتالي فان أي نقاط إلتقاء هى ظاهرية مادامت نقطة البدء ونقطة الانتهاء مختلفتين تماما .

وأضفت أنه إذا قيل أن هناك في تلك الظروف نقاط التقاء فسيخرج ديان ليقول ان مصر تقبل كذا وكذا بهدف الاساءة لوضعنا العربي ، مع أن أي توافق في الفرعيات لا قيمة له إلا في إطار الاتفاق على الأساسيات .

وقال فانس انه يقدر ذلك تماما وانه سيتعرض للأساسيات ، والولايات المتحدة ملتزمة بما اتفقت عليه معنا في كامب ديفيد من قبل ، ولكنها تحتاج ـ كي تلعب الدور المتفق عليه ـ إلى أن تكون قد حدثت مناقشة مباشرة وجادة للمشروعين تؤدي إلى تحديد نقاط الخلاف وتوسيع رقعة الاتفاق حتى يكون منطقيا بعد ذلك ، قيام الولايات المتحدة كطرف مهتم وصديق للطرفين بالتقدم بمقترحاتها فيكون ذلك مقبولا داخليا ودوليا واسرائيليا ، ويحصل موقف أمريكا على تأييد أكبر .

وقلت : إننا نريد التعاون والمساعدة على قيام الولايات المتحدة بالدور المتفق عليه وانه ليس لدي مانع من أن يتولى فانس إذا شاء

ايضاح ما يراه من نقاط لقاء أو خلاف ، ولكني سأحرص دائما على ايضاح أن النقاط غير المتفق عليها هى النقاط الأساسية ، التي هى وحدها كفيلة بأن توصلنا إما إلى تسوية أو إلى طريق مسدود وفق ما تتخذه اسرائيل من مواقف . وسأل فانس عن كيفية إنهاء الاجتماع وقال إنه يقترح أن يعلن بأن الاجتماع كان مفيدا وأنه اتفق على اجتماع تال في زمان ومكان محددين .

فقلت : إني لا أستطيع الموافقة مسبقا على اقتراحه بأن نقول ان الاجتماع كان مفيدا واننا اتفقنا على اجتماع تال ، فليس لدي تعليمات بالارتباط باجتماع لاحق ، وهذا يتوقف على الموقف الاسرائيلي فاذا كان إيجابيا يمكن النظر في ذلك .

فقال فانس : انه لا يريد ربطنا بشيء وأنه لا يصر على إعلان مشترك ويفكر في أن يصدر هو تصريحا يقول فيه : ان الاجتماع كان فرصة لمناقشات جادة وانه أمكن حصر نقاط الاختلاف والالتقاء ، وأنه سيتوجه إلى المنطقة في بداية أغسطس للاعداد للاجتماع الجديد وسوف يسبقه اثرتون .

فقلت : لا مانع لدي إلا فيما يتعلق بالاشارة لاجتماع جديد وأرجو أن يكتفي بذكر زيارة المنطقة كما أني سأعلق من ناحيتي على نقاط الالتقاء والخلاف حسبما شرحت له .

واستفسر فانس عما يمكن أن تطرحه مصر من ترتيبات الأمن . فقلت : النقاط الست التي عرضها الرئيس السادات فضلا عن أنه يمكن بحث ترتيبات أمن اضافية عند اشتراك الأطراف الأخرى لذلك يجب أن تلتزم اسرائيل من حيث المبدأ بالانسحاب ثم تجرى مباحثات موسعة يشترك فيها الأردن والفلسطينيون تطرح خلالها كل التصورات عن الأمن بما لا يمس الأرض والسيادة .

وكانت النقاط الست هى :ـ

١ ـ إقامة مناطق منزوعة السلاح .

٢ ـ إقامة محطات إنذار مبكر تدار بواسطة طرف ثالث على جانبي

الحدود .

٣ ـ إقامة مناطق تحدد فيها نوعيات الأسلحة .

٤ ـ وضع قوات الأمم المتحدة على طول الحدود وشرم الشيخ

٥ ـ إعتبار مضيق تيران ممرا دوليا مائيا .

٦ ـ إنشاء لجنة عسكرية مصرية ـ اسرائيلية .

فقال فانس : ان اهتمامهم بدخول الأردن في المباحثات قد خف وذكر أن الرئيس السادات قد أبلغ وايزمان في سالزبورج بأنه مستعد للدخول في الضفة الغربية وحده دون الأردن .

فقلت : إنه من المستحيل أن تقوم مصر وحدها دون الأردن بذلك وان حديث الرئيس مع وايزمان ربما كان يعالج حالة رفض الأردن المشاركة في المباحثات رغم توفر ظروف مقبولة وهو احتمال غيروارد لأن الأردن سينضم حتما إذا تعهدت اسرائيل بالانسحاب .

فقال فانس : انه من المحتمل جدا أن يثير ديان في الاجتماع ما جرى في مقابلة وايزمان والرئيس السادات .

فقلت : إنني حضرت هنا لمناقشة المشروع المصري الذي سلمناه لهم وسلموه بدورهم إلى اسرائيل وان تلميحات اسرائيل بوجود مشروع مصري آخر بزعم أن ذلك تم في لقاء السادات بوايزمان لا أساس لها وأن مقابلة وايزمان للسادات جرت في اطار آخر وأنا لا أعلم عنها شيئا وأرفض الكلام على أساسها .

وعاد فانس يلح في أنه يمكن إذا أثار ديان ما دار بين الرئيس السادات ووايزمان ، أن أؤكد ذلك مع اشتراط أن يقترن ذلك بالانسحاب الاسرائيلي . فقلت : إني أرفض ذلك تماما وأني لن أخرج بحال عن إطار الحديث في المشروع المصري وأني على استعداد للتوسع في ايضاح ترتيبات الأمن في الحدود التي يمكن أن تعالجها مصر وحدها مع ايضاح أنه عند دخول الأطراف الأخرى الأردن والفلسطينيين يمكن طرح أفكار أخرى .

وسأل فانس عما يمكن أن يضيفه انضمام الأردن للمباحثات بالنسبة للأمن . فأجبته بأن هناك نقاطا أساسية لا يمكن مناقشتها في غياب الأردن والفلسطينيين مثل الارتباط بين الأردن والدولة الفلسطينية ومثل التعديلات الطفيفة في الضفة الغربية .

وأضفت أني لن أقبل أن يحاول ديان الافلات من مواجهة الحقائق الأساسية بجرنا إلى متاهات التفصيلات والاجراءات ، وأن السؤال الأساسي الذي يجب أن يرد عليه هو الموافقة على مبدأ الانسحاب والرد على ما هو هدفهم الحقيقي ، لأن ذلك هو الذي سيحدد اطار المناقشة ويحدد ما إذا كانت هناك فرصة للتقدم أم لا .

وقلت : ان الأولوية الاولى هى العمل على جذب الأطراف العربية الأخرى إلى المفاوضات ولن يتحقق ذلك عن طريق الانسياق وراء المناورات الاسرائيلية بل عن طريق اتخاذ الولايات المتحدة مواقف تتفق مع مبادئها المعلنة وتتناسب مع حجم وطبيعة علاقتها باسرائيل ، وان اتاحة الفرصة لاسرائيل للافلات بعد أن تمت محاصرتها يعرض المنطقة لأخطار داخلية وخارجية كثيرة .

وفي نهاية اللقاء سألني فانس عن رأيي في أن يكون الاجتماع القادم بمشاركة وزراء الخارجية والدفاع من الجانبين ، فقلت دعنا من الحديث عن اجتماع لاحق قبل أن نعرف ما سيسفر عنه الاجتماع الحالي .

وقد أرسلت برقية إلى الرئيس السادات الذي كان يتأهب للسفر إلى الخرطوم للاشتراك في مؤتمر القمة لمنظمة الوحدة الأفريقية بما دار بيني وبين فانس وقد وصلني منه في اليوم التالي البرقية التالية :

١ ـ أوافق على الخط الذي التزمته ولا تتزحزح عنه ولكن يجب أن تظهر مرونة الموقف المصري أمام العالم في لندن وأن تكسب دائما فانس إلى صفنا .

٢ ـ عند مناقشة أي موضوع مع ديان يلزم التمسك بالمعلومات التي

عندك ، وإذا ذكر ديان أية موضوعات جديدة بحجة أن وايزمان ناقشها مع الرئيس في سالزبورج تعتذر بأنه ليس لديك صلاحيات للبت في هذا الموضوع وأنك لا تعلم عنه شيئا

٢ ـ لا تلتزم بموعد أي اجتماع قادم أو مكانه لأنه من الواضح أن ديان يحرص على اجتماع قادم في العريش إلا إذا كانت هناك عناصر جديدة في الموقف الاسرائيلي .

هل يصنع من « الفسيخ شربات » ؟!..

في الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي عقد الاجتماع الأول بين الوفود الثلاثة المصرية والأمريكية والاسرائيلية وبعد كلمة قصيرة من وزير الخارجية فانس عبر فيها عن آماله في احراز تقدم نحو التوصل إلى الحل السلمي . أعطى الكلمة لموشي ديان الذي شرح المشروع الاسرائيلي الخاص بالحكم الذاتي وقال انه مجرد اقتراح قابل للمناقشة والتعديل ، وانهم لا يريدون التدخل في حياة « الفلسطينيين العرب » بل يسعون إلى العيش معهم جنبا إلى جنب وقال : إن المشروع يتضمن إلغاء الحكم العسكري بهدف إنهاء وضع سيطرة اسرائيل على الفلسطينيين العرب حتى يمكن لهم أن يتولوا أمورهم بأنفسهم كما أن المشروع يتضمن إمكان إعادة النظر فيه بعد خمس سنوات .

وطلب ديان من « باراك » المدعي العام الاسرائيلي شرح مشروعهم تفصيلا . وقام باراك بشرح المشروع الاسرائيلي محاولا إضفاء مسحة تجعله يبدو مقبولا إلا أنه فشل في أن يصنع من الفسيخ شربات ــ كما نقول في مصر ــ ومهما حاور وداور فقد ظل هدف المشروع واضحا جليا وهو أن يتيح لاسرائيل فسحة زمنية في ظل استمرار احتلالها وسيطرتها على الضفة الغربية وغزة تعمل خلالها على خلق واقع جديد على الأرض وزرعها بالمستوطنات والمستوطنين

الاسرائيليين مما يغير من تكوينها السكاني . بالاختصار خلق أوضاع من شأنها أن تؤدي في النهاية إلى ضم هذه الأراضي إلى اسرائيل وهو بيت القصيد . وخلص باراك من شرحه إلى أن المشروع الاسرائيلي يؤجل حل المشكلة الاقليمية ولكنه يعالج حل مشكلة الفلسطينيين العرب والفلسطينيين اليهود للدواعي الانسانية .

وعندما انتهى من شرحه قلت : إننا لا نوافق على المشروع الاسرائيلي والذي سبق أن رفضناه منذ البداية عند تقديمه في الاسماعيلية . لأنه يتناقض مع قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ والذي يقضي بعدم جواز اكتساب الأرض عن طريق القوة وينص على الانسحاب من الأراضي المحتلة فضلا عن أنه يغفل حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة ويحولهم إلى مواطنين من الدرجة الثانية وهم يعيشون في عقر دارهم وعلى أرضهم في ظل الاحتلال العسكري الاسرائيلي ، ثم طلبت من أسامه الباز أن يتولى شرح المشروع المصري وقد فعل ذلك بطريقة رائعة قوية ومؤثرة أوضحت معقولية ومنطقية المشروع والتزامه بقرارات الأمم المتحدة الخاصة بالنزاع العربي الاسرائيلي من جميع جوانبه ، ولم يترك ثغرة يستطيع منها الجانب الاسرائيلي ، النيل من المشروع

وبعد انتهاء الباز من طرح مشروعنا ، شرع ديان يلف ويدور فقال : هل مصر مستعدة لتوقيع اتفاق سلام بالنسبة لسيناء والضفة الغربية وقطاع غزة ـ أو حتى غزة وحدها ـ إذا امتنع الأردن بسبب ما عن الدخول في المفاوضات ؟

ورد عليه أسامه بأن هذا سؤال افتراضي لا محل له ، إذ أن الاتفاق على مبدأ الانسحاب سيجذب الأردن حتما إلى المشاركة في المباحثات

فقال ديان ان النقاط الست الخاصة بترتيبات الأمن تشمل حرية المرور في مضيق تيران ، وهو يسأل بهذه المناسبة هل ترى مصر أن مشروع اسرائيل بشأن سيناء مقبول كأساس للتفاوض ؟

ورد أسامه بأن هذا موضوع خارج عن نطاق البحث المطروح وهو مستقبل الضفة الغربية وغزة .

وسأل ديان عن توقيتات المشروع المصري ؟

وأجابه أسامه أنها أولا الاتفاق على المشروع ، وثانيا مباحثات بين مصر والأردن واسرائيل للاتفاق على بداية فترة الانتقال وترتيب تسليم السلطة في الضفة الغربية للأردن وفي قطاع غزة لمصر ، وثالثا : انتخابات المجلس الفلسطيني الذي يختص بادارة الاقليم وباختيار الممثلين الفلسطينيين في المباحثات الرباعية بين مصر والأردن وممثلي الشعب الفلسطيني واسرائيل والخاصة بوضع تفصيلات المرحلة الانتقالية ووضع الجدول الزمني للانسحاب . وهنا قال ديان انهم يرفضون قرارات الأمم المتحدة الخاصة باللاجئين كما انهم يرفضون قيام دولة فلسطينية .

وقال فانس : إن هناك فرقا بين دولة فلسطينية مستقلة ودولة فلسطينية متحدة مع الأردن وتساءل عن سبب رفض ديان للحل الفيدرالي ، وأجاب ديان بأنهم لم يبحثوا هذا الاحتمال .

وانتهى على ذلك الاجتماع الأول بعد أن دام أربع ساعات والحق أن أسامه الباز سيطر تماما على هذا الاجتماع ولم يفلح الجانب الاسرائيلي مرة واحدة في إحراجه أو تعجيزه عن الرد على أى سؤال أو استفسار ردا شافيا واضحا مفحما وكان نجم الاجتماع بلا مراء مما ملأنا بالفخر وحاز إعجاب الجانب الأمريكي وأدى إلى شعور الاسرائيليين بالاحباط .

وقد وصف ديان أسامه الباز في الفصل الخاص باجتماعات ليدز بما يلي :-

« إن المتحدث المصري الرئيسي « الباز » وهو قانوني خريج جامعة هارفارد واسع الاطلاع ، حاد قاطع ، نحيف ضعيف البنية ، ذو وجه شاحب . وكان يحاول الابتعاد عن الجانب الاجتماعي لهذه المحادثات بقدر الامكان ، وكان يجلس صامتا عند الغداء يلتقط

طعامه ، ولكنه كان يعود إلى الحياة على مائدة المباحثات . وكانت قوته تكمن في حدة لسانه ودرايته الفائقة بأي موضوع مطروح للبحث وفي وضوح صياغاته وأجوبته القاطعة في المناقشات والتي كانت تتسم بالتهجم في بعض الأحيان . ولا أستطيع القول بما إذا كان ملتزما حقيقة باحراز اتفاق سلام أم لا » .

الشعب والأرض معا ..

وبعد الغداء عاودنا الاجتماع من جديد في الساعة الثالثة بعد الظهر واستكمل أسامه الباز شرح توقيتات المشروع ونقاط الأمن الست وعلق عليها ديان بأن وجود قوات للأمم المتحدة في المناطق المنزوعة السلاح ليس له قيمة وذكر أنهم لا يثقون في الأمم المتحدة ، وأكد أن ترتيبات الأمن يجب أن تتضمن وجودا عسكريا اسرائيليا في الضفة الغربية وغزة ، حتى بعد انتهاء الفترة الانتقالية كما أكد على وجوب نزع السلاح بالكامل من الضفة الغربية وغزة فيما عدا السلاح الاسرائيلي .

وهنا قال فانس : إنهم يرون استبعاد وجود قوات فلسطينية في المناطق محدودة التسلح والقوات ، مع امكانية وجود قوة بوليس فلسطينية واستفسر عن كيفية منع الارهاب خلال الفترة الانتقالية فرد عليه ديان بأنه إذا ما أمكن حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين عن طريق توطينهم (يقصد توطينهم في الدول العربية التي يعيشون فيها) فسينتهي الارهاب .

وسأل فانس ديان لماذا لا يوافقون على اتحاد فيدرالي بين دولة فلسطينية والأردن ؟

وأجاب ديان أنهم لا يعترضون على أن الضفة الغربية تشكل وطنا « للفلسطينيين العرب » .. ولكن يجب أن يكون لليهود حقوق متساوية فيها وقال ان اسرائيل تفرق بين الشعب والأرض ، وهي

تحاول حل مشكلة الشعب عن طريق حكم ذاتي إداري أما الأرض فلا تستطيع اسرائيل الموافقة على اعتبار الاسرائيليين أجانب عند إقامتهم في الضفة الغربية .

وقلت إننا نرفض تماما فكرة فصل الشعب عن الأرض وان اسرائيل تحاول معاملة الشعب الفلسطيني صاحب الأرض كمخلوقات أدنى مع أن لهم حقوقا متساوية مع كل الشعوب بما في ذلك حقهم في تقرير مصيرهم .

وسألني ديان هل يعني ذلك حق الفلسطينيين في إقامة دولة مستقلة ؟.

فقلت بالتأكيد ولا يستطيع أحد المجادلة في ذلك من حيث المبدأ .. ومع ذلك فرغبة في تلافي اعتبار الأمن الذي يثيرونه فقد عبرنا عن رأينا في أن تكون الدولة الفلسطينية مرتبطة بالأردن ونحن مستعدون لأن نبذل مساعينا في هذا الاتجاه .

ووجهت لديان سؤالا مباشرا : ماذا تريدون ؟ هل تقبلون تنفيذ القرار رقم ٢٤٢ على الضفة الغربية وقطاع غزة أم لا ؟

ورد ديان قائلا : إن القرار ٢٤٢ لا يتطلب الانسحاب من كل الأراضي وان قيام اسرائيل بالغاء الحكم العسكري هو التفسير الاسرائيلي لتطبيق القرار وان اسرائيل مستعدة لمناقشة أى أفكار لتحقيق حل وسط بالنسبة لأراضي الضفة الغربية على نمط مشروع الون .

فقلت : ذلك مرفوض تماما . وسألته : ما هو هدفكم .. الأمن أم التوسع أم كلاهما معا ؟

ورد ديان بأن العودة إلى حدود ١٩٦٧ غير مقبولة لهم لأنها لا تحقق لهم الأمن وأنهم لا يثقون في وجود قوات الأمم المتحدة ولا يمكنهم المخاطرة بالانسحاب الآن فقد يحدث تغيير ما في الأردن يؤدي إلى تهديد مناطقهم السكانية التي لا يتجاوز عرضها ١٨ كيلو مترا وأن اسرائيل تريد قسما من الأراضي في الضفة لأن ذلك يحقق أمنها ،

كما أنه من الضروري تواجد قوات اسرائيلية في الضفة في إطار أي ترتيبات للأمن وبدون ذلك لا تعتبر اسرائيل نفسها آمنة .

وقلت لديان « إنك تعيش في الماضي عندما كانت الحرب هي أساس العلاقات . إن مصر تعرض الآن فلسفة متكاملة لسلام حقيقي وهو ما لا يمكن حدوثه على أساس اغتصاب حقوق الغير .. ويجب على اسرائيل أن تتفهم هذا الموقف الجديد وأن تتفاعل مع مبادرة الرئيس السادات ولقد أثبتت تجربة الماضي أن التوسع لا يحقق السلام أو الأمن ولن يحققه في المستقبل » .

وهنا توتر جو الاجتماع فطلب فانس رفع الجلسة .

هل ترضخ اسرائيل ؟

وفي المساء حضر فانس بصحبة أيلتس إلى غرفتي وكان معي أحمد ماهر وقال فانس : إنه مازال يرى ضرورة عقد اجتماع تال لاجتماع ليدز يحضره وزراء خارجية ودفاع مصر واسرائيل ، وبرر ذلك بأنه يمكن لمثل هذا الاجتماع بحث ترتيبات الأمن بالتفصيل لأن هذه هي النقطة التي تستغلها اسرائيل لرفض الانسحاب وقال انه يرغب في إعلان الموافقة على هذا الاجتماع في الاجتماع الختامي الذي سيعقد غدا .

وقلت لفانس إن لدي تعليمات صريحة وواضحة من الرئيس السادات بعدم الارتباط باجتماع جديد ما لم يحدث تحول في الموقف الاسرائيلي . وأضفت : انه منذ ساعات قليلة أعلن موشي ديان أمامك وأمام الوفد الأمريكي جميعا انها لن تنسحب من الضفة والقطاع وأن اسرائيل لن تقبل بديلا عن الأرض لأمن اسرائيل .

فقال فانس : انهم يحتاجون لاجتماع آخر حتى يستطيعوا إعلان موقفهم . قلت انه يجب قبل ذلك أن تتفق مصر والولايات المتحدة على نقاط المقترحات الأمريكية ومتى تم ذلك فاذا وضح لنا

أنهم (الأمريكيون) في حاجة داخليا لاجتماع آخر قبل إعلان الموقف الذي نتفق عليه معهم فلا شك أن الرئيس السادات سيولي الأمر عنايته عندما يناقشه فيه وأنا شخصيا أرى أن اجتماعات ليدز كافية لاعلان مواقفهم

وقال فانس ان مشروعهم سيكون قريبا جدا من الموقف المصري . فقلت : وماذا سيكون موقفهم إذا رفضت اسرائيل المشروع الأمريكي عند تقديمه ؟

ونظر إلي فانس وقال : سأخبرك .. ولكن أرجو اعتبار ما سأقوله لك ذا سرية مطلقة وألا تطلع عليه أحدا سوى الرئيس ونائبه فقط ووعدته بذلك فقال انه بعد أن يتقدموا بمقترحاتهم سيتخطى الرئيس كارتر الكونجرس حتى لا يصطدم بمعارضة أنصار اسرائيل ويتوجه إلى الشعب الأمريكي رأسا ويلقي بيانا يعلن فيه الموقف الأمريكي وأسبابه ثم يعملون بعد ذلك على كسب تأييد الكونجرس وتأييد الجماعات اليهودية ويأملون أن يؤدي ذلك إلى رضوخ اسرائيل للمقترحات الأمريكية وإن لم تفعل فانهم يعتزمون اللجوء إلى مجلس الأمن واستصدار قرارات جديدة على أساس مقترحاتهم .

وهنا ذكر أيلتس أن مونديل نائب الرئيس الأمريكي يعارض هذا السيناريو ولكن الادارة الأمريكية مصممة عليه .

وقلت اني أثق في فانس كما يثق الرئيس السادات فيه وفي الرئيس كارتر واني أقدر هذا السيناريو ولكن المهم هو اتفاقهم معنا على مقترحاتهم قبل تقديمها .

لا مانع لدي ..

وفي صباح اليوم التالي حضر فانس من جديد لزيارتي قبل بدء اجتماع الوفود الثلاثة وأخبرني بأنه تحدث في الصباح المبكر طويلا مع ديان على ضوء اجتماعه معي أمس وأنه أبلغه بضرورة أن تتعرض

اسرائيل لموضوع السيادة ومستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة بعد الفترة الانتقالية ، لأن مصر لا يمكن أن تقبل وضعا يبدو فيه أن الاحتلال الاسرائيلي سيستمر مستقبلا . وقال : إن ديان رد عليه بأنه واع لكل ذلك ، وانه يعتقد الآن أن إجابات اسرائيل عن الأسئلة الأمريكية كان يجب أن تكون أكثر إيجابية .

وقال فانس انه أبلغ ديان أيضا ضرورة التفرقة بين ضم الأراضي واحتمال وجود قوات اسرائيلية خاضعة لسيادة دولة أخرى بناء على اتفاق مسبق ، وانه يمكن بحث تواجد بعض قوات اسرائيلية لدواعي الأمن في الضفه الغربية بعد انتهاء الفترة الانتقالية إذا ما تم الاتفاق على ذلك في المفاوضات الموسعة . وذكر أن ديان طلب منه إثارة هذه الموضوعات مع بيجن عند زيارته للمنطقة .

وعاد فانس يستطلع رأيي في أن يعلن للصحافة بعد انتهاء الجلسة الختامية أنه سيزور المنطقة لبحث الموقف وأمكانية عقد اجتماع آخر . وأجبته بأنه ليس لدي مانع من ذلك .

القدس عربية ..

وفي صباح اليوم التالي ١٩ يوليه (تموز) عقدت الوفود الثلاثة جلستها الختامية وسأل ديان في بدايتها عن التعديلات الطفيفة في الضفة الغربية ومداها وطبيعتها وأجبت بأن المبدأ هو الانسحاب ، وعندما تعلن اسرائيل التزامها بذلك فان موضوع التعديلات الطفيفة في الضفة الغربية يمكن بحثه في الاجتماعات الموسعة المكلفة ببحث ترتيبات الأمن وأن موقف مصر أن تكون التعديلات لمصلحة الطرفين ولأسباب إدارية أو إنسانية وفي أضيق نطاق ولكن القرار ليس قرارنا في النهاية ويجب أن يوافق عليه الأردن ومندوبو الشعب الفلسطيني .

وسأل ديان : وماذا عن القدس ؟ فأكدت أن الانسحاب يشمل القدس العربية ولكننا لا نريد إقامة حواجز أو عوائق .

فقال ديان هل تقبلون اتفاقا خاصا بشأن حرية الوصول إلى الأماكن المقدسة ؟ وأضاف : انه لا يعني أن يكون ذلك بديلا عما نقدمه ؟

فقلت من الطبيعي أن يشمل الاتفاق نصا على حرية التنقل والوصول إلى الأماكن المقدسة ولكن المبدأ هو عودة القدس الشرقية للعرب .

فقال ديان : إنهم قالوا ان كل شيء قابل للتفاوض بما في ذلك القدس وان قرار ضمها لاسرائيل لا يعني أنها ليست محل تفاوض . وأضاف أن رأيه الشخصي هو أن مشكلة القدس ليست صعبة مادام الجميع يتفقون على أنها تضم أماكن مقدسة للأديان كلها وعلى حرية التنقل وعدم تقسيم المدينة وأضاف أنه يمكن ايجاد صيغة لحل مشكلة القدس ترضي الجميع .

وتلا فانس مشروع بيانه الصحفي الذي سيذيعه بعد المؤتمر ووفق عليه .

وقال ديان انه سيعلن ــ إذا لم يسمع من الجانب المصري ما يخالف مواقف مصر المعلنة ــ وسيتحدث عن أن الاجتماع كان مفيدا في إيضاح مواقف الأطراف حيث تمت مناقشة كل التفاصيل .

وقلت : أن مصر مستعدة مائة في المائة للسلام ، ولكل ترتيبات الأمن ، وعلاقات حسن الجوار ، بشرط عدم المساس بالأرض العربية أو السيادة عليها . وطلبت من ديان أن ينقل ذلك لحكومته ويطالبها باتخاذ المواقف الايجابية حتى نحقق السلام وانتهت اجتماعات قلعة ليدز .

تقييم الاجتماعات ..

وقد يكون من المناسب الاشارة إلى تقييم لاجتماعات قلعة ليدز على النحو التالي :ــ

١ ـ استطعنا تفنيد المشروع الاسرائيلي الخاص بالحكم الذاتي تماما ومن الناحية الأخرى نجحنا في أن نجعل المشروع المصري محور الحديث والمناقشات ولم يستطع الجانب الاسرائيلي أن يجد فيه أي ثغرة ، وكان في موقف الدفاع طوال الوقت .

٢ ـ بعد محاولة ديان اللف والمراوغة ، اضطر في النهاية تحت الضغط المصري وأمام الجانب الأمريكي إلى الافصاح صراحة عن نياتهم الحقيقية بالنسبة لاستمرار الاحتلال والرغبة في التوسع ورفض الاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وأصبح الجانب الأمريكي شاهدا مباشرا على ذلك .

٣ ـ رفضنا الالتزام باجتماع تال رغم الضغوط الأمريكية في هذا الاتجاه انتظارا لما يصدر عن مجلس الوزراء الاسرائيلي بعد أن يقدم ديان تقريره إليه وبعد زيارة اثرتون وفانس للمنطقة .

٤ ـ كان الموقف الأمريكي هو الاستماع أغلب الوقت مع توجيه أسئلة قليلة لديان طابعها انتقادي للمواقف الاسرائيلية .

٥ ـ أسر لي فانس بما ينوي الرئيس الأمريكي كارتر القيام به في حالة تقدم الولايات المتحدة بمقترحاتها ورفض اسرائيل الاذعان لها ، من توجه الرئيس الأمريكي إلى الشعب الأمريكي مباشرة وعزمه على الالتجاء إلى مجلس الأمن إذا اقتضى الأمر بعد ذلك ، وهو موقف له دلالته في استعداد الولايات المتحدة التصدي لاسرائيل بقوة في حالة رفضها المقترحات الأمريكية . إلا أن المقلق في الموقف الأمريكي هو ما ذكره فانس لديان من ضرورة التفرقة بين ضم اسرائيل للأراضي وبين حصولها على حق الاحتفاظ بقوات اسرائيلية في أراض تحت سيادة غير اسرائيلية . إذ يشير ذلك إلى أن الولايات المتحدة تفكر في بقاء قوات اسرائيلية بصفة دائمة في الأراضي التي تنسحب منها اسرائيل في الضفة الغربية . وقد أبلغت فانس أن هذا الأمر لا يبت فيه إلا الشعب الفلسطيني صاحب الأمر .

٦ ـ لم يحاول ديان إثارة موضوع ماتم في لقاء الرئيس السادات بشيمون بيريز في فيينا أو ما دار بينه وبين وايزمان في فوشل ، وقد يرجع ذلك إلى رفضي القاطع الخوض فيه عندما أشار لي فانس إلى احتمال إثارة ديان ذلك في الاجتماع وإن كان ديان حاول عن طريق أسئلته الحصول منا على تأكيدات في هذا الشأن ولم نعطه الفرصة لذلك .

٧ ـ حاول ديان في مرحلة ما ، نقل الحديث إلى سيناء وقد رفضنا مجاراته وأكدنا أن الموضوع المطروح للبحث هو الانسحاب من الضفة والقطاع وترتيبات الأمن .

الفصل الثامن والعشرون

ولا حبة رمل بدون مقابل

بعد عودتي إلى مصر إثر انتهاء مؤتمر ليدز ، استمرت الولايات المتحدة في تسريب أنباء عن اجتماع ثلاثي تال لاجتماع ليدز بين وزراء خارجية مصر والولايات المتحدة واسرائيل .

وتعددت الأماكن التي تضمنتها هذه الأنباء لعقد الاجتماع ، فهى مرة تذكر العريش كمقر للاجتماع وأخرى تشير إلى أنه سيتم في محطة الانذار المبكر الأمريكية في أم خشيبة بسيناء التي أقيمت في المنطقة العازلة التي تفصل بين الخطوط المصرية والخطوط الاسرائيلية ، ومرة ثالثة أنه سيعقد على ظهر إحدى بوارج الأسطول الأمريكي السادس في عرض البحر الأبيض .

وقد كان هذا الأسلوب الأمريكي في الاعلان عن اجتماعات تالية دون سبق الاتفاق عليها معنا يثير دهشتي ، خاصة وقد أوضحت بجلاء للجانب الأمريكي أكثر من مرة عندما أثار هذا الموضوع قبل انعقاد مؤتمر ليدز ، ثم في أثناء المحادثات الجانبية التي جرت بيني وبين سيروس فانس خلال المؤتمر ، أننا لن نوافق على اجتماع جديد مع اسرائيل مالم تعلن عن تحول ايجابي في موقفها فكيف يتصورون أننا نوافق على ذلك بعد إعلان موشي ديان في اجتماعات ليدز اصرارهم على مواقفهم السابقة وتصريحه الحاسم أمام فانس والوفد الأمريكي بأنه لا بديل عن حل وسط إقليمي في الضفة الغربية .

ومن الناحية الأخرى توالت التصريحات الاسرائيلية في تنسيق مع التصريحات الأمريكية في هذا الشأن إلى حد أن أعلن مناحم بيجن رئيس الوزراء الاسرائيلي في يوم ٢٣ يوليه (تموز) أن موشي ديان

وعيزرا وايزمان سيجتمعان يوم ٣ أغسطس (آب) مع وزير الخارجية ووزير الدفاع المصريين في محطة الانذار المبكر الأمريكية في سيناء . وأوضح أنه سبق أن وافق سيروس فانس على هذا الاجتماع .

كيف ؟ فأين الطرف الثالث الذي قرروا الاجتماع معه وعلى أي أساس ؟ أين مصر ؟ يحددون تاريخ الاجتماع ومكانه والمشاركين فيه من جانبهم دون أخذ رأيها وموافقتها ، بل على الرغم من رفضها لمبدأ الاجتماع الجديد من أساسه لاعتبارات مشروعة وهى أنها تتمسك بتطبيق القرار رقم ٢٤٢ الذي يحكم تسوية النزاع العربي الاسرائيلي ، والقاضي بانسحاب اسرائيل من الأراضي العربية التي تحتلها عنوة مقابل قيام سلام حقيقي تحميه كل ضمانات الأمن للأطراف جميعا .

يصرون على الاجتماع معها ورنين صوت موشي ديان وزير خارجية اسرائيل في اجتماعات ليدز لايزال يتردد في الآفاق من أنه يصر على اقتسام الأراضي التي يحتلونها مع أصحابها العرب وأنه لا بديل عن ذلك . وهو فصل الختام

ولم أكن أرى أن هذا الأسلوب الذي يعتمد على إحراجنا ووضعنا أمام الأمر الواقع أو اظهارنا بمظهر التعنت لرفضنا اللقاء من جديد ، هو السبيل اللائق للتعامل بين الدول من الناحية العملية أو الأخلاقية .

ولم يكن هذا ما تعهدت به الولايات المتحدة في فبراير (شباط) الماضي في كامب ديفيد من أنها تأخذ على عاتقها تحويل الموقف الاسرائيلي المتصلب بالقدر الذي يسمح باستئناف المفاوضات بين الأطراف على أساس يؤمل معه أن يؤدي إلى السلام الشامل .

ولم يكن هذا السبيل لحماية مبدأ المفاوضات نفسه من الذبول أو التردي ثم الاستبعاد في النهاية كوسيلة لحل للمنازعات متى ثبت أن اجتماعات الأطراف لا تؤدي رغم تواليها إلا إلى ترديد كل طرف لمواقفه الثابتة ، وبينما يستند الطرف المصري إلى حسن النية

والشرعية الدولية وهى الأساس الذي يمكن إقامة السلام عليه على دعائم راسخة ، يستند الجانب الاسرائيلي إلى سوء النية وإلى شهوة التوسع واهدار حقوق الانسان الآثم وهو ما لا يمكن أن يؤدي إلى سلام دائم ، وإن أدى إلى اتفاق عن طريق الاذعان من قبل صاحب الحق أمام قوة وبطش المعتدي الغاصب ، فانه يكون اتفاقا هشا يحمل في أحشائه جراثيم فنائه وهذا هو درس التاريخ

في مفترق الطرق ..

وكان رأيي أن ما أسفر عنه مؤتمر ليدز قد أدى بنا إلى مفترق طرق ، فلقد انصب المشروع المصري الذي طرحناه في ذلك الاجتماع على الضفة الغربية وغزة ، باعتبار أن القضية الفلسطينية هى لب النزاع العربي الاسرائيلي وجوهره . وكان المشروع قائما ببساطة على الانسحاب الاسرائيلي من تلك الأراضي الفلسطينية مقابل ضمانات وترتيبات أمن للأطراف جميعا وهو تطبيق أمين للقرار ٢٤٢ أما وقد رفضت اسرائيل الانسحاب وأعلنت موقفها النهائي من أنه لا بديل عن اقتسام الأرض ، فكان هذا في رأيي نهاية المطاف بالنسبة لمرحلة من المبادرة يتعين فيها علينا ايقاف المباحثات مع اسرائيل وعدم استئنافها إلا في حضور وبمشاركة أصحاب الشأن وهم ممثلو الشعب الفلسطيني الذين يملكون وحدهم قبول أو رفض أية تنازلات إقليمية

وكان مشروعنا يتطلب لاعتبارات عملية مشاركة الأردن في المفاوضات ليس بوصفها صاحبة السيادة على الضفة الغربية وإنما بوصفها مشرفة على إدارة الضفة الغربية التي يتولاها ممثلو الشعب الفلسطيني أثناء الفترة الانتقالية شأنها شأن مصر في تولي الاشراف على الادارة الفلسطينية لقطاع غزة خلال تلك الفترة وذلك تمهيدا لممارسة الشعب الفلسطيني لحقه في تقرير المصير داخل الاطار العربي .

فاذا فشلت الجهود لمشاركة الأردن في المفاوضات تعين علينا الامتناع عن التفاوض مع اسرائيل بشأن القضية الفلسطينية أمام الموقف الاسرائيلي الذي يصر على اقتطاع أجـزاء من الأراضي الفلسطينية ، فنحن لا نملك التنازل عن أراضي الغير ولم يفوضنا أصحاب الشأن في ذلك . ويبقى أمام مصر الخيار بين أمرين ، الأول أن تواصل التفاوض مع اسرائيل للتوصل إلى حل جزئي أو منفرد بالنسبة لسيناء وحدها وهو ما كان يعلن الرئيس السادات عن رفضه باستمرار منذ البداية .

والثاني هو العودة إلى العرب والعمل على استعادة التضامن العربي وتنفيذ الاستراتيجية التي تم الاتفاق عليها في مؤتمر القمة العربي في الرباط ١٩٧٤ سواء بالنسبة للحل السلمي أو الحل العسكري إذا تعذر حل النزاع سلميا بسبب تمسك اسرائيل بالأراضي المحتلة .

وقد عرضت الأمر على الرئيس السادات بعد مقابلتي له إثر عودتي من مؤتمر ليدز ، وأوضحت له رأيي في أن يكون اجتماع ليدز هو آخر الاجتماعات بيننا وبين اسرائيل في هذه المرحلة رغم الالحاح الأمريكي علينا في عقد اجتماعات أخرى ، وذكرت له أن موافقته على اجتماع وزراء الخارجية الثلاثة في ليدز رغم سلبيـة الـردود الاسرائيلية على الأسئلة الأمريكية كان تنازلا شخصيا منه من أجل الرئيس كارتر ولمرة واحدة حسبما أكد لي .

وأن استدراجنا إلى الموافقة على اجتماع جديد دون تحول ظاهر معلن في الموقف الاسرائيلي مؤداه أن تعتقد الولايات المتحدة ومن ورائها اسرائيل أننا لا نتمسك بمواقفنا المعلنة ، مما يؤدي إلى تراخي الجانب الأمريكي في أخذ مطالبنا المعلنة على نحو جدي ويغريهم بمساومتنا عليها ، كما يشجع اسرائيل على التمادي في مواقفها المتشددة ، وفي نفس الوقت يذكي شكوك العرب في مواقفنا ونوايانا ويؤدي إلى زيادة تآكل موقفنا داخل المعسكر العربي .

وأن من شأن كل ذلك أن ينعكس على الموقف الأمريكي عندما تتقدم الولايات المتحدة بمقترحاتها من أجل التسوية ، فيبتعد عن الموقف المصري اعتقادا منه باستعدادنا لتقديم تنازلات في النهاية ويقترب من الموقف الاسرائيلي المتشدد حرصا على عدم رفضه لما تقدمه الولايات المتحدة من مقترحات .

وعلى الجانب الآخر يعقد عودتنا إلى العرب لاعادة تنظيم صفوفنا والقيام باستئناف مساعينا الجماعية لمواصلة العمل على تحقيق التسوية السلمية ، سواء عن طريق العودة إلى مؤتمر جنيف مرورا بمؤتمر فالدهايم التحضيري أو بدونه أو عن طريق الالتجاء لمجلس الأمن من جديد .

واقترحت على الرئيس أن نقوم بالخطوات التالية :

١ ـ إجراء مباحثات عاجلة مع الملك حسين للتعرف على استعداده للمشاركة في المفاوضات . مما ينشىء وضعا جديدا يهيىء لنا قبول التفاوض مع اسرائيل من جديد إذا اقتضى الحال .

٢ ـ إعطاء الاشارة إلى المملكة السعودية لتبدأ اتصالاتها بالأطراف العربية الأخرى للعمل على تسوية الخلافات بيننا والاعداد لمؤتمر قمة عربي موسع أو محدود وحسبما تقتضيه الظروف ، حسبما تم الاتفاق عليه بيني وبين المسؤلين السعوديين في مايو (ايار) .

٣ ـ مطالبة الولايات المتحدة بتنفيذ ما تعهدت به في كامب ديفيد في أوائل العام ، والعمل على أن يكون مشروعها عندما تتقدم به قريبا من الموقف المصري ومتفقا مع قرار مجلس الأمن ، وتفسيرها المعلن له من انطباقه على جميع الجهات وأن يكون موقفها انعكاسا لمواقفها المعلنة بالنسبة لباقي نقاط النزاع العربي الاسرائيلي مثل المستعمرات وعودة اللاجئين .

وقد اقتنع الرئيس السادات بوجهة النظر بشأن عدم قبولنا عقد اجتماع جديد مع اسرائيل ، كما وافق على سفري إلى الأردن

لاجراء مباحثات مع الملك حسين ، ولكني شعرت منه ببعض التردد ربما حرصا منه على عدم الاصطدام برغبة الولايات المتحدة الملحة في استمرار الاجتماعات ، وربما تحرجا من العودة إلى العرب بعد أن خاصمه فريق منهم وهاجمه ، أو اشفاقا من إعلان أن مبادرته قد أصابها الفشل ، وقد أكدت له أنه لا يمكن القول بفشل المبادرة بعد أن نجحت في تعرية المواقف الاسرائيلية الرافضة للسلام ، وأننا عندما نعود إلى العرب ويعودون إلينا فسنحمل معنا رصيدا ضخما مما أنجزته المبادرة في كسب الرأى العام الأمريكي والعالمي إلى صفوفنا .

غير أن تطورات مفاجئة لم تلبث أن قضت على ما كان يساور الرئيس السادات من تردد ، ودفعته إلى اتخاذ موقف حاسم بعدم قبول أي اجتماع جديد مع اسرائيل مهما كانت النتائج وحتى لو أغضب ذلك الولايات المتحدة .

فقد تفجرت أزمة عنيفة نتيجة الحديث الذي دار بين الرئيس السادات ووزير الدفاع الاسرائيلي عيزرا وايزمان في « فوشل » حول رد اسرائيل لمدينة العريش .

ففي أعقاب انتهاء مؤتمر ليدز بدأت وسائل الاعلام الاسرائيلية تلوك الموضوع بأن أعلنت أن الرئيس السادات قد طلب من وايزمان أن تعيد اسرائيل إلى مصر مدينة العريش وجبل سيناء كبادرة على حسن النية وإجراء مقابل لمبادرة السادات بزيارة القدس في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٧

ثم أعلن راديو اسرائيل أن مجلس الوزراء سيناقش في جلسته القادمة الاقتراح الذي تقدم به الرئيس السادات لمناحم بيجن عن طريق وايزمان ، وأن عددا من الوزراء قد بدأوا ينظرون للاقتراح المصري بصورة ايجابية .

ثم بدأت الشخصيات السياسية الاسرائيلية تصور ما ذكره السادات لوايزمان على أنه مشروع مصري جديد ، وصرح رئيس

المجموعة البرلمانية لائتلاف الليكود بأن اسرائيل يمكن أن ترد بالايجاب على طلب الرئيس السادات ولكن ذلك لا يمكن أن يتم إلا بعد استئناف المفاوضات الفعلية بين البلدين . وأعلن المتحدث باسم الحزب الليبرالي بأن الرئيس السادات يطلب في الواقع من اسرائيل عقد اتفاق دون أن يقدم لها ما يقابله ، وطالب الحزب الوطني الديني بأن يقدم الرئيس السادات مبادرة من جانبه بالمقابل ، كأن يعلن تخليه عن طلب إزالة المستوطنات الاسرائيلية في شمال سيناء .

وأعلنت الدوائر العسكرية بأنها لا تستطيع أن تدلي برأى قبل أن تطلع على شروط الاتفاق المحتمل في موضوع العريش ، ومعرفة وضع المطارات والمعسكرات الاسرائيلية القريبة من المدينة وكذلك وضع الطريق بين العريش ومصر .

ثم لم يلبث أن أعلن بيجن في مؤتمر صحفي يوم ٢٣ يوليه (تموز) أن مجلس الوزراء الاسرائيلي قد قرر بأغلبية ساحقة رفض الطلب الذي تقدم به الرئيس السادات لاعادة العريش وجبل سيناء إلى مصر ، لأنه « ليس من حق أى شخص أو أية دولة أن تحصل على شيء مقابل لا شيء » وأن مجلس الوزراء الاسرائيلي قد كلفه (أي بيجن) بأن يبعث برسالة إلى الرئيس السادات بأن مثل هذه « التنازلات » لا يمكن أن تتم إلا على أساس قاعدة المعاملة بالمثل .

وفي حديث أجرته محطة التليفزيون الأمريكية « سي . بي . إس » مع مناحم بيجن أعلن أن مشروعه للحكم الذاتي في « جوديا وسماريا » يعتبر تنازلا رئيسيا من قبل اسرائيل ، وأنه رفض طلب مصر الخاص بعودة العريش وجبل سيناء للادارة المصرية ، واتهم بيجن مصر بأنها رفضت مبدأ حل وسط إقليمي بشأن الضفة الغربية وغزة في مؤتمر ليدز . وقال : إن وزير الخارجية المصري قد أجاب ثلاث مرات « بلا » على سؤال موشي ديان عما إذا كانت مصر على استعداد لبحث هذه التنازلات الاقليمية .

وفي اليوم التالي ٧/٢٤ أعلن رئيس الوزراء الاسرائيلي أمام

الكنيست « بأن اسرائيل لن تتنازل عن أية حبة رمل في سيناء كهدية ، ولكنها على استعداد للتفاوض على أساس تبادل التنازلات » وأضاف بيجن « إذا كان الرئيس السادات على استعداد لتوقيع معاهدة سلام فاننا على استعداد لمواصلة السعى من أجل التوصل إلى تسوية بالصبر والمثابرة والصلابة المطلوبة .. وفي حالة عدم التوقيع على المعاهدة فاننا سنسعى لاقامة علاقة تعايش سلمي مع جيراننا ، مثل العلاقات التي سادت أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية بين دول غرب أوروبا ودول شرق أوروبا .. غير أنه لو وافق السادات على إجراء مفاوضات مباشرة معنا مرة أخرى فاننا سنتقدم له اقتراحا معينا في مقابل إعادة العريش وجبل سيناء إليه » . وفسر المراقبون الاسرائيليون هذا الاقتراح المعين بأن اسرائيل ستطلب إعترافا مصريا بالمستوطنات الاسرائيلية وتسهيلات عسكرية في سيناء ..

الحلم ينهار ..

وجن جنون السادات وهو يرى حلمه الكبير الذي غلفته مبادرته والذي تعلقت به آمال الملايين في إقامة سلام شامل دائم يعم منطقة الشرق الأوسط جميعها بكل ما يحمله ذلك من معان سامية يتداعى ، وما نتج عنه من نتائج مثمرة ينهار ويتقوض ، ليقيم على أنقاضه مناحم بيجن ، السمسار وتاجر العبيد الغريب القادم من بعيد ، حانوتا صغيرا لفك الرهونات والمقايضة واستبدال العقارات والبيع والشراء ، بضاعته رمال سيناء وجبالها وربوع فلسطين وتلالها ومرتفعات الجولان ووديانها ، كل ذلك يطرحه للبيع والمبادلة بالربا الفاحش والتقسيط غير المريح وبالقطعة ، بالمتر والقصبة ، بالرطل والأوقية ، بالنكلة والمليم ، والثمن غير محدد بل يخضع للفصال والمساومة ، والوقت فسيح وهنيئا للأشطر ، وتشمل المعاملات أيضا حقوق الانسان ومصائر الشعوب ومستقبل العائلات والأفراد .

يبيع بضاعة يحوزها بالغصب ولا يملكها إلى صاحبها الشرعي ، على نحو ما يقول المثل المصري « من دقنه وافتله » .

وبدأ رد فعل السادات عنيفا مدويا ، فقد تلقى الفريق الجمسي وزير الدفاع رسالة موجهة من مناحم بيجن إلى الرئيس السادات عن طريق البعثة العسكرية الاسرائيلية في جناكليس ، وهى الرسالة التي أعلن بيجن عقب اجتماع مجلس الوزراء الاسرائيلي أنه سيرسلها إلى الرئيس السادات ، وأعلن عن مضمونها أمام وكالات الأنباء ، من أنه لن يسمح بتنازلات من جانب واحد ، ولن تحصل مصر على العريش دون مقابل ، وأنه سينتظر رد الرئيس السادات عليها فاذا أجابه الرئيس بقبول مبدأ التفاوض على أساس قاعدة المعاملة بالمثل ، فانه سيرحب بمقابلته والاجتماع به لاستئناف التفاوض .

وقد رفض الفريق الجمسي تسلم الرسالة بناء على تعليمات الرئيس السادات باعتبارها تتناول موضوعات سياسية تخرج عن اختصاصه كرجل عسكري . وعاود بيجن إرسال الرسالة من جديد عن طريق السفارة الأمريكية ، فقام السفير هيرمان أيلتس بمقابلتي وقدم لي الرسالة ، وقد اعتذرت عن عدم قبولها بدوري على أساس أننا نرفضها من الناحية الشكلية لأن رئيس الوزراء الاسرائيلي قد أذاع مضمونها لوكالات الأنباء قبل أن يرسلها إلى الرئيس السادات وهو ما يخالف السلوك الدبلوماسي المتعارف عليه .

كما أننا نرفضها موضوعيا لرفضنا للتصور الذي قدمه بيجن من أن موضوع العريش وجبل سيناء يمثل مشروعا مصريا جديدا ، بالاضافة إلى رفضنا لما أعلنه بيجن من وجوب تقديمنا تنازلات إقليمية واستراتيجية مقابل استردادنا لأراضينا المحتلة أو لأجزاء منها .

واتصل بي الرئيس السادات وطلب إعداد رسالة منه إلى الرئيس كارتر توضح التطورات التي حدثت في مؤتمر ليدز وبعده ، وافتضاح النوايا الاسرائيلية في الاصرار على الحصول على تنازلات

إقليمية في الأراضي العربية المحتلة ، وأنه والحال كذلك لا فائدة ترجى من استئناف الاجتماعات مع الجانب الاسرائيلي على نحو ما كانت تسعى إليه الولايات المتحدة الأمريكية .

وكان من المقرر أن أسافر إلى الأردن في صباح يوم ٢٦ يوليه (تموز) لمقابلة الملك حسين ، إلا أن الرئيس السادات طلب عقد مجلس الأمن القومي في صباح ذلك اليوم مما اضطرني إلى تأجيل سفري إلى عمان إلى ما بعد انتهاء اجتماع المجلس .

وقد اجتمع المجلس في استراحة الرئيس السادات بالمعمورة في الاسكندرية ، وفي بداية الجلسة طلب مني الرئيس أن أعرض على المجلس ما دار في مباحثات مؤتمر ليدز ، وبعد أن انتهيت من ذلك قام الرئيس السادات بشرح موضوع العريش وجبل موسى وهاجم موقف بيجن بشدة وأعلن أنه لن يتنازل بحال عن بوصة من الأراضي العربية المحتلة ، وأنه لم يقم بمبادرته وزيارة القدس لينتهي الأمر إلى مثل ذلك ، وأنه بعد أن وضح موقف بيجن فانه يتعين وقف المباحثات مع اسرائيل لأنها لن تجدي نفعا ، بل قد تؤدي إلى تفاقم الموقف وزيادة تشدد الأطراف في مواقفها ، وأعلن أنه قرر لذلك طرد البعثة العسكرية الاسرائيلية في جناكليس حيث لم يعد لوجودها مبرر .

وهنا حاول الدكتور مصطفى خليل رئيس الاتحاد الاشتراكي ــ ورئيس الوزراء فيما بعد ــ أن يتكلم ليعبر عن اعتقاده بأن طرد البعثة الاسرائيلية مسألة حساسة وقد تؤدي إلى تعقيد الموقف ، إلا أن الرئيس السادات هز رأسه بالرفض ووجه الكلام إلى الفريق الجمسي وطالبه باتخاذ الاجراءات ليتم ترحيل البعثة الاسرائيلية من مصر خلال ثمان وأربعين ساعة .

وشعرت بيد الدكتور مصطفى خليل والذي كنت أجلس على يساره وهي تربت على كتفي فالتفت إليه فقال « أرجوك يا محمد أن تحدث الرئيس وتقنعه بالعدول عن هذا القرار أو على الأقل تأجيله في الوقت الحالي » .

وسألته لأى سبب يرى ذلك ؟ فأجاب « لأن البعثة العسكرية تتبع وايزمان بوصفه وزير الدفاع ، وسيكون طردها بمثابة صفعة له وهو الوحيد الذي تربطنا به علاقات صداقة وتفاهم في الحكومة الاسرائيلية ، وأن هذا مؤداه قطع وسيلة اتصالنا بالجانب الاسرائيلي . » فقلت « أتريد مني أنا أن أطلب من الرئيس العدول عن قراره بطرد البعثة الاسرائيلية ، وأنا الذي كنت أسعى لابعادها منذ توليت وزارة الخارجية ؟!! وذلك من أجل خاطر وايزمان ؟ فليذهب وايزمان والبعثة العسكرية إلى الجحيم ، إن هذه البعثة ليست إلا مركز تجسس رسمي علينا . وإذا كانت هناك حاجة لاتصال جديد مع اسرائيل فيمكن أن يتم ذلك عن طريق السفارتين الأمريكيتين في القاهرة وتل أبيب . »

وطلب مني الرئيس السادات أن أقرأ مشروع الخطاب الذي أعددناه للرئيس الأمريكي كارتر وقد رأيت أن أكتب ترجمته العربية هنا بنصها حتى يستخلص القارىء لنفسه موقف الرئيس السادات في هذه المرحلة ، والتي كانت تشكل بلا شك مفترق طرق بعد انتهاء مباحثات مؤتمر ليدز ، وقبل أن تسفر التطورات عن الاتفاق على عقد مؤتمر القمة الثلاثي الذي عقد بين الرئيس كارتر والرئيس السادات ورئيس الوزراء مناحم بيجن في كامب ديفيد في بداية شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٧٨ .

صديقي العزيز الرئيس كارتر ،

على ضوء التطورات الأخيرة في الشرق الأوسط ، أرجو أن أتبادل الآراء معك ، حسبما جرى عليه العمل بيننا ، حتى يتسنى تقييم الموقف ودراسة اية خطوات ممكنة يلزم اتخاذها حتى نقترب من هدفنا المشترك : تسوية عادلة ودائمة وسلام شامل في المنطقة .

وأعتقد أننا قد وصلنا إلى مفترق طرق هام ومصيري ، وأنه من المفيد في هذا المنحنى التأمل مليا فيما حدث بعد زيارتي للقدس

لقد كان الهدف ولا يزال من مبادرتى للسلام كما أعلنت في

خطابي أمام الكنيست في ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٧ هو تحقيق السلام . قلت في هذا الخطاب « لقد حضرت إليكم لبناء حياة جديدة وإقامة السلام .. وان هناك لحظات تأتي في تاريخ الأمم والشعوب ، تحتم على اولئك الذين يتمتعون بالحكمة والنظر الثاقب التغلب على الماضي بكل تعقيداته ورواسبه ، والتقدم إلى الأمام نحو آفاق جديدة . ويجب علينا جميعا التعالي فوق كل صورة من صور التعصب وخداع النفس وفوق نظريات التفوق »

وأضفت « إن العالم العربي لا يسعى إلى السلام العادل الدائم من موقف ضعف أو عدم استقرار . بل إنه يحوز جميع امكانيات القوة والاستقرار . ومن ثم فان موقفه ينبع من إرادة خالصة لتحقيق السلام ، ومن إدراك متحضر أنه حتى يمكن تفادي كارثة محققة تصيب الجميع ، فلا بديل لدينا عن إقامة سلام عادل ودائم ، سلام لا تزلزله العواصف ولا تؤثر عليه الشكوك أو تهزه النوايا السيئة . »

وفي هذا الخطاب نفسه ، أعلنت أن السلام ممكن بشرط أن تعود الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ إلى أصحابها ، وأن يعترف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . وكان هذا هو موقفنا الثابت الذي كررته مرارا ، نعم للسلام ، وللأمن ، وللعلاقات الطبيعية ، علاقات حسن الجوار ، ولكن الأرض والسيادة فاننا لا نستطيع التنازل عنها ولن نفعل . وكانت كل تصرفاتي نابعة من إيماني العميق وشعبي بالسلام .

ولسوء الحظ فان هذه الروح لم تقابل بمثلها . فمنذ اللحظة الاولى وضح أن رئيس الوزراء بيجن لم يستطع التغلب على أحلامه الخطرة ، وأنه لم يكن مستعدا لمواجهة الحقائق والاندماج باخلاص في مسيرة السلام .

وفي خلال جميع الاجتماعات التي تلت زيارتي للقدس ، في اجتماع القاهرة التمهيدي وفي الاسماعيلية ، وفي اجتماعات

اللجنتين السياسية والعسكرية ، كان موقف حكومة بيجن هو التشبث بالأفكار البالية .

ومع ذلك ولأن مطلب السلام هو هدف عزيز ، فقد سيطرنا في كل مرة على شكوكنا المتزايدة نحو حقيقة نوايا الحكومة الاسرائيلية ، على أمل أن يتفهموا في النهاية أن السلام يستأهل التخلي عن مطامع الكم والتوسع .

وهذا يا سيادة الرئيس هو الالتزام الوحيد الذي نطلبه منهم ، وهو ما يرفضون الالتزام به . ومع ذلك فعندما اعتقدتم أن جولة أخرى من المباحثات المباشرة ضرورية حتى تتيح للولايات المتحدة تحديد موقفها ، وتستعد للدور الايجابي الذي اتفقنا عليه في كامب ديفيد ، فقد وافقت على اجتماع لوزراء الخارجية الثلاثة في لندن بالرغم من شكوكي وتحفظاتي . فلقد تراءى لي أن ذلك فرصة طيبة كي نشرح للاسرائيليين مباشرة مشروعنا الذي يعالج لب وجوهر النزاع : وهو المشكلة الفلسطينية .

إن هذا المشروع كما تعلم ، مبني على الترجمة الصحيحة للقرار ٢٤٢ ، ولالتزامات جميع الأطراف كما نص عليها ذلك القرار . إنه يحول إلى حقائق المعادلة :

(الانسحاب + الأمن = السلام وعلاقات حسن الجوار الطيبة)

وقد كان ذلك من الوضوح بمكان حتى أن وزير الخارجية الاسرائيلي لم يستطع ، ـ في حضور الوزير فانس ـ أن يعلن أنه يرفض مشروعنا .

ولكن من الناحية الأخرى ، أعلن بوضوح ـ أيضا في حضور الوزير فانس ـ أن اسرائيل لا تريد التخلي عن الأراضي التي تحتلها ، وأنها تريد أن يستمر احتلالها العسكري ، وأن تضم إليها أراضي عربية ، وأنها تنكر على الشعب الفلسطيني حقوقه المشروعة ، وترفض الخضوع لقرارات الأمم المتحدة الخاصة باللاجئين

الفلسطينيين .

عزيزي السيد الرئيس

إذا كان الغرض من اجتماعات قلعة ليدز ، هو ايضاح مواقف الأطراف حتى يمكن للولايات المتحدة أن تمارس مسؤولياتها التي وافقت على تحملها كشريك كامل ، فاني أعتقد أن هذا قد تحقق . ولن يكون من المفيد في تقديري المشاركة في اجتماع جديد في الوقت الذي يستمر فيه الموقف الاسرائيلي على جموده . فلن يكون أمام الأطراف إلا ترديد مواقفهم ، بل وربما إحاطة هذه المواقف بتشدد أكثر ، ونواجه في النهاية بموقف أكثر تعقيدا . ولهذا السبب أشعر ، بأنه ما لم توضح اسرائيل نية مخلصة لتبني مواقف وسياسات تساعد مسيرة السلام . فان اجتماعا جديدا لا يمكن تبريره . ويؤكد ذلك أكثر أن التصريحات والمواقف الاسرائيلية بعد محادثات ليدز قد أوضحت إصرار المسؤولين الاسرائيليين على استمرار المضي في هذا الطريق الخطر .

إنهم يحاولون خلط المواضيع ، وجذبنا نحو مسائل فرعية ، وإني أشعر أحيانا بأن المستر بيجن يحاول معالجة مسيرة السلام كمبادلة تجارية وأن يحلها على أساس المقايضة . وهذا تشويه لروح مبادرتي ، وسيقودنا إلى لا شيء ، إننا لا نطالبهم بتنازلات ، فالأرض أرضنا ولا نملك التنازل عنها .

إن السلام لا يمكن أن ينبني على « أساس المقايضة » ولا يمكن أن يقوم ويستمر إلا إذا كان قائما على العدل وإلا إذا استطاع خلق ظروف من شأنها إتاحة قيام علاقات حسن جوار طيبة . وبغير ذلك فان أي اتفاق سيحمل في طياته بذور الخلاف والنزاع . وللأسف فان التصريحات الاسرائيلية تبين أنهم لم يتوصلوا بعد لهذه النتيجة المنطقية وانهم يتبنون مواقف مماثلة لتلك التي اقتضت سحب الوفد المصري في اللجنة السياسية في القدس ، حتى نحرم بيجن من فرصة هدم مسيرة السلام نهائيا .

السيد الرئيس

سيحضر الوزير فانس قريبا إلى المنطقة ، وسأناقش معه كل المواضيع . ولكني أردت أن تتعرف مقدما على تفكيري الحالي بكل الصراحة والاخلاص . أعتقد أن مسيرة السلام يمكن انقاذها شريطة العمل على أن تفهم الحكومة الاسرائيلية أنها لن يسمح لها بالاستمرار في استغلال مسيرة السلام كستار لمطامعها وأهدافها غير المشروعة ، وإلا فسنتواجه بموقف محفوف بالمخاطر الكبيرة .

إن ما نهدف إليه ونعمل من أجله أنت وأنا يا سيادة الرئيس هو السلام ، إننا نعمل من أجل المستقبل . وإذا اختار المستر بيجن أن ينظر معنا في نفس الاتجاه ، فسنكون قريبين جدا من هدفنا . وعلى العكس فانه إذا اختار أن يظل أسيرا لمطامعه القديمة ونظرياته البالية الخاطئة ، فانه سيتحمل أمام العالم بأسره وأمام شعبه المسؤولية المروعة في ضياع فرصة نادرة . »

المخلص

محمد أنور السادات

ووافق الرئيس السادات على إرسال الخطاب إلى الرئيس كارتر كما هو بدون تعديل ، وقال سيد مرعي « إن لغتك الانجليزية ممتازة » فقلت « إن الذي صاغ الخطاب بالانجليزية هو أحمد ماهر السيد وليس أنا » فنظر إلي سيد مرعي وقال « لم أر طوال حياتي شخصا يعمل بالسياسة مثلك يرفض أن ينسب إلى نفسه فضلا » فقلت « إنني لا أعمل بالسياسة وإنما أحاول أن أؤدي واجبي نحو وطني » .

وهرعت مع أحمد ماهر إلى مطار الاسكندرية لنستقل الطائرة إلى مطار النزهة حيث استبدلنا بها طائرة الهيليكوبتر الخاصة بالرئيس السادات وطارت بنا في الساعة الثالثة والنصف متجهة إلى عمان .

الفصل التاسع والعشرون

مقابلة مع الملك حسين

كانت الشمس قد أوشكت على الغروب عندما هبطت طائرتنا في مطار عمان ، وقد استغرقت الرحلة نحو ثلاث ساعات بسبب اضطرارنا إلى اتخاذ طريق غير مباشر لتفادي الطيران فوق سيناء المحتلة وفوق اسرائيل .

وكان في استقبالنا وزير الاعلام الأردني بوصفه وزيرا للخارجية بالنيابة ، وقد اصطحبنا إلى أحد صالونات المطار حيث تجمع عدد من مراسلي الصحف والاذاعة والتليفزيون ، وأجبت على ما وجهوه من أسئلة . وفي هذه الأثناء اتصل الملك حسين بالمطار يستعلم عن وصولنا فلما علم بذلك طلب إبلاغي بأنه سيكون في انتظارنا بالقصر الملكي حالما ننال قسطا من الراحة من عناء السفر .

وذكر لي وزير الخارجية بالنيابة أن الملك كان قلقا من تأخر وصولنا املا أن نصل قبل أن يحل الظلام بسبب الظروف المضطربة في المنطقة ، وأنه كان يوالي الاتصال بالمطار على فترات متقاربة ليستعلم عن أخبار وصولنا . ولذلك رأيت من اللائق أن نتجه من المطار مباشرة إلى القصر الملكي حتى لا نطيل انتظاره .

وكنت وما زلت أكن للملك حسين إعجابا وتقديرا خاصين ، ولا شك أنه شخصية متميزة بين الملوك والرؤساء العرب ، وقد تولى السلطة في ظروف صعبة بعد اغتيال جده الملك عبد الله أثناء خروجه من المسجد الأقصى بعد أن أدى الصلاة فيه في ١٩٥١ ، وقد حدث ذلك على مرأى الملك حسين الذي كان لايزال طفلا .

وهو يتميز بالشجاعة والذكاء والكياسة والبلاغة ويتمتع بشخصية جذابة ، وقد مرت به منذ توليه الملك سلسلة متتالية من المحن والتجارب الخاصة والعامة صمد لها فشحذت إرادته وأكسبته صلابة ورزانة حكمة وجعلت منه سياسيا محنكا .

واستقبلنا الملك بترحيب وبشاشة ، ودخلت معه غرفة مكتبه ودعاني إلى الجلوس ، ولم أكد أجلس حتى وجدت نفسي أخرج علبة السجائر واضع سيجارة في فمي وأهم باشعالها ، ثم تداركت الأمر وانتزعت السيجارة وقلت للملك « إني آسف فأنا لا أستطيع الكلام دون تدخين فهل يسمح لي بذلك » فقال مبتسما « تفضل » وقلت إني آسف أيضا لأن أقابله بهذا الشكل دون أن أغسل وجهي من عناء السفر ودون أن أغير ملابسي رغم اني أحضرت معي بذلة جديدة خصيصاً لمقابلته ، ولكني لم أشأ أن أطيل انتظاره ، وضحك الملك وقال « اعتبر نفسك في منزلك » . وسأل عن صحة الرئيس السادات فنقلت إليه تحياته وذكرت انه يجدد له دعوته لزيارة القاهرة فقال انه سبق أن تلقى دعوة من الرئيس السادات عن طريق النائب حسني مبارك وأنه يأمل أن يلبيها في أقرب فرصة . كما أشار إلى أنهم يتابعون تصريحاتي وتحركاتي منذ توليت وزارة الخارجية ، وأنه تكونت لديهم فكرة طيبة عني عززها ما ذكره بشأني سفيرهم في بون ابراهيم عز الدين الذي كان زميلا لي أثناء كنت سفيرا في المانيا الاتحادية ، واستمر الحديث في أمور عامة نحو ثلث ساعة ثم دعاني الملك إلى الخروج إلى شرفة القصر حيث كان في انتظارنا السيد عبد الحميد شرف رئيس الديوان الملكي ـ ورئيس الوزراء فيما بعد ـ ووزير الخارجية بالنيابة وسفيرنا في عمان عزت عبد اللطيف وأحمد ماهر السيد وبدأت المباحثات .

وشرحت بالتفصيل المشروع المصري الخاص بالضفة الغربية وقطاع غزة ، ثم ما دار في مباحثات مؤتمر ليدز وطلبت منه أن يشارك بأكبر ما يمكن أن يساهم به في المرحلة القادمة خاصة في التأثير على

الولايات المتحدة لتتخذ موقفا فيه مزيد من الالتزام بمبادىء المشروع المصري

وقال الملك : إنهم درسوا مشروعنا وأعلنوا عن تأييدهم له ثم عرض موقفهم بالتفصيل والخصه على النحو التالي :

١ ــ إنهم حريصون على السلام على أساس انسحاب اسرائيل من الأراضي المحتلة ، واستعادة القدس العربية ، واقرار حقوق الشعب الفلسطيني . وإنهم إذا شعروا بامكانية ذلك فلن يتخلف الأردن عن تحمل المسؤولية والقيام بدوره .

٢ ــ انه يصعب اشتراك الأردن في إدارة الضفة الغربية مع بقاء قوات اسرائيلية فيها ، إذ ستكون هذه القوات في هذه الحالة هي القوة الحقيقية في الاقليم .

٣ ــ إن هناك عقبات كثيرة في طريق تحقيق السلام منها التعنت الاسرائيلي ، ولكن الأخطر منه هو ضعف الموقف العربي وتشتته .

٤ ــ ذكر الملك أنه أكد للمبعوث الأمريكي الفريد اثرتون عندما زاره الأخير مؤخرا ، أنه ليس لدى العرب حد أدنى وحد أقصى للمناورة لأن المطالب العربية تتعلق بالأرض والسيادة وهي أمور لا تحتمل ولا تقبل المساومة . وقال إن اثرتون أبلغه بأن الولايات المتحدة تفكر في التقدم بأفكارها .

٥ ــ نوه الملك بأهمية ما تقوم به مصر من جهود من أجل تحقيق السلام وقال إنه رغم عدم استشارته ومفاجأته بالمبادرة بينما كان يسعى ويستعد إلى الاتجاه لمؤتمر جنيف ، فقد سارع بالاعلان عن تأييدها وقام بجولة في الخليج لحث دول المنطقة على اتخاذ موقف إيجابي منها ، مما أثر على علاقاته بسوريا .

٦ ــ قال الملك حسين إن هدفه الثابت هو بناء موقف عربي أكثر تضامنا للحيلولة دون تعرض المنطقة لانتفاضات سلبية نتيجة الانقسام مما يعرقل جهود السلام .

٧ ـ وذكر أنه خلال زيارته لسوريا في الأسبوع السابق لمس تغيرا في موقفها واستعدادا للاتجاه إلى مؤتمر جنيف . وقد كان الرئيس الأسد ملتزما حدوده دائما في حديثه عن الرئيس السادات ، وأبدى الأسد عدم تفهمه لقيام مصر بالهجوم على مناحم بيجن وحده ، مع أن مواقف حزب العمل الاسرائيلي لا تقل ـ كما أثبتت تجارب الماضي ـ تعنتا عن موقف بيجن وإن كانت أكثر التواء وذكاء .

٨ ـ **وتكلم الملك عن السعودية فقال** : إنه يصعب فهم موقفها ، فكل طرف يخرج من الحديث معهم بانطباع أنهم يتفقون معه ، وأشار إلى ما حدث خلال زيارة النائب حسني مبارك له عندما نقل إليه استعداد السعودية لتشجيع الأردن على القيام بدور تجاه الضفة الغربية ، ولكنه عندما قام هو (الملك) بزيارة السعودية أنكروا ما نقله النائب وذكروا أن موقفهم ثابت لا يتغير . وقد تألم الملك عندما بلغه فيما بعد أن الرئيس السادات يتهمه بأنه غير موقفه بشأن التدخل في الضفة الغربية . والحقيقة أن موقف السعودية الذي يعبر عنه السعوديون دائما ويضغطون على الملك حسين أحيانا بسببه ، هو تأييد قيام دولة فلسطينية مستقلة عن الأردن مما يحقق الأمن السعودي ويمنع التيارات غير المرغوب فيها من التسرب إلى حدودهم .

٩ ـ وأكد الملك أنه ملتزم بمقررات مؤتمر القمة في الرباط بشأن حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ، وذكر أن الأمير فهد ولي عهد السعودية يسعى لايجاد اتصال وحوار بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية ، كما أن الرئيس الأسد تطرق معه في الحديث إلى نفس الموضوع ، كما أشار الملك إلى أنه قد جرت اتصالات مباشرة بينه وبين الفلسطينيين لنفس الغرض إلا أن شيئا لم يتحقق بعد .

١٠ ـ أيد الملك خطورة الوضع في لبنان وضرورة مراقبته بحذر شديد لما قد يؤدي إليه من توريط سوريا والأردن .

١١ ـ ركز الملك في حديثه طويلا على القدس والتوسعات والتغييرات التي يقوم بها الاسرائيليون فيها ، وقال إن أهمية القدس الاسلامية تستدعي تعبئة الدعم والتأييد الاسلامي وأنه يعمل على ذلك وكانت زيارته الأخيرة لايران في نفس هذا الاتجاه .

١٢ ـ وبالنسبة للوضع الدولي وخطر التطويق الشيوعي يرى الملك خطورة ذلك ، وأن الأمر يقتضي بناء موقف عربي أكثر تماسكا وتضامنا لمواجهة هذا المد . وهو الضمان الوحيد في ذات الوقت الذي يمكننا من التصدي لاسرائيل وأطماعها التوسعية على حساب الأراضي العربية .

وانتهى الملك من حديثه فشكرته وقلت إننا نقدر ظروف الأردن الصعبة ولكننا ندرك دوره الحيوي في أية تسوية للنزاع العربي الاسرائيلي ، وإننا نرجو منهم ونطالبهم بالتفكير في الأسلوب المناسب لتحركهم ، وإننا نعول عليهم ونتوقع مشاركتهم معنا في المرحلة الخطيرة القادمة ، كما أننا نتفق معهم تماما في وجوب العمل على استعادة التضامن بين الدول العربية دعما لاستراتيجيتنا ، وفيما يتعلق بما ذكره عن خطر التطويق الشيوعي قلت : إن هذا يعتبر مدخلا آخر للضغط على الولايات المتحدة للتحرك بشكل فعال ولتمارس بدورها الضغوط على اسرائيل في اتجاه التسوية السلمية الشاملة .

وكان الوقت قد قارب منتصف الليل فاستأذنت الملك حسين في الانصراف ، ونهض الملك قائلا : تعال معي أريك شيئا قبل انصرافك . وتبعته إلى حافة شرفة القصر وأشار بيده في اتجاه بقعة يعلوها وهج من النور وسط الظلام الدامس وقال « هذه هي القدس » . وساد السكون وشعرت برعشة تسري في أوصالي وتفاعلت في صدري مشاعر متباينة من الحزن والأسى والحنين والأمل والعزم

والاصرار .

وانصرفنا عائدين بعد أن ودعني الملك طالبا مني أن أنقل للرئيس السادات تحياته وتمنياته وشكره على إيفاد وزير خارجيته للتشاور وضرورة مداومة الاتصال والتنسيق لأن هذا هو الأسلوب الأمثل حتى لا يفاجأ طرف بموقف الطرف الآخر .

واجب الأردن ..

وفي صباح اليوم التالي ٢٧ يوليه (تموز) قمت بزيارة رئيس الوزراء الأردني السيد مضر بدران وعرضت الموقف وما تم من لقاءات بين الرئيس السادات مع بيريز في فيينا ومع وايزمان في سالزبورج . كما عرضت تفصيلا ما دار في اجتماعات قلعة ليدز ، كما تحدثت عن أهمية تفكير الأردن في القيام بدور نشيط خاصة عند زيارة سيروس فانس للمنطقة على ضوء شواهد بأن الولايات المتحدة قد تكون مستعدة لتقديم أفكارها كما أشرت إلى أن اسرائيل تسعى لدى الولايات المتحدة لاستبعاد مشاركة الأردن في جهود التسوية .

وقد عرض مضر بدران وجهة نظره على النحو التالي :

١ ــ ثبت من الممارسة صحة موقف الأردن في مؤتمر الرباط من أن تتولى الأردن المطالبة باسترداد الضفة الغربية ، إلا أن الملك حسين اضطر في النهاية إلى الالتزام بما قرره المؤتمر من اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني رغم عدم اقتناعه بذلك ، حيث أن الشرعية الأردنية في الضفة الغربية كانت خير دعم للموقف العربي خاصة وأن اسرائيل ترفض الاعتراف بالمنظمة ولا ترضى بالتعامل معها .

٢ ــ إن حزب العمل الاسرائيلي لا يقل تطرفا عن ائتلاف الليكود في هدف ابتلاع الأردن . وزعماء حزب العمل هم الذين أقاموا خلال سنوات الاحتلال العشر (منذ ١٩٦٧) المستعمرات

وأعدوا خطط التوسع ، وغاية الأمر أن مناحم بيجن يعلن عن أهداف التوسع بشكل سافر وقح .

٣ ـ لدى اسرائيل خطط جاهزة لمحاولة إسقاط النظام الأردني وإقامة نظام فلسطيني مكانه يدور في فلك اسرائيل ، وبذلك تحل المشكلة الفلسطينية نهائيا بسيطرة الفلسطينيين على أراضي الدولة الأردنية . واسرائيل تجهز كوادر فلسطينية لاستخدامها في الوقت المناسب كما كانت تفعل قبل حرب ١٩٦٧ بالنسبة للضفة الغربية .

٤ ـ أكد الملك حسين للرئيس الأسد أثناء زيارته الأخيرة لدمشق أنه ثبت أن مصر لا تسعى لسلام منفرد . وقد لاحظوا مرونة في موقف سوريا ورغبة في العودة إلى مؤتمر جنيف .

٥ ـ الوضع العسكري الأردني له حدوده ، وهم عسكريا في موقف صعب ، ولذا فرغبتهم في السلام صادقة ولكن قدرتهم على التحرك تحكمها صعوبة الظروف التي يواجهونها عربيا وفلسطينيا .

٦ ـ أرسل « برجينسكي » مستشار الرئيس الأمريكي للأمن القومي رسالة لهم أخيرا تدعو الأردن إلى الاشتراك في جهود السلام ، وقد ردوا بأنهم لا يضعون شروطا مسبقة ، ولكن يجب الاتفاق على الأسس التي يقوم عليها اشتراكهم وهي ضرورة التأكد من مبدأ الانسحاب الاسرائيلي من أراضي الضفة الغربية ، وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره على أرضه ، مع استعدادهم لتقديم كافة الضمانات للأمن عدا التنازل عن الأرض .

٧ ـ أن اثرتون لم يأت بجديد في زيارته الأخيرة لعمان ، وكان ذلك هو أيضا انطباع الأمير سعود الفيصل عندما اجتمع به في السعودية .

٨ ـ وعن الموقف الاسرائيلي قال إن بيجن يهدف لتحقيق مشروع الون . وإن ما يطرحه الاسرائيليون حاليا عن الحكم الذاتي

سبق أن طرحه حزب العمل الاسرائيلي في سنة ١٩٧٤ تحت اسم الادارة المدنية . وقد قام الأردن وقتها بتحذير أبناء وموظفي الضفة من التمشي مع هذا المخطط مما أدى إلى إفشاله . وتركز اسرائيل حاليا على الحصول على أكبر قدر من المهاجرين اليهود الجدد لابتلاع الأرض ، ولا يتصور أن ترضى اسرائيل بالانسحاب إلا تحت ضغط القوة العربية الذاتية .

وقد قلت للسيد مضر بدران « إننا لا نهتم بوضع بيجن ، وهل يبقى أو يسقط ، كما أننا لا نرى خلافات أساسية بينه وبين حزب العمل ، أو أن تعرض بيجن للمتاعب أو سقوط وزارته سيشكل ضغطا على الموقف الاسرائيلي .

وإنما تركيزنا الأساسي في الوقت الحالي هو على الولايات المتحدة لتحريكها إلى تبني مواقف أقرب وأكثر تفهما للموقف العربي . ولا شك أن إعداد الأرضية والتفهم للموقف العربي في الولايات المتحدة على المستوى الحكومي والرأى العام والكونجرس يسهل تحرك الحكومة الأمريكية على النحو الذي نريده ، وقد حققت مبادرة الرئيس السادات الكثير في هذا الاتجاه ، إلا أن جهدا عربيا في نفس الاتجاه مطلوب ومفيد .

وذكرت أن لدى أمريكا حاليا أفكارا تكاد تتبلور في وقت قريب جدا ، ونحن نحاول دفعهم إلى أن تكون أفكارهم متمشية مع مواقفنا واتجاهاتنا . ومن ثم فأنا أرى أن على الأردن واجبا ومسؤولية في أن يتحرك وينشط ويتحدث بقوة مع فانس ، كما أنه يكون من المفيد أن يتخذ الأردن مواقف أكثر ايجابية في دعم جهود مصر التي تبذلها لتحقيق الأهداف العربية .

اكثر الناس معرفة بالضفة .

وقد استخلصت لنفسي من حديثي مع الملك حسين ثم مع رئيس

وزرائه مضر بدران عدة أمور :

الأمر الأول : أن رئيس الوزراء الأردني لديه تحفظات كثيرة على مبادرة السادات ، ولا يؤمن بمقدرتها على تحقيق نتائج إيجابية ، وبالتالي فانه يجب التزام الحذر إزاءها وعدم الزج بالأردن في غمارها لأن ذلك يشكل مغامرة غير مأمونة النتائج . وهو أقرب إلى الموقف السوري وإلى التوجه من جديد إلى مؤتمر جنيف .

والأمر الثاني : وهو هام للغاية أن الأردنيين ـ بحكم أن الضفة الغربية كانت جزءا من المملكة الهاشمية الأردنية منذ ضمها الملك عبد الله سنة ١٩٤٨ إلى وقت أن استولت عليها اسرائيل في سنة ١٩٦٧ . وبحكم إدارتهم لها وتغلغلهم فيها طوال العشرين سنة الماضية ، وبحكم الجوار اللصيق والاختلاط الوثيق وبحكم روابط الدم والقربى والنسب ، وأكثر من ذلك كله بحكم الحفاظ على أمنهم ومستقبلهم ، وقد أصبحت القوات الاسرائيلية ترابط على حدودهم السابقة على ضم الضفة الغربية ـ هم (الأردنيون) بحكم ذلك كله أكثر الناس معرفة بالضفة الغربية وأقدرهم على متابعة ما يجري فيها من تطورات وما يعتمل داخلها من تفاعلات .

فقد شعرت من حديثي مع مضر بدران بالذات والذي دام ساعات أنه متعمق في دراسة جغرافية الضفة ويعرف كل تل وكل تبة ، كل حقل وكل بستان ، كل قرية وكفر ، يعرف أصل عائلاتها وأصهارهم وما يملكون وكيف يرزقون ، ومن يتعامل مع اسرائيل ومن لا يفعل ، من يناصر المنظمة ومن يعاديها ، ثم هو يعلم أولا بأول بكل

خطوة تقدم عليها اسرائيل في الضفة ، ويستطيع قياس الرأى العام فيها وما يحدث فيه من تحولات ، وما يؤثر عليه سلبا أو ايجابا بدقة كبيرة .

والنتيجة التي خلصت إليها من كل ذلك أنه لا يمكن تقرير مستقبل الضفة الغربية وبالتالي حل القضية الفلسطينية بمنأى عن الأردن ، فلابد من تواجده في أية تسوية ولو مرحليا ، إلى أن تتم استعادة الأرض حتى يمكن أن يتم طرح الأمر على أهلها ليختاروا مصيرهم ، سواء بالانضمام إلى الأردن أو باقامة دولة فلسطينية مستقلة أو دولة تتحد فيدراليا مع الأردن .

الأمر الثالث : هو أن الملك حسين كان يشعر بمرارة قاسية لأن أحدا في مؤتمر القمة العربي في الرباط سنة ١٩٧٤ لم يحاول أن يستمع إلى رأيه في أن يفوضه المشاركون في المؤتمر في أن يكون المطالب باسترداد الضفة الغربية المحتلة باعتبارها أرضا أردنية ، شأن سيناء بالنسبة لمصر ، والجولان بالنسبة لسوريا ، كما رفضوا ما اقترحه من أن يتم تفويضه هو والمنظمة جنبا إلى جنب في استعادة الضفة الغربية ، بحيث لا تصبح المنظمة هى الممثل الشرعي الوحيد وتزول بذلك عنه أية صفة في المطالبة بالضفة الغربية ، إذن لكان الموقف قد اختلف جوهريا ولسقطت حجة اسرائيل المصطنعة في أنها ــ وهى ترفض التفاوض مع المنظمة ــ لا تجد ممثلا للضفة تتعامل معه . وكما أسلفت القول ، فان سيادة الأردن على الضفة الغربية ــ وان لم تعترف بها الدول العربية وقت ضمها للأردن

- إلا أنها لا تقل في أقل القليل عن ما تدعيه اسرائيل من سيادة على الأراضي الفلسطينية التي احتلتها على مر السنين خارج الأراضي التي خصصها لها قرار الجمعية العامة بتقسيم فلسطين إلى دولة فلسطينية ودولة يهودية سنة ١٩٤٨ والذي على أساسه قامت اسرائيل .

ورغم هذه المرارة التي يعانيها الملك حسين فقد تيقنت بصدق استعداده وعزمه على تحمل مسؤولياته في الضفة الغربية والمشاركة في المفاوضات الخاصة باستردادها ، إلا أن الأمر بالنسبة له ليس بهذه البساطة إذ تحيط به تعقيدات شائكة حساسة وريب وشكوك من قبل منظمة التحرير الفلسطينية أولا ثم من قبل بعض الدول العربية التي عزلته في مؤتمر القمة بالرباط من تولي هذه المسؤولية بالنسبة للضفة الغربية .

ومن ثم فقد كان محقا في تردده في الاقدام على هذا الأمر دون ما تفويض واضح من قبل الفلسطينيين والدول العربية ، أو دون تأكيد أمريكي صريح بأن المفاوضات سوف تتم على أساس مبدأ انسحاب اسرائيل من الضفة . ودخوله إلى حلبه المفاوضات دون أن يتحقق هذان الشرطان أو أحدهما يكون مغامرة لا يقدم عليها عاقل ولا أحد يستطيع الادعاء عليه بأنه ليس كذلك .

التحرك بعد مبدأ الانسحاب ..

بعد انتهاء مقابلتي لرئيس الوزراء الأردني توجهت إلى منزل الشريف عبد الحميد شرف تلبية لدعوته إلى الغداء ولمزيد من التشاور والمناقشة ، وكان عبد الحميد شرف شابا ذكيا لامعا وله حظوة كبيرة عند الملك حسين الذي كان يحبه ويثق فيه ويستمع إليه .

وقد شارك في الغداء من الجانب الأردني رئيس الوزراء ووزير الخارجية بالنيابة ووزير الداخلية ، ومن ناحيتنا كان معي سفيرنا في

عمان وأحمد ماهر السيد وقد تميزت هذه الجلسة بالصراحة التي تشوبها الثقة والرغبة المخلصة في التفاهم والتعاون .

وبدأت الحديث بأن قلت إن هناك ظواهر ومؤشرات بأن أمريكا تستعد لتقديم أفكارها بشأن تسوية النزاع العربي الاسرائيلي ، ومن ثم فيجب التكاتف للتأثير والضغط على الموقف الأمريكي حتى يجيء أقرب ما يكون إلى الموقف العربي ، وذكرت أن اسرائيل تحاول التقليل من شأن المشروع المصري الخاص بعودة غزة إلى الادارة المصرية وعودة الضفة الغربية إلى الأردن ، على أساس الادعاء بأن الأردن غير مستعد للمشاركة في المفاوضات مما يجعل المشروع المصري غير ذي موضوع .

وأن ديان أوشك في مؤتمر ليدز في اتصالاته الجانبية مع فانس على اقناعه بهذا المنطق ، وهو ما تصديت له في حينه مؤكدا أنه ليس هناك ما يحول دون اشتراك الأردن واقباله على التفاوض متى ما ثبت أنه يجري على أساس تنفيذ القرار رقم ٢٤٢ القاضي بالانسحاب الاسرائيلي من الأراضي المحتلة . ولذا فاني أرى وجوب أن يتخذ الأردن في هذه المرحلة الهامة موقفا واضحا صريحا يدحض الحجة الاسرائيلية ويساعد أمريكا على بلورة أفكارها في الاتجاه المطلوب ويدعم الموقف العربي .

ودارت مناقشة طويلة بعد ذلك أكد فيها مضر بدران أن الأردن لا يستطيع التحرك في فراغ ، وأنهم مستعدون للتحرك إذا اطمأنوا إلى أن مبدأ الانسحاب ليس محل خلاف .

وقلت وما المانع من أن تعلن الأردن تعليق اشتراكها في المفاوضات على شرط أن تقوم الولايات المتحدة بتأكيد موقفها من ضرورة انسحاب اسرائيل من الضفة الغربية ، فاذا لم تقم الولايات المتحدة بذلك تكون الأردن في حل عدم المشاركة ؟ فيمكن في رأيي أن تصدر الأردن دون أن يقيدها ذلك في شيء بيانا رسميا يوضح استعدادها للدخول في المفاوضات على أساس المشروع المصري إذا

أكدت الولايات المتحدة موقفها من ضرورة انسحاب اسرائيل من الضفة الغربية ، ويمكنهم إذا شاؤوا أن يضيفوا إلى ذلك ضرورة ممارسة الشعب الفلسطيني لحقه في تقرير المصير ، حتى لا يثيروا شكوك بعض رجال منظمة التحرير الفلسطينية .

وحاول مضر بدران أن يجادل في قيمة مثل هذا الاعلان ، خاصة وأن موقفهم معروف لدى أمريكا بل ولدى اسرائيل وحتى لدى دول جبهة الرفض ، وهو أنهم مستعدون للمشاركة في التفاوض إذا تأكدوا سلفا أن نهايته هو الانسحاب .

وقال عبد الحميد شرف : إن المعنى الذي ذكرته ورد في تصريحات كثيرة للملك حسين عقب قيام الرئيس السادات بمبادرته مباشرة .

وقلت : إن إصدار بيان من الأردن بالمعنى الذي ذكرته يكون له وقع هام في هذا الوقت بالذات بعد طرح المشروع المصري المبني على مشاركة الأردن ، وما لمسته في ليدز من استعداد أمريكا لتقبله وقبل زيارة فانس للمنطقة . ماهو الاعتراض على مثل ذلك وما هو الضرر منه ؟

وبدا على عبد الحميد شرف الاقتناع بالفكرة وحسم المناقشة بقوله إنه واثق بأن الملك والحكومة الأردنية يمكنها إيجاد صياغة تتفق وما اقترحته ، وأنه سيعرض الأمر على الملك حسين . وأضاف عبد الحميد شرف أن الأمر المهم هو متابعة الضغط على الولايات المتحدة ، وأن الأردن مستعد للاتصال بالدول العربية وخاصة السعودية ودول الخليج وحتى سوريا لتحقيق ذلك ، كما أنه ينصح أن تركز مصر على السعودية لممارسة ضغوطها على الولايات المتحدة قبل وأثناء زيارة فانس .

وانتهى الغداء وودعنا الشريف عبد الحميد شرف معبرا عن سعادته بلقائي ، وعن أهمية وفائدة استمرار التشاور بيننا وتنسيق المواقف ، وغادرنا منزله إلى المطار لنعود إلى القاهرة ، وشعرت بأن

الزيارة إلى الأردن كانت ايجابية وأنها أضافت حجرا جديدا في بناء التصالح والتعاون العربي .

لصوص الماشيه ..

وتوجهت من مطار الماظة إلى منزلي حيث أخذت حماما ساخنا وجلست أمام التليفزيون لمشاهدة خطاب الرئيس السادات في جامعة الاسكندرية بمناسبة يوم ٢٦ يوليه (تموز) ١٩٥٢ عندما تنازل الملك فاروق إلى ولي عهده الطفل « فؤاد » وغادر مصر نهائيا إلى ايطاليا على ظهر يخته « المحروسة » حيث ظل هناك حتى وفاته(١) .

وقد تضمن الخطاب هجوما عنيفا على رئيس الوزراء الاسرائيلي مناحم بيجن حيث وصفه بأنه يرفض إعادة الأرض التي سرقها إلا إذا استولى على أجزاء منها . كما كان يفعل لصوص الماشية في مصر حينما يرفضون ردها الى صاحبها إلا إذا تقاضوا منه ثلث أو نصف قيمتها . وقال إنه لن يسمح بأن يتحول معبد السلام الذي أقمناه إلى مكان تجارة كما تاجروا في معبد الرب في السابق .

ومع ذلك فانني أقول للشعب اليهودي في اسرائيل وفي أوروبا والعالم أجمع « إن لاسرائيل الحق في السلام ، والحق في حسن الجوار ، أما السيادة فمرفوضة وكذلك استلاب الأرض المسروقة .»

رسالة من الأردن ..

وأعود للحديث عن زيارتي للأردن ، فقد سلمني سفيرها في القاهرة رسالة شخصية بخط اليد في مظروف مغلق من الشريف عبد الحميد شرف رئيس الديوان الملكي الهاشمي أقتبس منها ما جاء متعلقا بزيارتي وبعض التطورات التي تلتها

عمان في ١٩٧٨/٨/١٤

---

(١) وافق الرئيس السادات على دفن جثمان الملك السابق فاروق في مصر وفقا لرغبته التي ابداها في وصيته وقد تم ذلك في مقابر الأسرة المالكة بالجامع الشافعي المواجه للقلعة دون أي مراسم .

« إلى الأخ الوزير حفظه الله

أبعث إليكم بصادق المحبة والمودة وأرجو أن تكونوا على ما

يرام من الصحة وراحة البال (وان كانت الأخيرة مستبعدة !)

لقد سعدنا كثيرا بلقائك في عمان ، وكانت مناسبة ممتازة للقاء والتعارف وتبادل الرأى الأخوي ، مع العلم بأننا جميعا شعرنا بأننا نعرفك من وقت طويل .

وقد سر جلالة الملك بلقائك وكذلك باقي الاخوة المسؤولين عندنا . وقد فهمنا من خلال الزيارة واللقاء وجهة نظر مصر بالدقة والتفصيل من التطورات الأخيرة ، ونأمل أن نكون قد نقلنا لكم تقديرنا للموقف وحرصنا على التعاون الوثيق فيما فيه المصلحة القومية المشتركة .

بعد مغادرتكم زارنا سمو الأمير فهد ثم السيد اثرتون المبعوث الأمريكي ، لايضاح موقف بلاده وتبادل الرأى ، كما قام السيد رئيس الوزراء مضر بدران بزيارة دمشق في اطار الاجتماعات الدورية التي تجري بين الأردن وسوريا لتنسيق الجوانب الاقتصادية والفنية والزراعية والمشروعات المشتركة التي تتحقق بالتعاون بين البلدين وفيما يلي بعض التفاصيل :

١ ـ زيارة الأمير فهد كانت فرصة طيبة جدا للبحث في القضايا المشتركة التي تهمنا جميعا . وقد رحبنا بهذه المبادرة من الاخوة السعوديين بالنظر لميلهم عادة إلى الحذر الشديد والتحفظ في أخذ المبادرات العربية ، وخاصة ما يتعلق فيها بتنسيق المواقف بالنسبة للقضايا الخلافية والتي تثير اختلافا
www.library4arab.com/vb
في وجهات النظر العربية .

وكان جلالة الملك حسين في مناسبات لقاء سابقة مع جلالة الملك خالد وسمو الأمير فهد وغيرهما قد دعا الاخوة السعوديين للتحرك في الاطار العربي لبناء التضامن الذي يقوم

على مواقف إيجابية لا سلبية

وقد كان موقف الأمير فهد خلال زيارته متفقا مع موقفنا ، أي أنه كان مع تدعيم التضامن العربي دون أن نفقد كعرب ، الرصيد العالمي الكبير الذي تكون خلال الأشهر الأخيرة نتيجة لجهود مصر في كشف التعنت الاسرائيلي وصلافة اسرائيل العدوانية .

وقد اتفق الجانبان على متابعة الجهد المشترك لتأمين الجهد العربي لجهود التضامن ، وكذلك طرح أمام سمو الأمير فهد الموضوع الذي حملتموه ، والمتعلق بمتابعة الاتصال بالولايات المتحدة ، وتثبيت المواقع الايجابية التي وصلتها ، وعدم فتح المجال أمامها للارتداد تحت الضغوط الصهيونية ، إلى مواقف مناصرة للمواقف الاسرائيلية ، وعلى وجه التحديد اتفق على محاولة عدم السماح للموقف الأمريكي بالانزلاق نحو البحث عن نقطة وسط آلية بين الموقف الاسرائيلي والمشروع المصري العربي . واتفقنا على متابعة الجهود في هذا المجال .

٢ ـ زيارة اثرتون جاءت بعد زيارة المستر فانس لمصر[1] وطرح فكرة كامب ديفيد وقد ركز اثرتون على النقاط التالية :

أ ـ إن مبادرة الرئيس كارتر بالدعوة لمؤتمر كامب ديفيد جاءت نتيجة اتجاه الجهود السلمية نحو أزمة تهدد بالتدهور السريع الخطر .

ب ـ إن الرئيس الأمريكي ـ بدعوته ـ يضع الرئاسة الأمريكية في الميزان ، ويرمي بثقلها في ميدان الجهـود السلمية . وهذا تقدم كبير كما أنه تطلب شجاعة ومغامرة سياسية من الرئيس الأمريكي وحكومته .

جـ ـ الولايات المتحدة ستلتزم ، خلال لقاء كامب ديفيد ، بجميع المبادىء والمواقف التي أعلنها الرئيس الأمريكي وأبلغ

---

(١) تمت زيارة فانس لمصر في ١٩٧٨/٨/٧م

القادة العرب ، وبينهم جلالة الملك ، بها .

د ـ طلب اثرتون التدعيم والمساندة من العرب « المعتدلين » !

وقد صرح جلالة الملك عقب الاجتماع بتأييد المبادرة والتحرك الأخير من قبل الولايات المتحدة ، كما أعرب عن أمله في أن يكون لقاء كامب ديفيد فرصة لدفع قضية التسوية العادلة إلى الأمام بالاستناد إلى قرار مجلس الأمن ٢٤٢ بتفسيره الصحيح ـ ومبادىء الانسحاب والحقوق الفلسطينية وتقرير المصير ، كما انتهز جلالة الملك الفرصة خلال المباحثات لاعادة عرض موقفنا ، بعد أن توسع في شرح دلائل « تآكل » أو (EROSION) الموقف الأمريكي وانزلاقه نحو التراجع أمام الضغط الاسرائيلي .

وقد رد اثرتون مؤكدا أن ذلك غير وارد وأن الولايات المتحدة سترمي بثقلها خلال المفاوضات . لقد انتقدنا الأفكار التي كان حملها اثرتون سابقا حول مستقبل التسوية للضفة الغربية وغزة ـ والتي وصفها المسؤولون لاثرتون بأنها موقف وسط غير معتدل بين الحد الأدنى العربي ـ الذي مثله المشروع المصري ـ والمطامع الاسرائيلية المعلنة حول الاحتفاظ بالأرض الفلسطينية ، الضفة وغزة . وقال اثرتون إن الأحداث قد تجاوزت هذه الأفكار ـ التي كان قد أسيء فهمها ـ وإن الرئيس الأمريكي شخصيا يقوم بمبادرة جديدة هامة للغاية .

٢ ـ من خلال اتصالنا بالاخوة السوريين ، لا تغيير في موقفهم . ولكن الملاحظ أن ردود فعلهم تجاه التطورات الأخيرة كانت معتدلة . ونحن لا نألو جهدا في تفسير التطورات لهم بروح إيجابية ، وحريصون على استمرار الاتصال وتبادل الرأي لما في هذا الأمر من فائدة .

آمل ألا أكون أطلت عليك ...»

الفصل الثلاثون

قبلة على جبين السادات

قبل وصول الفريد أثرتون إلى مصر وفقا لما اتفق عليه في اجتماعات ليدز أدلى هودنج كارتر المتحدث الرسمي للخارجية بتصريحات تمهد لزيارة أثرتون ، ففي ٢٥ يوليه (تموز) صرح بأن الولايات المتحدة تجري مباحثات مع كل من مصر واسرائيل بشأن اجتماع الشرق الأوسط القادم ، والذي يتوقع ويأمل سيروس فانس أن يتم انعقاده وقال إنه لم يتقرر بعد المكان المحدد للاجتماع غير أن سيناء تعد أحد الاحتمالات التي يجري بحثها .

وقال : إن الانطباع العام لدى الولايات المتحدة هو أن الاجتماع سيعقد حيث أبلغت كل من مصر واسرائيل الولايات المتحدة أنهما مصرتان على ايجاد حل سلمي لنزاع الشرق الأوسط .

وفي ٢٦ يوليه (تموز) صرح بأن الولايات المتحدة تقدر الجهود التي قامت بها اسرائيل أثناء اجتماعات ليدز وبعدها للسعي إلى ايجاد حلول للمشكلات الرئيسية التي تعوق المفاوضات ، وأن هذه الجهود يمكن أن تؤدي إلى نتائج إيجابية تذيب جمود الموقف الراهن . والحقيقة أن الحيرة وشيئا من الاحباط أصابني من جراء معاودة الولايات المتحدة لهذا النوع من التصريحات بشأن اجتماعات قادمة دون أن تستند على أى أساس من الواقع ، اللهم إلا إذا كان أساسها تنسيقا أمريكيا اسرائيليا يصرون على أن نتجرعه رغم أنفنا ، ورغم علمهم التام بأن أية اجتماعات جديدة سيصيبها الفشل والسبب هو جمود الموقف الاسرائيلي ليس إلا .

غير أني رأيت أن التصريح الثاني للمتحدث الرسمي الأمريكي قد جاوز الحدود وبلغ حد الاستفزاز . فأين هى تلك الجهود الاسرائيلية التي يمتدحها ويشيد بها والتي قامت بها اسرائيل في

اجتماعات ليدز ؟

فلقد كنا هناك كما كان الأمريكيون ولم نر أو نسمع كما لم يروا أو يسمعوا شيئا من هذه الجهود التي ستؤدي إلى نتائج ايجابية تذيب الجمود . اللهم إلا إذا كانت الولايات المتحدة تعتبر إصرار وزير الخارجية الاسرائيلي ـ في نهاية المؤتمر ـ بوقاحة على ضرورة اقتسام الأراضي العربية المحتلة بينهم وبين أصحابها هو جهد ايجابي !.

وكان كل ذلك يعتمل في صدري وفي فكري عندما استقبلت المستر أثرتون بعد ظهر يوم ٢٨ يوليه (تموز) عقب الجولة التي قام بها لكل من السعودية والأردن واسرائيل ، وكنت له مستعدا .

وقد حضر المقابلة مع أثرتون السفير هيرمان أيلتس ، وكان معي مدير مكتبي أحمد ماهر وقد دامت المناقشات نحو ثلاث ساعات .

وبدأ أثرتون الحديث فأشار إلى النجاح والتوفيق الذي حققه الوفد المصري في مباحثات ليدز التي وصفها بأنها كانت مفيدة ، خاصة وقد عالجت الموضوعات بشكل تفصيلي وإن لم يترتب عليها تغيير في المواقف الأساسية لكل طرف ، ومن ثم فان الخلافات الجوهرية بين مصر واسرائيل مازالت قائمة .

ولذلك ولضرورة تحديد المواقف تماما فلابد من استمرار المفاوضات حتى تتمكن الولايات المتحدة من تنفيذ التفاهم الذي تم الاتفاق عليه بين مصر وأمريكا في كامب ديفيد بشأن قيام أمريكا بدور نشط ، وأن آراء الرئيس كارتر في هذا الشأن ثابتة بدون تغيير .

وعليه فان الولايات المتحدة ترغب في الحصول على موافقة مصر في الالتزام باستمرار المفاوضات المباشرة من خلال جولة أخرى واحدة فقط يجتمع فيها وزيرا الخارجية والدفاع المصريان بنظيريهما في اسرائيل وبمشاركة وزير خارجية أمريكا حتى تستطيع الولايات المتحدة أن تطرح أفكارها . إذ أن قيام أمريكا بذلك من فراغ سيؤدي

إلى فشل التحرك الأمريكي ، وأضاف أنه يحمل معه رسالة من الرئيس كارتر إلى الرئيس السادات في هذا الشأن .

ثم تحدث بعد ذلك عن زيارته للسعودية والأردن فقال : إن الهدف من الزيارة كان لشرح التقييم الأمريكي لمحادثات ليدز وأسباب كونها مفيدة ، ثم اطلاعهم على الاستراتيجية الأمريكية . وقال انه حاول الحصول على تفهمهم وتشجيعهم للجهود الأمريكية وتأييدهم لعقد جولة جديدة من المفاوضات المباشرة ، وأنه أوضح لهم أن هذا ليس مطلبا اسرائيليا وإنما هو اقتراح أمريكي لايضاح الدور الأمريكي أمام الرأى العام الداخلي في أمريكا .

وأضاف أثرتون أنه يعترف بصراحة بأنه لم ينجح في إقناعهم فهم لا يريدون جولة أخرى من المفاوضات إلا إذا كانت ستحقق نتائج ايجابية . فكل من الأمير سعود الفيصل والملك حسين لديه شكوك . وقد أوضح الملك حسين أنه رغم الضغوط السورية عليه فانه لن يشترك في المفاوضات ، إلا أنه لن يضع العقبات في سبيلها حتى تتبين له النتائج ، كما قال الأمير سعود الفيصل أنه إذا أصرت الولايات المتحدة على جولة جديدة من المباحثات فانه لن يهاجم ذلك بشكل مباشر .

سأتحدث بصراحة ..

وقلت بعد آن انتهى أثرتون من كلامه : إني سأتحدث معهم بمنتهى الصراحة جريا على عادتي ، ولأني أرى أن هذا هو الأسلوب الوحيد للحفاظ على الثقة القائمة بيننا من الاهتزاز . فلعلكم تذكرون أن وزير الخارجية فانس قد أثار معي في ليدز موضوع الاتفاق على عقد اجتماع لاحق حتى من قبل أن تبدأ المباحثات في ليدز ، وقد ذكرت له حينئذ أني أرى أنه لا يمكن الاتفاق مسبقا على اجتماع جديد قبل انهاء اجتماعات ليدز ومعرفة الموقف الاسرائيلي ، فضلا عن أن لدي تعليمات واضحة من الرئيس بعدم الارتباط باجتماع آخر

إلا إذا أظهر الموقف الاسرائيلي مرونة ، وإلا فنكون نضيع وقتنا ونبدد جهودنا ونسمح لاسرائيل بأن تناور وتحاول الايحاء بوجود تقدم زائف ، مما يتيح لها العمل على تحقيق هدفها في تقليص الدور الامريكي ، ومع ذلك فقد قلت للمستر فانس إنه يمكن عندما يحضر إلى المنطقة بعد انتهاء اجتماعات ليدز أن يتحدث مرة أخرى في موضوع عقد اجتماع جديد ـ يكون الأخير ـ إذا ما بدا له استعداد جاد من اسرائيل لمفاوضات جدية على الأسس التي تتفق مع قرارات الأمم المتحدة .

وقد أوضح ديان في ليدز موقف اسرائيل تماما :

أ ـ استمرار الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية وغزة .

ب ـ التمسك بالأمن الاقليمي أي ضم الأراضي المحتلة بالقوة .

ج ـ رفض الالتزام بالقرارات الخاصة باللاجئين .

د ـ رفض أي نوع من تقرير المصير بالنسبة للشعب الفلسطيني .

هـ ـ التمسك بدعاوى السيادة الاسرائيلية .

و ـ التمسك بالمستوطنات ، وبما أسماه حق اليهود في ألا يكونوا أجانب في الضفة الغربية .

ومع ذلك فقد طلب مني فانس أن يعلن هو عن أمله في عقد لقاء آخر وهذا من حقه ، ولكننا تحفظنا على مثل ذلك اللقاء في الجلسات وفي العلن وأعلنت ـ كما أعلن الرئيس ـ أننا مستعدون لعقد لقاء آخر ، إذا غيرت اسرائيل مواقفها . وأعلنا عن موقفنا بوضوح .

سلام : نعم . أمن : نعم ، علاقات حسن جوار : نعم .

أما الأرض والسيادة فلا مساومة عليهما .

وتلت ذلك مواقف اسرائيلية تؤكد التمسك بالأرض وبالمواقف الجامدة المتعنتة وحركات مسرحية بشأن العريش وجبل سيناء وكان ذلك لخلق البلبلة وتحويل الأنظار بعيدا عن صلب الموضوع ، واتجه بيجن إلى « التجارة » وقال انه لن يرد حبة رمل من سيناء بدون مقابل .

وكل هذا أوضحه الرئيس السادات في رسالته إلى الرئيس كارتر يوم ٢٦ يوليه (تموز) وهى رسالة واضحة صريحة تنطلق من ثقة الرئيس في كارتر ، وحرصه على عدم إتاحة الفرصة أمام بيجن لنسف عملية السلام نهائيا .

وهنا فان لي عتابا شديدا على الموقف الأمريكي : فرغم وضوح موقفنا من الاجتماع الجديد ، وإبلاغنا ذلك للجانب الأمريكي في صراحة وبدون مواربة . والأساس الذي يستند إليه رفضنا لمثل ذلك الاجتماع ، فقد ظل المسؤولون الأمريكيون يصرحون ويؤكدون أن الاجتماع سيعقد ، وكأننا قصر مسلوبو الارادة ، وزاد عليهم الاسرائيليون بتحديد زمان ومكان الاجتماع استنادا إلى معلومات ادعوا أنها جاءتهم منكم .

وكأن المقصود من ذلك إحراج مصر ، وإلقاء اللوم عليها ، وجرها إلى اجتماع جديد غير مفيد بل ضار لنا عربيا ودوليا ومصريا . ورغم وضوح جمود وتشدد الموقف الاسرائيلي ، يتجرأ المتحدث الرسمي الأمريكي (هودنج كارتر) أول أمس فيدلي بتصريحات يذكر فيها بلا حياء أن الولايات المتحدة تقدر جهود اسرائيل التي أبدتها في اجتماع ليدز ، وما بعده للسعي لحلول للمشكلات الرئيسية التي تعوق المفاوضات ، وأن هذه الجهود يمكن أن تؤدي إلى نتائج ايجابية تذيب جمود الموقف الراهن !!

مع أن مواقف اسرائيل هى الجمود ذاته والتمسك بالأرض والاحتلال . ما هذا أأنتم لا تفهمون أم تظنون أننا لا نفهم ؟ ماذا قال ديان في اجتماعات ليدز ؟ ألم يقل أمامكم وتحت سمعكم وبصركم إنه مستعد لبحث اقتراح عربي بالحل الوسط الاقليمي .. أى أنه يطالبنا بأن نعرض عليه الاحتفاظ بأرضنا حتى يقبل أن يساومنا على مساحة الأرض التي يود الاحتفاظ بها ويتعطف ويمن علينا برد الجزء الذي لا يريده . ألم يعلن أنه مستعد لبحث السيادة على الضفة الغربية وغزة بعد خمس سنوات وهو يعلم وأنتم تعلمون أن هذا أمر

مرفوض تماما فلا سيادة لاسرائيل ولا حق لها في الادعاء بها ؟.

هل هذا هو الموقف والجهد الذي سيذيب الجمود ؟

وفي هذا الصدد فقد أدهشني ما ذكره السفير أيلتس من أن ديان لم يعرض في ليدز مشروع آلون ، فهل علينا أن نلهج بشكره على ذلك ؟ وسواء عرضه أو لم يعرضه فليس لذلك قيمة ، فهل مشروع آلون يزيد على ما أوضحه ديان بجلاء من أنه يتمسك بالأرض ؟

والأعجب من ذلك أن يقول أيلتس إنه من المفيد أن ديان لم يعرض تنفيذ مشروع آلون ، وإلا لكان على أمريكا أن تأخذ هذا في الاعتبار ، كيف نتفهم ذلك ؟ هل معنى هذا أنه إذا عرضت اسرائيل احتلال مصر كلها مثلا فان على أمريكا أن تأخذ هذا في الاعتبار فتقدم اقتراحا وسطا بأن تحتفظ اسرائيل بنصف مصر أو ثلثها مثلا ؟ وكيف يتسنى لنا أن نحتفظ بثقتنا في معقولية وعدالة ما ستقدمه الولايات المتحدة من أفكار في النهاية ؟

إن لأمريكا مواقف معلنة واضحة بالنسبة للانسحاب والمستعمرات وحقوق الشعب الفلسطيني . ومصر موقفها في منتهى المرونة حين تعلن أنها تقبل كل ترتيبات الأمن وإقامة علاقات السلام وحسن الجوار ، في مقابل الانسحاب الاسرائيلي ، وهذه هى المعادلة التي نص عليها القرار ٢٤٢ كما نفهمها وكما فسرتها أمريكا منذ صدور القرار .

ولذلك فان هذا هو الذي يجب أن تأخذه الولايات المتحدة في الاعتبار عندما تقدم مقترحاتها . لا أن تأخذ في الاعتبار مواقف اسرائيل ورغباتها في التوسع مما لا يتفق مع أي منطق أو عدل أو قانون .

ثم هناك قصة نقاط الالتقاء ونقاط الاختلاف . وقد أوضحنا لكم تماما في ليدز موقفنا من أن هذه عملية لا معنى لها ولا فائدة منها ، إلا السماح لاسرائيل بالخداع والكذب والغش وهذا ما لا نقبله ولا يليق بكم أن تقبلوه . إن النقطة الأساسية هى : هل

تنسحب اسرائيل أم لا ؟ ونحن نعلم أن السعوديين أوضحوا لكم ذلك ، والأردنيين الذين أبدوا استعدادهم للانضمام إلى المفاوضات إذا وضح أنها ستنتهي بالانسحاب ، وهذا موقف منطقي لأن علينا عندما نبدأ الطريق أن نعرف إلى أين يصل بنا .

إن الدول العربية الصديقة تقول انه لا جدوى من بيجن ولا من غيره ، وان على أمريكا اتخاذ مواقف حازمة . فاذا جاءت أفكاركم حلا وسطا ممسوخا لا يحل المشكلة الرئيسية وهى الانسحاب فان كل الجهود تكون عبثا وهباء ولن تؤدي إلا إلى تعقيد الأمور بالنسبة لمصر وبالنسبة لأمريكا ، وإلى استمرار النزاع وضياع الفرصة الفريدة أمام السلام . كما أن ذلك يتيح للاتحاد السوفيتي محاولة العودة إلى المنطقة استغلالا لما سيصيب العرب من خيبة أمل . وإن سابقة دالاس والسد العالي في ٥٦ ليست ببعيدة .

إننا لا نفهم لماذا تطلبون اجتماعا آخر .. فلقد اتضحت المواقف تماما في لندن ووضح أن هناك ركودا كاملا ، وبالتالي فان الوقت قد حان لتقدم أمريكا مشروعها بعد التفاهم عليه بيننا .

أما إذا كان المقصود مجرد اجتماع فان هذا يحرجنا بعد أن أعلنا وأكدنا أننا لن نجتمع إلا بوجود عناصر جديدة في الموقف الاسرائيلي ، ونحن لم نفاجئكم بهذا الاعلان بل لقد أخطرناكم بموقفنا خلال الاجتماعات المغلقة ، وبدلا من أن تأخذوا هذا في الاعتبار ، استمرت تصريحاتكم تؤكد وجود اجتماع وكأن الهدف هو اظهار أن مصر تنقاد إلى أى شيء وهذا ما لا نقبله منكم أو من غيركم .

ثم أنكم تعرفون تماما أن اسرائيل تريد استبعاد الجميع بمن فيهم أنتم من العملية ، فاذا عقدنا اجتماعا في هذه الظروف فاننا نعطيها الفرصة لأن تؤثر على الرأي العام الأمريكي بأن تقول له « إن الاتصالات المباشرة مستمرة فما الداعي لأن تقدم أمريكا أفكارها أو مقترحاتها .. يجب أن تتركونا نحل مشاكلنا مع المصريين » . وعندئذ تجد الولايات المتحدة أنها ـ رغم أنفها ـ لا تستطيع الوفاء بما وعدت

وتعهدت به في كامب ديفيد .

إننا لا نطالبكم بالانحياز لنا ، بل بالتمسك بالمبادىء التي تؤمنون بها والتي أعدتم تأكيدها بعد زيارة السادات في البيان الصادر من البيت الأبيض في ٨ فبراير (شباط) ١٩٧٨ . أن السادات يثق بكارتر وبكم . ونرجو ألا تفعلوا ما يسىء إلى هذه الثقة ، ولا تحاولوا أن تسيئوا إلى مركز السادات بعد أن جعلته ثقته فيكم يغامر بالكثير .

إذا كنتم تريدون اجتماعا ، فقولوا لنا ما هو التغيير الذي لمستموه في اسرائيل مما يجعل من الواقعي تصور إمكان حدوث تقدم . ولقد سمعتم من السعودية ومن الأردن ما سمعناه نحن منهم من أنه لا جدوى من استمرار المباحثات المباشرة ، وقد بدأنا نقتنع بذلك رغم حرصنا على استمرار مسيرة السلام والمبادرة ، فهل لديكم من زيارتكم لاسرائيل أمس ما تستطيعون به اقناعنا واقناع السعودية والأردن بأن اجتماعا جديدا يكون مفيدا ومثيرا ويحقق تقدما ولو بسيطا ؟ إذا كان الأمر كذلك فنحن مستعدون ، أما بدون ذلك فنحن لسنا على استعداد لتضييع الوقت وتحمل مذلة الانصياع لمناورات بيجن وأنا أعني ما أقول .

وقد التزم أثرتون موقف الدفاع طوال المقابلة ولم يستطع أن يقدم جوابا شافيا ، وعبثا حاول إثنائي عن رفض قبول الاجتماع الجديد ، والحقيقة أنه كان يشعر في قرارة نفسه ـ شأنه شأن السفير أيلتس ـ بأننا محقون تماما في موقفنا وليس هناك ما يمكن أن يوجهوه إليه من نقد أو ملامة وانتهى الاجتماع .

أهمية الاجتماع القادم

حدد الرئيس السادات الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح ٣٠ يوليه (تموز) لاستقبال المستر أثرتون في استراحة المعمورة بالأسكندرية . وقد أمضيت مع الرئيس السادات ساعة قبل

بدء الاجتماع أحطته فيها بما دار بيني وبين أثرتون وقلت له : يجب أن يعلم الأمريكيون أننا عندما نقول شيئا نتمسك به ، وأني شخصيا لن أستطيع بحال المشاركة في اجتماع جديد مع الجانب الاسرائيلي ما لم يحدث تغيير في موقفهم يبرر ذلك ، وأقرني الرئيس السادات على موقفي وقال إنه لا يتفهم الموقف الأمريكي خاصة بعد الرسالة الطويلة الواضحة التي أرسلها إلى كارتر يوم ٢٦ يوليه (تموز) .

وفي بدء الاجتماع نقل المستر أثرتون إلى الرئيس السادات تحيات وتمنيات الرئيس كارتر وذكر أنه يحمل منه رسالة تلقاها أمس . ورد عليه الرئيس السادات بشكر الرئيس كارتر وطلب من أثرتون نقل أطيب تحياته له ولأسرته وأن يبلغه أنه (أي السادات) مازال متفائلا رغم كل شيء .

ثم قرأ السفير أيلتس نقاط رسالة كارتر وقد تضمنت شكر الرئيس السادات على الصراحة التي تناول بها الموقف في رسالته يوم ٢٦ يوليو (تموز) وأمله في استمرار المشاورات وتبادل الآراء وتفهم الرئيس كارتر وتقديره للقلق الذي يساور الرئيس السادات بسبب البطء في التحرك نحو التسوية السلمية ، وهو ما يقتضي منهما معا الاستمرار في جهودهما دون كلل حتى لا تتحقق رغبة من يريدون الفشل لجهود السلام .

وقال إنه وإن كانت محادثات ليدز مفيدة إلا أنها لم تحل المشاكل الأساسية القائمة بين مصر واسرائيل ، ومن ثم فيجب مواصلة السير حسب التفاهم والاتفاق الذي توصلت إليه مصر وأمريكا في كامب ديفيد ، ولذا فيجب أن تظهر مصر رغبتها في استمرار التفاوض وذلك بالموافقة على عقد جولة أخرى من المباحثات بمشاركة وزراء الخارجية والدفاع في مصر واسرائيل وحضور وزير الخارجية الأمريكي . وأنه متى تم الاتفاق على ذلك فسيحضر المستر فانس للمنطقة حاملا رسالة خاصة من الرئيس كارتر .

وعبر الرئيس السادات عن تقديره للرئيس الأمريكي وقال :

إنني قد نقلت إليه ما دار في حديثي مع أثرتون أول أمس وانه يود قبل مناقشة الموقف أن يحيطه أثرتون بما دار بينه وبين الجانب الاسرائيلي في زيارته الأخيرة لاسرائيل ، خاصة وقد وافق وجوده في اسرائيل إعلان الرئيس السادات رفضه تلقي الرسالة التي بعث إليه بها بيجن لأنه قد أذاع مضمونها قبل ذلك على العالم . كما وافق الخطاب الذي ألقاه في جامعة الأسكندرية يوم ٢٧ يوليه (تموز) . وكذا عما تم في زيارته للسعودية والأردن . وقال أثرتون :

أولا : هناك خلافات داخل الحكومة والكنيست .. والكثيرون غير سعداء ويشعرون بالاحراج من الطريقة التي نشرت بها أحاديثكم مع وايزمان في سالزبورج ، والطريقة التي عالج بها بيجن وحكومته الموضوع .

ثانيا : إن موقف بيجن في الكنيست مازال كما هو ، فمازال يتمتع بأغلبية الأصوات ولا توجد مؤشرات لتغيير سريع .

ثالثا : إنه تقابل مع بيجن ومع ايجال يادين ومع ديان ومع وايزمان وتبادل معهم تقييم أمريكا لمحادثات ليدز . وأثناء أحاديثه معهم قدم اقتراحات عن امكانيات تعديل موقفهم بالنسبة لما يمكن أن يحدث بعد انتهاء فترة السنوات الخمس الانتقالية ، وأن بيجن ظل يستمع له دون أن يبدي أى رأى . وهذا أمر له دلالته ففي الماضي كان بيجن يرد بسرعة وسكوته هذه المرة يعني أنه لم يرفض تماما !! ويرى بعض من حوله أنه في حالة ذهنية أكثر مرونة ، ويقدمون مثالا على ذلك أنه قال أمام بعضهم انه كان من الممكن طرح صياغة جديدة للاجابات الاسرائيلية عن الأسئلة الأمريكية !! وكان ديان قد بحث بعد اجتماعات ليدز امكانية تعديل الردود الاسرائيلية .

وأن بيجن قد وافق أخيرا على امكان مناقشة مسألة السيادة على الضفة الغربية وغزة بعد انتهاء فترة السنوات

www.library4arab.com/vb

الخمس الانتقالية .

وقال أثرتون إنه وان كان ذلك موقفا مازال غير مرض ولا يرد على الأسئلة الأمريكية . إلا أنه يجب مقارنته بالنقطة التي انطلق منها بيجن ، وفي هذه الحالة يمكن اعتباره تقدما يفتح بعض الاحتمالات فهناك بعض الآراء التي تفسر ذلك في اسرائيل بأن حكومة بيجن لا تستبعد لأول مرة تصور احتمال أن السيادة العربية يمكن أن يعترف بها . وقد رددت بعض الصحف هذا المعنى ولم تقم الحكومة بنفيه وفي محادثاتي معه ومع بعض رجال حكومته لم ينفوه ، وهذا يمكن اعتباره على أنه يفتح الباب قليلا !!

رابعا : وبالنسبة للهجوم الشخصي على بيجن ، فان البعض يستنكر هذا الهجوم الخارجي عليه ، ويقولون إنه سيؤدي إلى أثر عكسي وهذا أيضا شعوري الشخصي . وسوف أعود إلى اسرائيل انتظارا لحضور المستر فانس ، وكنت قد تركت معهم (الاسرائيليين) بعض الاستفسارات .

خامسا : بالنسبة لزيارته للسعودية والأردن كرر المستر أثرتون ما ذكرته في مقابلتي السابقة له .

وقال المستر أثرتون إنه يود قبل أن ينتهي من كلامه أن يشرح لماذا ترى الولايات المتحدة أهمية للاجتماع القادم الذي يقترحونه ، فالهدف الأمريكي مازال ثابتا مثل ما اتفقنا عليه في كامب ديفيد ولكن المسألة هى في كيفية تحقيقه ؟ فانه يلزم للحصول على تأييد داخلي للرئيس كارتر ، ولاحداث التأثير الأكبر داخل اسرائيل أن يكون من الواضح أن المفاوضات قد استمرت واستنفدت نفسها ووصلت في النهاية إلى طريق مغلق ، وهو ما تشعرون به أنتم في مصر وفي السعودية وفي الأردن . إلا أنهم في أمريكا فان الرأى العام لم يتفهم ذلك بعد .

الخلاف على نقطتين ..

وقلت لقد تحدثنا طويلا بالأمس وأمس الأول في هذا الشأن والخلاف الرئيسي بيننا يقوم على نقطتين: الأولى هى أسلوب المعالجة الأمريكية لاجتماع تال دون تقدير لظروفنا ووجهة نظرنا ، والثانية : أن أفكارهم الأولية لا تحقق ما نريده بحال فهى تتفق مع ما يعمل بيجن على تحقيقه ، وهو أن يكون الالتزام الاسرائيلي مقصورا على التفاوض خلال الفترة الانتقالية . في حين أن موقفنا يؤكد على أن تكون نقطة البدء هى التزام اسرائيل بتنفيذ الانسحاب مقابل ضمانات الأمن .

وأكدت للمستر أثرتون أنهم إذا كانوا يفكرون في التقدم بحل وسط بين المشروع الاسرائيلي والمشروع المصري فاننا لن نصل إلى شيء . وقلت إننا عرضنا على الجانب الاسرائيلي في ليدز مشروعنا بشأن الضفة الغربية وغزة فكان ردهم الاصرار على اقتسام الأرض وقد رفضنا ذلك ، ونحن على استعداد أن نتلقى اقتراحاتهم عليه عن طريق الجانب الأمريكي على أن تكون جادة وليست على نحو ما ذكره المستر أثرتون ، من أن المستر بيجن على استعداد لبحث موضوع السيادة بعد مضي السنوات الخمس . ونحن نقترح إذا كانت أمريكا ترغب في استئناف المفاوضات المباشرة في غياب التزام اسرائيلي بالانسحاب أن تتقدم بمشروع ـ بعد التشاور معنا ـ ينص على المواقف الأمريكية المعلنة بشأن الانسحاب وغيره .

وبمعنى آخر فاننا لا نستطيع استئناف المباحثات المباشرة من جديد دون أن تكون نقطة البدء هي التزام اسرائيلي بأن محورها سيكون الانسحاب ، أو إذا لم يتسن ذلك فلابد أن يكون هناك التزام يتضمنه المشروع الأمريكي بأن محل التفاوض هو تنفيذ الانسحاب مقابل ضمانات الأمن للأطراف . وبغير مثل هذا الالتزام الاسرائيلي أو الأمريكي تكون عودتنا إلى التفاوض من قبيل الحرث في البحر .

وأضفت أن هناك مسألة أخرى هى أن المشروع المصري يقوم على مشاركة الأردن فيما يتعلق بادارة الضفة الغربية خلال الفترة الانتقالية ، ومعروف أن الأردن قد علق مشاركته في المفاوضات على أساس أن يكون مفهوما منذ البداية أنها ستنتهي بالانسحاب ، ومعنى هذا أنه في غياب الأردن تصبح المفاوضات بين مصر واسرائيل مقصورة على قطاع غزة وحده دون الضفة الغربية ، وهذا ما لايمكن قبوله لأنه يعتبر تفتيتا للقضية الفلسطينية وتقطيعا لأوصالها . وقد وضحت النوايا الاسرائيلية في العمل على استبعاد الأردن وبالتالي في سقاط المشروع المصري .

وقال أثرتون : ربما لم أشرح موقفي بوضوح أمس ، إننا نطالب اسرائيل فعلا بالتزام منها بالتفاوض ، وربما يكون هناك غموض فيما يتعلق بالانسحاب ولكننا نطالبهم فعلا بالانسحاب .

وقلت : إننا لن نتفاوض من جديد على القرار ٢٤٢ فقد تم ذلك في مجلس الأمن ، وإنما يجب أن نقصر التفاوض على تنفيذ القرار ٢٤٢ .

موقف ديان الوقح ..

وتكلم الرئيس السادات فقال : بعد أن استمعت إلى رسالة الرئيس كارتر وإلى تقييم المستر أثرتون للموقف ، فيجب أن تتذكروا أنه قبل اجتماع لندن (ليدز) أعلنت موقفي بأني لن أوافق أبدا على الجلوس مع الاسرائيليين إلا إذا ظهرت عناصر جديدة في موقفهم . ولكن عندما طلب مني الرئيس كارتر عقد جولة أخرى من المباحثات فقد وافقته على ذلك ، ولصداقتي له فقد قبلت أن يتم الاجتماع في ليدز بدلا من العريش التي كنت أفضلها مكانا للاجتماع .

وكنت أعتقد بعد مبادرتي للقدس أننا تجاوزنا مرحلة الشكوك والعقد ، إلا أنه وضح لي أن الاسرائيليين يخلقون الصعوبات ويضعون العقبات أمام كل شيء ، وقد ظهر ذلك في جميع المراحل في

القدس وفي الاسماعيلية وفي اجتماعات اللجنة السياسية واللجنة العسكرية التي وافقت بيجن على تشكيلهما بمجرد اقتراحه ذلك .

ورغم معرفتي بأن هدفهم هو التوسع والحصول على أراض جديدة وحدود جديدة لاسرائيل ترضي جشعهم وتحقق أحلامهم ، فقد كان هدفي وتفكيري دائما هو دفع عملية السلام وتمهيد الطريق أمامهم للتحرك إلا أنهم تغافلوا عن كل ذلك وسيطر الطمع على تصرفاتهم . ثم جاءت اجتماعات ليدز . وجاءت اللحظة التي كنت أتوقعها ليخرجوا على السطح بموقفهم الحقيقي المبيت وهو الاستيلاء على الأرض .

وفي حديثي مع الرئيس كارتر ـ قبل المبادرة ـ في شهر ابريل (نيسان) ١٩٧٧ ناقشنا ثلاثة موضوعات هى : الأرض ، وطبيعة السلام ، والمشكلة الفلسطينية ولم يكن هناك خلاف جوهري بيننا إلا على طبيعة السلام . فقد كنت أعتقد أنه ليس من السهل بعد عداء استمر ثلاثين سنة الانتقال إلى علاقات السلام الطبيعية دفعة واحدة . وكان كارتر قد اجتمع بالاسرائيليين قبلي وقالوا له إن كل ما يطمحون إليه هو الاعتراف بدولتهم والتفاوض المباشر معهم وتطبيع العلاقات وإقامة علاقات تعاون وسلام .

وقد قالوا لكارتر وقتها إن هذه الطلبات يستحيل أن يوافق عليها أي زعيم عربي . وفي شهر نوفمبر (تشرين الثاني) تجاوزنا كل ذلك وأعلنا قبولهم في المنطقة واستعدادنا للدخول معهم في مفاوضات مباشرة والاعتراف بهم وتقديم ضمانات الأمن التي يطلبونها ، وكذلك استعدادنا لتطبيع العلاقات وفتح الحدود والتعاون والتعايش .

وهذا هو موقفي حتى الآن وهو ما لم يكونوا يتصورونه في أحلامهم ولكن غلب عليهم طبعهم في أن يأخذوا كل شىء ثم يطالبوا بالمزيد . ثم ظهرت الحقيقة واضحة جلية في مؤتمر ليدز عندما قدمنا لهم مشروعنا وعرضنا عليهم نقاط الأمن الست وأعلنا أننا لا نعارض

حتى في أن تقوم أمريكا بعقد تحالف دفاعي وعسكري معهم . فكان جوابهم أنهم يصرون على أن تشتمل ترتيبات الأمن اقتسام الأراضي المحتلة ونحن بطبيعة الحال لا نملك التنازل عن الأرض

وقد كان موقف بيجن في غاية الغطرسة والتبجح عندما أعلن أنه لن يعيد حبة رمل إلا بالثمن ، كما كان موقف ديان وقحا عندما قال : إنهم لا يستطيعون تقديم هدايا لنا بمناسبة عيد الميلاد (الكريسماس) بدون مقابل . ولذلك أعطيت أوامري بأن تعود المجموعة العسكرية الاسرائيلية فورا إلى اسرائيل .

والرئيس كارتر يطلب في رسالته الأخيرة عقد اجتماع جديد مع اسرائيل بحضور فانس واشتراك وزيري الخارجية والدفاع في البلدين . وإني آسف لأن موقفي الآن هو أننا لن نجلس مع اسرائيل على أى مستوى إلا عندما يعلنون أن الأرض خارج أى تسوية وسط . ونحن في المقابل مستعدون للذهاب إلى نهاية العالم لتقديم كافة ترتيبات الأمن . ويجب ألا نسمح باضاعة وإهدار سنوات في النقاش والجدل حول كلام ديان عن التقابل في منتصف الطريق والحلول الوسط وغير ذلك .

الأرض والسيادة يجب أن تخرج تماما عن إطار المساومة ، فنحن لا نعيش في غابة ينتزع فيها البعض أرض الآخرين . وهم في اسرائيل وبيجن بالذات يحاول أن تتحول اسرائيل على حساب أرضنا العربية إلى دولة كبرى في المنطقة وأن يحصل مع ذلك على الأمن والسلام في نفس الوقت .

انقذوا صورة بلادكم ..

وسكت السادات قليلا ثم قال في صوت قوي يشوبه بعض الانفعال : مصر وأمريكا تربطهما صداقة قوية ونحن نريد الحفاظ على تلك الصداقة وتدعيمها وزيادة التعاون معكم ، ولكن البنتاجون لايزال حتى هذه اللحظة يزود اسرائيل مرتين في اليوم الواحد

بالمعلومات التي تتعلق بأمننا عن طريق الأقمار الصناعية الأمريكية ، ونحن ليس لدينا صورا جوية عن اسرائيل ويهمنا بالطبع الحفاظ على أمننا .

والواقع أني مندهش للغاية من موقفكم وكيف تسمحون لاسرائيل أن تستغلكم بهذا الشكل ، فأنتم تقدمون لها كل شيء ومع ذلك يتحداكم بيجن بكل صلف ولا تستطيعون أمامه حراكا . وبالنسبة لموضوع امداد البنتاجون لاسرائيل بالخرائط الجوية المتعلقة بأمننا فنحن حريصون على ألا نشوه صورة أمريكا أمام شعوبنا ، وأنا أطلب منكم رسميا وسريا في نفس الوقت اطلاعنا على كل ما فعلته أمريكا وتفعله الآن في مجال امداد اسرائيل بالمعلومات الخاصة بأمننا وفي كل المجالات الأخرى ، لأن هذا يجب أخذه في الاعتبار حتى لا يعلنوا بكل تبجح أنهم يرفضون أن تضغط عليهم أمريكا ، ويكفي أن تسألوا كيسنجر عما طلبته منكم اسرائيل بعد أربعة أيام من حرب أكتوبر (تشرين الأول) وما قدمتموه لها وقتها وبعدها من أسلحة متطورة .

وأرجو أن تنقلوا إلى صديقي الرئيس كارتر أني لن أحرجه وكل ما أطلبه أن تنقذوا صورة بلادكم أمام الشعوب العربية ، خاصة وأن الغطرسة وقلة الأدب الاسرائيلية هي بسبب الأسلحة الأمريكية التي تغدقونها على اسرائيل وبسبب تعاون البنتاجون معها .

وسيعرف شعبي حتما أن كل ما تفعلونه هو مساندة الاحتلال الاسرائيلي للأراضي العربية . ويمكنني أن أقول ذلك للرأى العام ولكني لن أفعل بسبب صداقتي ومحبتي للرئيس كارتر وعرفاني للشعب الأمريكي . ولكن نصيحتي لكم أن تحاولوا إصلاح صورة أمريكا وستجدون أني صديق قوي يعتمد عليه .

والواقع أن الملك خالد أرسل لي أخيرا رسالة يطلب فيها أن أقطع أي اتصال مع اسرائيل بعد أن ثبت أن لا فائدة ترجى من وراء ذلك . وإني أرى أن على أمريكا الآن أن توضح موقفها وحتى هذه

اللحظة فانكم لم تفعلوا ذلك . ونحن مستعدون للاستماع إلى كل جديد ، ولكني أؤكد استعدادنا للمفاوضات المباشرة ولكل ترتيبات الأمن والدخول في علاقات طبيعية وحدود مفتوحة وكل ما يمكن تصوره لا يشمل التخلي عن سنتيمتر واحد من الأرض ، وعلى اسرائيل أن تنسحب من كل مستوطناتها في الضفة الغربية ، ولقد كان موقفكم دائما منذ ١٩٦٧ بما في ذلك جولد برج الصهيوني هو انسحاب اسرائيل من الضفة الغربية مع امكان اجراء تعديلات طفيفة في الحدود . ولست أطالب اسرائيل بأن يتم الانسحاب أولا فيمكنهم أن يعلنوا عن قبولهم لمبدأ الانسحاب بضمان أمريكي .

إن هدف اسرائيل هو إخراج أمريكا من المفاوضات بأي شكل حتى تجلس معنا على انفراد ، وكنت مستعدا لذلك لو أنهم يريدون العيش كدولة طبيعية في الشرق الأوسط ولكنهم لا يريدون ذلك ، وسأصمم دائما على التواجد الأمريكي في المفاوضات لأننا نريد أن تكونوا شهودا على تصرفاتهم . وقد طلبوا مني بالفعل أن يتم التفاوض بيننا بدون مشاركة أمريكا ولكني رفضت وقلت لوايزمان عندما قال لي إني سأحصل على عرفان العالم كله لجهودي من أجل السلام : إني سأعطي هذا الفضل (GRACE) للرئيس كارتر .

أرجو أن تنقلوا كل ذلك إلى كارتر وإلى فانس حتى يكون في اعتباره عندما يضع خططه لرحلته القادمة إلى المنطقـــة . وأن توضحوا لكارتر أني لا أود إحراجه بأي طريقة وقد أرسلت له خطابا بما حدث في النمسا وبعدها .

ويجب أن تعلموا أننا لا نريد أن نضطر لرفض أي مشروع تتقدم به أمريكا إذا حاول إرضاء اسرائيل عن طريق ايجاد حل وسط وإذا كان موقفي هذا سيؤدي إلى إحراج كارتر فأرجو أن توضحوا له أنه ليس لدي خيار آخر . والمهم عندي ألا يخرج بشيء يسيء إلى صورته في منطقتنا لأنه صديقي . كل ما نطالبكم به هو أن تكونوا واضحين مع الاسرائيليين وأن تقولوا لهم : هل أنتـــم

مستعدون لاسقاط أطماعكم في الأرض والسيادة وأن تجلسوا مع العرب للتفاوض من أجل السلام ؟

المستر أثرتون : من المؤكد يا سيادة الرئيس أننا سنبلغ الرئيس كارتر بكل ما قلته لنا وهو يبادلكم أطيب المشاعر والعالم كله يعلم قدر المحبة والاحترام الذي تكنه أمريكا لكم . وأنا أتفق معكم في أن المفاوضات قد تستمر لسنوات طويلة ولو لم نكن معكم طرفا فيها لاستمرت فعلا لسنوات ولكن أمريكا لن تسمح بذلك ووجودنا كطرف يمنع ذلك . ولكن من الصعب علينا أن نعلق آمالا على المستقبل إذا لم يكن هناك سبيل لاستئناف المفاوضات ، وبالنسبة لالتزاماتنا في كامب ديفيد فاننا مصممون عليها ولكنني لا أعرف كيف يمكن الاضطلاع بدورنا دون استمرار عملية التفاوض الحالية .

المبادرة الثانية ..

الرئيس السادات : هذا أمر مفهوم ومنطقي ونحن طبعا مستعدون للتفاوض والتحلي بالصبر والمرونة ولكن اسرائيل هى التي تضع العراقيل . والموقف واضح فهى تحتل أراضينا وتريد الاستيلاء على جزء منها . لا تقوموا بوضعي في موقف يقوم فيه رئيس وزراء اسرائيل بالاعلان في رسالة رسمية أن موقف اسرائيل هو عدم أعطاء شيء دون الحصول على ثمنه ، واني كنت أتفهم ذلك لو أنهم يعطون شيئا من جيوبهم أو أراضيهم ، ولكن هم لصوص سرقوا أراضينا ونحن لسنا في غابة . لقد كان القول الفصل الذي حسم موقفنا هو ما أعلنوه في اجتماعات ليدز ثم في مناقشات الكنيست وقرارات الحكومة بألا يردوا شيئا بدون مقابل . ونحن في هذا لا ننفعل بل نعالج الأمور بهدوء إنني عندما قابلت وايزمان لم أطلب منه العريش وإلا كنت طلبت سيناء بالكامل ، لقد كنت أبحث معه المستقبل واقترحت أن تكون الاجتماعات مستقبلا في العريش وبئر سبع ويجب أن يعلم الاسرائيليون أنى لست ضعيفا وأنهم لن يحصلوا مني على أي

تنازلات بالنسبة للأرض . وقد قلت لوايزمان حاولوا أن تكسبوا ثقة الشعب المصري عن طريق عدم المساس بأرضه ، وستكسبون ود هذا الشعب ولن تقلقوا من ناحيتنا أبدا .

إن مبادرتي الثانية الآن بعد مبادرة نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٧ هى أنني مستعد لكل شيء فيما عدا الأرض والسيادة أو محاولة خلق دولة عظمى في المنطقة تفرض إرادتها علينا . وأن شعب مصر ربما يتفهم أن تكفل أمريكا الأمن لاسرائيل ، بشرط أن تقولوا لاسرائيل ألا تستخدم السلاح الذي تقدمونه لها في التوسع والاستيلاء على أرض الغير ، وإلا فسيوجه شعبي اللوم لكم ولن يكون ذلك بسبب خطئي .

المستر أثرتون : سوف ترى يا سيادة الرئيس أن آراءنا ومواقفنا ستكون واضحة للجميع ، ونحن نأسف لأننا نعتقد أننا كنا قريبين من النقطة التي كنت تريدها .

الرئيس السادات : الواقع أنكم لم تكونوا قريبين أبدا وستظلوا بعيدين عن تحقيق أى شيء طالما أن هدفهم هو الأرض ، ويجب أن تظهر مفاهيم جديدة وعناصر جديدة .

المستر أثرتون : لم أقصد أننا كنا قريبين من تحقيق اتفاق بينكم وبين اسرائيل ، وإنما قصدت أننا كنا قريبين من تحقيق ما اتفقنا عليه في كامب ديفيد . واننا حتى نستطيع تنفيذ ما اتفقنا عليه في فبراير (شباط) ١٩٧٨ يجب أن نجد الاطار التفاوضي لتحقيق ذلك .

الرئيس السادات : هذا منطقي لأنه لا يمكن تحقيق أى شيء دون الجلوس إلى مائدة التفاوض ، وكان السوفيت قد طلبوا مني أن أجلس مع جولدا مائير في طشقند سنة ١٩٧٢ ولكني رفضت لأني كنت مهزوما . واليوم عندما تطلبون مني أن أجتمع معهم بعد أن أبلغني بيجن بشكل نهائي أن سياسته هى عدم إعادة الأرض بدون مقابل فانني لن أقبل ولا تحاولوا إحراجي .

السفير ايلتس : الا يمكن القول إنكم افترضتم تطبيع العلاقات في مقابل إعادة الأرض .

الرئيس السادات : لقد قلت أكثر من هذا .

السفير أيلتس : ما اقترحه الآن هو : ألا يمكن النظر في استخدام ما عرضته سيادتك عليهم ـ وهو أكثر مما كانوا يحلمون به ـ في اطار صفقة متكاملة ، ألا يمكن أن يتحقق ذلك من خلال اجتماع آخر ؟

الرئيس السادات : لقد استمعتم إلى ما قلته وأرجو أن تنقلوه إلى الرئيس كارتر وأنا أترك الأمر كله له وللكونجرس وللرأى العام الأمريكي .

المستر أثرتون : نحن نعلم أن الرئيس كارتر يشعر بالتزام نحوكم وأنه يشعر بأنه لكي ينفذه فهو يحتاج إلى العملية التي شرحناها لكم ، ونحن لدينا مشكلة ونحتاج إلى جولة أخرى من المفاوضات . ونرجو بهذه المناسبة ألا يتم التصريح بشيء إلى الصحافة حتى لا تغلق الباب .

الرئيس السادات : لقد أوضحت لكم موقفي كما أوضحته لشعبي في خطابي يوم ٢٧ يوليه (تموز) .

المستر أثرتون : بالنسبة للعناصر الجديدة التي تطلبونها ، هل يكفي القول بأن الولايات المتحدة تعلن أنها تشعر بأن هناك تقدما !!

محمد ابراهيم كامل : بالطبع لا . ولكن إذا التزمتم في دعوتكم إلى الاجتماع بالنص على أن أساس الاجتماع هو تنفيذ الانسحاب المنصوص عليه في القرار ٢٤٢

الرئيس السادات : لا .. لا .. لا ، لقد وصلنا إلى قمة الموقف وهو سلام أم لا سلام . وأرجو أن تبلغوا الرئيس كارتر أن اسرائيل غير مستعدة للسلام وأن بيجن لن يحقق السلام . وهم يشعرون بأن لديهم حرية اتخاذ القرارات ونحن أيضا لنا نفس الحرية . وليشهد

العالم كله من هو على حق ومن هو على باطل . وبعد افتضاح موقفهم سيحكم العالم على هذا الطفل الذي بالغتم في تدليله . وسوف يأتي اليوم الذي يشعرون فيه بأنهم حطموا آخر أمل في السلام . ونحن على ثقة بأننا سنكسب في النهاية ونستعيد أراضينا رغم المتاعب والصعوبات .

السفير أيلتس : أتفهم ما قلته سيادتكم بما تطلبه من اسرائيل ، ولكن كيف نضمن ذلك في مشروع اقتراح أمريكي ؟

الرئيس السادات : إذا سألتني عن رأيي في كيفية معالجة الموضوع ، أقول لا تخوضوا في التفاصيل بل قدموا ورقة تشير إلى مبدأ عدم جواز اكتساب أراضي الغير عن طريق القوة . وما سبق أن أعلنتموه من أن المستوطنات غير شرعية . متى قلتم ذلك يمكن للأطراف أن تجلس معا لمناقشة كل المسائل بما فيها الأمن . ولا يمكن لأحد أن يعترض على الأمم المتحدة وقراراتها ، كما لا يستطيع أحد أن يوافق على جواز اكتساب أراضي الغير بالقوة . والعالم كله يعلم أن اسرائيل لا يمكن أن تعيش بدون مساعدتكم . وقد أبلغني جولدمان بأنه اتصل بايرليخ وزير مالية اسرائيل وشيمون بيريز . وأن الكل يتطلع إلى أمريكا لكى تتخلص من الرجل بيجن ويجب على أمريكا أن تمارس مسؤولياتها .

المستر أثرتون : سيادة الرئيس : ولكن كيف نقدم مشروعنا دون مفاوضات ؟

محمد ابراهيم كامل : لقد كانت هناك مفاوضات في ليدز . وقد أعلنوا أمام الوفد الأمريكي بوضوح عن إصرارهم على اقتسام الأرض . ويمكن للولايات المتحدة على أساس ما دار في هذا المؤتمر أن تتقدم بمشروعها دون حاجة إلى جرنا إلى مسرحية مفاوضات جديدة .

السفير أيلتس : سيادة الرئيس ، عندما اقترحنا عقد اجتماع ليدز لم نكن نتوقع أن ينتج عنه شيء ايجابي ، وكان السيناريو أن كل

جانب سوف يشرح موقفه ، ثم يحضر أثرتون وفانس إلى المنطقة ويعقد في النهاية اجتماع اخر[1] ، ثم نقدم نحن مقترحاتنا ولقد سرنا على هذا الأساس . ويجب أن نتجنب أن نظهر وكأننا نحاول فرض شيء على أي طرف والموضوع الهام الآن هو حاجتنا الضرورية لجولة أخرى من المفاوضات كي نقدم مقترحاتنا . ومحمد كامل يقول إنه لا حاجة لاجتماع جديد لنفعل ذلك ، إلا أننا على ثقة بأنه بدون هذا الاجتماع سنعطي الانطباع بأننا نحاول أن نفرض رأيا محددا على أحد الأطراف ، ولذلك فنحن نعتقد أنه من الحكمة عقد اجتماع جديد . وأرجو أن أسأل سيادتكم : هل إذا صدر بيان أمريكي عام يتضمن خطوطا عريضة فهل يعني ذلك أنكم توافقون على حضور اجتماع آخر ؟

الرئيس السادات : إني أنصحكم أن تأخذوا وقتكم ، ولا تتقدموا بأى شيء يسيء إلى صورتكم في المنطقة . ونحن لا نريد أن تتقدم أمريكا باقتراح محدد لأنه لن يرضي أحدا . إني أرى ألا تدخلوا في التفصيلات وألا يتناول البيان غير المبادىء التي لا يختلف عليها اثنان ، ولذا فكل ما أطلبه من الولايات المتحدة عندما تجد ذلك مناسبا أن تصدر بيانا تقول فيه :

إنه طبقا للنظام الأخلاقي الدولي ، ولمبادىء وروح ميثاق الأمم المتحدة ولأحكام قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . فان حل النزاع بين الطرفين يستلزم انهاء إحتلال الأراضي ، وقيامهما بالتفاوض على الأمن والسلام ، وإن أمريكا ستشترك معهما في المفاوضات .

ويمكن للرئيس كارتر أن يضع كل ما يراه بالنسبة لترتيبات الأمن التي يجب أن ترضي احتياجات الطرفين . كذلك يمكن أن يشير

---

(١) لم يشر لي الرئيس السادات بشيء عن اجتماع تال لاجتماع ليدز عند عودتي من نيويورك ، بل قال لي انه وافق على الاجتماع مجاملة للرئيس كارتر على أن يكون اجتماعا اخيرا (راجع الفصل الثالث عشر من هذا الكتاب) .

إلى كل ما يتعلق بالتطبيع والاعتراف والحدود المفتوحة وعلاقات التعاون بين الجيران . وأن يستكمل كل ذلك بضمانات وأن تبدي أمريكا استعدادها للمشاركة في هذه الضمانات .

السفير أيلتس : هذا يختلف عما سبق أن اتفقنا عليه .

الرئيس السادات : طبعا فهناك عنصر مؤسف جديد ، ظهر في اجتماعات ليدز ، ثم تأكد في خطاب بيجن الذي ينم عن الجشع والغطرسة وقلة الأدب .

السفير أيلتس : واضح أن هذا الخطاب قد ضايقكم جدا .

الرئيس السادات : لا .. في الواقع ، ولكنه فضح خبايا نفسه وكنت أرجو ألا يكون الأمر كذلك . ومعنى هذا أننا وصلنا إلى نقطة تحول ، فاما أن تستمر عملية السلام الحالية بعد أن توضع لها الضوابط ويتحقق بذلك السلام القائم على العدل . واما أن نترك لاسرائيل فرصة الكسب بالنقاط ، لأنهم في الحقيقة ليس لديهم أي قضية يمكن الدفاع عنها ، وإذا لم نتصد لهم فسيكسبوا اللعبة كلها وتضيع فرصة السلام من بين أيدينا .

وانتهى الاجتماع ، ورافقت المستر أثرتون والسفير أيلتس حتى باب الغرفة حيث كان يتجمع خارجها عدد من رجال الصحافة . ثم عدت واتجهت إلى الرئيس السادات وقبلته على جبينه وأنا أقول برافو يا ريس . وابتسم الرئيس السادات وقال : وماذا كنت تتوقع يا سي محمد ؟

الفصل الحادي والثلاثون

القفز إلى القمة .. لماذا ؟

غادر المستر أثرتون مصر عائدا إلى واشنطن وهو يحمل معه قرار الرئيس السادات النهائي برفض الموافقة على الاشتراك في اجتماع وزراء الخارجية والدفاع الذي اقترحته الولايات المتحدة ، وتصميمه على أن أية مفاوضات مباشرة جديدة يجب أن تتم على أساس استبعاد الأرض والسيادة من دائرة التفاوض .

وقد أصاب هذا الموقف الحكومة الأمريكية بخيبة أمل إذ وضع نهاية لما كانت تصر عليه من استمرار التفاوض المباشر ، وفرض عليها البحث عن طريق آخر .

وقد أسفر هذا البحث عن اتخاذ الحكومة الأمريكية قرارا بتخطي محاولتها في عقد اجتماع للأطراف على المستوى الوزاري والقفز إلى المستوى الأعلى بعقد مؤتمر قمة ثلاثي يحضره الرئيس السادات ورئيس الوزراء بيجن والرئيس كارتر .

وتقرر أن يسافر وزير الخارجية فانس إلى الشرق الأوسط حاملا معه دعوة الرئيس كارتر لهذا المؤتمر إلى كل من مناحم بيجن وأنور السادات . كما تقرر أن تشمل مهمته زيارة السعودية والأردن لمحاولة تهدئة مخاوفهما وحثهما على إعلان تأييدهما لعقد مؤتمر القمة الثلاثي ، والذي اعتبر بمثابة مغامرة بكل المقاييس ، خاصة فيما يتعلق بمستقبل الرئيس كارتر السياسي ولهذا أحيط الغرض من زيارة فانس إلى المنطقة بالكتمان الشديد .

وقبل أن أشرح خلفية اتخاذ هذا القرار ، أشير إلى واقعتين

حدثتنا في ذلك الوقت :

الاولى : أن الأمير فهد ولي عهد السعودية زار الاسكندرية في أعقاب مغادرة أثرتون لها واجتمع بالرئيس السادات وبارك موقفه في رفض استئناف المفاوضات ، كما أعرب عن استعداده لممارسة دور السعودية في العمل على جمع الشمل العربي من جديد تمهيدا لعقد مؤتمر قمة عربي .

الثانية : أن بعض التقارير الصحفية نسبت إلى وزير الخارجية الأمريكي أنه صرح أمام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ بأن قرار الرئيس السادات برفض مواصلة المفاوضات المباشرة مع اسرائيل يعتبر عقبة في سبيل السلام . وقد قمت باستدعاء السفير الأمريكي على الفور وطلبت منه تفسيرا لهذا التصريح .

وقد نفى السفير علمه بذلك ، ووافاني في اليوم التالي بنص التصريح الذي أعلنه فانس ويدور حول اعتقاده بوجوب أن تكون هناك مفاوضات بين الأطراف حتى يتسنى للجانب الأمريكي ــ متى اصطدمت هذه المفاوضات بعقبات ــ أن يتقدم باقتراحات لمحاولة التغلب عليها .

وأعود لشرح خلفية هذا القرار الأمريكي بالقفز فوق الاجتماعات على المستوى الوزاري إلى الدعوة لعقد مؤتمر قمة ثلاثي في كامب ديفيد . وأحاول أن أتلمس ذلك مما دار في الاجتماع الذي عقده المستر هارولد سوندرز مساعد وزير الخارجية الأمريكي للشرق الأوسط مع مندوبي الصحافة الأمريكية المعتمدين لدى وزارة الخارجية وذلك في يوم ٣ أغسطس (آب) ١٩٧٨ بوزارة الخارجية بقصد احاطتهم بأسباب زيارة وزير الخارجية فانس للمنطقة .

وقد سجلت وقائع هذا الاجتماع في محضر بلغ تسعا وأربعين صفحة وأحيط بدرجة من السرية ، وعلى أساس التزام الحاضرين بعدم الافصاح أو الاشارة عن مصدر ما قد ينشرونه من معلومات أو

تعليقات أو تحاليل حول زيارة فانس المرتقبة إلى الشرق الأوسط .

وقائع الاجتماع

بدأ سوندرز الاجتماع بشرح الخط الذي كانت الخارجية الأمريكية تعول على السير فيه ومواصلته ، وهو استمرار التفاوض المباشر ، الأمر الذي وضع السادات نهاية له في مقابلته الأخيرة مع أثرتون يوم الأحد ٣٠ يوليه (تموز) . وأن هذا هو السبب الذي تقرر أن يسافر فانس من أجله إلى المنطقة لمحاولة استطلاع كيفية استئناف معالجة الموضوع .

ذكر سوندرز أنهم يعتبرون أن محادثات ليدز كانت مفيدة لأنها أفرزت على مائدة المفاوضات مادة كثيرة وعميقة . وهو ما تحتاج إليه الولايات المتحدة حتى تستطيع مساعدة الطرفين على تشكيل « الحلول الوسط » . وبالنسبة لمشكلة الضفة الغربية وقطاع غزة ــ شديدة التعقيد ــ ظهرت بعض الأفكار التي تساعد على بلورة تفكير الطرفين بدرجة يبدو معها أن المسائل المستحيلة الحل هي في النهاية يمكن حلها ، وذلك في مجال الأمن وفي مجال اجتذاب الأردن إلى دائرة المفاوضات وغير ذلك من المجالات .

وكان التخطيط الأمريكي هو أن تمتد هذه المحادثات بشكل أكثر تفصيلا في اجتماع تال للأطراف يحضره وزراء الخارجية والدفاع في الأسبوع القادم ، بقصد زيادة وضوح المواقف وحتى يتبين للأطراف النطاق الذي عليهم اتخاذ القرارات الخطيرة الخاصة بالأرض فيه . ولكن ما حدث هو أن السادات قرر فجأة أنه لا يستطيع الاستمرار في هذه المباحثات إلا بعد أن يحسم موضوع مستقبل الأرض .

وقال سوندرز إن قرار السادات يرجع في رأيه إلى سببين : الأول ، أنه فقد صبره وثقته في أسلوب التفاوض المباشر لأنه يعتقد أن الاسرائيليين يستخدمونه في المماطلة وكسب الوقت من ناحية ،

وأن الأمريكيين من الناحية الثانية يستخدمونه كوسيلة لتحاشي قيامهم باتخاذ القرار العام ، والذي هو في رأيه أن تقوم الولايات المتحدة بممارسة الضغط على إسرائيل لتعلن التزامها بالانسحاب من غالبية أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة .

وذكر سوندرز أن نفاد صبر السادات هى صفة مميزة فيه فقد ذهب إلى القدس في الخريف الماضي ، عندما نفد صبره من الطريقة الأمريكية في الاعداد للتوجه إلى مؤتمر جنيف والذي شعر بأنها لن تؤدي إلى شيء . وهو الآن فعل نفس الشيء بعد نفاد صبره من المفاوضة ويسمي موقفه الجديد (عدم استئناف التفاوض إلا بعد استبعاد الأرض والسيادة) مبادرته الثانية ويضعها على نفس مستوى مبادرته الاولى بزيارة القدس .

والسبب الثاني هو أن أصدقاء السادات في العالم العربي يقولون له إن موقفه في العالم العربي يتآكل ويتدهور . فلا شك أن السعوديين مثلا قلقون حقيقة من أن يفقد أحد زعماء العرب المعتدلين اعتباره في العالم العربي ، ويشعرون بأنه لابد من عمل شيء لاعادته إلى الصف العربي ، وقد فتحوا الباب لعودته إليه بطريقة لا تريق ماء وجهه ، وأن عليه بطبيعة الحال أن يفكر في ذلك متى شعر بأن مبادرته بالذهاب إلى القدس لن تحقق شيئا .

والمشكلة أنه « إذا تخندق السادات في موقفه بأنه لن تكون هناك مفاوضات حتى تحل مشكلة الأرض ، فان ذلك يشكل موقفا محترما له في العالم العربي ، ولكنه موقف ليس سهلا بالنسبة لما نريده من استمرار المفاوضات » . وأضاف سوندرز أنهم يشعرون بأن الوقت يجري من بين أيديهم فيما يتعلق باستمرار التفاوض الذي هو مسألة حيوية بالنسبة للمصالح الأمريكية الهامة ، وكذلك بالنسبة لمصالح أصدقائهم في المنطقة .

وخلص سوندرز إلى أن الغرض من زيارة فانس لكل من القدس والاسكندرية هو إجراء محادثات مفصلة مع كل طرف لمعرفة

الكيفية التي يريد بها استئناف المفاوضات ، حتى يتمكن من تقييم الموقف ومعرفة أين نقف الآن ، وبالتالي فانه من الصعب التكهن بالخطوة التالية قبل عودة فانس إلى واشنطن وتقديم تقريره إلى الرئيس كارتر .

نظرية الحلول الوسط ..

وأنتقل بعد ذلك إلى الأسئلة التي وجهها الحاضرون ، وإلى إجابات مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأوسط عنها .

سؤال حول ما إذا كانت زيارة فانس ستؤدي إلى أن تمارس الولايات المتحدة ضغطا على اسرائيل تحقيقا لما يريده السادات ؟ نفى سوندرز بشدة أن يكون هذا هو التفكير الأمريكي ، فلن ينصاع فانس لأى طرف وبخاصة لما يطلبه السادات ، وإنما تقوم الخطة الأمريكية على استمرار المفاوضات بأى شكل مع مطالبة الطرفين بأن يفكرا على أساس « الحلول الوسط » بالنسبة للمسائل الرئيسية .

وأجاب عن سؤال عما إذا كانت الولايات المتحدة ستتقدم بخطة للسلام ؟ بأنه كانت هناك خطط أمريكية للسلام مثل « مبادرة روجرز » ومثل « تقرير بروكنز » . وقد يعتقد البعض أن مثل هذه الخطط يمكن فرضها على الأطراف ، ولكن ذلك غير ممكن لأنها صنعت في الولايات المتحدة وفي فراغ دون استشارة الأطراف ، ولذا فلن تتقدم الولايات المتحدة بمثل هذه الخطط . وإنما يدور التفكير الأمريكي حول ترك الأطراف تتفاوض ويكون موقف الجانب الأمريكي — متى ظهرت فجوات بين الأطراف — أن يتقدم باقتراحات لسد هذه الفجوات .

وعلى سبيل المثال ، ففي جولات المكوك التي قام بها كيسنجر في أثناء مباحثات فض الاشتباك سنتي ١٩٧٤ و ١٩٧٥ كان يستمع لكل طرف ثم يقول في النهاية « حسنا ، يخيل إلي أنكم تستطيعون

الالتقاء مع الطرف الآخر إذا قبلتم هذه الأرضية المشتركة » أو يقول « هذه هى الطريقة التي يمكن بها حل هذه النقطة الصعبة » .

ومثال آخر ففي مجموعة اتفاقيات فض الاشتباك توجد وثائق تحت عنوان « اقتراح أمريكي » والسبب في ذلك يرجع إلى أن أحد الأطراف طلب من الولايات المتحدة أن تتقدم باقتراح أمريكي « لأننا لا نستطيع التقدم باقتراح يمس سيادتنا ويحدد حقنا في وضع قواتنا على أراضينا ، ولكن إذا جاء الاقتراح من أمريكا فسنقبله » .

وعليه فان الاقتراحات الأمريكية لن تأتي إلا نتيجة لما تسفر عنه المفاوضات ، ولن تتقدم الولايات المتحدة بمشروع متكامل كما يريد السادات ، ولن يكون تدخلنا لصالح مصر أو لصالح اسرائيل ولكن سيكون على أساس « الحل الوسط » . وسئل عما إذا كانت اسرائيل على استعداد لتغيير موقفها من الانسحاب من الضفة الغربية وفقا للتفسير الأمريكي للقرار رقم ٢٤٢ ؟ فقال إنه لا يعتقد أن اسرائيل غيرت موقفها ، كما أنها مازالت تصر على أن يظل موضوع السيادة على الضفة الغربية وغزة معلقا ، وموقف اسرائيل هو أنها تود أن ترى ما سيحدث في الضفة الغربية وقطاع غزة وأن تؤجل بحث المسألة الاقليمية إلى ما بعد ، فهى لا تريد أن تلتزم بشيء مسبقا وتشعر بأن المفاوضات تكون أكثر واقعية إذا دارت في اطار موقف حقيقي ينشأ على الأرض نتيجة تطورات حدثت في خلال خمس سنوات . والموقف المصري يريد أن يبت في مستقبل الأرض الآن ثم التفاوض على التفاصيل .

وبالنسبة للحكومة الأمريكية فان موقف اسرائيل ـ وليس ذلك بالضرورة لأنه موقف اسرائيل ـ هو الأكثر تمشيا مع طريقة المعالجة الأمريكية للأمور . فمن الصعب التمشي مع الموقف المصري بحل موضوع الأرض أولا ثم مناقشة التفاصيل !! وتعتقد الولايات المتحدة أن هناك « حلول وسط » بين الموقفين وهذا هو المجال الذي يمكن للولايات المتحدة أن تعمل فيه .

وعن سؤال يفترض مقدرة الولايات المتحدة على التوفيق بين الطرفين في نقاط الخلاف غير الجوهرية ولكن ماهو الحال لو كانت الفجوة بين الطرفين واسعة جدا بما يهدد بفشل المباحثات نهائيا ؟ هل تقوم الولايات المتحدة باقتراح - لمعالجة هذه الفجوة - يبدو بالنسبة لاسرائيل أنه تسوية مفروضة ويبدو للمصريين أنه ممارسة للولايات المتحدة لدور الشريك الكامل ؟

أجاب سوندرز بأنه يجب التمييز بين نوعين من الخلافات ، فهناك مسائل يمكن العثور على حلول وسط لها بين الأطراف بمساعدة الجانب الأمريكي أو بدونها . ولكن هناك موضوعا رئيسيا يتعلق بمسألة ما إذا كانت ومتى تلتزم اسرائيل بترك الضفة الغربية . وبصراحة فهو لا يستطيع القول كيف تتقدم الولايات المتحدة باقتراح لمعالجة ذلك ، ولكنه يعود فيقول « ومع ذلك فأعتقد أنه حتى هذا الموضوع توجد طرق لمعالجته ، ويكون اقتراح أمريكي فيها مفيدا بمعنى أن هناك عدة طرق لاتخاذ هذا القرار فعلى الجانب الأقصى يمكن الاصرار على أن اسرائيل يجب أن توافق اليوم أنها في وقت معين في المستقبل ستنسحب من الضفة الغربية تماما » .

ولا أعتقد أن أي شيء يمكن أن تقوله الولايات المتحدة أو تفعله يمكن أن ينتج هذا القرار . ولكن على الصعيد الآخر . يمكن القول ببساطة « حسنا لقد جئنا للتفاوض على حل قضية الضفة الغربية فدعونا فقط نبدأ في المفاوضات ودعونا لا نضع ضوابط أو خطوطا ارشادية للمفاوضين حول إلى ماذا ستنتهي إليه (المفاوضات) ، حسنا في نقطة وسط .. هنا نحاول أن نجد طريقا في هذه الأرض المتوسطة » !!

وأجاب عن سؤال عما يعنيه بأن المهم هو أن تستمر الأمور في المسير ؟ أن ما يعنيه هو أقرب إلى صياغة غامضة VAGUE FORMULATION مؤداها أن تعود مسيرة المفاوضات من جديد لتعالج من جديد بطريقة رئيسية نفس المسائل التي كنا نعالجها حتى

الآن . وأنه لا يستطيع تحديد الكيفية التي يتم بها ذلك وهل تكون عن طريق محادثات مكوكية أو في مؤتمر وهل تكون محادثات مباشرة أو غير مباشرة إلا بعد عودة فانس من زيارته وتقديمه تقريره إلى الرئيس .

وعن سؤال آخر حول أن فانس يسعى إلى معرفة الحد الأدنى لمواقف الطرفين وكيف أنهم لم يتوصلوا إلى معرفة ذلك طوال هذا الوقت . قال إنه لا يمكن معرفة الحد الأدنى حتى نصل إلى النقطة التي يتحتم اتخاذ القرارات فيها .

هل تمنعون الفشل ؟

وثمة سؤال أخير وجه إلى سوندرز يحمل في طياته الاجابة ويوضح حقيقة الموقف وأنقله هنا حرفيا « لقد بدأت (الحديث) بالقول بأننا بتنا قريبين جدا من أن ينفد الوقت (من بين أيدينا) . ولقد حاولت أن أجمع في ذهني كل ما قلته وكيف يتفق مع بعضه البعض . ويخيل إلي أنه يمكن القول إنك تحاول أن تمنع هذا الشيء (الموقف) من الانهيار .

فليس هناك برنامج . وأنتم تخافون التقدم ببرنامج . الاسرائيليون في حالة تجمد . والعرب يبتعدون عن المفاوضة . والبرنامج الوحيد الذي لديكم حقيقة هو مجرد الاستمرار في الكلام حتى تمنعوا اعترافا معلنا بأن الموضوع قد فشل ، مبادرة السادات وكل ما تعلق بها » .

وقد يكون من المناسب أن أضيف إلى ما سبق إجابات سوندرز على بعض الأسئلة الأخرى عسى أن تلقي الضوء أكثر على ملامح التفكير الأمريكي . سئل لماذا لم تمارس الحكومة الأمريكية الضغط لتحقيق حل منفرد بين مصر وإسرائيل بدلا من إضاعة الجهد في محاولة تحقيق اتفاق عريض يشمل الفلسطينيين المعتدلين والأردنيين ؟ فأجاب بأن المشكلة هي أن السادات قد أوضح بحزم يوم الأحد الماضي (أثناء مقابلته لأثرتون) أنه لن يتفاوض بتاتا حتى

يحل موضوع الأرض ، بحيث لا تشملها عملية التفاوض ولذا فيستحيل علينا إعادة عملية المفاوضات إلا إذا تصدينا لموضوع الضفة الغربية وغزة .

والاسرائيليون يريدون الحل المنفرد كما هو معلوم ولم نحاول فرض أنفسنا في هذا المجال . ولكن السادات كان يصر دائما على أنه لا يستطيع المضي وحده في حل الخلاف المصري الاسرائيلي مالم يتحقق شيء على الجبهات الأخرى . وقد قال إنه مستعد أن يكون في غاية المرونة لما يجري على الجبهات الأخرى ، ولكنه لا يستطيع أن يظهر وكأنه يتخلى عن القضية الفلسطينية وباقي العرب .

ولذلك فقد كان يطالب باستمرار وباصرار على حاجته إلى إعلان مبادىء .

حتى لا يجتمع العرب ..

وعن سؤال حول ما يحدث لو فشلت أمريكا في استئناف المفاوضات بين مصر واسرائيل . قال سوندرز : إن السياسة المعقولة الوحيدة بالنسبة للولايات المتحدة في الشرق الأوسط هى العمل على مواصلة السعى نحو السلام حتى نستطيع الاحتفاظ بعلاقاتنا مع كل الجبهات في الشرق الأوسط . هذا هو محور استراتيجيتنا بالنسبة للشرق الأوسط وإذا فقدنا هذا المحور تصبح الولايات المتحدة وليس لها سياسة معقولة في الشرق الأوسط .

إن ما نحاول أن نفعله هو بناء وتدعيم تحالف بين الدول العربية المعتدلة : السعودية ومصر والأردن والمغرب وتونس والكويت ومحاولة جذب سوريا إلى ذلك التحالف . وهذه الاستراتيجية لها أسباب عديدة : أسباب تتعلق بالعمل من أجل السلام ، وأسباب تتعلق بالبترول ، وأسباب تتعلق باحتواء الاتحاد السوفيتي .. وهذا هو المدخل لما نريده في هذه البقعة من العالم .

وإذا فشلنا في إعادة المفاوضات من جديد فسينتج عن ذلك

تحرك نحو مؤتمرات القمة العربية ونحو ذلك ، مما يؤدي إلى تشدد الموقف العربي ويخلق وضعا يكون من الصعب معه العودة إلى المفاوضات من جديد .

إذن تكون النتيجة الأولى هي مؤتمر قمة عربي يجمع العرب ويضع نهاية لمبادرة السادات ولكل شىء فيما عدا العودة إلى مؤتمر جنيف ، أو شيئا من هذا القبيل أى نعود إلى حيث كنا من سنة مضت .

وإذا استمرت حالة اللا حرب واللا سلم فليس معنى ذلك أن السادات سوف يسقط على الفور . ولكن ستكون هناك مخاطرة بتحركات في هذا الاتجاه بالنسبة لمصر وسوريا ، وإذا حدث ذلك فسينتج عنه وضع مختلف للغاية في الشرق الأوسط بالنسبة للولايات المتحدة وبالنسبة لاسرائيل .

ولذلك يجب علينا الاستمرار في دفع عملية السلام التي من شأنها أن يظل العرب منشغلين .. وهذا ينمي علاقاتنا مع الدول العربية الرئيسية التي نحتاج لها ويسمح لنا في نفس الوقت بالاحتفاظ بعلاقاتنا الوثيقة باسرائيل . وفي النهاية نكون على علاقة وثيقة بالشرق الأوسط . « ومن الناحية الفنية فان النقطة التي سيحدث فيها ذلك (توقف المفاوضات نهائيا) هى عندما يتفقون (الدول العربية) على مؤتمر قمة عربي . ولدي الأمل في أن يستطيع وزير الخارجية فانس أن يقدم له (السادات) ويقترح عليه ما يكفي لنعمل بمقتضاه . بما يحول دون اتخاذ هذا القرار . (الاشتراك في مؤتمر قمة عربي) » .

شكوك في الموقف الأمريكي

وعندما انتهيت من قراءة محضر اجتماع سوندرز ــ الذي وقعت صورة منه بين يدي بعد أسبوعين من تاريخ الاجتماع ــ ازدادت شكوكي في الموقف الأمريكي وتزعزعت ثقتي في النوايا

الأمريكية فقد تواترت اجابات سوندرز عن الأسئلة الخاصة باحتمال تقدم الولايات المتحدة بمشروع للسلام ، على نحو لا يدع مجالا للشك في أن الموقف الأمريكي يعتمد أولا وأخيرا على استمرار المفاوضات حتى ينتج عنها حل وسط نتيجة تنازلات من الطرفين ، وليس ذلك فيما يتعلق بضمانات الأمن أو تطبيع العلاقات . حيث مجال التوصل إلى الحلول الوسط مفتوح وممكن وإنما في صلب الموضوع ، أي فيما يتعلق بالأرض والسيادة التي أعلن الرئيس السادات أنهما خارج دائرة التفاوض .

إذن فقد نحت الولايات المتحدة جانبا القرار رقم ٢٤٢ الذي يعتبر تنفيذه أساس التسوية السلمية المتفق عليه دوليا ومصريا واسرائيليا .

وتناست المواقف الأمريكية المعلنة من وجوب الانسحاب الاسرائيلي من الضفة الغربية وغزة ، مع إمكانية إجراء تعديلات طفيفة في خطوط الهدنة والبيان الصادر من البيت الأبيض عقب زيارة السادات في ٨ فبراير (شباط) ١٩٧٨ .

والأكبر من ذلك أنها غضت الطرف عما تعهد به الرئيس كارتر للرئيس السادات في السيناريو الذي اتفق عليه أثناء تلك الزيارة ، وبمقتضاه أن تتقدم مصر بمشروع بشأن الضفة الغربية وغزة ، وأنه إذا رفضت اسرائيل ذلك المشروع تتقدم الولايات المتحدة بمشروع أمريكي بعد أن تطلع مصر عليه لمناقشته قبل تقديمه .

ذهب كل ذلك أدراج الرياح وتحول الموقف الأمريكي إلى موقف ، مبناه دفع الأطراف ـ أو بالأحرى دفع مصر ـ إلى مواصلة التفاوض مع اسرائيل حتى يتم التوصل إلى حل وسط بشأن الأراضي ، رغم وضوح نية اسرائيل المبيتة في ضم الأراضي العربية كما أعلنها ديان صراحة في مؤتمر ليدز .

وبالتالي أصبحت عملية التفاوض المستمر بالنسبة للولايات المتحدة غاية في حد ذاتها ليس فقط تعلقا بأمل أن توافق مصر في

النهاية على تنازلات اقليمية في الضفة الغربية التي لا تملكها ، وإنما لأن البديل ، وهو وقف التفاوض ، سيؤدي إلى عودة مصر إلى العرب وعقد مؤتمر قمة عربي والعودة إلى مؤتمر جنيف . حيث يتم التفاوض بحضور الأطراف أصحاب الشأن وتحت الرئاسة المشتركة للاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، وهذا ما لا تريده ألولايات المتحدة ولا اسرائيل . فالقصد إذن عزل مصر عن الدول العربية والانفراد بها لاجراء تسوية منفردة وتكريس الفرقة في العالم العربي .

وحتى يمكن تخطي المأزق الناشىء عن إصرار السادات على عدم العودة إلى المفاوضات المباشرة من جديد إلا إذا استبعدت الأرض والسيادة من دائرة التفاوض ، ولتفادي عودة مصر إلى العالم العربي ، وفتح الباب من جديد أمام مؤتمر جنيف ، الأمر الذي يعني في النهاية فشل الدور الأمريكي في إحراز نتائج في المفاوضات الثلاثية ، لجأت الولايات المتحدة إلى فكرة الدعوة إلى مؤتمر القمة الثلاثي في كامب ديفيد وكان الطعم الذي استخدمته لاستدراج السادات هو إعلانها أنها قررت القيام بدور الشريك الكامل في المفاوضات .

الفصل الثاني والثلاثون

سوف تدخل التاريخ يا محمد

كان شهر رمضان المعظم قد بدأ عندما سافر سيروس فانس إلى المنطقة حيث وصل إلى القدس في ٥ أغسطس (آب) ١٩٧٨ وأجرى مباحثات مع رئيس الوزراء الاسرائيلي ومعاونيه استمرت يومين في جو تحوطه السرية التامة ، وقد أذاع راديو صوت أمريكا أن هناك تكهنات في الشرق الأوسط ، بأن الولايات المتحدة قد تنظم عقد مؤتمر قمة ثلاثي يضم الرئيس كارتر والرئيس السادات ومناحم بيجن رئيس وزراء اسرائيل .

وأضاف الراديو أن بيجن صرح بأنه مستعد لدراسة هذا الاقتراح إذا عرض . ومن ناحية أخرى صرح بيجن بأنه أثناء مباحثاته مع فانس لم تطلب الولايات المتحدة من اسرائيل إجراء أى تعديل في موقفها من قضية الشرق الأوسط ، وأنه يتعين على الرئيس المصري أن يوافق على عقد اجتماع قمة ثلاثي دون شروط مسبقة ، وفيما عدا ذلك التزم كل من الجانب الأمريكي والجانب الاسرائيلي الصمت التام فيما يتعلق بالهدف من زيارة فانس ، وأعلن الأخير أنه سيكون مستعدا للتحدث بالتفصيل بعد استكمال مباحثاته مع الرئيس السادات .

وقبل أن انتقل إلى زيارة فانس للاسكندرية . أشير إلى أن اسرائيل قد انتهزت زيارة فانس للمنطقة للقيام بحملة إعلامية واسعة بالتنسيق مع أعوانها في الولايات المتحدة لمحاولة استعادة الأرضية التي فقدتها منذ المبادرة والتشويش على موقف مصر ، ومحاولة إلقاء

اللوم عليها في تعثر المفاوضات وبث بذور الشقاق بين مصر والولايات المتحدة وأهم ملامح هذه الحملة ما يلي :ـ

١ ـ محاولة تصوير الموقف المصري كما عبر عنه الرئيس السادات في لقائه مع المستر أثرتون في ٣٠ يوليه (تموز) بشأن وجوب إخراج الأرض والسيادة من دائرة التفاوض ، بأنه تحول من مصر إلى موقف جديد مبنى على التشدد والادعاء بأن مصر لم تفسح للمفاوضات فرصتها الكاملة . وفي هذا الصدد صرح بيجن بعد مقابلته لفانس بأن الموقف المصري من التشدد وعدم المرونة بحيث أنه يجعل استمرار الحوار في الشرق الأوسط مستحيلا .

٢ ـ محاولة إسناد هذا الموقف المصري إلى ضغط سعودي مزعوم ، والايحاء بأن مصر أمامها طريقان متعارضان ، فاما الاستمرار في السعي نحو السلام وإما التحول إلى طريق التضامن العربي .

٣ ـ إن اسرائيل لم تتوان عن بذل كل جهد لتحقيق السلام ، وقد قدمت بالفعل كل أفكارها بما في ذلك فكرة تسوية جزئية مع مصر بشأن سيناء ، وأن الدور على مصر الآن للتقدم بأفكارها ، وأن اتفاقا مؤقتا بين مصر واسرائيل سيكون أمرا طيبا من شأنه أن يفتح المجال فيما بعد أمام اتفاق شامل . وفي هذا الصدد صرح مناحم بيجن بأنه مازال ملتزما بخطته بمنح حكم ذاتي محدود تحت الاشراف العسكري الاسرائيلي « لعرب » الضفة الغربية وقطاع غزة ، وأنه فضلا عن ذلك مستعد لمناقشة مسائل السيادة على « جوديا وسماريا » وغزة بعد خمس سنوات من إبرام اتفاق السلام ، وتنفيذ خطته للحكم الذاتي « للفلسطينيين العرب » .

٤ ـ استغلال الاختلاف المصري الأمريكي حول أسلوب الاستمرار في جهود السلام للتغطية على حقيقة أن المواقف

الأمريكية المعلنة بالنسبة للموضوع أقرب إلى الموقف المصري منها إلى الموقف الاسرائيلي ، ومحاولة تعميق هذا « الخلاف التكتيكي » بين القاهرة وواشنطن حتى ينعكس ويطغى على « التوافق الاستراتيجي » بين مصر والولايات المتحدة بالنسبة لعناصر التسوية (الانسحاب بانطباق القرار ٢٤٢ على كل الجبهات ، القضية الفلسطينية ــ صيغة أسوان ، عدم مشروعية المستوطنات) .

٥ ــ التركيز على أن الرئيس السادات يستخدم الولايات المتحدة كوسيلة للضغط على اسرائيل ، وأنه يعمد منذ عدة أشهر إلى خلق جو من الأزمة والتوتر بهدف إرغام الأمريكيين في النهاية على التقدم بمشروع أمريكي للسلام يكون قريبا قدر الامكان من الموقف المصري .

٦ ــ وفي غمار كل ذلك لم يغفل مناحم بيجن أن يزج بلهجة التهديد والوعيد ، حيث لوح في تصريح له باحتمالات التجاء اسرائيل إلى الحرب الوقائية بما يحمله ذلك من محاولة لارهاب مصر وأمريكا وتصعيد التوتر السائد في المنطقة .

أهمية عنصر الزمن ..

وفي ٧ أغسطس (آب) وصل وزير الخارجية سيروس فانس إلى الاسكندرية قادما من القدس ، وكانت بصحبته مجموعة من معاونيه من بينهم أثرتون وسوندرز وكوانت ، وقد نزلوا في فندق فلسطين[1] الذي أقيم بحدائق قصر الملك السابق فاروق بالمنتزة .

(١) رفض الوفد الاسرائيلي في مباحثات اتفاقية السلام المصرية الاسرائيلية فيما بعد دخول فندق فلسطين الذي كان معدا للمباحثات لمجرد انه يحمل اسم فلسطين ، وبالمقابل اصر مناحم بيجن ــ فيما بعد أيضا ــ على ضرورة عقد المباحثات الخاصة بالحكم الذاتي الفلسطيني في القدس بوصفها عاصمة اسرائيل الأبدية .

وتحددت الساعة الثامنة والنصف مساء لاستقبال الرئيس السادات للمستر فانس باستراحة المعمورة ، وفي الساعة الرابعة بعد الظهر عقد اجتماع بين الجانب الأمريكي برئاسة فانس والجانب المصري

برئاستي ، ولم يتكلم فانس فيه كثيرا وقد انتهزت الفرصة لشرح الموقف المصري بعد اجتماعات قلعة ليدز وتفنيد الادعاءات الاسرائيلية وإيضاح ما نطلبه من الولايات المتحدة ..

وقد بدأت بالتأكيد على تمسك مصر بجهود السلام واستمرارية هذا الموقف منذ خطاب الرئيس السادات في الكنيست في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٧ وبما أبديناه من استعدادنا للالتزام به في مجال الأمن والسلام وعلاقات حسن الجوار ، بما يتجاوز كثيرا التزاماتنا بمقتضى القرار ٢٤٢ كما أبديت استعدادنا للسير في طريق التفاوض المباشر مع اسرائيل شريطة أن يكون ذلك على أسس واضحة تعطي السلام فرصة حقيقية .

وقلت : إننا لا نضع شروطا مسبقة للمفاوضات كما تدعي اسرائيل ، بل إن ما نطالب به هو تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بينما اسرائيل هى التي تضع شروطا مسبقة باصرارها على الاحتفاظ بالأرض مهما تم الاتفاق عليه من ضمانات السلام ، وهى بذلك تخالف قرارات الأمم المتحدة كما تخالف المواقف التي عبرت عنها الولايات المتحدة نفسها علنا مرارا من عناصر التسوية وهى :—

أ ـ الانسحاب من الأراضي المحتلة ماعدا تعديلات طفيفة في الضفة الغربية .

ب ـ عدم شرعية المستعمرات الاسرائيلية في الأرض المحتلة .

جـ ـ صيغة أسوان بالنسبة لحل المشكلة الفلسطينية .

د ـ عدم شرعية استغلال اسرائيل للبترول والثروات المعدنية في سيناء .

كذلك فان الولايات المتحدة قد أعلنت أكثر من مرة أنه إذا

تعثرت المفاوضات فانها ستكون في حل من تقديم أفكارها .

وأبرزت أن التضامن العربي ليس بديلا في رأينا عن مبادرة السلام وأن موقف مصر هو العمل على التضامن العربي والترحيب به مع احتفاظها بحريتها في أسلوب تحقيق التسوية السلمية الشاملة التي اتفق العرب جميعا عليها في مؤتمر القمة في الرياض سنة ١٩٧٤ . وقلت : إنه يتعذر علينا الدخول في مفاوضات جديدة بعد أن أعلنت اسرائيل الشروط المسبقة التي تحاول فرضها على أية مفاوضات ، وهى الاحتفاظ بأراض عربية واستمرار الاحتلال الاسرائيلي ، وأن المواقف التي عبر عنها ديان محاولا الايحاء بأنها تتضمن مرونة في الموقف الاسرائيلي لا تمثل بالنسبة لنا أي تقدم ، فابداء الاستعداد لمناقشة السيادة على الضفة الغربية بعد خمس سنوات ليس فيه جديد بالنسبة لمشروع بيجن الذي تضمن أن تبقى السيادة « معلقة » خلال فترة الانتقال ، مع أن اسرائيل ليس لها أدنى سند في المطالبة بأية سيادة على الضفة وغزة .

وأما ما أعلنه من استعداد لمناقشة « الحل الوسط الاقليمي » إذا عرضت مصر ذلك فمعناه ببساطة أن تسلم مصر مقدما لاسرائيل بحق مزعوم في الاحتفاظ بأراض عربية .

إن الولايات المتحدة تستطيع أن توفر الأساس الملائم لاستئناف المفاوضات المباشرة ، وإذا كانت الولايات المتحدة تقول إنها لا تستطيع أن تقدم مشروعا مفصلا إلا في إطار مفاوضات جارية ، فلقد أوضح الرئيس السادات لأثرتون أنه لا يطالب أمريكا بتقديم مشروع مفصل بل يطالبها بمشروع يتضمن مبدأين :

الأول : عدم جواز الاستيلاء على الأراضي بالقوة ، وأن الانسحاب يجب أن يشمل جميع الأراضي ويمكن للولايات المتحدة أن تذكر موافقتها على إجراء تعديلات طفيفة في الضفة الغربية .

والثاني : عدم شرعية المستوطنات الاسرائيلية في الأراضي المحتلة ..

وهذان المبدأن يتفقان مع ما أعلنته أمريكا مرارا ولا يثيران أمام الادارة الأمريكية الصعوبات التي قد يثيرها تقديم مشروع مفصل . ويمكن على أساسهما بدء مفاوضات مصرية اسرائيلية ، بل إن ذلك يساعد على تحقيق الهدف الذي تسعى إليه الولايات المتحدة ومصر في توسيع نطاق المفاوضات لتشمل دولا عربية أخرى مثل الأردن .

وانتهيت إلى التركيز على أهمية عنصر الزمن والمخاطر التي تحيط بالمنطقة من جراء تعثر جهود السلام نتيجة للمواقف الاسرائيلية المتعنته ، وضرورة أن تضطلع الولايات المتحدة بدورها لدفع عملية السلام وتفويت الفرصة على بيجن لمحاولة الاساءة إلى علاقات الصداقة بين العالم العربي وأمريكا ، في المساهمة في الاساءة إلى صورة الولايات المتحدة لدى الشعوب العربية .

ولم يفصح المستر فانس عن أي شيء من مضمون رسالة الرئيس كارتر إلى السادات ، أو بشأن محادثاته الأخيرة في اسرائيل .

الرحلة إلى المجهول ..

وفي الساعة الثامنة والنصف مساء وصل سيروس فانس والوفد الأمريكي إلى استراحة المعمورة حيث كان الرئيس السادات في انتظاره على مائدة أعدت في الحديقة للاجتماع ، وكان موجودا من الجانب المصري نائب الرئيس السيد حسني مبارك ورئيس الوزراء ممدوح سالم ووزير الدفاع الجمسي وأنا والدكتور بطرس غالي ، وبعد تبادل التحية جلس الجانب الأمريكي مع الجانب المصري حيث قدمت المرطبات وقام مراسلو الصحافة والتليفزيون بالتصوير وبعد انتهاء ذلك بدقائق اصطحب الرئيس السادات المستر فانس إلى مسافة بعيدة عن مرمى السمع وجلسا منفردين ، واستمر اجتماعهما إلى ما بعد منتصف الليل ، ثم عادا إلى حيث كان يجلس باقي أفراد

الجانبين المصري والأمريكي وصافح فانس الرئيس السادات وباقي المجتمعين واستأذن في الانصراف وصحبته في سيارته . وقد أخبرني فانس ونحن في الطريق إلى فندق فلسطين ـ وكان وجهه يفيض بالسعادة وصوته يمتلئ بالحماسة ـ بأن الرئيس السادات قد قبل دعوة الرئيس كارتر لمؤتمر القمة الثلاثي الذي اقترح عقده في كامب ديفيد في ٥ سبتمبر (ايلول) المقبل بعد انتهاء شهر رمضان وعيد الفطر ، وأن مناحم بيجن كان قد وافق بدوره على هذا الاجتماع عندما زاره في القدس وأضاف فانس أن كل شيء سيصبح على ما يرام ، وأنه لابد من تحقيق النجاح في هذا المؤتمر ، وإلا فسيعني الأمر نهاية مستقبل الرئيس كارتر السياسي ، ولذلك فسيلقي بكل ثقله في الميزان . وأنهم سيبذلون غاية جهدهم في تحقيق السلام الذي ننشده وسيقومون بدور إيجابي نشط في المباحثات .

ومشيت مع فانس حتى باب المصعد ، وكنت أهم بدخوله معه للتوجه إلى غرفتي بالفندق عندما طرأت لي فكرة عابرة فودعته وعدت إلى خارج الفندق ، وركبت سيارتي وطلبت من السائق التوجه إلى استراحة المعمورة من جديد .

والحق أن فكرة عقد مؤتمر قمة ثلاثي بين كارتر والسادات وبيجن قد باغتتني تماما ، ولم أكن أتوقعها على الاطلاق ، وإنما كان تفكيري منصرفا إلى أن مهمة فانس هى محاولة اقناع الرئيس السادات من جديد بالموافقة على اجتماع جديد على مستوى وزراء الخارجية والدفاع . وأنهم قد يعرضون عليه ضمانات أمريكية تكفل إحراز تقدم في المباحثات على النحو الذي ننشده ، مما قد يغريه على الموافقة على عقد مثل هذا الاجتماع .. والواقع أني كنت محقا بعض الشيء في استبعاد دعوة الرئيس كارتر لمؤتمر قمة ثلاثي في الوقت الذي وصل فيه الخلاف المصري الاسرائيلي إلى زاوية تبلغ مائة وثمانين درجة .. الأمر الذي يجعل تدخل الرئيس الأمريكي ضربا من المقامرة والمغامرة بالمخاطر بكل المقاييس ..

كانت الساعة قد قاربت الواحدة بعد منتصف الليل عندما وصلت إلى استراحة المعمورة ، وكنت أخشى أن يكون الرئيس السادات قد أوى إلى فراشه . والحقيقة أنه لم يكن هناك ما يبرر الاستعجال في مقابلتي له ، وكنت أستطيع إرجاء ذلك إلى صباح اليوم التالي ، إلا أني كنت قلقا وأرغب في معرفة رد فعله بالنسبة لفكرة مؤتمر القمة ، وفي هذه الأثناء قابلت السيد حسن كامل رئيس الديوان الجمهوري وهو يوشك على الانصراف وسألته عن الرئيس فقال إنه يتناول طعام السحور .. في الحديقة ..وتوجهت معه إلى حيث كان يجلس الرئيس على مائدة حفلت بكل أنوا ع الطعام التي يتميز بها شهر رمضان ، وعندما رآني دعاني إلى الجلوس معه ، إلا أنه لم يقل شيئا وظل منهمكا في تناول الطعام بشهية طيبة ، وبعد فترة من الصمت قلت : لقد أخبرني فانس عن موضوع مؤتمر القمة في كامب ديفيد وأنك وافقت على حضوره فقال « نعم .. نعم .. إن هذا هو ما كنت أسعى منذ البداية من أجله وهو أن تقوم أمريكا بدور الشريك الكامل وقد نقل لي فانس تأكيدات الرئيس كارتر بأنه سيقوم بذلك ، ولا تنس أن كارتر سيضحي بمستقبله إذا فشل هذا المؤتمر . ولذلك فاني واثق ومطمئن من أننا سننجح ، لأن نجاح المؤتمر أو فشله في أيدينا ، وقد آن الأوان لتضغط أمريكا على اسرائيل وتضع مناحم بيجن في حجمه الحقيقي ومكانه ، ألم أقل لك بأني متفائل وأن مبادرتي لا يمكن أن تفشل ؟ وقلت « إن شاء الله ستنجح » ولم أجد ما أقوله غير ذلك وساد الصمت بعض الوقت ، فأخذت عنقودا من العنب وشرعت التقط حباته وبعد فترة قال السادات « أتذكر أيام أن كنا في السجن ؟ سوف تدخل معي التاريخ يا محمد » وأجبت تلقائيا « إن شاء الله » وأحسست بشيء من الرهبة تعتريني وبدت لي كامب ديفيد كأنها رحلة إلى عالم غامض مجهول ، ولم أستطع أن استوعب فكرة مؤتمر القمة الثلاثي سواء بما لها أو بما عليها .

فجأة وجدتني أقول : إنني احتاج إلى إجازة ! .. فنظر إلي

الرئيس باندهاش قائلا : ماذا تقصد ؟ إن أمامنا عملا كثيرا . فرددت : إنني أعرف ولذلك احتاج إلى ثلاثة أو أربعة أيام للراحة .. فقال : لم لا تذهب إلى شاطىء سيدي عبد الرحمن ؟ فقلت : هذه فكرة طيبة فعلا .

انتهى الرئيس من طعامه وأرسل يستدعي السيد حسن كامل ، وعندما حضر قال له : يا حسن سيكون الوفد المصري في محادثات كامب ديفيد مكونا من حسن التهامي ومنك (أى حسن كامل) ومحمد كامل ، وبطرس غالي وأسامة الباز فأبلغهم بذلك حتى يستعدوا .. وصافحت الرئيس ثم عدت إلى الفندق .

الانفعالات الشخصية ..

في صباح اليوم التالي ٨ أغسطس (آب) اجتمعت مع المستر فانس ، وكان مدار الحديث الأوضاع المتردية في لبنان .. كان فانس معنيا للغاية بهذا الأمر ، وسألني عن رأيي في الوجود السوري في لبنان فقلت : إنني سأكلمه بصراحة وإن رأيي في هذا الشأن يخالف تماما رأى الرئيس السادات الذي ينادي بالانسحاب السوري من لبنان ورفع الأيدي الخارجية عنه .. وأشعر بأنه مدفوع في ذلك بانفعالات شخصية تجاه الرئيس الأسد .. بينما انا أرى أنه في الظروف الراهنة فان الوجود السوري في لبنان هو أهم العناصر الفعالة في كفالة شيء من الاستقرار فيها ، والحيلولة دون تردي الأوضاع إلى فوضى شاملة لا تستطيع سوريا تحمل انعكاساتها عليها .. ولو تم انسحاب القوات السورية من لبنان فلا مناص من أن ينفجر الموقف تماما وتتفتت لبنان إلى شظايا من الدويلات والفرق المتناحرة ، وهذا هو ما تسعى إليه اسرائيل خدمة لمخططاتها التوسعية في لبنان ، وإن اسرائيل ولو ادعت ظاهريا انها قد سحبت قواتها من جنوب لبنان ، إلا أنها في الواقع لم تفعل فقد زرعت ركيزة لها هناك ممثلة في عصابات الرائد اللبناني المنشق سعد حداد الذي

تمده بالأسلحة والعتاد بدعوى حماية المسيحيين في لبنان ، وهى من الحجج القديمة التي كانت تتعلل بها الدول الاستعمارية في القرن التاسع عشر مبررا للاستعمار ، وتطلق يده الآثمة في الجنوب حتى يؤمن لها طريقا مفتوحا إلى جنوب لبنان في أى وقت تختاره ، وينشر الفوضى والاضطراب في المنطقة باعتداءاته على قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة ومنعها من ممارسة واجباتها ، وكذلك منعه كتيبة من الجيش اللبناني من دخول الجنوب ، وهو بهذا يعمل على تقويض الحكومة الشرعية في لبنان وانهيارها حتى يهىء لاسرائيل الصيد في الماء العكر ، وتحقيق أطماعها التوسعية في لبنان ، وقد وجدت فانس متفهما لكل ما قلت ومتجاوبا معه .

الشريك الكامل ..

وفي الظهر صدر بيان من البيت الأبيض يعرب عن اغتباط الرئيس كارتر لقبول كل من الرئيس السادات ورئيس الوزراء بيجن دعوته للذهاب إلى كامب ديفيد في الخامس من سبتمبر للاجتماع معه للبحث عن « إطار » للسلام في الشرق الأوسط .. وأضاف أن كلا من الزعماء الثلاثة سيصطحب معه عددا محدودا من مستشاريه الرئيسيين وأنه لم تحدد مدة معينة للاجتماع .

وفي المساء وبعد الافطار عقد الرئيس السادات ووزير الخارجية فانس مؤتمرا صحفيا في استراحة المعمورة ، وكان محور معظم الأسئلة هو موضوع قيام الولايات المتحدة بدور الشريك الكامل في المباحثات التي ستجرى في كامب ديفيد . وقد عبر الرئيس السادات عن سروره بقبول الولايات المتحدة في النهاية القيام بهذا الدور الذي تفرضه مسؤولياتها الدولية وكان مما قاله في اجاباته عن السبب في قبوله التفاوض المباشر من جديد مع بيجن . أنه يذهب إلى كامب ديفيد لا ليلتقي بمناحم بيجن وإنما تلبية لدعوة الرئيس كارتر له بالذهاب ، أما فانس فقد أعلن أن الولايات المتحدة على استعداد

لأن تلعب دور الشريك الكامل باعتبار أن سلام منطقة الشرق الأوسط ليس هاما لها وحدها ، وإنما للعالم أجمع . كما تضمنت إجاباته حول دور الشريك الكامل أن مساعيهم ستدور في إطار قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .

وفي صباح اليوم التالي ٩ أغسطس (آب) طار فانس إلى واشنطن وطار وليام كوانت الى اسرائيل ليحيط حكومتها علما بما دار في مباحثات فانس مع السادات ، وطار أثرتون متوجها إلى السعودية والأردن ، ليحيطهما بالتطورات وليسعى إلى الحصول على تأييدها العقد مؤتمر القمة الثلاثي في كامب ديفيد . أما أنا فأخذت السيارة مع عائلتي وتوجهت إلى شاطىء سيدي عبد الرحمن .

مضاربة أمريكية ..

يقع شاطىء سيدي عبد الرحمن على خليج من خلجان البحر الأبيض المتوسط ، ويبعد عن الاسكندرية نحو ١٢٠ كيلو مترا كما تفصله بضعة كيلو مترات عن قرية العلمين حيث دارت المعركة الفاصلة التي غيرت مجرى الحرب في شمال أفريقيا بين قوات الحلفاء بقيادة مونتجمري وقوات الفيلق الأفريقي الألماني بقيادة روميل .

ويتميز الشاطىء بالهدوء والجفاف ونسيم البحر المنعش والرمال البيضاء الناعمة ومياه الخليج الهادئة المتلألئة ذات اللون الفيروزي (التركواز) ، ولا يوجد على الشاطىء سوى فندق صغير ومجموعة من الشاليهات وبعض أشجار التين والنخيل .

وكانت هذه أول أجازة لي منذ عينت وزيرا للخارجية ، وأول مرة اجتمع بعائلتي وابني أحمد وعلي اللذين لم أكن أراهما إلا لماما وأنا مجهد مكدود مشدود ، وعزمت على أن أكرس هذه الأيام القليلة لهما وللراحة . وأن أفصل ذهني تماما عما يدور خارج هذا الشاطىء الجميل المنعزل . وقد نجحت في ذلك إلى حد كبير فلم أحاول الاطلاع على الصحف أو حتى سماع نشرات الأخبار الاذاعية ،

وكنت أمضي الوقت بين المشي والسباحة والاستلقاء على رمال الشاطىء ولعب الطاولة والشطرنج والبلياردو ..

إلا أني لم استطع أن أدفع نفسي بعيدا عن التفكير في مؤتمر كامب ديفيد القادم الذي كان يلح علي في بعض الأحيان . وكان محور هذا التفكير هو الموقف الأمريكي الذي كان يحيرني كثيرا .. ما الذى حدا بالرئيس كارتر إلى المقامرة بمستقبله السياسي وتعريض مركزه بوصفه رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية للفشل في الوقت الذي وضح فيه التناقض الجذري بين كل من الموقف المصري والموقف الاسرائيلي ؟ لماذا عرض فانس اقتراح القمة الثلاثي على رئيس الوزراء الاسرائيلي قبل أن يعرضه على الرئيس السادات هل كان ذلك اعتباطا ؟ إن المنطق كان يقتضي مفاتحة الرئيس السادات أولا بوصفه الطرف الذي كان يرفض عقد اجتماع وزاري ثلاثي جديد مالم يحدث تحول في الموقف الاسرائيلي . بينما كان الطرف الاسرائيلي متلهفا على استئناف الاجتماعات بالاتفاق مع الجانب الأمريكي ، ولو تم الاتصال أولا بالجانب المصري لأفسح ذلك الفرصة أمامه لرفض الاقتراح ما لم يقترن بضمانات أمريكية محددة لحدوث هذا التحول في الموقف الاسرائيلي . في حين أن طرح الاقتراح على الرئيس السادات بعد عرضه على بيجن أولا وقبوله للاجتماع يضع الرئيس السادات أمام الأمر الواقع ، ويفرض عليه القبول وإلا لظهر أو أظهر بمظهر المتعنت المتراجع عن الاستمرار في مسيرة السلام .

ترى ماذا حدث حقيقة في الساعات الطويلة التي قضاها فانس منفردا بمناحم بيجن في القدس ، ثم في تلك التي قضاها بعد ذلك منفردا بالسادات في حديقة المعمورة ؟ هل قدم أحدهما أو كلاهما تنازلات ؟ إن ما قاله لي الرئيس السادات بعد اجتماعه بفانس هو أن الرئيس كارتر وعد بأن يقوم بدور الشريك الكامل ، ويلقي بكل ثقله في هذا الاتجاه بمفهوم السادات ، بينما أعلن بيجن عقب انتهاء مقابلاته مع فانس في القدس أن :

« الولايات المتحدة لم تقدم لاسرائيل أى طلب لتغيير موقفها من قضية الشرق الأوسط »[1] وإذا كانت قد قدمت تنازلات في خلال تلك الاجتماعات المنفردة التي عقدها فانس مع مناحم بيجن ثم مع الرئيس السادات فماذا يمكن أن تكون ؟

هل يمكن تصور أن يكون بيجن قد أبلغ فانس أنه قد عدل عن أطماعه التوسعية في ضم الضفة الغربية وقطاع غزة ، وهى حلم عمره الذي عاش وكافح من أجله ، وهو الذي أعلن فور توليه رئاسة الوزارة الاسرائيلية أن « جوديا وسماريا » هى أراض اسرائيلية محررة وهو ما عاد وأكده موشى ديان منذ أسبوعين في اجتماعات قلعة ليدز من أنه لا بديل عن الحل الاقليمي ؟

وعلى الجانب الآخر هل يمكن تصور أن يكون السادات قد أبلغ فانس أنه قد عدل عن التمسك بأن تكون الأرض والسيادة خارج دائرة المفاوضات والمساومات ؟ بل هل هو يملك التنازل عن أرض ليست أرضه وعن حقوق شعب بأسره وهو الذي ذهب إلى القدس من أجل حل مشكلته ؟

في اعتقادي أنه لا مناحم بيجن ولا أنور السادات قد تعهد لفانس أو أبدى استعداده للتنازل عن شىء مما سبق .

اذن فما الذي تسعى إليه الولايات المتحدة أو تأمل فيه من عقد مؤتمر القمة الثلاثي في كامب ديفيد ؟

انتهى فكري إلى أن فكرة مؤتمر القمة ما هى إلا مضاربة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية على جولة أخرى من المباحثات على مستوى الرؤساء ستدفع طرفا ما أو كليهما إلى تقديم تنازل جوهري ، وسبيل ذلك هو أن يمارس الرئيس الأمريكي بكل ما يتدجج به من نفوذ مادي ومعنوي وشخصي على كل من مناحم بيجن وأنور السادات الضغط بلا هوادة أو شفقة ـ إذا اقتضى الحال ـ ليرغم احدهما أو كليهما على تقديم أقصى حد من التنازلات ، حتى يستطيع في النهاية

---

(١) اذاعه راديو اسرائيل يوم ١٩٧٨/٨/٧م

الخروج بحل وسط ملوحا ومهددا بما تستطيع أمريكا أن تمنحه أو تمنعه وكلاهما إزاءها غير حصين

يفعل الرئيس كارتر ذلك وهو يضع نصب عينيه أن الفشل في

التوصل إلى حل - أيا كان هذا الحل - سيكون ضحيته هيبة الولايات المتحدة ونهاية مستقبله السياسي .

ولم يكن هذا التصور الذي انتهيت إليه يثير لي نفسي كثيرا من القلق فاذا انحرف الموقف الأمريكي وانحاز إلى الجانب الآخر .. في كامب ديفيد فليس ذلك خاتمة المطاف ، إن الامكانيات العربية هائلة وإن قضيتنا قوية واضحة عادلة ، وان موقفنا لا يحتمل المساومة . فمستقبلنا ومصير الأمة العربية جميعا في الميزان ، وكل ما علينا هو الصمود والتمسك بحقوقنا المشروعة وبهدفنا في تحقيق السلام الشامل ، وأن نقول لا لغير ذلك وليس هناك قوة تستطيع أن تجبرنا على أن نسلم بالتفريط في أراضينا أو في سيادتنا عليها أما هيبة الولايات المتحدة فليست مسؤوليتنا وأما مستقبل جيمي كارتر فليس شأننا ..

وتذكرت ما قاله لي الرئيس السادات وهو يتناول طعام سحوره في حديقة المعمورة من أن نجاح المؤتمر أو فشله في أيدينا ، ولم يخالجني شك في أنه يعي ويفهم مضمون هذه العبارة الحكيمة الحقيقية ، وافترضت أن ما يقصده بها هو نجاحنا نحن وليس نجاح صديقه جيمي كارتر ولكني كنت من الغافلين .

الفصل الثالث والثلاثون

يصوم بينما يعمل الآخرون

عدت من سيدي عبد الرحمن إلى القاهرة وقد زادتني تلك الاجازة القصيرة نشاطا وحيوية ، وبدأت على الفور مع مجموعة العمل التي تتكون من أسامة الباز وأحمد ماهر السيد ونبيل العربي وعبد الرؤوف الريدي بالاضافة إلى مجموعة من مستشاري الوزارة وخبرائها في الاعداد للقاء القمة في كامب ديفيد .

فتتالت الاجتماعات وطالت المناقشات وبحثت جميع الافتراضات والتوقعات وتعددت المذكرات والدراسات . وكان الجميع يعملون بروح الفريق وبهمة وجدية مقدرين عظم المسؤولية ومدركين لأهمية اجتماعات كامب ديفيد ، وما يمكن أن تسفر عنه من نتائج خطيرة في اتجاه أو في آخر .

لن يسفر عن خسارة ..

وكان تقديرنا أن اجتماع كامب ديفيد إن لم يحقق لنا كسبا فانه لا يمكن أن يسفر بالنسبة لنا عن خسارة أو إضرار بقضيتنا . كان تصورنا أنه من المستبعد تماما أن ينتهي هذا المؤتمر ــ فيما خلا حدوث معجزة ــ إلى التوصل إلى تسوية شاملة نهائية للنزاع العربي الاسرائيلي ، وأن الأمر لا يعدو أحد احتمالين كلاهما طيب لنا الأول : أن ينجح الرئيس كارتر في كسر الجمود الاسرائيلي في التشبث بالأراضي العربية المحتلة مما يعتبر تقدما على طريق تنفيذ القرار ٢٤٢ ويسمح باجتذاب أطراف عربية أخرى إلى دائرة المفاوضات في جولات أخرى تالية .

والاحتمال الثاني : أن يفشل المؤتمر في تحقيق، أي تقدم في هذا الاتجاه ولن نكون من الخاسرين شريطة أن يبدو واضحا جليا ـ أمام أمريكا والعالم أجمع ـ أن وزر الفشل تتحمله اسرائيل وحدها بتمسكها غير المشروع بالأراضي المحتلة بالحرب وإجهاضها بذلك لتحقيق السلام الشامل العادل الذي نمد أيدينا لها به . وهذا في حد ذاته يمثل بالنسبة لنا كسبا ويشكل لنا منطلقا إلى خطوات تالية . ومبادرة السلام تحاصر اسرائيل وتحقق كل يوم عائدا جديدا في كسب الرأي العام الدولي والمستقبل أمامنا .

وفي أنحاء العالم جميعا كان مؤتمر كامب ديفيد المرتقب محل اهتمام كبير سواء من قبل الأجهزة الرسمية في الدول المعنية التي تأخذ في تقييم المواقف واعداد دراساتها وسياستها على ضوء نجاح المؤتمر أو فشله وما قد يستتبعه ذلك من نتائج أو مضاعفات ، أو من قبل أجهزة الاعلام التي كانت توالي نشر وإذاعة التعليقات والتحليلات والتكهنات .

وفي اسرائيل كان مناحم بيجن يواصل الاجتماعات بمجلس وزرائه وبلجان الكنيست وبالمستشارين والخبراء التي كانت تستمر الساعات الطوال للاعداد لاجتماعات كامب ديفيد .

كذلك كان الحال في الولايات المتحدة حيث خصص الرئيس كارتر جانبا كبيرا من وقته للتحضير للمؤتمر . إلى حد أنه كان يمضي أياما وليال بأكملها بعيدا عن واشنطن يختلي فيها بمعاونيه ومستشاريه لهذا الغرض .

وأين كان الرئيس السادات وماذا كان يعمل ؟ كان يواصل صيامه متجولا بين استراحاته في المعمورة والاسماعيلية والسويس وبورسعيد ، وكنت أتصل به تليفونيا حيثما كان لأحيطه علما بما نعمل ولاستطلاع رأيه في بعض النقاط ، وشعرت من قبله ببعض عدم الاكتراث . فكان غالبا ما يوافق على كل ما أقول أو يبدي بعض الملاحظات الثانوية غير المفيدة .

كان يمضي نهاره في تكاسل واسترخاء ، وبعد أن يتناول إفطاره في المغرب كان يمضي الكثير من أمسياته منشغلا بتنظيم الحزب الوطني الديمقراطي الذي أعلن إنشاءه برئاسته في خطابه بجامعة الإسكندرية يوم ٢٧ يوليه (تمـوز) الماضي فكان يستقبـل الشخصيات والوفود التي هرعت إلى إعلان انضمامها إلى الحزب الجديد لغرض أو لآخر . ويشكل اللجان ويوزع المناصب ويقيم الندوات ويلقي المحاضرات ، يتكلم في أى شيء في التاريخ والسياسة والاقتصاد ، في فلسفة الحياة ورسالة الأحزاب . في التكنولوجيا الحديثة وفي القيم وأخلاق القرية ، أو يستعيد ذكريات كفاحه الوطني أو مآثر مبادرته للسلام ، أو أي موضوع معـــين يخطر له ، والمستمع يتصدرهم المحافظ وكبـــار المسؤولين ينصتون بلا معقــب سوى الاستحسان والتصفيق .

التهرب من المقابلة ..

وعندما وصلنا في إعدادنا للمؤتمر إلى مرحلة تقتضي العرض عليه والحصول على موافقته طلبت من الرئيس أن يستقبلني وفريق العمل الذي يعاونني ، إلا أنه طلب إرجاء ذلك بدعوى أنه صائم ويرهقه العمل في رمضان . فعاودت طلبي بعد أيام وعاود التهرب والتسويف ، وأصابتني الدهشة فمنذ تعييني وزيرا للخارجية لم يكن يمضي أسبوع إلا وتتعدد فيه مكالماتنا التليفونية أو مقابلاتنا في أمور أقل أهمية مما نحن مقدمون عليه ، ولم أستطع تفسيرا لسلوكه وعدم اكتراثه بموضوع قد يكون جوهريا بالنسبة له شخصيا وبالنسبة لمصر ولمستقبل منطقة الشرق الأوسط كلها هل هو مجرد استهانة وعدم تقدير لأهمية الإعداد الجيد للمؤتمر ؟ هل هو فرط ثقة منه في نجاحه معتمداً على نفسه فقط ؟ هل هو ارتكان إلى وعود قاطعة نقلها إليه فانس من كارتر بألا يقلق وأنه سيؤازره على طول الخط ؟ أم هل هو يدبر في عقله شيئا آخر يريد أن يحتفظ به لنفسه حتى اللحظة الأخيرة

مثلما فعل عندما فاجأ العالم بزيارته للقدس ؟ وبدأ القلق يعتريني .

وأخيرا طلبته في استراحة الاسماعيلية وقلت له : إني لا أستطيع الاستمرار في العمل بهذا الأسلوب ، وإننا لسنا ذاهبين إلى كامب ديفيد للنزهة أو للسياحة ، ولابد أن نتفق على مواقفنا والاستراتيجية التي سنتبعها في المؤتمر ، وإلا فاني لن أذهب على الاطلاق ، فقال الرئيس السادات إنه سيقابلني بالطبع قبل المؤتمر وإنه قد حدد لذلك يوم ٢ سبتمبر (ايلول) ـ أي قبل السفر بيومين اثنين ـ حيث سيدعو مجلس الأمن القومي إلى الاجتماع في استراحته بالاسماعيلية .

وفي تلك الأثناء زارني السفير الأمريكي هيرمان أيلتس عدة مرات قبل سفره إلى واشنطن للمشاركة في التحضير للمؤتمر والانضمام إلى الوفد الأمريكي فيه . وكان ينقل لي في تلك الزيارات الترتيبات المتعلقة بالمؤتمر مثل : العدد المقرر لكل وفد حيث أن أماكن الاقامة محدودة في كامب ديفيد وتوزيع هذه الأماكن على الوفود وما استقر عليه رأى الرئيس الأمريكي من حظر نشر أو نشر أية أنباء عما يدور داخل اجتماعات المؤتمر ، وذلك حرصا على إتاحة جو هادىء للمجتمعين بعيدا عن التوتر والمؤثرات الخارجية أو المزايدات . وكان من أغرب ما نقله إلي السفير أيلتس هو ما قرره الرئيس كارتر من أن تستمر مدة انعقاد المؤتمر لأسبوع على الأقل ، فقلت : هذا حكم بالسجن على من يحضرون المؤتمر ؟ فقال إن المقصود هو إفساح الفرصة لكسر الجمود وتليين المواقف ثم أضاف مبتسما أنه كذلك نوع من الاحتياط حتى لا يتكرر ما حدث في القدس عندما قرر الرئيس السادات سحب الوفد المصري في اجتماعات اللجنة السياسية قبل أن تستكمل اجتماعاتها المقررة . ومن ناحيتي عاودت التأكيد على السفير أيلتس على ضرورة أن تتضمن الاقتراحات الأمريكية في المؤتمر مواقف أمريكا المعلنة بالنسبة للانسحاب والمستوطنات وصيغة أسوان بشأن القضية الفلسطينية ، وضرورة عرض أي

مشروع أمريكي علينا للتشاور قبل تقديمه وقد أكد لي وعودهم السابقة بذلك .

كذلك أبلغني السفير أيلتس أن المستر أثرتون قد نجح في أثناء زيارته لكل من السعودية والأردن في حثهما على إعلان تأييدهما لمؤتمر القمة الثلاثي ، ووصلنا من الرياض وعمان ما يؤيد ذلك بعد أن أكد لهم المستر أثرتون صراحة أن الموقف الأمريكي في الاجتماعات سيكون أقرب ما يكون إلى الموقف المصري .

وقبل أيام من انعقاد مجلس الأمن القومي زارني في مكتبي السيد كمال حسن علي مدير المخابرات العسكرية وعضو المجلس وقدم لي مذكرة بتقييم المخابرات للموقف واقتراحاتها بشأن مؤتمر كامب ديفيد . وكانت المذكرة تتضمن جدولا تفصيليا بكل نقاط النزاع العربي الاسرائيلي ، والحد الأدنى الذي يمكن أن تقبل به مصر في كل نقطة وقد قرأتها في حضوره وعبرت له عن تقديري واغتباطي ،حيث أن ما جاء بها يكاد يطابق الموقف الذي انتهت إليها وزارة الخارجية مائة في المائة .

وفي يوم ٢٩ أغسطس (أب) أي قبل اجتماع مجلس الأمن القومي بخمسة أيام أرسلت إلى الرئيس السادات المذكرة التالية ، وهي خلاصة ما أسفرت عنه جهودنا المكثفة بشأن أهدافنا في كامب ديفيد ، والاستراتيجية التي نقترح السير عليها لتحقيق هذه الأهداف :

٢٩ أغسطس (آب) ١٩٧٨

سري للغاية

مذكرة

للعرض على السيد رئيس الجمهورية

عن اجتماع كامب ديفيد الثلاثي

أولا : مقدمة

١ ـ ان اجتماع كامب ديفيد يعتبر خطوة ناجحة من وجهة النظر المصرية جاءت نتيجة الموقف المصري الذي استطاع :

أ ـ إثبات مرونة مصر مع عدم تخليها عن المبادىء الأساسية للاستراتيجية العربية .

ب ـ كشف المواقف الاسرائيلية أمام الرأى العام العالمي والأمريكي .

جـ ـ إجبار الولايات المتحدة على قبول تغيير طبيعة دورها من الوسيط إلى الشريك الكامل ، وإلقاء الرئيس كارتر بكل ثقله الشخصي والرسمي في الميزان ، من أجل التقدم في طريق التسوية . وهذا العنصر يزداد أهمية في ضوء أن المواقف الأمريكية الرسمية والمعلنة أقرب إلى المواقف المصرية منها إلى المواقف الاسرائيلية .

د ـ الحصول على تأييد السعودية والأردن .

٢ ـ وفي مواجهة هذا النجاح المصري فان اسرائيل تسعى ـ وستظل تسعى داخل المؤتمر وخارجه ـ لاجبار الحكومة الأمريكية على التخلي عن فكرة الاضطلاع بدور الشريك الكامل الذي يفصح عن آرائه الخاصة به ، إلى دور الوسيط الذي يحاول التوفيق بين المواقف المتعارضة للأطراف .

وهى في ذلك تستغل :

أ ـ مراكز القوى الصهيونية في الولايات المتحدة للضغط على الرئيس كارتر وتحذيره من التقدم بمقترحات أمريكية .

ب ـ محاولة الظهور بمظهر مخادع من المرونة ، والايحاء بأن اسرائيل تتحرك . وأن استمرار المفاوضات من شأنه في حد ذاته أن يخلق ديناميكية تسهل الوصول إلى اتفاق بين الأطراف دون تدخل الولايات المتحدة .

وفي هذا الصدد فقد صدرت عدة تصريحات من شيوخ أمريكيين تحذر الحكومة الأمريكية من التقدم بمشروع خاص بها ، وتبرز مزايا استمرار الحوار المباشر المصري - الاسرائيلي . كما أن التصريحات الاسرائيلية حاولت خلق انطباع بالمرونة :

أ - فهي تحاول تضخيم فكرة استعدادها لمجرد بحث موضوع السيادة بعد فترة السنوات الخمس .

ب - تحاول الادعاء بأنها تعد عدة بدائل كاثبات لحسن نيتها ، وأن استعدادها لبحث فكرة الحل الوسط الاقليمي ، إذا طرحتها مصر هو تنازل كبير .

جـ - تحاول خلق انطباع بأنها تريد تسهيل الأمور على مصر بعدم إصرارها على توقيع اتفاقية سلام ، واستعدادها لقبول « حل جزئي نهائي » هو في الواقع يحقق كل ما تطالب به اسرائيل في مجال تطبيع العلاقات ، بينما لا يحقق شيئا من المطالب العربية التي تناضل مصر من أجلها .

٣ - وخلاصة القول أنه بينما المتصور هو أن تدخل الرئيس كارتر شخصيا يعتبر عامل ضغط على الولايات المتحدة للتوصل إلى تسوية عادلة حتى لا تصاب هيبة الرئيس الأمريكي بضربة نتيجة للفشل ، فان اسرائيل ستحاول أن تجعل من هذا التدخل ذاته عنصر ضغط على مصر وذلك عن طريق .

أ - التلويح بأن عدم تقديم مصر لتنازلات من شأنه أن يهز مركز الرئيس كارتر .

ب - التلويح بحملة اعلامية تحاول الايحاء بأن فشل اجتماع كامب ديفيد سيكون نتيجة لمواقف مصر ، وتبرئة اسرائيل من مسؤوليتها الحقيقية في فشل الاجتماع .

وليس من شك في أن اسرائيل بما لها من ركائز داخل المجتمع الأمريكي والادارة الأمريكية ذاتها - تملك من

إمكانيات التأثير على القرار الأمريكي في الاتجاه الذي تريده ، ما لا تملكه مصر ، مما يوجب علينا الحذر الشديد في توجهنا السياسي داخل الاجتماع وتوجهنا الاعلامي أثناء الاجتماع وبعده .

٤ ــ ومن الجدير بالذكر أن محاولات اسرائيل المشار إليها ، قد انعكست في المواقف الأمريكية ، إذ نلمس أن الحكومة الأمريكية بعد أن قبلت الاضطلاع بدور الشريك الكامل ، عادت تبدي ترددا في هذا الشأن وتحاول أن تنفي نيتها في التقدم بمشروع أمريكي متكامل . وقد يكون هذا الموقف الأمريكي مجرد تكتيك مرحلي لمواجهة الضغوط الاسرائيلية ، ولكنه قد يكون أيضا رضوخا أو بداية رضوخ أمريكي ــ لأسباب متعددة منها أسباب داخلية لقرب انتخابات الكونجرس ــ لمراكز القوى الصهيونية . وهو أمر يجب أن نأخذه في الاعتبار .

ثانيا : أهداف الاجتماع :

١ ــ إن المفهوم الأساسي هو أن الاجتماع يستهدف التوصل إلى اتفاق عام على مبادىء للتسوية تصلح للتطبيق على جميع الجبهات ، وتتناول جميع جوانب المشكلة ، وتتيح توسيع دائرة المفاوضات لتشمل أطرافا أخرى كالأردن في مرحلة أولى ، ولضمان تأييد عربي واسع لجهود السلام .

٢ ــ إلا أنه يبدو الآن أن الولايات المتحدة تفكر في ألا يقتصر الاجتماع على « المبادىء » بل يتجاوزه إلى التطرق إلى تفاصيل متعلقة بالضفة الغربية وغزة والمشكلة الفلسطينية .

ثالثا : أهداف مصر من الاجتماع :

١ ــ إن هدف مصر بالنسبة لاعلان المبادىء أن يكون أوضح ما يكون وألا يترك مجالا لاختلافات حول تفسيرات لنصوص غامضة تعود بنا إلى الدائرة المفرغة التي استهدفت مبادرة

السيد الرئيس الخروج منها .

٢ ــ وبالنسبة للمشكلة الفلسطينية ، فان هدف مصر هو الخروج بصيغة تتفق مع المشروع الذي تقدمت به (١) والذي يستهدف تحقيق :

أ ــ الانسحاب من الضفة الغربية وغزة .

ب ــ حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره .

وفي نطاق هذين الهدفين فان المجال يمكن أن يتاح لاظهار قدر من المرونة في التطبيق .

رابعا : استراتيجية مصرية مقترحة في الاجتماع :

١ ــ إن التصور الأمريكي هو أن يستمر الاجتماع حوالي أسبوع ، والهدف المحتمل من ذلك هو استغلال تلك الفترة نسبيا لتليين المواقف . ومن هنا فان السلوك المصري الأمثل هو البدء بموقف متشدد نسبيا وإظهار المرونة تدريجيا في الحدود التي نضعها سلفا ، على أن تبدو تلك المرونة دائما استجابة للموقف الأمريكي . وقد يكون من المفيد قبل التطرق إلى صياغات محددة بحث فلسفة التسوية والتصور العام لها .

٢ ــ كما أنه من المهم أن تعمل مصر أثناء الاجتماع على التركيز على تفنيد المواقف الاسرائيلية ، وإثبات أنها لا تصلح أساسا للتسوية وأنها ستصل بالاجتماع إلى طريق مسدود ، مما يدفع الولايات المتحدة إلى التدخل لتجنب الفشل عن طريق تقديم مقترحاتها وفي مجال التفنيد يمكن التركيز على :

أ ــ أن التوسع بدعاوى الأمن ــ علاوة على مخالفته للقانون الدولي ــ لا يحقق الأمن لأنه سيجعل الطرف الذي سلبت منه أرضه متحفزا دائما لاستردادها ، وأن الأمن الحقيقي هو أن تكون اسرائيل مقبولة من جيرانها ، وهذا لن يتأتى إلا

---

(١) المشروع الذي قدمناه في مؤتمر قلعة ليدز .

بشعورهم بأن اسرائيل لا تطمع في أرضهم ولا تريد سلبهم حقوقهم .

ب ـ أن الادعاء بأن إقامة المستوطنات هو عنصر من عناصر السلام لأنه يتيح الحياة معا للعرب واليهود ، فكرة خاطئة ولا تستقيم ، لأن المستعمرات هى في الفكر الاسرائيلي جزر اسرائيلية منفصلة ومسلحة وسط أرض العرب . وإذا أراد اليهود أن يعيشوا مع العرب حقا فان معنى هذا أن يكون لهم ـ مثل أي أجنبي ـ طلب حق الاقامة على أساس فردي .

٣ ـ وإزاء احتمال عدم توصل الاجتماع إلى نتائج ايجابية ، فانه من المهم أن يحقق الموقف المصري توازنا دقيقا بين :

أ ـ التمسك بالأساسيات في مواقفنا .

ب ـ تغليف ذلك في إطار من المرونة الواضحة التي تستهوي الرأى العام الأمريكي والعالمي . مما يتيح لنا أن ننجح في أن يقترن فشل الاجتماع بما يلي :

أ ـ وضوح مسؤولية اسرائيل عن الفشل .

ب ـ وضوح توافق الموقفين المصري والأمريكي في مواجهة موقف اسرائيلي متعنت وجامد في جوهره الحقيقي رغم محاولات الخداع .

جـ ـ إقناع الولايات المتحدة بأن فكرة استمرار المفاوضات لمجرد التفاوض لن تصل إلى النتائج التي ترجوها أمريكا .

وإذا استطعنا تحقيق هذا الهدف ، فانه يمكن بحث وسائل اظهار تجميع الموقف العربي ـ الذي يعقب هذا الفشل ـ كاستمرار لمبادرة السلام المصرية وليس بديلا عنها .

٤ ـ ولا شك أن عدم تحقيق الاجتماع لنتيجته ـ مع توفر الظروف التي شرحناها في البند السابق ـ أفضل من التوصل إلى نتيجة غامضة تتيح لاسرائيل الاستمرار في المراوغة . مما يجعل تلك

النتيجة تنقلب في النهاية علينا .

خامسا : الموقف من عناصر التسوية :

يكون موقفنا هو الاصرار على الانسحاب الكامل من جميع الأراضي العربية المحتلة في سنة ١٩٦٧ وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، ثم يمكن من خلال المباحثات واستجابة لمبادرات أمريكية أن يندرج على النحو التالي :

١ ـ الانسحاب :

أ ـ من المهم أن تؤكد صيغة الانسحاب مبدأ عدم جواز الاستيلاء على الأراضي بالقوة ، ومبدأ عدم المساس بالحدود الدولية القائمة .

ب ـ بالنسبة لصيغة « تعديلات في الحدود في الضفة الغربية تحقق الأماني الفلسطينية وأمن اسرائيل » فانها رغم أنها ـ في مفهومنا ـ تعتبر واضحة فانها تتيح لاسرائيل الفرصة لتفسيرات تخرج بها عن المفهوم المصري[1] .

جـ ـ وبالتالي فان الأوفق على ضوء إدراكنا للأساليب الاسرائيلية هو تعديلها على النحو التالي :

* وصف التعديلات بأنها طفيفة .

* تجنب استعمال تعبير « الحدود » والنص على « الخطوط في الضفة الغربية » .

* النص على أن التعديلات الطفيفة يجب أن تحظى بموافقة ممثلي الشعب الفلسطيني الذين يملكون وحدهم القرار النهائي الملزم بشأنها .

* عدم الربط بين « الأماني الفلسطينية » و « الأمن » وتخصيص فقرة خاصة للحديث عن « حقوق

---

(١) وهى الصيغة التي كان السادات قد وافق عليها في اجتماعه بشيمون بيريز في فيينا ، والتي صدرت في بيان الاشتراكية الدولية الذي اصدره برانت وكرايسكي في يونيه (حزيران) ١٩٨٧ .

الشعب الفلسطيني » وليس عن الأماني الفلسطينية .

د ــ وعلى ضوء ما سبق فيمكن أن نقبل في النهاية ــ في مرحلة متقدمة من المباحثات ــ أن يكون النص الخاص بالانسحاب هو :

« الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة في سنة ١٩٦٧ ، مع إمكان إجراء تعديلات طفيفة على الخطوط في الضفة الغربية تتفق عليها الأطراف لاعتبارات إدارية وإنسانية ولتحقيق أمنها المتبادل » .

٢ ــ القضية الفلسطينية :

أ ــ رفض اعتبار مشروع بيجن أساسا للحل .

ب ــ التمسك في المباحثات باعتبار المشروع المصري أساسا للمباحثات مع الاستعداد للقبول بصيغة أسوان بعناصرها الثلاثة : حل المشكلة الفلسطينية من جميع جوانبها ، الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وحقه في المشاركة في تقرير مستقبله ، مع الاصرار على عدم قبول الجانب الأمريكي أي تعديل اسرائيلي لأى عنصر من هذه العناصر ، باعتبار أن الصيغة أمريكية يجب أن يلتزم بها المفاوض الأمريكي .

٣ ــ القدس :

نؤكد انطباق الانسحاب الاسرائيلي على القدس العربية وتأكيد السيادة العربية عليها ، وفي نفس الوقت يمكن أن تتقدم مصر بمقترحات مفصلة لتحقيق فكرة الحفاظ على الطابع الفريد للمدنية عن طريق ضمانات لحرية المرور والعبادة وعدم إقامة حواجز في المدينة .

٤ ــ ترتيبات الأمن :

التقدم بمقترحات مصرية مفصلة عن ترتيبات الأمن على جميع الجبهات على أساس النقاط المصرية الست ، وعن الضمانات لاستمرار تلك الترتيبات (ضمان مصر والأردن ، ضمانات دولية

جماعية أو ثنائية) .

٥ ــ **علاقات السلام :**

التقدم بتصور مصري متكامل لما تعنيه علاقات السلام ، مع عدم الارتباط في معاهدات السلام بأية إجراءات محددة قد تعتبر انتقاصا من المبدأ المتعارف عليه دوليا من خضوع العلاقات بين الدول لمبدأ السيادة وحرية الاختيار .

٦ ــ **المستعمرات :**

التمسك بالموقف المصري ــ الأمريكي بعدم شرعية المستعمرات وضرورة إزالتها مع إمكان إظهار المرونة في توقيت وأسلوب تصفية تلك المستعمرات ، على أن يتم الاتفاق على وقف كل نشاط اسرائيلي في هذا المجال فورا .

٧ ــ **اللاجئون :**

أ ــ التمسك بحق النازحين بعد سنة ١٩٦٧ في العودة إلى الضفة الغربية وغزة واشتراكهم في تقرير مستقبل الضفة الغربية وغزة .

ب ــ الاستعداد لمناقشة أسلوب ومعدلات تنفيذ قرار الأمم المتحدة المتعلق بلاجئي سنة ١٩٤٨ ، بحضور جميع الأطراف .

جـ ــ رفض مناقشة من تسميهم اسرائيل باللاجئين اليهود من الدول العربية .

سادسا : الخلاصة :

١ ــ إن الموقف المصري يحسن أن يكون متشددا في المراحل الاولى من اجتماع كامب ديفيد ، ثم نستجيب تدريجيا إلى مبادرات أمريكية لنظهر المرونة دون المساس بالمبادىء الأساسية التي تستند إليها مواقفنا .

ومن عناصر المرونة الاضافية التي يمكن إظهارها إذا رأينا ذلك :

أ ــ إطالة فترة الانسحاب .

ب ـ السماح خلال الفترة الانتقالية بتواجد عسكري اسرائيلي محدود في أماكن محددة .

جـ ـ التوسع في ترتيبات الأمن على ألا تمس بمبدأى الانسحاب والسيادة .

د ـ التوسع في مفهوم السلام وعلاقات السلام .

٢ ـ وفي نفس الوقت نشجع الولايات المتحدة على الافصاح عن مواقفها المعلنة القريبة من مواقفنا .

٣ ـ فاذا انتهى الاجتماع بالفشل بعد ذلك نكون في وضع من تعاون مع أمريكا واستجاب لدعوتها للمرونة . وبالتالي نتجنب محاولة اسرائيل إلصاق تهمة الفشل بنا . وهذا في حد ذاته رصيد يمكن البناء عليه في تخطيطنا المستقبلي . ويجب في هذه الحالة أن نحرص على ألا تطالبنا الولايات المتحدة بعقد اجتماع جديد مع اسرائيل ، قبل أن تتخذ هى موقفا حازما تفرض على اسرائيل قبوله .

٤ ـ أما إذا انتهى الاجتماع بالتوصل إلى إعلان مبادىء يعتبر تقدما في طريق تنفيذ القرار ٢٤٢ ويؤدي إلى دخول الأردن في المفاوضات وإلى الحصول على تأييد السعودية ، فان المتصور أن تتلو ذلك سلسلة من المفاوضات يقتضي الأمر دراسة خاصة لتنسيق إيقاع حلقاتها والاطار الذي تتم فيه (مؤتمر جنيف أو غيره) .

مع عظيم الاحترام ،

محمد ابراهيم كامل

وزير الخارجية

الفصل الرابع والثلاثون

تصرفات غريبة وعلامات استفهام

في الساعة السابعة والنصف من مساء يوم ٣ سبتمبر (أيلول) وصلت إلى مطار ألماظة الحربي يصحبني السفير أحمد ماهر وبدأ أعضاء مجلس الأمن القومي[١] يفدون تباعا وما أن اكتمل جمعهم حتى ركبنا الطائرة الأنتينوف ـ سوفيتية الصنع ـ التابعة لسلاح الطيران وانطلقت بنا إلى الاسماعيلية . وفي المطار ركبنا السيارات التي كانت في انتظارنا وتوجهنا إلى جزيرة الفرسان حيث تقع استراحة الرئيس السادات .

وقبل أن تتوقف السيارة أمام مدخل الاستراحة لمحت السفير أسامة الباز بالقرب من المبنى ولم أدر سبب وجوده في الاسماعيلية فقد قابلته أمس في الوزارة ولم يخبرني بشيء ، وأشرت له بيدي محييا فرد التحية ثم لم يلبث أن اختفى كالشبح .

أين « همت » ؟

قادنا الحرس إلى التراس الفسيح الذي يطل على البحيرات المرة التي تجتازها قناة السويس ، حيث كان الرئيس السادات جالسا أمام التليفزيون الذي كان يذيع إحدى حلقات الفوازير

(١) اعود إلى التذكير .. يشمل مجلس الأمن القومي : رئاسة السادات وعضوية نائب رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ورئيس مجلس الشعب ورئيس الاتحاد الاشتراكي العربي ووزراء الدفاع والخارجية والداخلية ورئيس المخابرات ، والسيد حسن التهامي .

الاستعراضية التي كانت تقوم الفنانة نيللي ببطولتها طوال ليالي شهر رمضان بنجاح كبير .

ووقف الرئيس السادات لاستقبالنا وعندما جاء دوري في مصافحته خيل إلي أن استقباله لي يعتريه شيء من الفتور لم أعهده من قبل ، خاصة وقد مضت مدة طويلة دون أن أقابله ولكني لم أعر ذلك كثيرا من الاهتمام . ثم تركنا الرئيس واتجه إلى داخل الاستراحة حيث تابعنا بعض الوقت الاستعراض التليفزيوني وقدمت إلينا الحلويات والمكسرات والمشروبات المعتادة في شهر رمضان ، وفي هذه الأثناء أحضرت منضدة مستطيلة إلى الشرفة وصفت حولها المقاعد ولم يلبث أن عاد الرئيس ودعانا إلى أخذ أماكننا حول مائدة الاجتماع وساد السكون برهة ، ثم تلفت الرئيس حوله وفجأة صفق بيديه فحضر أحد رجال الحرس على الفور وقال الرئيس « أين همت وسعد زغلول ؟ استدعهما وجهز لهما مكانا بالقرب من منضدة الاجتماع » وهرع الحارس إلى الخارج وبعدها بدقيقة وصلت السيدة همت مصطفى مديرة التليفزيون ومندوبته المعتمدة لدى الرئيس والسيد سعد زغلول نصار المسؤول عن الشؤون الصحفية بالرئاسة حاملين أوراقا وأقلاما وجلسا إلى المائدة التي أعدت لهما بالقرب من مكان جلوس الرئيس .

وعقدت الدهشة لساني فاجتماعات مجلس الأمن القومي هى أخطر الاجتماعات وما يثار فيها ويتداول داخلها مفروض فيه أنه على أكبر درجة من الأهمية والسرية ، وكانت الاجتماعات تجرى دون تسجيل محاضر عما يدور فيها من مناقشات ومعلومات وفي نهاية كل اجتماع كان الرئيس يكلف ــ إذا وجد ذلك من المناسب ــ أحد أعضاء المجلس وقد يكون رئيس الوزراء أو وزير الخارجية أو وزير الداخلية باذاعة بيان بما يرى إذاعته بشأن موضوع الاجتماع .

وكان هذا الاجتماع بالذات والمخصص لمناقشة الخطة المصرية في كامب ديفيد خطيرا للغاية ، إذ سيتناول المسائل

الاستراتيجية والتكتيكية التي سنتبعها في المؤتمر وهي أمور غاية في الحساسية وذات سرية قصوى . وإذا كان المطلوب هو تسجيل محضر سري بما يدور في الاجتماع فكان من الممكن أن يعهد إلى أحد أعضاء المجلس بذلك .

ولم يعر أي من الحاضرين أي التفات لما حدث ، أما أنا فشعرت بعدم الارتياح وبشيء من الغضب . ولم يكن بيني وبين السيدة همت مصطفى أو السيد سعد زغلول إلا كل ود ، ولكني أحسست أن وجودهما فيه نوع من الحجر على حريتي في الحديث فلن أستطيع أن أبوح أمامهما بأسرار غاية في الدقة والخطورة ، ولا أنا أستطيع أن أناقش الرئيس وأن أعارضه إذا اقتضى الحال في حضورهما دونما حرج . وتركت مقعدي وتوجهت نحو الرئيس لاسترعي نظره إلى الأمر ، ولكني عندما وصلت إليه تداركت نفسي بسرعة ، إذ أن الأمر لن يخرج عن إحراجه أو إحراج نفسي ، لأنه كان من الصعب عليه أن يطلب منهما الانصراف بعد أن دعاهما إلى الحضور أمام أعضاء المجلس ، أما أنا فماذا يكون موقفي لو رفض الأخذ بملاحظاتي وأصر على حضورهما ؟ ونظر إلي الرئيس وقال : « فيه حاجه يا محمد » فقلت : « إن أسامه الباز وأحمد ماهر هنا وأرجو أن يسمح لهما بحضور الاجتماع ، فقال : لا مانع ، وبالفعل أرسلت في استدعائهما وحضرا الجلسة .

وأرجو أن أسترعي نظر القارىء قبل أن أنقل هنا حديث الرئيس السادات إلى أنه قد يدهش أو يصدم لما يبدو في هذا الحديث من تناقضات وعبارات مبتورة غير كاملة ، والقفز من موضوع إلى آخر وما يشوبه من انفعال والحقيقة أني أنقل هذا الحديث ويعتريني شعور بالأسف والخجل ، فليس هذا في رأيي هو المستوى الذي يليق أن يتكلم به رئيس جمهورية مصر العربية في اجتماع مجلس الأمن القومي الذي يضم أصحاب أعلى المناصب في الدولة . ولكني أسلم بطبيعة الحال بأن ذلك اليوم لم يكن من أحسن أيامه .

اطار السلام المفاجىء ..

بدأ الرئيس السادات الحديث بمقدمة استعرض فيها تاريخ النزاع العربي الاسرائيلي وهزيمة ١٩٦٧ ثم حرب أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٣ التي مكنته من القيام بمبادرته للسلام وزيارة القدس في ١٩٧٧ ، واستعرض ما حققته هذه المبادرة من مكاسب ضخمة في الرأى العام الأمريكي والدولي ، وأشار إلى تعنت وتصلب بيجن ومحاولته التخلص من هذه المبادرة ، واتخاذه موقفا متشددا جامدا على أمل الوصول إلى حل جزئي أو منفرد . إلا أننا واجهنا ذلك بموقف ثابت مما أدى في النهاية إلى تطور الموقف الأمريكي وقبول أمريكا القيام بدور الشريك الكامل الذي كنا نسعى من البداية إلى تحقيقه . وأن اجتماع القمة الثلاثي الذي دعا إليه الرئيس كارتر في كامب ديفيد مماثل للزيارة التي قام بها هو إلى القدس لهدم جدار الشك وإزالة الحواجز النفسية ، وهو ما نجحنا فيه عالميا بل واسرائيليا فيما عدا بيجن وبطانته .

وقال الرئيس « عندما زارني فانس حاملا دعوة الرئيس كارتر لمؤتمر القمة في كامب ديفيد قبلت الدعوة على الفور وأخبرته أني كنت أنوي أن أقترح عليهم فكرة عقد مؤتمر القمة ولكنهم سبقوني ولكني سألت فانس سؤالين :

الأول : على أى أرض تقف أنت وانرئيس كارتر ؟ والثاني : إلى أى مدى أنتم مستعدون للذهاب في هذا اللقاء بالنسبة للتسوية الشاملة[1] ؟ وأجابني فانس : إننا نقف على أرض صلبة ، والرئيس كارتر مستعد للذهاب إلى آخر المدى ، وقد وصل إلى الحد الذي لم يعد يهتم بانتخابه رئيسا لأمريكا للمدة الثانية طالما أنه سيحل نزاع

---

(١) وذكرني ذلك بالأسئلة التي قال الرئيس السادات انه وجهها إلى الرئيس شاوشيسكو في بوخارست : هل بيجن رجل قوي ؟ هل هو راغب في السلام ؟ والتي اتخذ قرار المبادرة على أساسها .

الشرق الأوسط ويدخل التاريخ كبطل للسلام ، ولذلك فان الرئيس كارتر لم يحدد تاريخا لانتهاء المؤتمر ، وترك جدوله مفتوحا لهذا الاجتماع » .

« وعلى هذا الأساس وافقت على حضور المؤتمر . ذكر فانس أن هناك علامات مشجعة من بيجن وأجبته بأننا نفتح صفحة جديدة وأن اجتماع كامب ديفيد أخطر من زيارتي للقدس ، ولكن بيجن يهون من شأن الاجتماع وسيحاول العمل على أن تتلوه اجتماعات أخرى ، كما سيحاول أن يطلب من كارتر أن يقوم بدور السمسار الشريف فقط ، ولكني سأصر على دور الشريك الكامل . »

« وفي مجلس الوزراء الاسرائيلي لم يعرض بيجن أى شيء جديد وسيتمسك في كامب ديفيد بمشروع الحكم الذاتي في الضفة وغزة اللي عرضه علينا ورفضناه في الاسماعيلية ، وبيجن متفق مع ديان وعازلين عزرا وايزمان بالكامل . ولكن في تقديري أن معركة بيجن خاسرة .. وقد سألت فانس هل تعلمون أن ما سيحدث في كامب ديفيد هو مواجهة ؟ إذا لم يكن هذا مفهومكم فلن يتحقق شيء في المؤتمر . وقد طلبت من أيلتس (السفير الأمريكي) قبل عودته إلى واشنطن أن يذكر الرئيس كارتر بأن أية مقترحات أمريكية إذا كان فيها أى مساس بالأرض والسيادة فليعلم مقدما أني سأرفضها » .

وسكت الرئيس لحظة ثم قال « وهنا سنقع في مشكلة سوف يستغلها بيجن ، لأن حدود سنة ١٩٦٧ تسيطر على الشعب الاسرائيلي فمثلا تل أبيب معرضة للضرب من القدس ، بيجن محضر نفسه في كامب ديفيد على أني سأطلب إعلان مبادىء ، وسيسعى إلى حل منفرد معنا أو حل جزئي مثل الانسحاب من سيناء حتى خط العريش ــ رأس محمد ، ولكني لم أقم بمبادرتي من أجل حل منفرد أو حل جزئي .

وسيكون موقف بيجن ان العودة إلى حدود سنة ١٩٦٧ تنطبق على سيناء وعلى الجولان ، ولكنها لا تنطبق على الضفة الغربية وقطاع

غزة لأنها تهدد الأمن الاسرائيلي ، وهذا حقيقي لأنه ممكن ضرب تجمعات داخل اسرائيل من هذه الأراضي (الضفة وغزة) » .

« ورأيي في استراتيجيتنا أن حكاية إعلان المبادىء مش مشكلة تناقش على مستوانا في كامب ديفيد . فاجتماع كامب ديفيد هو التطبيق على الواقع لمبادرة القدس ، وعلى مستوى الرؤساء الثلاثة فان مسألة إعلان المبادىء لم يعد من المجدي أن نناقشها لأنها ستعطي الفرصة لبيجن للتلاعب . بمعنى أني قررت أن نناقش « اطار للسلام » وليس « إعلان مبادىء » نستعد بهذا الاطار للسلام ـ واحنا شغالين فيه ـ ونقطع الطريق على مناورات بيجن ، إن القرار ٢٤٢ بينص في مقدمته على عدم جواز احتلال الأرض بالقوة ، طيب ده لازم يتنفذ ، أما مناقشة ترتيبات الأمن في الضفة الغربية فأنا أوافق عليه ، ورأيي رغم أني تسلمت برقيتين من خالد (الملك) وحسين (الملك) ليه بتزايدوا علينا ؟ (ولم يرد على السؤال) .. مشروعنا إطار السلام لازم يكون أكثر من اطار ، بمعنى أن يكون واضحا ومحددا ويبين الخطوات لحل القضية ، ولا نترك لفظا مبهما مع بيجن والا فمش حنخلص .

المطلوب أن نكسب الرأى العام العالمي والرئيس كارتر إلى صفنا ، وهذا سيؤدي إلى سقوط بيجن . الموقف الأمريكي يهدف إلى البحث عن إطار للسلام في الشرق الأوسط ، والحد الأدنى اللي حيتمسكوا به هو الاتفاق على استمرار المفاوضات بين مصر واسرائيل بعد انتهاء كامب ديفيد . والحد الأقصى هو إعلان مبادىء يحكم عملية التفاوض وأمريكا في مباحثات الدول الأربع وفي مبادرة روجرز وفي قرار مجلس الأمن كانت دائما تصر على اتفاق الطرفين على حدود آمنة ومعترف بها . وهناك نقطتان سيتضمنهما مشروعنا لاطار السلام

الاولى : خاصة بالضفة الغربية وغزة وكنا في فيينا قد وافقنا مع كرايسكي وبرانت وشيمون بيريز على صيغة ترسم الحدود بحيث

تحقق الأماني المشروعة للفلسطينيين والأمن لاسرائيل . ولابد أن تحدث تنازلات في الضفة . المهم أن نناقشها مع بيجن ونحدد مداها حتى لا يتراجع فيها .

والثانية : تقرير المصير للفلسطينيين بعد خمس سنوات فترة انتقالية ، غزة تعود لمصر والأردن تأخذ الضفة والجميع يؤيد ذلك .

وإذا رفض الملك حسين ـ لأنه محضر نفسه يلطش الضفة ويعملها محافظة أردنية ـ إذا رفض فلن أتردد ـ بدعوى أني غير مؤهل للكلام نيابة عن الفلسطينيين ـ مش حيهمني لأني مؤهل لحل مشكلة مصر ولا أستطيع حل مشكلة مصر بدون حل مشكلة فلسطين لأنها أساس القضية .

نريد وضع موديل والجميع أحرار في الدخول أو الخروج ، وسأخبرهم بصراحة بأن قرار الحرب والسلام في يد مصر ومصر تتكلم باسم نصف الأمة العربية وزيادة .

وفيما يختص بموضوع الدولة الفلسطينية فسينص مشروعنا على موقفنا المعلن منذ ثلاث سنوات وهو : « للفلسطينيين حق تقرير المصير مع رابطة مع الأردن » . أريد أن أذهب إلى أقصى مدى وسأعترض على الـ P.L.O. (منظمة التحرير الفلسطينية) حتى لو قبلتهم اسرائيل .

وسيكون اطار السلام ربطة متكاملة PACKAGE DEAL وسنطالب بضمانة أمريكية وبضمانات من مجلس الأمن ومن الأعضاء الدائمين فيه » .

الاصطلاح المرفوض ..

وانهى الرئيس السادات حديثه ، وسأل : هل يريد أحد أن يتكلم ؟ ولم يبد أحد رغبة في ذلك . فنظر إلي الرئيس وقال في صوت هادىء خيل إلي أنه يحمل شيئا من التحدي « محمد ، عاوز تقول حاجة ؟ » وقلت والغضب يعصف في صدري « طبعا عاوز أقول

حاجات كثيرة » وسمعت صوت أحمد ماهر وهو يهمس في أذني « تكلم بهدوء يامحمد بك » .

وأعترف أن حديث السادات قد أخذني على غرة تماما . فقد كنت أتوقع أن يكون محور حديثه المذكرة التي أرسلتها إليه منذ أيام بشأن استراتيجيتنا في مؤتمر كامب ديفيد ، والتي هى خلاصة عمل شاق وجهد متواصل ودراسات متعمقة قامت بها وزارة الخارجية وهى الجهة الفنية المتخصصة .

إلا أنه لم يشر إليها بكلمة واحدة من قريب أو بعيد ، بل هاهو ذا يفاجىء مجلس الأمن القومي ووزير خارجيته نفسه وعضو وفد التفاوض المصري قبل السفر إلى كامب ديفيد بأربع وعشرين ساعة بمشروع اسمه « إطار السلام » ولد سفاحا في الظلام . بل إنه حتى لم ينته بعد من إعداد هذا المشروع ووضعه على الورق ولم يفصح إلا عن لمحات مما يتضمنه ، فكيف لنا أن نناقشه أو نستوعبه ؟ إلا أن هذه اللمحات تضمنت مسائل غاية في الخطورة . واخترت أن أبدأ الكلام فيما بدا لي أنه أخطر ما قاله وهو ما ذكره بشأن موافقته على صيغة « ترسم الحدود بين الضفة الغربية وغزة وبين اسرائيل بما يحقق أماني الفلسطينيين وأمن اسرائيل »

قلت : إن الموافقة على هذه الصيغة تعني تخلينا عن هدف استراتيجي ثابت ، وتراجعا عما أعلنه الرئيس وأكده باستمرار من التمسك بوجوب إخراج الأرض والسيادة من دائرة التفاوض ، وتعني في نفس الوقت أننا وافقنا على نظرية الأمن الاسرائيلية التي أعلنا مرارا وتكرارا وبحق أن حرب أكتوبر قد هدمتها إلى الأبد ، وبالتالي أننا سلمنا بما تطالب به اسرائيل من تنازلات إقليمية في الضفة وغزة بدعوى حماية أمنها . وهذا لن يجدينا نفعا مع بيجن ، فمتى انتزع منا اعترافا بأن أمن اسرائيل يقتضي تعديل الحدود فسيتمسك بأن أمن اسرائيل يشمل أراضي الضفة وغزة جميعا ، وربما يطلب تطبيق نفس المبدأ على سيناء والجولان ، وهو ما يتفق مع

أطماعه التوسعية المعلنة . وسنكون قد ألحقنا ضررا جسيما بالقضية الفلسطينية دون أن نحقق سلاما أو استقرارا .

إن استعمال اصطلاح « الأماني الفلسطينية » تجاوزته الأحداث ، وهو اصطلاح قديم استخدمته انجلترا في وعد بلفور سنة ١٩١٧ حينما لم يكن لليهود من سند في المطالبة بوطن قومي في فلسطين ، إلا التمني أما ما ينطبق على الفلسطينيين فهو تعبير « الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني » وهذا حقهم الأبدي وهذا ما قررته الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وما استقر عليه الاجماع الدولي . فما بالنا نستبدل به ذلك الاصطلاح المائع المهزوز .

ثم كيف يحق لنا أن نتفاوض على تنازلات إقليمية في الضفة الغربية وغزة ؟ هل نملك التنازل عن أرض ليست بأرضنا دون إجازة أو تفويض من أصحابها الشرعيين ؟ إننا إن حاولنا ذلك فلن نجني من ورائه إلا زيادة الطين بلة واستعداء العرب جميعا ـ معتدلين ومتشددين ـ وقطع الطريق على الأردن وعلى ممثلي الشعب الفلسطيني في الاشتراك في المفاوضات .. » .

ولم يعلق الرئيس السادات بشيء على ما قلته ، وبدأ يسمح لمن يطلب من أعضاء المجلس الكلمة ، فتكلم السيد سيد مرعي وتكلم الدكتور مصطفى خليل ولم يمس أي منهما ما قلت بخير أو بسوء ، وكأني لم أقل شيئا . وإنما تفرعا إلى الحديث عن نقاط أخرى كالاستعلام عن الموقف الأمريكي أو مصير المستعمرات في سيناء ، والوحيد الذي تعرض لما قلت كان الفريق الجمسي إذ أشار في كلمته إلى أنه يوافق وزير الخارجية على أن تستبعد الأراضي من ترتيبات الأمن لما في ذلك من عواقب قد تمس أراضي سيناء نفسها ، وانبرى السيد حسن التهامي موجها الحديث إلي « يا أخ محمد لماذا تعترض على تعبير أماني الشعب الفلسطيني ؟ إن كلمة أماني ترجمتها بالانجليزية هي ASPIRATIONS وهي أقوى من كلمة حقوق RIGHTS »

وحرت في الاجابة عليه ولم أجد غير كلمة « ربما » ، وتذكرت المذكرة التي قدمها إلي السيد كمال حسن علي منذ أيام قليلة – وكان يجلس في مواجهتي – فحاولت أن استرعي نظره إلي عسى أن يسعفني بكلمة إلا أن جهدي ذهب عبثا .

انت فاكر نفسك دبلوماسي ..

وانتهى الاجتماع وانتقل الرئيس ومن ورائه أعضاء المجلس إلى مدخل الشرفة حيث وقف والتفوا حوله يقدمون له التهاني بعيد الفطر المبارك الذي يبدأ غدا وأطيب التمنيات له بالنجاح والتوفيق في مؤتمر كامب ديفيد . وقال الرئيس إنه متفائل وعلى ثقة من النجاح في هذا المؤتمر ثم التفت إلي وقال « جهز نفسك يا محمد للسفر بعد بكره » وقلت « أنا جاهز ، وهناك نقطة أريد أن أقترحها على سيادتكم وهي أن الأمريكيين قد أبلغونا بأن مدة المؤتمر هى أسبوع على الأقل ، وقد توافق على أن نبدأ في الأيام الاولى بمواقف أكثر تشددا من تلك التي يتضمنها المشروع المصري حتى نفسح الفرصة أمامنا لابداء نوع من المرونة أمام الأمريكيين ، بدلا من أن نعرض مشروعنا للضغوط والتنازلات إذا طرحناه في البداية » .

وكأنما كان ينتظر مني كلمة ليطلق شيئا حبيسا في نفسه ، فقد شرع يقهقه ضاحكا بطريقة مسرحية تدل على التسفيه ، ثم قال بصوت جهوري هز المحيطين به « بقى إنت فاكر نفسك دبلوماسي ياسي محمد ؟ » ثم قهقه من جديد وقال « والله ما انت دبلوماسي ، أسبوع إيه اللي انتظره ياسي محمد ؟ أنا لازم أول ماحوصل أقدم مشروعي على طول وأفرقع المؤتمر وتني راجع مصر بعد ثمانية وأربعين ساعة بالكتير » وغالبت نفسي حتى لا أقهقه ضاحكا بدوري على سخافة ما قاله ، وعلى منظره وهو يقوله وسط هذا الجمع المختار من كبراء الدولة وقادتها ، وشعرت بالدهشة ، فلم يسبق له أن خاطبني بهذه الطريقة أمام أحد من قبل . وأحسست بقوة غريبة

تسري في أوصالي ، وقلت وقد اعتلت وجهي ابتسامة عريضة لم أستطع التحكم فيها « إنت حر يا ريس طبعا ، وعلى كل حال أنا لم أدع أبدا أني دبلوماسي خطير . »

وركبنا الطائرة الأنتينوف عائدين إلى القاهرة . وفي الطريق تشعب الحديث إلى العديد من الموضوعات بين الجد والدعابة ، إلا أن أحدا لم يشر إلي أو يعلق على ما جرى في اجتماع مجلس الأمن القومي ، ولماذا التفكير فيما مضى وفات ، أما المستقبل فسيتكفل الرئيس بكل شيء فيه وعلى بركة الله . وليفكر كل في كيف سيمضي اجازة العيد التي تبدأ غدا .

تفسير الألغاز ..

وأمضيت ساعات الليل حتى الفجر أسترجع الأحداث والتطورات الأخيرة ، وأحاول فك الرموز والألغاز وأحلل تصرفات السادات الغريبة ، وأستنبط خبايا ما يدور في رأسه ، وأكتشف مراميه ومقاصده ، عسى أن أنتهي إلى تصور عام أستطيع على ضوئه أن أحدد أين أقف وماذا أستطيع أن أفعل ؟

وأول ما توصلت إليه هو أنه تجنب عن عمد وسبق إصرار أن يقابلني طوال المدة التي مضت منذ أن قابله فانس في استراحة المعمورة يوم ٧ أغسطس (آب) ووجه إليه الدعوة إلى مؤتمر القمة حتى اجتماع مجلس الأمن القومي في الاسماعيلية في ٢ سبتمبر (أيلول) قبل تاريخ السفر إلى كامب ديفيد مباشرة في ٤ سبتمبر (أيلول) . ولم يكن تهربه من الرد على مكالماتي التليفونية العديدة ، أو اعتذاره عن عدم استطاعته مقابلتي بحجة أنه متعب من الصيام ، أو تعلله بمسؤوليته ومشاغله في انشاء حزبه الجديد إلا تخابثا وتمويها وتسترا على عرض في نفسه ، على نحو ما كان يفعل عندما كان يعد لحرب أكتوبر (تشرين الأول) حتى فاجأ اسرائيل بعبور القناة ، مع فارق بسيط وهو أني وزير خارجيته هو ولست وزير

خارجية اسرائيل .

ولماذا يتهرب الرئيس من لقائي ؟ لأنه قرر إجراء تعديل جذري في الموقف المبدئي الذي التزمنا به منذ بداية المبادرة ، وهو ألا تنازل عن الأرض والسيادة وفقا لقرار مجلس الأمن ٢٤٢ وهو الموقف الذي أكده بشكل درامي قاطع حاسم في المقابلة الطويلة مع أثرتون وأيلتس يوم ٣٠ يوليه (تموز) الماضي ، وأعلن فيها بأنه لن يعود إلى التفاوض المباشر مع اسرائيل إلا إذا وافقت على إخراج الأرض والسيادة من مجال التفاوض ، بل إنه سمى ذلك بمبادرته الثانية بعد مبادرته الاولى بزيارة القدس[١] .

ولكن متى وأين وكيف حدث التغيير في موقف السادات ؟ انتهى فكري إلى أن ذلك قد حدث في أثناء الاجتماع الذي تم بينه وبين سيروس فانس يوم ٧ أغسطس (آب) في حديقة المعمورة ليقدم له دعوة الرئيس كارتر إلى مؤتمر كامب ديفيد . فلقد استمرت خلوتهما ساعات طويلة بدأت في نحو الساعة التاسعة مساء وامتدت إلى ما بعد منتصف الليل ـ وربما لم يقرر السادات هذا التغيير في تلك الجلسة ولكن المؤكد أن فانس زرع في رأسه بذرته في ذلك الاجتماع ـ ومن السذاجة أن نتصور أن فانس أمضى كل هذا الوقت لكي يؤكد للسادات أن أمريكا سوف تمارس دور الشريك الكامل ، وأن ذلك سيعني أنها سوف تؤيد الموقف المصري تماما في وجوب الانسحاب الاسرائيلي الكامل من كل الأراضي العربية المحتلة . بينما باقي أعضاء الوفدين المصري والأمريكي يجلسون يتثاءبون في الانتظار على بعد ثلاثين مترا منهما . وقد بنيت استنتاجي هذا على أساس :

أولا : إن الموقف الأمريكي كان يهدف منذ البداية إلى توسيع دائرة المواضيع محل التفاوض إلى أقصى حد حتى تتاح له ـ بوصفه طرفا ثالثا ـ فرصة كسر الجمود في أي موضوع مطروح فينعكس ذلك على باقي الموضوعات ، ويوجد بداية خيط للحل

---

(١) راجع الفصل الثامن عشر .

ونوعا من قوة الدفع . ويبدو ذلك جليا في جدول الأعمال[1] الذي اقترحته أمريكا لاجتماع اللجنة السياسية في القدس في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٨ ، فرغم أن المنطق كان يتطلب الاتفاق أولا على المبادىء التي تحكم التسوية السلمية ، فاذا ما تم ذلك جرى التفاوض على تطبيق هذه المبادىء ، نجد أن جدول الأعمال الأمريكي يشمل بنودا ثلاثة .

- إعلان مبادىء يحكم المفاوضات الخاصة بتحقيق تسوية سلمية شاملة في الشرق الأوسط .
- خطوط استرشادية للمفاوضات المتعلقة بمسائل الضفة الغربية وقطاع غزة .
- عناصر معاهدات السلام بين اسرائيل وجيرانها .

وفي اجتماع الرئيس السادات بالرئيس كارتر في كامب ديفيد في شهر فبراير (شباط) الماضي ألح علينا الجانب الأمريكي في تقديم مشروع مصري بشأن الضفة الغربية وغزة[2] وعدم الاكتفاء باعلان المبادىء عسى أن ينجحوا في اختراق بعض نقاطه .

وفي اجتماعات ليدز[3] حاول فانس جريا على نفس الفلسفة البحث عن نقاط التقاء بـين المشروع المصري والمشروع الإسرائيلي ، ومحاولة توسيع ذلك بأمل العثور على منفذ .

ثانيا : لقد دعا الرئيس كارتر إلى مؤتمر القمة بعد أن رسخ الخلاف الجذري بين الموقفين المصري والاسرائيلي . وأصبح يشكل مأزقا لا مخرج منه Stalemate فهل يتخيل عاقل أن الرئيس الأمريكي (بموافقة مستشاريه) يقدم على الاطاحة بمستقبله السياسي وبهيبة الولايات المتحدة بهذه البساطة ؟ لابد أنه بنى

(١) راجع الفصل الخامس (هل تخاف الذهاب للقدس ؟)

(٢) راجع الفصل السابع (السيناريو) .

(٣) راجع الفصل السادس عشر (بين جدران قلعة ليدز) .

تدخله على أساس الحل الوسط[١] ، وهل كان يخفي عليه أو على أحد أن بيجن كالحائط لا يتزعزع ، وتسانده جماعات الضغط الصهيونية ورجال الكونجرس وفي أيديهم تمرير سياسته أو شلها؟ إذن لماذا لا يحاول مع السادات؟ ولابد أن فانس ــ وهو محام بارع ــ قد أحاط مطلبه في وجوب إجراء تنازلات في الضفة الغربية ، بأنها ستكون في أضيق الحدود ، ولابد أنه قال إن كارتر في مأزق وإن مركزه ومستقبله مهدد وإنه يتطلع إلى الرئيس السادات لانقاذه ، وإنه لن ينسى للسادات هذا الجميل وسيعوضه عنه خيرا عندما يتم انتخابه للمرة الثانية ، ويكون في مركز يمكنه من الضغط بكل قوة على اسرائيل لحل المشكلة الفلسطينية حلا عادلا كريما . وإنه سيفتح خزائن أمريكا لمصر ، ويكون سلاحها ملك يديه وإن، وإن ..

ثالثا : ان الرئيس السادات حرص في حديثه في مجلس الأمن القومي على ايضاح أن فكرة « اطار السلام » هى من اختراعه ومن بنات أفكاره . إلا أن لسانه لم يلبث أن انفلت خلال حديثه فقال : « إن الموقف الأمريكي يهدف إلى البحث عن اطار للسلام » .

وليكن فلم يكن لدي اعتراض على فكرة « اطار السلام » في حد ذاتها طالما أنها تتمسك بأهدافنا الاستراتيجية الثابتة ــ صحيح أني كنت ضد أن نقدم مشروعا جديدا في كل اجتماع ، فقد تقدمنا في القدس بمشروع إعلان مبادىء . ثم عدنا وقدمنا في ليدز مشروعا خاصا بالضفة الغربية وغزة ، في الوقت الذي التزمت فيه اسرائيل بمشروعيها الخاصين بسيناء وبالحكم الذاتي اللذين قدمهما بيجن في الاسماعيلية في ٢٥ ديسمبر (كانون الأول) دون أى تعديل ــ ولكن

---

(١) راجع الفصل التاسع عشر .

إذا كان الرئيس يرى أن يقدم مشروعا جديدا باطار للسلام ، فكان الواجب يحتم عليه أن يطلب من وزارة الخارجية منذ البداية دراسة هذا المشروع وإعداده ، ثم يناقشه معي ومع الخبراء الفنيين ، فاذا ما انتهينا إلى رأى وصيغة نهائية أمكن عندئذ عرضه على مجلس الأمن القومي إذا شاء ، أما أن يظل الرئيس نائما في فترة بيات كالثعابين ، ثم يصحو ليفاجئنا بمشروع جديد لم يشاور أحدا فيه من المختصين ، ولم يستكمل إعداده بعد ـ والمؤتمر يبدأ في صبيحة اليوم التالي أو الذي يليه ـ فليس هذا مقبولا شكلا أو موضوعا . وليس بمثل هذا الاستهتار والعفوية تعالج الأمور الجادة الخطيرة . ومع ذلك كنت مستعدا رغم أنفي للتجاوز عن كل ذلك ، ومواجهته باعتباره بلية نزلت من السماء فهكذا هو أنور السادات ، وهو الرئيس ، ولكن الذي لم أكن استطيع التجاوز عنه هو ما أفصح عنه في حديثه في مجلس الأمن القومي من أنه قد قبل بنظرية الأمن الاسرائيلية ، إذن فقد حاد عن الأهداف التي لا يملك هو أو غيره التنازل عنها ، والذي كان لا يفتأ يتشدق بالتمسك بها في تصريحاته المعلنة .

وأعود إلى الاستطراد في تصوري لما كان يجول في عقل الرئيس السادات . فلو أنه اجتمع بي قبل اجتماع مجلس الأمن القومي لكان من الطبيعي أن يكون موضوع الاجتماع مناقشة المذكرة التي أعددناها في الوزارة والتي أرسلناها إليه سلفا ، وكان بالتالي عليه أن يبت فيها بالقبول أو التعديل أو بالرفض ، ولكن إلى ماذا كان يستطيع الاستناد في رفضها ؟ لقد تضمنت المذكرة تمسكا بالأساسيات في موقفنا ، والاستراتيجية التي رسمت فيها كانت كفيلة ـ إذا ما طبقناها بذكاء ـ بالتوصل إلى أحد أمرين فاما أن نكسب أو لا نخسر .

وذلك سواء ناصرتنا أمريكا أم خذلتنا ، وسواء تعنت بيجن أو تهاون . بمعنى أنه إما أن تنتهي المباحثات بالتوصل إلى إعلان مبادىء يعتبر تقدما على طريق تنفيذ القرار ٢٤٢ يؤدي إلى دخول

الأردن في المفاوضات والحصول على تأييد السعودية مما يفتح الأبواب نحو التسوية الشاملة في النهاية ، وإما أن ينتهي الاجتماع دون تحقيق ذلك ، وفي هذه الحالة فلن تستطيع اسرائيل إلحاق تهمة الفشل بنا أمام الجانب الأمريكي ، ويبقى أمامنا مفتوحا باب تجميع الموقف العربي كاستمرار لمبادرة السلام وليس كبديل لها .

كل هذا طيب وكان يستقيم في ظروف أخرى كأن يكون الاجتماع الثلاثي على المستوى الوزاري وليس الرئاسي . إلا أن عاملا جديدا قد طرأ وهو دخول الرئيس الأمريكي كارتر بشخصه إلى حلبة الصراع ، مما يوجب عليه (السادات) توخي الحذر وأن يهيىء لنفسه كل المرونة في مواجهة أي موقف .

فبرئاسة كارتر للوفد الأمريكي في كامب ديفيد لم تعد المواجهة بين السادات وبيجن وحده ، بل تفرعت وأصبحت تشمل نوعا من المواجهة مع الرئيس الأمريكي نفسه ، وإن اختلفت الأسباب . ذلك أن نجاح المؤتمر أو فشله أصبح في نظر العالم يعني نجاح كارتر أو فشله ــ وهذا ما كانت تردده وسائل الاعلام في كل مكان حتى أصبح شعارا ــ وكيف ينجح كارتر (ولم يعد نجاحه يعني بالضرورة نجاح التسوية الشاملة العادلة) إذا لم يتوصل إلى حل وسط ؟ ذلك يعني أن يتنازل بيجن عن شيء ويتنازل السادات بالمقابل عن شيء ، وإذا كان بيجن يستطيع جدلا أن يتنازل عن شيء لا يملكه ، فهل يستطيع السادات بدوره أن يتنازل عن ما يملكه غيره ؟ وبينما العلاقة بين أمريكا واسرائيل متينة تقوم على روابط تاريخية ومعنويـة بل واستراتيجية تساندها ركائز راسخة في الادارة وفي الكونجرس وفي المجتمع والرأى العام الأمريكي ويتوج ذلك التزام أمريكي شبه مقدس بحماية أمن اسرائيل ومصالحها ، فان العلاقة المصرية الأمريكية هى علاقة وليدة ناشئة بعد طول خصام وهى بعد هشة غضة العود وربما أظهر ما فيها طابع شخصي يتمثل في العلاقة بين السادات وكارتر .

واسرائيل تستطيع أن تتحمل بسهولة وتستوعب إغضاب الرئيس الأمريكي دون أن تهتز أو تتأثر روابطها الوثيقة بالولايات المتحدة . أما هو (السادات) فالى أين يتوجه إذا تسبب في فشل الرئيس الأمريكي ونال غضبه وحلت عليه نقمته ؟ لقد هدم جسورا كثيرة مع الدول العربية ومع دول عدم الانحياز ومع الاتحاد السوفيتي ومع غير هؤلاء . إن الموقف غير مريح ، فماذا إذن ؟

إذن فلابد أن يدخل (الرئيس السادات) كامب ديفيد مجردا متحررا من أي قيد سواء كان ارتباطا بآراء معاونيه أو فكرهم أو كان ذلك موقفا ثابتا أو هدفا معلنا أو كان خطة عمل أو استراتيجية مرسومة سلفا ، حتى مشروعه هو ـ الذي يجرى إعداده ـ « اطار السلام » قرر أن يلقي به في أتون المفاوضات في أيامها الاولى وفي قمة تشدد الأطراف ، حتى يحترق فيصبح حرا طليقا لا يقيده مشروعه نفسه ، يكيف مواقفه حسبما يتراءى له على ضوء التطورات وكل ما يهم أن تكون عينه دائما على الرئيس الأمريكي وألا يعكر صفوه ومزاجه .

وحتى يدشن هذا الموقف التحرري الجديد قبل سفره فليتناس وزارة الخارجية وليلق بأوراقها ، وبنتاج كدها وفكرها في سلة المهملات ، وليعلن بملء فمه أمام مجلس الأمن القومي الموقر . أنه يوافق على تنازلات في الأراضي المحتلة ، فهل من معترض ؟ ثم ليعلن أمام كبار رجالات دولته بأن وزير خارجيته لا يفقه شيئا في الدبلوماسية عسى أن يخرس لسانه الطويل وأن يتعظ .

كان هذا ما انتهى إليه تصوري على ضوء الأحداث والتصرفات التي أشرت اليها وقد أكون محقا وقد أكون مخطئا . ولكن ليأذن لي القارىء في أن أقرر أنه أقرب إلى الحقيقة ، فانني بحكم مسؤوليتي كوزير للخارجية مضطر إلى البحث والتقصي عما يدور في رأس الرئيس السادات (لأن شخصيته بها الكثير من الغموض والتعقيد) ـ شأن اضطراري بحكم هذه المسؤولية ذاتها

لمحاولة معرفة ما يدور في الفكر الاسرائيلي والأمريكي قدر الامكان ـ وفضلا عن ذلك فلدي بعض المعرفة بمفاتيح شخصيته من واقع التجربة والعشرة الطويلة ، وشيء من الفراسة مما يؤهلني لقراءة السادات وما يعتمل داخله .

من صاغ اطار السلام ؟

وبقيت نقطتان ـ قبل أن أنتقل إلى مؤتمر كامب ديفيد ، ولكنني أعتقد أن ما تناولته من وقائع وتحليل هو أمر أساسي لفهم ما حدث في كامب ديفيد ، وفيه أمور كثيرة لا تفسير لها إلا إذا كان القارىء مزودا بهذه الخلفية .

الاولى : أن السادات لم يكن يستطيع أن يصوغ بنفسه مشروعه « اطار السلام » فالى من يلجأ ؟ اختار الرئيس السادات السيد أسامه الباز ليقوم بذلك لعدة اعتبارات منها : أن الباز يعمل بصفتين الاولى أنه وكيل وزارة الخارجية والثانية أنه مدير مكتب نائب الرئيس ، إذن فالرئيس السادات قد عهد بهذا العمل إلى أحد معاوني الرئاسة الذي تربطه في نفس الوقت صلة قوية بعمل وزارة الخارجية ، بل إنه كان أحد أعمدة مجموعة العمل التي تعد التخطيط لمؤتمر كامب ديفيد بالوزارة . والاعتبار الثاني أن الباز متمكن من قضية النزاع العربي الاسرائيلي تماما . وفي نفس الوقت فانه بارع في الصياغة ـ وهى عملية بالغة الدقة والتعقيد ـ بعنصريها القانوني والسياسي .

وأضيف أني لم أجد غبارا على أسامه الباز في قبول هذه المهمة التي كلفه بها الرئيس السادات في اللحظة الأخيرة ، والتزامه بتعليماته بالاحتفاظ بها سرا للوقت المناسب فهو أولا يعمل برئاسة الجمهورية ، ثم أنها تعليمات صادرة من رئيس الدولة ، وله أن يكلف من يرى من موظفيها بما يراه .

ومن ناحيتي فانه وان أغاظني وأقلقني التحول الذي لجأ إليه

السادات في اللحظة الأخيرة بملابساته التي أشرت إليها ، فقد شعرت بالارتياح عندما علمت بأنه عهد إلى أسامه بصياغة المشروع . فأنا أثق في شعوره الوطني وفي ذكائه وكفاءته وكنت على يقين بأن ما سينتجه قلمه وفكره سيكون مشروعا قويا متماسكا ملتزما بمواقفنا الاستراتيجية وهذا ما حدث ، فقد أعد مشروعا جيدا متكاملا يصلح أساسا للتسوية الشاملة العادلة لو تدرجنا إليه في الوقت المناسب ، لولا أن السادات بما جبل عليه من تسرع وتبديد كان يزمع أن يلقي به وقودا في المرحلة الاولى من المباحثات ، كما أشرت وكما فعل بالفعل حسبما سيأتي بيانه .

والنقطة الثانية : أنه خطرت لي في تلك الظروف فكرة الاستقالة وأمعنت التفكير فيما ولد هذا الخاطر في نفسي ، فوجدته يعود إلى شعور قوي بالاحباط والاشفاق على نفسي . فمنذ توليت عملي وزيرا للخارجية وأنا أبذل جهدا خارقا وشاقا دون انقطاع فقد كنت أعمل يوميا أكثر من خمس عشرة ساعة ما بين المقابلات والاجتماعات والاطلاع على البرقيات وقراءة التقارير وملاحقة التطورات على مستوى العالم والتفكير واتخاذ القرارات ، وحتى الساعات القليلة التي كنت أنامها كان عقلي الباطن يعمل إلى حد أني كنت كثيرا ما أستيقظ لأسجل على الورق فكرة عنت لي وأنا نائم ، ثم أعود لأستكمل نومي القلق وتبدأ الدائرة من جديد في اليوم التالي وهكذا ، ورغم الارهاق والتوتر والمشاكل الصحية فلم أكن أشكو أو أتبرم ، كنت أشعر بأن القدر قد شاء أن يضعني أمام موقف جليل الخطر والأهمية يهون في سبيله كل جهد وعناء وتضحية . بل على العكس كان كل جهد أبذله يمدني براحة نفسية ويزيدني عزما وطاقة شريطة أن أشعر أنه موجه لخدمة القضية التي نسعى إلى حلها ، وهي تحقيق السلام العادل الشامل . ويدخل في ذلك التصدي للحيل والمناورات الاسرائيلية ومتابعة ومعالجة المواقف الأمريكية المتغيرة ، والعمل على اكتساب ثقة الدول العربية واجتذابها ، أما أن أجد نفسي

مضطرا من وقت لاخر إلى أن أترك كل ذلك جانبا وأوجه وقتي وجهدي لمعالجة وإصلاح مشاكل وأزمات اضافية عارضة نتيجة نزوات السادات المظهرية وتقلباته العشوائية وتصرفاته المفاجئة دون سبب أو سابق إنذار أو استشارة أو تشاور فقد كان أمرا لا يطاق ولا يحتمل ويزعزع الثقة في القيادة ويثير اليأس من إمكان تحقيق أى تقدم والحفاظ على أى مكاسب أو منجزات ، ويضعف الروح المعنوية في بذل أى جهد وعمل . ويكفي أن أذكر القارىء ببعض أمثلة وردت سابقا ــ وهى قليل من كثير ــ منها قرار الرئيس السادات المفاجىء بسحب الوفد المصري من اجتماع اللجنة السياسية بالقدس ، ومنها دعوته لوزير الدفاع الاسرائيلي وايزمان إلى القاهرة بينما يغزو الجيش الاسرائيلي لبنان ، وبينما يجتمع فيها وزراء الخارجية العرب ثم مرة ثانية دعوته لوايزمان لمقابلته في سالزبورج (فوشل) واثارته لقضية العريش وجبل موسى ، ومقابلته لشيمون بيريز في فينا وما أسفرت عنه من بيان الاشتراكية الدولية الخطير وما أثاره كل ذلك من مشاكل اضافية وفرعية اقتضت معالجة وجهدا كنا في غنى عنه وأثرت على مسيرتنا وميعت خطنا الواضح وطغت على ما حققناه من تقدم .

وها هو ذا ونحن على مشارف منعطف خطير هو اجتماع كامب ديفيد يطلع علينا بما طلع به في اجتماع مجلس الأمن القومي في الاسماعيلية ، فبالله كيف لا أفكر بكل ذلك ؟ إلا أني لم ألبث أن نحيت كل هذه الأفكار جانبا وأفقت من المرارة التي كانت تعتريني وشعرت أنه من المستحيل أن أتخلى عن واجبي بالوقوف إلى جانب السادات وهو مقبل على ذلك الاختيار الخطير في كامب ديفيد ، وقدرت المسؤوليات الهائلة التي ينوء بها كاهله وقررت أن أقف بكل ما أوتيت من قوة إلى جانبه أشد أزره وأحميه من نفسه وشعرت بمسؤوليتي مضاعفة لأني كنت الوحيد الذي يتجاسر على التصدي له ومناقشته دون تردد أو وجل . ربما من واقع علاقتنا القديمة التي صاغتها ظروف الكفاح التي جمعتنا ضد الاستعمار البريطاني في

الاربعينات ، والتي انصهرت وترعرعت في غياهب السجن ولم يكن ليخطر على بالنا وقتها أن القدر سيجمعنا من جديد وهو رئيس لجمهورية مصر وأنا وزير لخارجيتها .

بدون تعليق :

نشرت جريدة الأهرام القاهرية في صدر صفحاتها الاولى الصادرة يوم ٣١ أغسطس (آب) ١٩٧٨ بشأن اجتماع مجلس الأمن القومي بالاسماعيلية يوم ٣٠ أغسطس (آب) ١٩٧٨ :

« مصر ترفض أية اتفاقيات جزئية أو ثنائية وتتمسك بالحل الدائم والعادل »

« الرئيس السادات يؤكد لمجلس الأمن القومي :

❋ لا تنازل عن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .

❋ وانسحاب اسرائيل من جميع الأراضي العربية .

« الاسماعيلية من حمدي فؤاد : في الاجتماع الطارىء لمجلس الأمن القومي أكد الرئيس أنور السادات أن مصر ترفض أية اتفاقيات ثنائية أو حلول جزئية ، وأن هدف مصر من اشتراكها في مؤتمر كامب ديفيد على وجه التحديد :

١ ـ الحل الشامل بمعنى رفض أى حل جزئي أو ثنائي .

٢ ـ الحل الدائم والعادل بمعنى رفض أى حل مؤقت أو مرحلي .

وقد أكد الرئيس السادات أنه لا تنازل عن انسحاب اسرائيل من جميع الأراضي العربية المحتلة ، ولا تنازل عن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني بما في ذلك حقه في تقرير مصيره ، وقضية القدس ووضعها في التسوية النهائية ، وحق كل دولة في العيش في سلام داخل حدودها الآمنة .

الفصل الخامس والثلاثون

في الطريق إلى كامب ديفيد

في الساعة العاشرة من صباح الاثنين ٤ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٨ وصلت مع باقي أعضاء الوفد المصري في مؤتمر كامب ديفيد إلى مطار أبو صوير لنكون في انتظار الرئيس السادات عند وصوله من السويس حيث أدى صلاة عيد الفطر في اليوم السابق . ثم نسافر إلى باريس لقضاء ليلة نتوجه بعدها إلى أمريكا .

ويقع مطار أبو صوير في الصحراء الشرقية وهو مطار حربي وليس به استعداد لاستقبال الركاب أو الزوار المدنيين ، ولذلك أقيم صوان كبير ليحمي الزائرين الذين حضروا لوداع الرئيس من الشمس والحرارة وبينهم كبار رجال الدولة والجيش وعدد كبير ممن أعلنوا انضمامهم للحزب الوطني الديمقراطي الذي شكله الرئيس السادات .

وقبل وصول الرئيس حضر إلي السيد ماهر محمد علي المحامي والسيد منصور حسن ـ وزير الثقافة فيما بعد ـ وكلاهما كان ممن عهد إليهم السادات بدور تنفيذي في تنظيم حزبه الجديد ـ وسألاني : متى ستنضم للحزب ؟ فقلت إني لن أنضم إليه ، فقال ماهر محمد علي : ولكنك وزير الخارجية ، فقلت : ولقد كنت كذلك قبل إعلان تشكيل الحزب . فصاح ماهر محمد علي : ولكنك كنت عضوا في الحزب الوطني القديم وأنت في فجر شبابك فكيف لا تنضم للحزب الوطني الجديد وأنت صديق الرئيس ؟ فقلت : هذا صحيح ولكني لم أعد من أعضاء الحزب الوطني القديم لأني خالفت مبادئه

التي تنادي بأنه لا مفاوضة إلا بعد الجلاء[١] وهأنذا كما ترى في طريقي إلى كامب ديفيد للتفاوض قبل أن يتم الجلاء .

وعقدت الدهشة لسان ماهر محمد علي ونظر إلي متشككا في رجاحة عقلي . والواقع أني بعد أن عينت وزيرا للخارجية ألمح لي مرة السيد ممدوح سالم رئيس الوزراء ورئيس حزب مصر ـ الذي أوعز الرئيس للحكومة بتشكيله بعد التصريح بتشكيل الأحزاب ـ ألمح لي أمام الرئيس بالانضمام إلى الحزب وقلت له وقتها : إني أعتبر نفسي في مهمة قومية فوق الأحزاب ، وبعدها كان السيد فؤاد محيي الدين سكرتير عام الحزب يرسل إلي بصفة دورية دعوة للانضمام للحزب وبها الاستمارة الخاصة بذلك ولكني كنت أهمل الرد .

ولم يلبث أن وصل الرئيس بصحبة السيدة زوجته وبعض أولاده وحفيده حيث سبقوه إلى ركوب الطائرة أما هو فتبعهم بعد أن صافح طابور المودعين الطويل الذي امتد من باب الصوان حتى مدخل الطائرة . توجهت بعد ذلك إلى مقعدي في الطائرة وربطت حزام الأمان وشرعت في قراءة صحف الصباح . بعد اقلاع الطائرة بنحو نصف ساعة أرسل الرئيس السادات يستدعيني وعندما دخلت إلى صالونه حيث كان يجلس مع أفراد عائلته . رحب بي ترحيبا حارا ودعاني إلى الجلوس معهم حيث تجاذبنا أطراف الحديث في موضوعات شتى بعيدة عن السياسة ، وكان متلطفا معي للغاية وكأنما يحاول أن يمحو من ذاكرتي ما دار بيننا في جلسة مجلس الأمن القومي الأخيرة .

في باريس نزل الرئيس السادات في قصر « مارينيه » وقد قام الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان بزيارته في قصر الضيافة وهي مجاملة خارجة عن العرف المألوف ، ودعاه إلى العشاء معه في قصر

---

(١) كان الحزب الوطني الذي أسسه الزعيم مصطفى باشا كامل لتحرير مصر من الاستعمار البريطاني ينادي بأنه لا مفاوضة إلا بعد الجلاء ، ليصرف جهود الشعب المصري إلى العمل على إجلاء الانجليز بكل الوسائل .

الاليزيه في المساء .

أما باقي الوفد فقد تناولنا العشاء في وزارة الخارجية « بالكيه دورسيه » بدعوة من وزير شؤون الرئاسة جان فرانسوا بونسيه ووزير الدولة للشؤون الخارجية أوليفيه ستيرن في غياب وزير الخارجية الفرنسي ، وقد وضح لنا من المناقشات أن الجانب الفرنسي كان مفرطا في التشاؤم من أن يؤدي مؤتمر القمة في كامب ديفيد إلى أية نتائج إيجابية . وقد بنوا تقديراتهم على أساس قناعتهم بأن مناحم بيجن لن يتزحزح قيد أنملة عن مواقفه المتصلبة .

وأن الرئيس كارتر ليس في وضع يسمح له بممارسة ضغط فعال على اسرائيل وهو مقبل على الانتخابات النصفية للكونجرس . كما كان الفرنسيون مشفقين من التشتت والانقسام الذي حاق بالدول العربية منذ المبادرة . وقلقين من تردي الأوضاع في ايران حيث كان مركز الشاه يتدهور بسرعة فائقة ، وكانوا يخشون أن يركب الشيوعيون مد الثورة الاسلامية حتى سقوط نظامه ثم يستولوا على مقاليد الأمور في النهاية .

مشروع اطار السلام ..

بعد ظهر اليوم التالي ٥ سبتمبر (أيلول) غادرنا باريس متجهين إلى الولايات المتحدة ــ وقد تخلفت عائلة الرئيس في باريس ــ وفي الطائرة اطلعت لأول مرة على مشروع اطار السلام بعد أن انتهى اعداده في اللحظة الأخيرة وكان عنوان المشروع « اطار التسوية السلمية الشاملة لمشكلة الشرق الأوسط[١] » ويبدأ بديباجة تتضمن فلسفة وأسس السلام ، ويلي ذلك تسع مواد :

المادة الاولى : تتضمن تصميم الأطراف على التوصل لتسوية شاملة بتوقيع معاهدات السلام على أساس

(١) النص الكامل للمشروع ــ راجع الملحق رقم (٢) صفحه رقم ٦٣٢

التنفيذ الكامل للقرارين ٢٤٢ ، ٣٣٨ بجميع أجزائهما .

المادة الثانية : إن إقامة السلام تستلزم الوفاء بما يلي :

أولا : انسحاب اسرائيل من الأراضي المحتلة طبقا لمبدأ عدم جواز الاستيلاء على الأرض بطريق الحرب . يتم الانسحاب من سيناء والجولان إلى الحدود الدولية . ومن الضفة إلى خطوط الهدنة الأردنية الاسرائيلية في سنة ١٩٤٩ .. وإذا اتفق على تعديلات طفيفة فيجب ألا تعكس ثقل الغزو .. وتطبق اجراءات الأمن في الضفة بهدف التجاوب مع تطلع الطرفين إلى تحقيق أمنهما والحفاظ على حقوق وأماني الشعب الفلسطيني .

يتم الانسحاب من غزة إلى خطوط الهدنة المصرية الاسرائيلية في سنة ١٩٤٩ .

ثانيا : إزالة المستوطنات الاسرائيلية في الأراضي المحتلة وفقا لجدول زمني .

ثالثا : ترتيبات الأمن وتشمل النقاط الست السابق ذكرها في المشروع المصري الخاص بالضفة الغربية وغزة (المقدم في ليدز) وقد أضيف إليها ترتيب جديد هو وجوب انضمام جميع الأطراف إلى معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية وتعهدهم بعدم انتاجها أو حيازتها ـ ومما يذكر أن مصر كانت قد وقعت على هذه المعاهدة بينما كانت اسرائيل ترفض الانضمام إليها ومازالت حتى الآن ـ

رابعا : تعهد الأطراف بحل ما يثور من منازعات بينهم بالطرق السلمية . ويقبلون الاحتكام إلى الاختصاص الالزامي لمحكمة العدل الدولية

بالنسبة للمنازعات الناجمة عن تفسير اطار السلام .

خامسا : الغاء الحكومة العسكرية الاسرائيلية في الضفة وغزة وانتقال السلطة إلى الجانب العربي على نحو سلمي منظم . وتكون هناك فترة انتقالية لا تتجاوز خمس سنوات يتولى الأردن الاشراف على إدارة الضفة ومصر الاشراف عليها في غزة ، وذلك بالتعاون مع ممثلي الشعب الفلسطيني المنتخبين انتخابا حرا والذين يمارسون السلطة المباشرة فور إلغاء الحكومة العسكرية الاسرائيلية ، ويمارس الشعب الفلسطيني حقه الأساسي في تقرير مصيره . وسوف توصي مصر والأردن بأن يكون الكيان الوطني الفلسطيني مرتبطا بالأردن . وتمكين اللاجئين الفلسطينيين من ممارسة حقهم في العودة أو التعويض وفقا لقرارات الأمم المتحدة .

سادسا : تنسحب اسرائيل من القدس إلى خط هدنة ١٩٤٩ وتعود السيادة والادارة العربية إلى القدس العربية . ويشكل مجلس بلدي مشترك للمدينة من عدد متساو من الأعضاء الفلسطينيين والاسرائيليين للاشراف على المرافق العامة والنقل والمرور والخدمات البريدية والهاتفية والسياحة في المدينة .

ويتعهد الأطراف بضمان حرية العبادة وحرية الوصول إلى الأماكن المقدسة وزيارتها دون أى تفرقة أو تمييز .

سابعا : بالتوازي الزمني مع تنفيذ النصوص

المتعلقة بالانسحاب سوف يمضي الأطراف إلى إقامة العلاقات التي تقوم عادة بين الدول التي هي في حالة سلام ويشمل ذلك الاعتراف الكامل ، انهاء المقاطعة العربية ، حرية المرور في قناة السويس .

ثامنا : تتعهد اسرائيل بدفع تعويضات شاملة عن الأعمال التي قامت بها قواتها المسلحة ضد السكان والمنشآت المدنية واستغلالها للموارد الطبيعية في الأرض المحتلة .

المادة الثالثة : بمجرد توقيع هذا الاطار الذي يعتبر كلا متوازنا ومتكاملا .. تكون الأطراف الأخرى مدعوة للانضمام إليه في إطار مؤتمر جنيف للسلام .

المادة الرابعة : سوف يشترك ممثلو الشعب الفلسطيني في محادثات السلام التي تجرى بعد توقيع هذا الاطار .

المادة الخامسة : تشترك الولايات المتحدة في المحادثات المتعلقة بكيفية تنفيذ الاتفاقيات والتوصل إلى الجدول الزمني المحدد لتنفيذ التزامات الأطراف .

المادة السادسة : تبرم معاهدات السلام في خلال ثلاثة أشهر من توقيع هذا الاطار .

وتتضمن المواد : السابعة والثامنة والتاسعة : مطالبة مجلس الأمن بضمان معاهدات السلام واحترام أحكامها ، وبضمان الحدود بين الدول الأطراف . وكذلك ضمان الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن وضمان الولايات المتحدة لتنفيذ الاطار والمعاهدات التي توقع وفقا له تنفيذا كاملا وبحسن نية .

ولا « سنت » واحد ..

وما أن انتهيت من دراسة المشروع حتى توجهت إلى صالون

الرئيس ووجدته وحده ، فجلست « وسألني هل قرأت المشروع ؟ » فقلت « نعم وهو ممتاز جدا فهو متكامل وكل حكم وكل كلمة فيه تستند إلى القانون والمنطق والشرعية ويمكن الدفاع عنها وعرضها بكل قوة واقناع .

ولكن رأيي مازال هو عدم تقديم المشروع في المرحلة الاولى حتى نستكشف موقف الرئيس كارتر ومدى استعداده للتحرك وحتى نفضح موقف بيجن الذي لن يتغير في رأيي وسيظل على تشدده وتعنته » فقال « ولماذا اللف والدوران طالما أنك تقول أن المشروع قوي ويمكن الدفاع عنه ؟ سأطرح المشروع منذ البداية على كارتر وبيجن والمسألة تتوقف في النهاية على هل الرئيس كارتر مستعد فعلا ليقوم بدور الشريك الكامل الذي وافق عليه وممارسة الضغط على بيجن أم لا ؟ فان لم يكن الأمر كذلك فلماذا نضيع الوقت سدى ؟ سأحزم حقائبي وأعود إلى مصر لأعد نفسي للخطوة التالية » .

وشعرت بالارتياح لكلامه فقد كنت أتوجس خيفة من إطالة أمد التفاوض ، إذ لم يكن الغرض منه في رأيي — مع وضوح المواقف وثباتها — إلا مصيدة للتنازلات وبينما يتمسك بيجن بالتصلب والعناد وهو في مركز مريح بحكم وضع يده على الأراضي المحتلة ، فلم يكن الحال كذلك بالنسبة للسادات الذي كان عرضة للتقلبات ونفاد الصبر والذي كان يعتريه القلق بسبب الجمود الذي أصاب مبادرته ، وقلت « إني أتفق معك في هذا ، وكل ما هناك أننا نحتاج إلى إخراج جيد حتى لا يحملنا الرئيس كارتر مسؤولية الفشل التي يجب أن نحملها لبيجن » . فقال « لقد أخبرني فانس أن كارتر مستعد للذهاب إلى آخر المدى ولو أدى الأمر إلى عدم تجديد انتخابه لفترة تالية ، وهو مقتنع بأنه لو نجح في تحقيق السلام فسيكون بطلا عالميا بكل المعايير » .

وساد السكون برهة ثم قلت « إذا عرضت مشروعنا في البداية فيجب التمسك بكل أحكامه بكل قوة وعدم قبول إجراء أى تعديل ، إلا إذا عدل بيجن مواقفه وليس في هذا ما يغضب الرئيس كارتر ،

فاذا كان مناحم بيجن يتمسك بكل فاصلة وكل نقطة في مشروعيه اللذين قدمهما في الاسماعيلية رغم عدم معقولية أو شرعية أو عدالة هذين المشروعين ، فمن حقنا التشبث بدورنا بمواقفنا ومشروعنا ، من باب أولى لأنها مبنية على الشرعية الدولية وعلى قرارات الأمم المتحدة وعلى الحقوق الثابتة .

وإذا اقتضى الأمر في النهاية إجراء بعض تنازلات غير أساسية في مواقفنا فيمكن أن نفعل هذا ، وعلى سبيل المثال يمكن التساهل في قيمة التعويضات التي نطالب بها اسرائيل لاستغلالها غير المشروع لثروات سيناء المعدنية طوال سنوات الاحتلال » وقال الرئيس « أبدا ولا سنت واحد . لابد أن أحصل على تعويض عن كل قطرة بترول سرقوها من أراضينا أو مياهنا الاقليمية[1] . » .. وقلت « إن مدة المؤتمر طويلة وستكون معركة أعصاب مضنية » وقال الرئيس « بل لنضع أعصابنا في تلاجة وماذا نخشى ؟ إن زمام الموقف بأيدينا ، وفي طريق عودتنا سوف نمر على المغرب لقضاء يوم أو يومين للراحة » ، وقلت . « بل أرى أن نذهب إلى السعودية . قال : ولماذا السعودية ؟ » قلت : « لنحيط الملك خالد والأمير فهد بنتائج ما توصلنا إليه ، فان كنا نجحنا في تحقيق تقدم فيمكن دعوة الملك حسين للحاق بنا في السعودية ، وإن لم نكن ، يكون قد آن الأوان لنتشاور مع السعودية حتى يبادروا بالاعداد لمؤتمر القمة العربي . » وحول الرئيس وجهه إلى شباك الطائرة وأخذ يرقب بحر السحب الذي نطير فوقه ولم يتكلم .

وعدت إلى مقعدي وضغطت على المفتاح الذي يحرك ظهره إلى الوراء واستغرقت في ذكريات بعيدة عادت بي إلى أيام الطفولة وسنوات الشباب . كم كانت الحياة مرحة جميلة وكم جرت السنون ، ولم ألبث أن استسلمت للنوم ، ولم أفق إلا على صوت مضيفة الطائرة تدعونا إلى الامتناع عن التدخين وربط أحزمة الأمان وتعلن عن هبوط الطائرة خلال دقائق في قاعدة أندروز الجوية .

---

(١) لم تحصل مصر على « ولا سنت » من هذه التعويضات .

في معزل عن العالم ..

وفتح باب الطائرة ودخلها الدكتور أشرف غربال سفيرنا في واشنطن بصحبة مسز بوبل مديرة المراسم بالخارجية الأمريكية . ثم تبعنا الرئيس السادات وهو ينزل من الطائرة إلى بساط أحمر وقد اصطف طابور شرف يمثل قوات من الجيش والطيران والبحرية . وتقدم من الرئيس والتر مونديل نائب الرئيس الأمريكي وسيروس فانس للترحيب به ثم عزفت موسيقى البحرية السلام الجمهوري المصري فالسلام الوطني الأمريكي ، وألقى المستر مونديل كلمة قال فيها « بالنيابة عن الرئيس كارتر والشعب الأمريكي نرحب بك ثانية في الولايات المتحدة بقلوب مخلصة ، وإن شعبنا يكن إعجابا بالغا لحكمتكم وشجاعتكم وحنكتكم السياسية » .

ورد الرئيس السادات بكلمة عبر فيها عن شكره للاستقبال الذي قوبل به وقال « إننا مهتمون باقامة سلام عادل وشامل في الشرق الأوسط ، ولقد كنا نرى دائما أن الولايات المتحدة هى الأكثر جدارة في عملية السلام ، لقد أتينا هنا في مفترق طرق حاسم ، والتحدي أمامنا هائل ، ولكن ليس أمامنا فرصة غير قبول هذا التحدي لأننا لا نستطيع أن نخيب آمال العالم في السلام ولا وقت لدينا الآن للمناورات ولا للأفكار البالية .. » .

ثم صافح الرئيس طابور المستقبلين وكان يضم سفراء الدول العربية في واشنطن التي لم نقطع علاقاتنا الدبلوماسية معها وأعضاء سفارتنا في واشنطن وأعضاء وفدنا الدائم في نيويورك ، وحيا مجموعة من الطلبة المصريين حضرت لاستقباله ، ثم ركبنا مع فانس طائرة الهليكوبتر وفي أقل من ساعة هبطت بنا داخل معسكر كامب ديفيد .

وبالقرب من مهبط الهليكوبتر كان يقف الرئيس كارتر وزوجته السيدة روزالين والمستر بريجنسكي مستشار الرئيس للأمن القومي والمستر هارولد سوندرز مساعد وزير الخارجية للشرق الأوسط والمستر ألفريد أثرتون والسفير الأمريكي في القاهرة هيرمان أيلتس

والسفير الأمريكي في تل أبيب صاموئيل لويس والمستر وليام كوانت عضو مجلس الأمن القومي ، وقد عانق الرئيس كارتر الرئيس السادات عند نزوله من الطائرة وبعد تبادل التحية بين المستقبلين والزوار اصطحب الرئيس كارتر وزوجته الرئيس السادات إلى « البانجلو » المخصص لاقامته خلال المؤتمر واسمه « دوجوود » DOGWOOD كما تم توزيع باقي أعضاء الوفد المصري على الأماكن المخصصة لهم ، وقد نزلت والدكتور بطرس غالي والسيد حسن كامل والسفير أشرف غربال في « بانجلو » اسمه « مابل » MAPLE يقع على بعد ثلاثين مترا من « دوجوود » الذي كان يفصله عن « أسبن » ASPEN مقر الرئيس الأمريكي نفس المسافة وتقع المنازل الثلاثة على رؤوس مثلث متساوي الأضلاع تقريبا .

أما منزلنا فكان يحوي غرفتي نوم بكل منهما سريران وملحق بها حمام ويتوسطها صالة معيشة كبيرة تحوي أثاثا بسيطا مريحا وفي وسطها مدفأة كبيرة وعلى الجانب المواجه لها شباك زجاجي بطول الحائط يطل على غابة صغيرة جميلة من أشجار « البرش » و« الصنوبر » .

وقد اخترت الغرفة الداخلية وشاركني فيها بطرس غالي ، بينما نزل كل من حسن كامل وأشرف غربال في الغرفة الثانية .

وبعد نصف ساعة حضر أحمد ماهر ومعه السكرتير الأول أحمد أبو الغيط الملحق بمكتبي ــ وهو من الشبان الذين يبشرون بكل خير ــ ودعياني إلى الخروج والمشي لاستكشاف أنحاء المعسكر ، فتخلصت من البدلة التي كنت لا أزال أرتديها ولبست قميصا وبنطلونا و(بلوفرا) وخرجت معهما .

كان الخريف قد بدأ والهدوء يسيطر على المكان فيما عدا صوت النسيم وهو يحف بأغصان الأشجار وهمس أوراقها وهي تتساقط بتكاسل وقد تغير لونها من الأخضر إلى سيمفونية من الألوان العسلية

والأرجوانية والبنية ، وفي الجو لسعة من البرد المنعش الذي يحث على الحركة والنشاط ، والسناجب تسعى على الأشجار بحثا عن الطعام تجمعه لمواجهة جدب الشتاء ، وسرنا إلى حافة المعسكر التي تطل على واد فسيح ينتهي إلى سلسلة من الجبال المتوسطة تشكل على البعد حائطا يدفع إلى 'الكشف عما يخفيه وراءه .

وظللنا نمشي بين الغابات حتى وصلنا إلى مجموعة من المباني الصغيرة تشكل محور نشاط المعسكر ، وتضم إحداها قاعات مريحة للجلوس ومكتبة حافلة بالكتب وملحق بها قاعة طعام تتسع لنحو ثلاثين شخصا ومطبخ ، وفي بناء آخر مواجه صالة صغيرة للسينما وقاعة للبلياردو وبعض الغرف المخصصة للاجتماعات وبعض المكاتب الادارية ، كذلك اكتشفنا ملاعب للتنس وحوض سباحة وساحة للنيشان على الأطباق الطائرة ، وكانت هناك مجموعة كبيرة من الدراجات (البسكلت) لمن يريد التنقل بين أنحاء المعسكر أو لمن يريد التريض ، كما كانت هناك عدة سيارات تعمل بالبطارية تسير بغير صوت ودون إحداث تلوث بالهواء .

وعدنا أدراجنا إلى مقر إقامتي ، ولم يلبث أن حضر السفير أيلتس لزيارتي وأبلغنا أن الوفد الاسرائيلي برئاسة مناحم بيجن سيصل بعد ساعة وستغلق علينا بعد ذلك أبواب كامب ديفيد ونظل في معزل عن العالم حتى ينتهي المؤتمر بشكل أو بآخر ، وأنه قد أعد مركز لمراسلي الصحف والاذاعة والتليفزيون في قرية قريبة من المعسكر ، وسيكون المصدر الوحيد للمعلومات عما يجري داخل أسوار كامب ديفيد هو ما ينقله جودي باول المتحدث باسم البيت الأبيض ، حيث سيعقد بالمركز مؤتمرا صحفيا يوميا بشأن ما يجري داخل المؤتمر من أنشطة دون التعرض لموضوع المباحثات وتطوراتها من قريب أو بعيد .

وتوجهنا بعد ذلك إلى المطعم برفقة السفير أيلتس حيث التقينا بباقي أفراد الوفد المصري وتناولنا طعاما شهيا ، وكان الذي يعد

الطعام ويقوم بالخدمة في المطعم مجموعة من الشباب الفلبينيين وبعضهم من الطلبة الذين يدرسون في الجامعات الأمريكية .

وذهبت بعد العشاء ومعي بطرس غالي وحسن كامل وأشرف غربال لزيارة الرئيس السادات في « دوجوود » وكان في حجم المنزل الذي ننزل فيه وان اختلف عنه في أنه كان أكثر ارتفاعا منه ويقتضي الأمر الصعود إليه بسلم خشبي نحو عشر درجات ، وكان أثاثه أكثر أناقة ويتصل بصالة المعيشة فيه تراس خشبي تظلله شجرة كبيرة كان المكان المفضل لجلوس السادات خلال إقامتنا ، وكثيرا ما تمت اجتماعات الوفد المصري مع الرئيس فيه .

وقد كان السادات في حالة معنوية طيبة وأخبرنا أنه قام بزيارة الرئيس كارتر للمجاملة ، وأنه سيجتمع به على انفراد اجتماع عمل في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي .

ودخلت سريري ودخل بطرس غالي السرير المجاور ولم نتكلم لبعض الوقت ثم قلت « لقد دخلنا كامب ديفيد بسلام ، ترى كيف سنخرج منه ؟ هذا هو السؤال » . ولم يرد علي بطرس لأنه كان قد دخل في سبات عميق .

الفصل السادس والثلاثون

زئير الأسد وحكمة القرود

في صباح اليوم التالي اجتمع الرئيس السادات بالرئيس كارتر على انفراد في « أسبن » مقر إقامة الرئيس الأمريكي ، ودام الاجتماع نحو ساعة ، بعد عودته ذهبت وبطرس غالي لزيارته وكان في حالة معنوية طيبة فأخبرنا أنه شرح مشروعنا « إطار السلام » للرئيس كارتر الذي استمع إليه بتمعن دون تعليق ، وأنه أوضح له أن المشروع يتضمن ترتيبات أمن تزيد عما تضمنه مشروعنا بشأن الضفة وغزة الذي عرضناه في « ليدز » وأنه يأمل ألا يثير بيجن العقبات .

وقد أخبره كارتر أنه سيلتقي برئيس الوزراء الاسرائيلي على انفراد ثم يجتمع ثلاثتهم بعد الظهر ، كما عبر كارتر عن أهمية مؤتمر كامب ديفيد وقال إنه إذا فشل المؤتمر فقد يعني ذلك انعدام الأمل في استئناف المفاوضات المباشرة من جديد ، مما سيعقد الأمور ويضيع فرصة فريدة لتحقيق التسوية بالاضافة إلى أن هذا الفشل سيؤثر على مركزه الحالي وعلى مستقبله السياسي .

ورد عليه السادات بأنه إذا فشل المؤتمر فلن يكون هو السبب في فشله وإنما بيجن إذا استمر في تشدده وتعنته ، ودعانا السادات أن نتمشى معه قليلا لنتعرف على المنطقة المحيطة وقال لنا « تصوروا أن الرئيس كارتر الساذج المسكين أخبرني أنه يخشى أن يموت الأسد (الرئيس السوري) لأن ذلك سيكون مصيبة كبيرة » وكانت قد راجت في ذلك الوقت شائعات بأن الرئيس السوري يعاني من سرطان

في الحلق وأن حالته خطرة .

وفي الطريق قابلنا بيجن راكبا إحدى السيارات الكهربائية فأوقفها ونزل منها وصافح الرئيس متمنيا أن يكون في صحة طيبة كما صافحني وقال « كيف حالك يا سيادة الوزير ؟ » ثم عانق بطرس غالي وقال للرئيس « إن بيتر صديقي وقد طلب مني عندما قابلته أثناء زيارتك الشهيرة للقدس أن أناديه باسم (بيتر) » ثم حيانا وركب سيارته متجها إلى « اسبن » وبعد فترة رافقنا الرئيس حتى باب منزله وانصرفنا .

وفي قاعة الطعام قابلنا لأول مرة أعضاء الوفد الاسرائيلي وكانوا يجلسون حول مائدة مستديرة يتناولون طعامَهم يتوسطهم بيجن وزوجته ـ والذي استمر يتناول طعامه في المطعم طوال فترة المؤتمر على خلاف الرئيس السادات الذي لم يزره على الاطلاق وكان يتناول طعامه وحيدا في مقر إقامته ـ وكان يبدو على الاسرائيليين المرح وقد حييناهم من بعيد وجلسنا حول مائدتنا ، بينما ترك وايزمان مكانه وجاء إلينا وصافحنا ثم جلس معنا برهة أعرب فيها عن تمنياته بنجاح المؤتمر ثم عاد إلى مائدته .

وفي المساء ، وقبل توجهنا إلى المطعم لتناول العشاء ، مررنا على الرئيس السادات الذي كان يشاهد إحدى حلقات المسلسل التليفزيوني المعروف « جذور » ROOTS وأخبرنا أنه قرأ مشروعنا على كارتر وبيجن وسلم الأخير نسخة منه ، واتفق الثلاثة على العدول عن فكرة الاتفاق على إعلان مبادىء وأن يكون هدف المباحثات في كامب ديفيد هو التوصل إلى إطار للتسوية السلمية الشاملة ، يتيح للأطراف العربية الأخرى الدخول في مفاوضات على أساسه .

كما اتفق على أن يجتمع الثلاثة من جديد في اليوم التالي بعد أن يكون بيجن قد درس المشروع ليبدي ملاحظاته وآراءه بشأن ما يتضمنه . وعند دخولنا قاعة الطعام كان الاسرائيليون جالسين حول

مائدتهم ، إلا أن جو المرح الذي كان يحيط بهم أثناء الغداء كان قد فارقهم وحل محله جو من العبوس والجدية . فقلنا لابد وأن هناك ما يقلقهم ، فانتقل المرح إلى مائدتنا .

وربما كان ما عكر صفوهم هو اطلاعهم على المشروع المصري ومن يراجع ما كتبه كل من بيجن ، وديان ، ووايزمان ، عما دار في اجتماع الوفد الاسرائيلي بعد أن عاد إليهم بيجن من الاجتماع الثلاثي حاملا معه صورة المشروع المصري باطار السلام لا يسعه ــ إن كان منصفا ــ إلا التعجب . فكأن المشروع المصري هو غاية الكفر والالحاد . وكأنه يرمي إلى اقتلاع أظافر اسرائيل من أصابعها . وكأنه قمة الصفاقة ، والوقاحة ، والتخريف . في حين أن ما عالجه المشروع المصري لا يعدو أن يكون تطبيقا أمينا وموضوعيا لأحكام قرار مجلس الأمن ٢٤٢ الذي ارتضاه المجتمع الدولي ، ووافقت عليه اسرائيل نفسها والذي من شأنه عودة الحقوق إلى أصحابها ، وأن تنعم اسرائيل مع باقي دول المنطقة بالأمن والسلام مما يفتح أمامهم جميعا أبواب السعادة والتقدم والرخاء .

ولا تفسير لذلك في رأيي إلا أن الاسرائيليين يتشبثون بذلك الاعتقاد الواهم العنصري الذي يسيطر على فكرهم ويحكم تصرفاتهم بأنهم شعب الله المختار ، وبالتالي فان شهواتهم وأنانيتهم وشرورهم هى أمور تعلو وتسمو على حقوق من ليس منهم أيا كانت شرعية هذه الحقوق وعدالتها ، فليس ذلك من شأنهم ولا هو يستأهل لحظة تفكير أو تأمل من جانبهم ، وأتحفظ وأقول إنني لا أعمم وإنما أقصد أن مثل هذا الفكر هو الذي يوجه الطغمة الاسرائيلية الحاكمة وعلى رأسهم مناحم بيجن .

ملاحظات امريكية ...

في اليوم التالي ٧ سبتمبر (أيلول) اتصل بي سيروس فانس وطلب أن أقابله في التراس الملحق بمبنى قاعة الاجتماعات في الساعة

الحادية عشرة ، وذهبت مع أحمد ماهر في الوقت المحدد ولم يلبث أن حضر فانس وكان يصحبه والتر مونديل نائب الرئيس الأمريكي ، وقال فانس إنه اطلع على مشروعنا « إطار السلام » وإنه يود مناقشة بعض النقاط وابداء بعض الملاحظات الاولية عليه .

والنقطة الاولى تتعلق بالبند الثاني من المادة الثانية والتي تنص على « إزالة المستوطنات الاسرائيلية في الأراضي المحتلة طبقا لجدول زمني يتفق عليه خلال الفترة المشار إليها في المادة السادسة[١] » ، وقال فانس إن الموقف واضح بالنسبة للمستعمرات الاسرائيلية في سيناء ، وإنهم يتفقون معنا في وجوب إزالتها ، أما المستوطنات في الضفة وغزة فازالتها مشكلة كبرى ، ولن يمكن التوصل بأي حال إلى موافقة اسرائيل على ذلك لأن ذلك يهدد أمنها .

وكنت أعلم بالطبع باستحالة قبول اسرائيل لذلك ولكني قلت « إن هذه المستعمرات تشكل تعديا غير مشروع على الأراضي العربية المحتلة ، وأنتم أنفسكم تقرون بعدم مشروعيتها وبأنها عقبة في سبيل السلام ، فكيف نطمع في قيام سلام وهذا العدوان المجسد على الأراضي العربية قائم دون إزالة ؟ ، إما أننا سنتوصل إلى تحقيق سلام حقيقي دون مشاكل تطيح به أو أننا لن ننجح في تحقيق السلام على الاطلاق !! »

ودارت مناقشة تمسكت بموقفي خلالها إلى أن قال مونديل « ما رأيك هل توافق على تجميد المستوطنات القائمة في الضفة وغزة ؟ » وانتهى الأمر بأن عرضوا النقاط التالية :

(١) تجميد المستوطنات لمدة خمس سنوات .

(٢) تحويل بعض المستوطنات المدنية إلى معسكرات فيما لو أتفق على بقاء القوات الاسرائيلية في معسكرات محددة خلال الفترة

---

(١) تنص المادة السادسة على (نبرم معاهدات السلام خلال ثلاثة اشهر من تاريخ توقيع الأطراف المعنية لهذا « الاطار » إيذانا ببدء عملية السلام وانطلاق ديناميكية السلام والتعايش) .

الانتقالية .

(٣) إجراء مفاوضات خلال الفترة الانتقالية تشترك فيها الأردن والفلسطينيون تتناول مستقبل المستوطنات .

وانتهيت إلى أن قلت : إني شخصيا موافق مبدئيا على التجميد لمدة السنوات الخمس ، مع التحفظ بعرض الأمر على الرئيس بعد بحثه مع باقي أعضاء الوفد المصري . وبشرط أن يشمل التجميد عدم توسيع رقعة المستعمرات القائمة أو إنشاء مستوطنات جديدة بالطبع . »

وفي قرارة نفسي كنت سعيدا بهذا الحل ، خاصة وقد جاء اقتراحه من قبل الجانب الأمريكي ، ثم أبدى فانس الملاحظات التالية :

١ ـ أنه فيما يتعلق بالقدس لا يشير المشروع المصري إلى عدم تجزئة المدينة UNDIVIDED CITTY

٢ ـ فترة الأشهر الثلاثة الواردة في المادة الثالثة يحسن أن يذكر بدلها « بدون ابطاء PROMPTLY

٣ ـ سأل هل الاختصاص الالزامي لمحكمة العدل الدولية ـ المشار إليه في البند رابعا من المادة الثانية ـ له سوابق ؟ .

٤ ـ كما أبدى في أنه يحسن إلغاء البند ثامنا من المادة الثانية بشأن تعهد اسرائيل بدفع تعويضات عن الأضرار التي سببتها للسكان والمنشآت المدنية ، واستغلالها لثروات الأراضي المحتلة باعتبار أنه قد يثير مشاكل .

٥ ـ وقال إنه يقترح كذلك إلغاء المادة التاسعة لأن المادة الثامنة تغطيها .

٦ ـ واقترح أن يكون التعبير الخاص بقيام أمريكا بعمل شيء هو « ستدعى الولايات THE U.S.SHALL BE INVITED المتحدة » . وقد وعدته ببحث هذه الملاحظات والرد عليه .

وشعرت وأحمد ماهر بالارتياح وبالتفـاؤل إزاء الموقـف

الأمريكي ، فاذا كانت هذه ملاحظاتهم الأولية على المشروع المصري « فعلى العين والرأس » فذلك يعني بمفهوم المحالفة أنهم يوافقون على الأساسيات في مشروعنا فيما عدا موضوع إزالة المستوطنات في الضفة الغربية وغزة ، ومع ذلك ، فقد تقدموا بحل عملي من شأنه وضع حد لانتشار خطر الاستعمار الاستيطاني السرطاني في أنحاء الضفة الغربية وقطاع غزة ، وهو التطبيق العملي للمخطط الاسرائيلي الذي يستهدف ضم ما تبقى من الأراضي الفلسطينية إلى اسرائيل .

هل ابدو بهذه السذاجة ؟

وبعد عودة الرئيس السادات من اجتماعه الثاني بالرئيس كارتر ومناحم بيجن ، توجهت مع التهامي وحسن كامل وبطرس غالي وأشرف غربال وأسامة البار إلى مقر إقامته وجلسنا معه إلى التراس الخشبي . وقد حكى لنا أنه دارت بينه وبين بيجن مناقشة عنيفة حول المستوطنات الاسرائيلية في سيناء ، عندما أعلن بيجن أنه لن يتخلى عن هذه المستوطنات بأي حال ، وأن المسألة ليست مجرد رغبة أو نزوة في الاحتفاظ بهذه المستوطنات للذكرى وإنما لأنها تشكل حزام أمن يحمي اسرائيل من الهجمات عليها وأنه لا الحكومة ولا المعارضة الاسرائيلية تستطيع بحال الموافقة على إخلاء هذه المستوطنات ، فأمن اسرائيل مقدس وحيوي بالنسبة للجميع وذكر بيجن أنه يمكن التوصل إلى الصيغة المناسبة للابقاء على تلك المستوطنات بما يرضي الرئيس السادات ويقنعه بأن بقاءها لا يتعارض اطلاقا مع السيادة المصرية على سيناء التي ستعود كاملة إلى مصر ، كأن توضع المستعمرات تحت اشراف الأمم المتحدة مثلا .

www.library4arab.com/vb

وقد رفض السادات كل ذلك تماما وقال « إن أرضنا مقدسة ، وأنه لا هو ولا الشعب المصري يقبل بقاء مستوطنة واحدة أو مستوطن أو جندي أسرائيلي على أراضينا ، وأنه لن يوقع على أي اتفاق ما لم تخل هذه المستوطنات جميعا .

وبالنسبة للضفة الغربية وغزة قال السادات إنه تصدى لكل حجج بيجن ومن بينها أن من شأن الموافقة على ما ورد في المشروع المصري أن تقوم دولة فلسطينية إرهابية ، وهو ما يشكل خطرا قاتلا بالنسبة لهم وأن ذلك يتعارض مع ما سبق أن أبلغه به الرئيس كارتر والرئيس السادات نفسه من أنهما لا يؤيدان قيام دولة فلسطينية مستقلة ، وقد رد عليه السادات بأن ذلك صحيح ولكن ما يشير إليه مشروع إطار السلام ، هو قيام دولة فلسطينية مرتبطة بالأردن وليست مستقلة ، فضلا عن أنه يمكن أن تكون هذه الدولة منزوعة السلاح ، وقال السادات إن بيجن رفض كل ما ورد في مشروعنا بشأن الضفة الغربية وغزة ، وأن السادات رد عليه بأنه لن تكون هناك تسوية بدون حل القضية الفلسطينية ، وأنه لذلك يعلن أمام الرئيس كارتر وبيجن أنه لن يوقع على أي اتفاق بشأن سيناء قبل التوصل إلى اتفاق حول الضفة الغربية وقطاع غزة .

وأخبرنا السادات أن الرئيس كارتر قد طلب منه بعد انصراف بيجن عقد اجتماع ثنائي أمريكي مصري برئاستهما على ألا يزيد عدد معاوني كل منهما على ثلاثة أعضاء ، واتفق على أن يبدأ الاجتماع بعد نهاية عرض رجال البحرية الأمريكية الذي سيقام في المساء .

وطلب السادات مني ومن التهامي وبطرس غالي أن نحضر الاجتماع معه ، وقال السادات وهو يودعنا عند انصرافنا بلهجة يشوبها الافتخار « كان نفسي تسمعوا الرئيس كارتر وهو يقول لي بعد انتهاء الاجتماع الثلاثي ، لقد كنت تزأر مثل الأسد وأنت تقول لبيجن أمامي أنه لا أنا – أي السادات – ولا أنت – أي بيجن – ولا الملك حسين ، يستطيع المطالبة بالسيادة على الضفة وغزة ، التي هي من حق الشعب الفلسطيني وحده » ، وقد راق هذا « التشبيه بالأسد » للسادات فكان كثيرا ما يردده فيما بعد هذه القصة للدلالة على شراسته وشدة بأسه في التفاوض ، وعلى ضراوته في تمسكه بالدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني .

وبعد المغرب ، توجه أعضاء الوفد لحضور عرض البحرية الأمريكية في إحدى ساحات كامب ديفيد المكشوفة ، وقد أعدت منصة خشبية صغيرة متدرجة لجلوسهم ، خص الصف الأول منها لرؤساء الوفود ، فجلس الرئيس كارتر وعلى يمينه الرئيس السادات وعلى يساره رئيس الوزراء بيجن ، وجلس معهم في نفس الصف قادة معسكر كامب ديفيد ، وجلس باقي الوفود في الصفوف التالية .

وقد دعي لمشاهدة العرض رجـال الصحافـة والاذاعـة والتليفزيون ، فسمح لهم لأول مرة باجتياز أسوار كامب ديفيد المكهربة إلا أنهم لم يتمكنوا من الاتصال بالوفود ، وأعدت لهم منصة على الجانب الآخر من الساحة . وبدأ رجال البحرية عروضهم التي أدوها في غاية من الدقة والمهارة والانضباط ، إلا أني كنت أشاهدها وعقلي منصرف تماما إلى الاجتماع الثنائي الذي كنا سنعقده مع الجانب الأمريكي برئاسة كارتر والذي كنت أرجو وأعول على اكتشاف ما يدور في فكره وتخطيطه .

وبعد انتهاء العرض غادر رجال الاعلام كامب ديفيد وتوجه أعضاء الوفود للحفلة التي أقيمت لهم في الهواء الطلق بقصد إذابة الثلوج بين أعضاء الوفدين المصري والاسرائيلي وإشاعة جو من الألفة بينهم ، وقدمت المشروبات واللحوم المشوية والسلطات والحلويات وعزفت موسيقى البحرية بعض الألحان وراقص السفير نبيل العربي مسز روزالين كارتر ، إلا أن الحفل كان يشوبه التحفظ ويفتقد البهجة ، وحاول مائير روزن عضو الوفد الاسرائيلي ـ وسفير اسرائيل في باريس فيما بعد ـ أن يقنعني بأن احتفاظ اسرائيل بالمستوطنات في سيناء لا يمس السيادة المصرية عليها بأي حال وقد ناقشته في ذلك بعض الوقت ، ولكنه استمر في محاولته ، فقلت له « هل أبدو لك حقا بهذه السذاجة ؟ » .

في نحو الساعة الحادية عشرة مساء دعاني السفير أيلتس إلى ترك الحفل والتوجه مع التهامي وبطرس غالي للاشتراك في الاجتماع المصري الأمريكي ، وقد التقى الجانبان في إحدى غرف الاجتماعات الصغيرة بالمبنى المواجه لصالة الطعام ، وجلس الرئيسان جنبا إلى جنب حول مائدة مستديرة يكسوها الجوخ الأخضر وتعلوها إضاءة قوية ، وعلى شمال الرئيس كارتر جلس نائبه والتر مونديل ثم سيروس فانس ثم بريجنسكي ، وعلى يمين الرئيس السادات جلس حسن التهامي ثم أنا ثم بطرس غالي .

وبدأ الرئيس كارتر الحديث بأن عبر من جديد عن شكره للرئيس السادات ولرئيس الوزراء الاسرائيلي على قبولهما التلقائي تلبية الدعوة للاجتماع الثلاثي في كامب ديفيد ، وهو ما يتيح فرصة طيبة لكسر الجمود الذي أصاب المفاوضات وتحقيق تقدم على طريق السلام ، ثم أشاد بمبادرة الرئيس بزيارة القدس وأثنى على شجاعته وحكمته وحنكته السياسية وبعد نظره وإصراره على تحقيق السلام ، ثم انتقل بنفس الصوت والنبرات إلى امتداح مناحم بيجن بوصفه زعيما شجاعا وسياسيا محنكا ورجل سلام سارع بالتجاوب مع مبادرة الرئيس السادات التاريخية .. ونظرت إلى الرئيس السادات ولاحظت على الفور أنه تضايق وأصابه الامتعاض من جراء امتداح كارتر لبيجن ووضعه له على قدم المساواة معه .

وقال الرئيس السادات « انني أنا الذي قمت بمبادرة السلام ولو كان بيجن راغبا في تحقيق السلام حقا لكنا وصلنا إلى ذلك منذ مدة ، ولم يكن هناك ما يدعو إلى وجودنا هنا الآن » .

وأشعل الرئيس غليونه وشرع يدخن وينفث الدخان من أنفه وشخصت عيناه إلى الأمام دون أي تعبير .

وسمعت صوت حسن التهامي يصيح « يا صاحب السعادة »

YOUR EXCELLENCY والتفت إليه الرئيس كارتر فقال « لقد قابلت موشى ديان وزير خارجية اسرائيل في المغرب مرتين قبل المبادرة ، وأبلغني في المقابلة الثانية أن رئيس وزرائه بيجن قد وافق على الانسحاب من الضفة الغربية وغزة والجولان وسيناء ، وأنهم مستعدون لقبول كل شروطنا لتحقيق السلام ، وكان ذلك في حضور الملك الحسن الثاني ، ولكن عندما سافرت مع الرئيس السادات إلى القدس في نوفمبر (تشرين الثاني) قال لي أحد كبار أعضاء الدائرة المقربة SENIOR CIRCLE من بيجن لماذا حضرتم إلى القدس ؟ إننا سعداء بالأوضاع الراهنة وباحتلالنا للأراضي التي حررناها وليس من مصلحتنا السلام في المرحلة الحالية »

وارتسمت تعبيرات متباينة على وجوه الحاضرين وقال الرئيس كارتر بشيء من البرود « إنه من الممكن دائما أن يقال إن أحد المقربين قال كذا أو كيت ، ولكن هذا لا يصح التعويل عليه أو الاستناد إليه ، ويمكن أن ينسب إلى « سين » (×) من الناس قولا أو رواية ويدعى أنه من الدائرة القريبة مني ـ بل ربما يكون منها فعلا ـ ولكن ما قاله قد يكون غير حقيقي أو محرفا .

وهناك اعتقاد شائع بأن الرئيس السادات يتصف بالمرونة بينما معاونوه المقربون يتصفون بالتشدد ، وأن رئيس الوزراء بيجن يتصف بالتشدد بينما معاونوه المقربون يتصفون بالمرونة ، وقد يكون ذلك صحيحا أو لا يكون ، وعلى كل حال ، فان كان صحيحا فهو يشكل توازنا مفيدا وطيبا ، ولنعد الآن إلى موضوعنا الذي نجتمع من أجله ، وألقى الرئيس الأمريكي نظرة على ورقة أمامه وقال « أريد أن أتحدث أولا عن سيناء ، ثم عن الضفة الغربية وغزة » وأردف قائلا إن المشكلة الرئيسية في سيناء هي مشكلة المستوطنات والمطارات الاسرائيلية المقامة عليها ، وهناك تعارض واضح بين موقفي مصر واسرائيل من هذا الموضوع ، فان رئيس الوزراء الاسرائيلي يتصور أنه قد قدم تنازلات كبيرة في سيناء حسبما جاء في مشروعه المقدم في

الاسماعيلية ، وهى تنازلات في رأيه تزيد كثيرا عما قدمه حزب العمـ الاسرائيلي في الماضي . وبالنسبة لشرم الشيخ فانه يرى ضرورة وجود قوات الأمم المتحدة بها ، وأنه لا يجوز سحب هذه القوات إلا بموافقة الطرفين المصري والاسرائيلي وكذلك بموافقة مجلس الأمن .

واستفسر نائب الرئيس مونديل عن الموقف إذا أمكن تسوية قضية المستوطنات في سيناء ، فهل سيتم التوصل إلى تسوية القضايا الأخرى ؟

وقال وزير الخارجية فانس ، إنه لا يوجد أي أساس قانوني أو شرعي لبقاء المستوطنات في سيناء ، كما أن مقتضيات أمن اسرائيل لا تتطلب ذلك ، وأضاف ، إن ديان ووايزمان أكثر استعدادا من بيجن لتسوية قضية المستوطنات ، أما قضية المطارات الاسرائيلية في سيناء فهى مشكلة عسكرية يمكن بحثها من جانب العسكريين ، وأشار فانس إلى أن الوضع في سيناء والجولان يختلف عنه تماما في الضفة الغربية وغزة ، حيث توجد حكومة مصرية لها حق السيادة على سيناء كما توجد حكومة سورية تستطيع السيطرة على الجولان ، أما الموقف في الضفة الغربية وغزة فيختلف حيث لا توجد سلطة أو سيادة واضحة .

وقال بريجنسكي إن سيناء يجب أن تعود بالكامل إلى مصر وإنه يقترح أن تتحول بعض المستوطنات الاسرائيلية في سيناء إلى مراكز تدريب للجيش الأمريكي (وقد علمنا فيما بعد أن هذا الاقتراح كان بايعاز من ديان وزير خارجية اسرائيل) .

وتكلم الرئيس السادات باقتضاب فقال إن هناك موضوعين لا يمكن بحال من الأحوال التنازل عنهما وهما الأرض والسيادة ، وبالنسبة للوضع في سيناء فانه يعتقد أن اسرائيل ترفض التنازل عن المستوطنات المقامة فيها حتى لا يشكل ذلك سابقة تتم على أساسها المطالبة بتصفية المستوطنات الاسرائيلية التي أقيمت في الجولان والضفة الغربية وغزة ، أما بالنسبة لما اقترحه بريجنسكي من تحويل

المستوطنات إلى مراكز تدريب للجيش الأمريكي فهو لا يوافق عليه لان فيه ضررا بموقف أمريكا وكذلك ضررا بموقف مصر .

وعاد كارتر يمسك بزمام الحديث فقال : إنه إزاء الخلافات الجوهرية بين مصر واسرائيل حول الضفة الغربية وغزة فانه ينوي التقدم بمشروع أمريكي للتسوية يقوم على فكرة الحكم الذاتي ، وأنه يمكن تأجيل القضايا الأساسية التي تتعلق بالسيادة على الضفة الغربية وغزة لمناقشتها في نهاية الفترة الانتقالية ، كما أن مشروع بيجن هو مشروع طيب لفترة انتقالية .

وبالنسبة للمستوطنات فانه بالرغم من كونها غير شرعية ، إلا أن هناك تفرقة بين الوضع بالنسبة لمستوطنات سيناء ، والمستوطنات الأخرى في الضفة الغربية وغزة ، إذ تشعر اسرائيل بحاجتها الضرورية لهذه المستوطنات لاعتبارات أمنها ، حيث أن وجودها يساعد على الحد بنسبة كبيرة من أعمال الارهاب والتطرف التي تتعرض لها .

ثم قال الرئيس .. إنه إذا لم يمكن اشتراك الأردن في أعمال الفترة الانتقالية ، فانه يأمل أن تشترك مصر في أعمال هذه الفترة ، وأن يكون لها تواجد في الضفة والقطاع .

وأضاف الرئيس الأمريكي أن مشروعه لن يخوض في التفاصيل وسوف يكتفي بالخطوط العريضة للتسوية ، حيث لا يحق لأحد الحديث باسم الفلسطينيين ، وأن التوصل إلى حل ناقص أو جزئي – قد لا يرضي الأطراف الثلاثة – يعتبر أفضل من احتمال قطع أو توقف عملية السلام والعودة إلى مخاطر المواجهة العسكرية .

أما بالنسبة لموضوع الانسحاب وتحديد الحدود ، فانه يمكن التوصل إلى تفاهم على هذه النقطة على أساس الصيغة التي اتفق عليها الرئيس السادات مع شيمون بيريز في فيينا ، والتي تقوم على المواءمة بين أماني الفلسطينيين ومتطلبات أمن اسرائيل .

وأنهى كارتر عرضه لفلسفة مشروعه المرتقب قائلا إنه من

الناحية العملية ، إذا وافقت كل من مصر واسرائيل وأمريكا على مثل هذا المشروع ، فسوف يمكن النجاح في تنفيذه ، بسبب قوة تأثير الدول الثلاث معا ، وانه قد يظهر بعض الضيق والاعتراض من جانب بعض الدول العربية الأخرى ، إلا أن الجميع سيضطرون إلى المسير خلف الدول الثلاث .

وتكلم سيروس فانس فقال إنه يود اقتراح بعض الأفكار التوفيقية وهى أن يؤخذ مشروع الحكم الذاتي (الاسرائيلي) أساسا للتسوية ، وأن تقوم مصر واسرائيل والأردن والفلسطينيون بالمشاركة في أعمال الفترة الانتقالية ، وإن الولايات المتحدة ستحاول التفاهم مع اسرائيل على الوضع النهائي للضفة الغربية وغزة بعد نهاية الفترة الانتقالية .

وانتهى كلام الجانب الأمريكي ، وحولت بصري مع الحاضرين إلى الرئيس السادات لنستمع إلى رده على ما قاله كارتر وفانس وكلها أمور خطيرة تتطلب التصدي الفوري لها ومعالجتها في المهد ، إلا أن السادات كان ــ وكأنه لم يكن ــ شاخصا بعينيه إلى الأمام ينظر إلى لا شىء ، ولم يحرك ساكنا أو ينطق بكلمة واحدة ، ولا هو زأر كالأسد .

فكرة خطيرة بلا تعليق ..

شرعت على عجل أرتب أفكاري لأتكلم وقلبي يفيض مرارة بما قاله كارتر وبما لم يقله السادات ، عندما قال الرئيس الأمريكي « أحب الآن أن استمع إلى الوزير كامل »

وبدأت أتكلم موجها الحديث إلى الرئيس كارتر وعرضت باختصار خلفية النزاع العربي الاسرائيلي ثم التطورات الأخيرة في الشرق الأوسط ، وأبرزت دور الرئيس السادات في إبعاد الخبراء الروس من مصر وتقليص النفوذ السوفيتي في المنطقة ، ثم تكلمت عن حرب أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٣ التي هيأت الأرضية للتسوية السلمية بين العرب واسرائيل وعودة العلاقات الدبلوماسية بين مصر

والولايات المتحدة ، ثم تولى الرئيس كارتر رئاسة الجمهورية بعد أن أكد بوضوح خلال حملته الانتخابية أن موضوع حقوق الانسان سيكون من ركائز سياسته واهتماماته ، وهو ما تفرع عنه بالتبعية تصريحاته « بحق الشعب الفلسطيني في وطن قومي » وكان أول رئيس أمريكي يعلن ذلك ويعطي أولوية لحل مشكلة الشرق الأوسط التي بات استمرارها يهدد استقرار العالم السياسي والاقتصادي ، مما شجع الرئيس السادات على قيامه بمبادرته وزيارة القدس ، وأضفت .. إننا مقدرون وسعداء لمشاركة الولايات المتحدة في المباحثات بكل ما لها من وزن وثقل ، وما تعلنه دائما من التمسك بالمبادىء والقيم .

وأشرت إلى أن مواقفنا كانت ايجابية بناءة منذ البداية ، واننا عرضنا على اسرائيل كل ما يمكن من ترتيبات الأمن وضمانات السلام وعلاقات حسن الجوار ، وكان ذلك أمام ممثلي الولايات المتحدة وعلى أيديهم . إلا أن اسرائيل لم تتجاوب معنا على الاطلاق وتشبثت بالتعنت وبالمستحيل ، فنحن لا نستطيع ، ولا نملك التنازل عن الأرض المحتلة ، وإن حدث ذلك جدلا ، فلن يحقق أمنا ولا سلاما ولا استقرارا ، وها نحن لبينا دعوة الرئيس كارتر للاشتراك في مؤتمر كامب ديفيد رغم يقيننا بسوء نية إسرائيل ، اعتمادا على ثقتنا فيه كرجل مبادىء سيمارس دوره في التأثير على اسرائيل واقناعها بكل ما يملك من وسائل ، بأن طريق السلام هو إعادة الأراضي والحقوق إلى أصحابها وقلت إني لن أتكلم عن سيناء ، وإنما أتكلم عن حل القضية الفلسطينية ، التي هى جوهر النزاع ومفتاح السلام الشامل العادل الذي ننشده ، ولقد استمعت باهتمام إلى أفكارهم بشأن المشروع الأمريكي الذي يعتزمون التقدم به ، واعترف بأمانة ، بأني قد صدمت بالاتجاه الذي يفكرون في اختياره ، والذي في رأيي ، يحيد عن الطريق المؤدي إلى التسوية الشاملة .

فقد فهمت أنكم ترون اتخاذ مشروع الحكم الذاتي الذي قدمه

بيجن في الاسماعيلية كأساس للتسوية ، في حين أن هذا المشروع مرفوض مصريا وعربيا تماما ، كما أن بعض الأفكار التي طرحها الرئيس كارتر هي ترديد للدعاوى الاسرائيلية المغرضة ، مثل تأجيل بحث السيادة على الضفة الغربية وغزة باعتبار أنها غير واضحة في حين أنه لا شبهة في أن حق السيادة على هذه الأراضي هو للشعب الفلسطيني الذي عاش على تلك الأرض آلاف السنين بدون انقطاع ، ثم جاء قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الخاص بتقسيم فلسطين إلى دولة عربية ودولة يهودية ، وحسم هذا الموضوع من الناحية القانونية ، فأنشأ حق اسرائيل في السيادة على الأراضي التي خصصت للدولة اليهودية ، وأقر وأكد حق السيادة على الأراضي التي خصصت للشعب الفلسطيني ومنها الضفة الغربية وغزة ، ولا أدري لم لا تتخذون المشروع المصري أساسا للتسوية وهو موضوعيا تنفيذ أمين للقرار ٢٤٢ الذي يحكم التسوية ؟؟

وأقول ، إننا نرفض اتخاذ المشروع الاسرائيلي أساسا للتسوية ، ولكننا لا نصر على اتخاذ المشروع المصري أساسا لها ، وإنما الذي نصر عليه حقا ونرجوه ، هو أن يعكس المشروع الأمريكي مواقف الولايات المتحدة الرسمية المعلنة بشأن حل النزاع ، وهي الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة ، مع امكانية إجراء تعديلات طفيفة أو غير مؤثرة في الضفة الغربية فقط إذا اتفق عليها ، وعدم شرعية المستوطنات ، وحق اللاجئين الفلسطينيين في العودة أو التعويض ، وعدم الاعتراف بضم القدس العربية إلى اسرائيل وأخيرا صيغة أسوان التي صاغها الرئيس كارتر بنفسه لحل القضية الفلسطينية .

وأضفت : إني أختلف تماما مع الرئيس كارتر في تصوره ، أنه إذا توصلت مصر واسرائيل وأمريكا إلى إتفاق على حل ، ولو كان ناقصا أو جزئيا ، فستضطر باقي الدول العربية إلى قبوله والسير وراءه ، فهذا تصور قائم في رأيي على تقدير غير سليم ، والذي

سيؤدي إليه مثل هذا الحل في الواقع ، هو عزل مصر ومزيد من الفرقة العربية وعدم الاستقرار في المنطقة ، مما يؤدي بدوره إلى زيادة حدة الاستقطاب فيها ، وإتاحة الفرصة لعودة النفوذ السوفيتي إليها ، في حين أن الولايات المتحدة لو رمت بثقلها ، وساعدت في تحقيق تسوية عادلة للقضية الفلسطينية على أساس حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة ، فان جميع الدول العربية بلا استثناء ـ معتدلة كانت أم راديكالية ـ ستتوجه إلى أمريكا بالشكر والعرفان ، وسيعم السلام في المنطقة لخير اسرائيل والعرب على السواء وينعكس كل ذلك على الأمن الدولي وعلى الاقتصاد العالمي .

وقال الرئيس كارتر « شكرا يا سيادة الوزير ، سنفكر فيما قلت بعين الاعتبار ، ولكني أكرر إذا كانت مصر واسرائيل والولايات المتحدة معا في جانب واحد فلن تجرؤ قوة من خارج المنطقة أو من داخلها على التصدي لهم » .

ونظرت فزعا إلى الرئيس السادات عله يتدارك الأمر ويعلق على هذه الفكرة الخطيرة التي طرحها كارتر ، ولكنه كان مازال سابحا في ملكوته يشد على غليونه ، أو لعله آثر الالتزام بحكمة القرود الصينية الثلاثة (أنا لا أرى ولا أسمع ولا أتكلم) وانتهى الاجتماع وخامرني شعور بأن أمورا كثيرة تجري في الخفاء بين كارتر والسادات ، وأن علي أن أعد نفسي لمفاجآت الأرجح أنها ستكون غير سارة .

الفصل السابع والثلاثون

لعنة كيسنجر تنبعث من جديد

كانت الساعة قد جاوزت الواحدة بعد منتصف الليل عندما عدت مع بطرس غالي إلى غرفة نومنا بعد انتهاء الاجتماع واستبدلنا ملابس النوم بملابسنا ، إلا أن النوم كان بعيدا عن جفوننا ، وجلست على سريري وجلس بطرس على سريره المقابل وشرعت في الكلام أو بالأحرى في التفكير بصوت عال . قلت إني قلق للغاية مما حفلت به الأربع والعشرون ساعة الماضية ، فها هو السادات قد قدم مشروعنا (إطار السلام) إلى كارتر وبيجن وناقشه معهما في بداية المؤتمر . ورغم أني نصحته بغير ذلك ، إلا أن هذا هو حقه ، ولا أستطيع أن أفرض عليه رأيي فقد أكون مخطئا . وفي روايته لنا أمس عما دار خلال اجتماعه مع كارتر وبيجن أعطانا الانطباع بأنه قد نجح أمام الرئيس الأمريكي في التصدي لانتقادات بيجن للمشروع وفي الدفاع عنه . ولو أني من واقع التجربة لا أعول على روايته تماما ، فكثيرا ما كان السادات يغفل الاشارة إلى نقاط كثيرة ، إما لأنه نسيها وإما لأنه يراها قليلة الأهمية أو لأنها لا تروق له ، أو لأنه عجز عن حجة ما أو ــ وهو الأخطر ــ لأنه تورط في بعض التنازلات لكارتر أو لبيجن أو لكليهما معا .

وها هو يبدو من حديث الرئيس كارتر في الاجتماع أنه قد استبعد المشروع المصري كأساس للتفاوض ، وهو وان لم يقل ذلك صراحة إلا أن المفهوم ضمنا من تصريحه بأنه قرر التقدم بمشروع أمريكي لمعالجة الهوة بين المواقف المصرية والمواقف الاسرائيلية . ثم

ها هو ذا كارتر يعرض علينا الأفكار التي تدور في رأسهم حول مضمون المشروع الأمريكي وكلها تدور في فلك التخطيط الاسرائيلي : تأجيل بحث القضايا الرئيسية كالسيادة على الضفة وغزة ، التفرقة بين وضع المستوطنات في سيناء وفي الأراضي المحتلة الأخرى ، عدم الاكتراث بمشاركة الأردن في المباحثات ، جر مصر إلى تواجد ـ لم يحدد طبيعته ـ في الضفة الغربية ، عدم الخوض في التفاصيل بدعوى عدم وجود من يحق له الحديث باسم الفلسطينيين ، أن يتم الانسحاب وتحديد الحدود على أساس صيغة السادات ـ بيريز في فيينا ، فرض ما يتفق عليه على باقي الدول العربية ولو كان حلا ناقصا أو جزئيا .

ألم يجد كارتر مبدأ واحدا أو فكرة يقتبسها من المشروع المصري ؟

ثم ها هو فانس يتكلم على المكشوف ويقول إنهم يقترحون أن يكون مشروع بيجن للحكم الذاتي ـ الذي قدمه في الاسماعيلية ـ هو أساس التسوية .

إن ما قاله كارتر وفانس يوحي بأن أمريكا ستقوم بدور الشريك الكامل لاسرائيل ضد مصر ، وليس بأن تقدم أفكارها الذاتية بما يتفق مع مسؤولياتها الدولية .

كل هذا يمكن تصوره ولكن اللغز والمصيبة والفضيحة هو موقف السادات ، فهو يستمع إلى كل ذلك فلا يغضب ولا يزمجر ولا يعارض ولا يفند ولا يجادل ولا يشرح .

أين إذن وعده ـ أو وعيده ـ وهو يصيح في وجهي على مسمع ومرأى من أعضاء مجلس الأمن القومي ، بأنه سيقدم مشروعه في بداية المؤتمر ، فان لم يقبل أساسا للتفاوض فسينسف المؤتمر ويعود إلى مصر في خلال ثمان وأربعين ساعة ؟ وهو ما عاد وكرره لي أثناء حديثي معه في الطائرة وهي على قيد ساعات قليلة من كامب ديفيد ، ثم يصل الأمر إلى حد أن يطرح الرئيس الأمريكي في وضوح وبلا

موارية ، فكرة عقد تحالف استراتيجي أمريكي اسرائيلي مصري ، فيخرس السادات ولا ينطق ، ماذا دهاه ؟ لقد كدت أموت خجلا وكمدا وقرفا وأنا أتابع هذه المأساة ..

وقال بطرس غالي إنه يشاركني مشاعري وإنه في دهشة من موقف السادات في الاجتماع وربما كان شارد الذهن ، أو متعبا ولم يع ما قاله الرئيس كارتر ، فلقد كان يوما طويلا مجهدا . وربما قصد كارتر بما قاله اختبار مدى تصلبنا ، وطرح أفكارا لا يتبناها بالفعل ولكن ليستمع إلى رأينا وملاحظاتنا ويعدل فيها على أساسها ، ولقد أحسنت في ردك على كارتر وكنت موفقا ولابد أنه سيأخذ ما قلت بعين الاعتبار .

قلت ولكن ما قيمة كلامي في ظل صمت الرئيس ، أليس السكوت رضا ؟

ثم ألم تلاحظ إشارة كارتر الماكرة عند رده على التهامي عندما قال إن الشائع هو أن الرئيس السادات معتدل بينما معاونوه متشددون ، إنه يعنينا نحن ، أتظن أن الرئيس كارتر سيعير كلامي الالتفات ويقدمه على كلام السادات ، أو عدم كلامه ؟ سيقول كارتر أن موقف الرئيس يجب موقف وزير خارجيته ولن يستطيع أحد أن يلومه على ذلك .

وقال بطرس غالي على كل حال فان اجتماع اليوم كان للاستطلاع ، وهم بسبيل الاعداد لمشروعهم وليس ما قالوه يمثل بالضرورة أفكارهم النهائية ، ولن نعرف ما انتهوا إليه حتى يفرغوا من مشروعهم ويقدموه لنا ، ونرى ما فيه فدع القلق حتى وقتها ولننم بعض الوقت فقد أوشك الفجر على البزوغ .

وقلت « معك حق ، تصبح على خير » وأطفأت النور .

كانت علاقتي ببطرس غالي طيبة للغاية وكنا نتفاهم على الكثير من المسائل ونصل إلى نفس الحلول أو إلى حلول متقاربة في معظم الأحيان ، ولكن الخلاف الرئيسي بيننا كان في فهم كل منا لمهمته

والواجب المنوط به ، وعلاقة العمل بالرئيس السادات . كان بطرس يؤمن بطاعة الرئيس وأن علينا أن ننفذ ما يقرره ونزين إخراجه وننمق صياغته في القالب السياسي أو الدبلوماسي أو الاعلامي ونلتزم به ، فالرئيس يرى من مركزه الشمولي ما لا نراه ويقرر ما ليس في حسابنا أن نقدره ، وإن جاز لنا اقتراح رأى أو فكرة على الرئيس — إذا كان مزاجه طيبا — فيجب ألا يتجاوز الأمر حد الاقتراح إلى الجدل أو المناقشة . وكنت أرى غير ذلك تماما ، وأن واجبنا ومهمتنا تتعدى ذلك إلى النصح والمشورة وتبصيره فيما يقدم على اتخاذه من قرارات أو خطوات .. بما قد يشوبها من نقص أو عيب أو تجاوز أو خطر . فنحن وزراؤه ومستشاروه ونحن لا نعمل في دائرته الخاصة أو أموره الشخصية ، وإنما نعمل في قضية مصيرية معقدة متشابكة لا يستطيع فرد مهما أوتي من طاقة ومقدرة وذكاء الاضطلاع بها وحده على الوجه الأمثل . ولا يعني هذا فرض رأينا على رأيه فهو الرئيس والرأى الأخير له . فقط يكون قد ألم بما له وما عليه وأحاط بكل جوانبه وبمزاياه وبمثالبه وبعواقبه .

وما قصدت أن أخص بطرس بذلك ، أو ألومه فهو في هذا لا يختلف عن غالبية الوزراء ورجال الدولة المحيطين بالسادات ، وإنما أثرت هذه النقطة لانعكاساتها على عملنا في كامب ديفيد . وأوضح فأقول إن الوفد الرسمي كان يتكون من الرئيس ومن حسن التهامي وحسن كامل وأنا وبطرس غالي وأسامه الباز . أما التهامي فالى جانب عدم تخصصه في طبيعة ما نمارسه فقد كانت له آراء فريدة من نوعها لا أستطيع أنا ولا غيري أن يرقى إلى مستوى فهمها بسهولة ، وأما حسن كامل فهو بحكم اشتغاله مدة طويلة بالأمور البروتوكولية ثم بعد نقله في الأمور الادارية عندما عين مديرا للديوان الجمهوري ، كان قد ابتعد عن قضية النزاع العربي الاسرائيلي بتعقيداتها وتطوراتها . إذن بقى من الوفد أنا وبطرس وأسامه ، مما يجعل مسئولياتنا مضاعفة ، وأشهد أن أسامه الباز كانت له طريقته المرنة

في مساندة ارائي أمام الرئيس ولكن كانت له حدوده ، ثم إنه كثيرا ما كان يتدارك بمهارة تصحيح ما يشوب آراء الرئيس عندما يكلفه بصياغتها

أما فريق المستشارين والخبراء الممتازين من وزارة الخارجية الذي كان بمثابة غرفة العمليات للوفد فكانت صلته بنا وليس له اتصال مباشر بالرئيس إلا في حالات خاصة .

وكان المعتاد أن أعضاء الوفد الرسمي يجتمعون بمشاركة فريق المستشارين لدراسة المواضيع والمواقف قبل الاجتماع بالرئيس ، وغالبا ما كنا ننتهي بعد المناقشة إلى الاتفاق على رأى موحد ، فاذا ما اجتمعنا بالرئيس بعد ذلك وكان له رأى مخالف لا نراه صوابا كان الأمر ينتهي إلى أن أبدو ، وكأني المعارض الوحيد لرأيه حيث ينحاز أغلب الأعضاء الآخرين لرأيه بالتأييد أو بالسكوت ولم يكن ذلك في حد ذاته يضايقني ، وإنما كان يضايقني أنهم لو أبدوا أراءهم لربما انتهى الرئيس إلى القرار الأفضل .

وأذكر أنه بعد انتهاء أحد اجتماعات الوفد مع الرئيس قال لي بطرس غالي ربما حرصا علي « أرجوك يا محمد لا تناقش الرئيس في حضور الوفد » فقلت « كيف ؟ إن من واجبي ومن واجبك أنت وباقي الأعضاء مناقشته وإبداء آرائنا وملاحظاتنا ولهذا أشركنا في الوفد وإلا فما هى مهمتنا ؟» فقال « يحسن أن تقول له ما تريد أن تقوله وأنتما وحدكما فلقد لاحظت أنه يغضب عندما تكلمه أمامنا » فقلت « لا أعتقد أنه يغضب من سماع رأى قد يفيده أو ينوره دون أن يلزمه ، وأنا أخاطبه دائما بالاحترام الواجب له كرئيس فاذا غضب بعد ذلك فهو حر » .

ديناميكية المواقف

في صباح اليوم التالي كنت أتناول الافطار مع أحمد ماهر عندما حضر بريجنسكي مستشار الرئيس كارتر للأمن القومي وانضم إلينا وأثار موضوع تجميد المستوطنات الذي تم الاتفاق عليه بيني

وبين مونديل وفانس ، وقال إنه يوافق تماما على عدم إنشاء مستوطنات جديدة في الضفة الغربية وغزة ولكن هناك مشكلة فيما يتعلق بالتجميد الأفقي للمستعمرات القائمة ، فماذا يكون الحال لو رزقت أسرة من التي تعيش في المستعمرات الحالية بطفل أو أكثر ، هل لا يحق لها في هذه الحالة إضافة غرفة لسكنهم لايواء الأعضاء الجدد في الأسرة ؟ وقلت إن المقصود هو عدم إنشاء مبان أو منشآت جديدة لاستقبال مستوطنين جدد .

وانتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الأوضاع في منطقة الشرق الأوسط فقال إن المنطقة مقبلة على مرحلة من الاضطرابات وأشار إلى ما حدث في أفغانستان ، حيث استولى الشيوعيون على الحكم بعد الاطاحة بالنظام الملكي ، وإلى تردي الموقف الداخلي في ايران والذي يهدد مركز الشاه تهديدا حقيقيا ، وإلى الوضع في القرن الأفريقي ، وقال إن الولايات المتحدة قلقة من هذه التطورات وتعمل على وقفها أو احتوائها ، وأنها تعد نفسها للتصدي لها إذا فشلت في ذلك ، ومن ثم فهى معنية للغاية بالتوصل إلى تهدئة النزاع العربي الاسرائيلي عن طريق التوصل إلى تسوية بطريقة ما . وقلت لقد جئنا إلى هنا لهذا الغرض ، وهذا ممكن لو مارست الولايات المتحدة ضغوطا كافية على اسرائيل للتخلي عن أطماعها التوسعية في الأراضي العربية فقال بريجنسكي ، إن هناك حدودا لما يستطيعون أن يقوموا به وأنه من الصعب التوصل إلى تحقيق التسوية دفعة واحدة ، وعلينا التدرج خطوة خطوة وزمنيا حتى ننتهي إلى ذلك . وشرح نظريته في ديناميكية المواقف DYNAMICS OF SITUATIONS وبقدر ما فهمتها فان المواقف غير جامدة بل لها ديناميكية وقوة دفع تدفعها إلى التطور . وكل موقف يهيىء الظروف لموقف جديد يتداعى عنه مثل كرة الثلج التي تنحدر من على قمة تل ، فهى تزداد حجما كلما تقدمت . ومن ثم فان إنهاء الحكم العسكري الاسرائيلي في الضفة وغزة وممارسة الفلسطينيين للحكم الذاتي فيهما وتجميد المستوطنات الذي سيؤدي

إلى وقف حركة الاستيطان الاسرائيلي ، كل ذلك سيكون منطلقا إلى تطورات متتابعة تؤدي إلى أن يصل الفلسطينيون في النهاية إلى تحقيق حقوقهم المشروعة كاملة بما في ذلك ممارستهم لحق تقرير مستقبلهم .

وقلت إني لا أعارض نظريته كنظرية ، ولسنا نعارض فترة انتقالية تؤدي في نهايتها إلى ممارسة الشعب الفلسطيني لحقه في تقرير مصيره وسيادته على أراضيه ، ولكن ذلك يتطلب شرطا جوهريا وهو أن لا تكون اسرائيل في خلال الفترة الانتقالية في وضع يمكنها من الناحية الواقعية من الحيلولة دون تحقيق هذا الهدف ... وهذا ما لا يحققه مشروع بيجن للحكم الذاتي في الضفة وغزة والذي أعربتم في جلسة الأمس عن اتجاهكم لاختياره كأساس للتسوية ، فمطامع اسرائيل في ضم الضفة وغزة غير خافية بل هي واضحة ومعلنة ، فيكفي تصريحات بيجن المتواترة على أنها أراض اسرائيلية محررة ، وقيامهم منذ الاحتلال بتنفيذ مخطط استيطاني مؤداه ابتلاع الأراضي قطعة وراء قطعة . وإن كان هناك ثمة شك في هدف اسرائيل هذا في ضم الأراضي الذي تحاول ستره واخفاءه بحجة الأمن — والأمن يمكن تحقيقه بوسائل شتى — فان هذا الشك يتلاشى تماما إزاء إعلان بيجن أنه طرف بين أطراف أخرى — الفلسطينيين والأردن — يحق له المطالبة بالسيادة على الضفة وغزة ، فهو لا يستطيع أن يطالب بالسيادة مباشرة لأن ذلك يكون أمرا مفضوحا مرفوضا ، فما هو سنده في المطالبة بالسيادة ؟ ألا يمكن أن يعطيه احتلاله غير المشروع للأرض هذا السند ؟ فالسيادة هي من حق الشعب الفلسطيني صاحب الأرض بلا جدال . إذن فهو يعدل مطلبه إلى الاصرار على عدم البت في موضوع السيادة على الضفة وغزة وبقائه معلقا — بالنسبة للجميع حتى نهاية فترة السنوات الخمس الانتقالية — وهو ما يقدر أنه سيكون قد توصل في نهايتها إلى خلق واقع مادي مسيطر على تلك الأراضي تماما يتيح له ممارسة السيادة

الفعلية دون حاجة إلى إعلان ذلك ، ويكون قد قضي الأمر وتصبح بعد ذلك مطالبة الشعب الفلسطيني - والأردن إذا شاء - بالسيادة مجرد صرخات وصيحات في الهواء لا تلبث أن تذروها الرياح

ملامح الأفكار الأمريكية ..

بعد الظهر عقدت جلسة بين الوفدين المصري والأمريكي برئاسة وزيري الخارجية وفي بداية الجلسة قال فانس إنهم دعونا إلى هذا الاجتماع ليناقشوا معنا بعض الأفكار التي تدور في فكرهم ولم يتم صياغتها بعد حتى يتعرفوا على رأينا قبل صياغتها في المشروع الأمريكي الذي يعتزمون عرضه علينا غدا السبت أو يوم الأحد . وأضاف فانس أن الاطار العام لمشروعهم سيعتمد على الوثيقة المصرية « إطار السلام » وأنه يعتقد أنه سيكون مقبولا للرئيس السادات .

وشعرت أنا وزملائي المصريون بدفعة من التفاؤل تسري في نفوسنا بعد موجة التشاؤم التي عمتها من جراء ما قاله الرئيس كارتر في اجتماع مساء الأمس ، وقلت إن هذا كلام مشجع ويتمشى مع حقيقة تقارب الموقفين المصري والأمريكي من أساسيات التسوية ، فقد أثار ما قاله الرئيس كارتر أمس مخاوفنا حيث أعطانا الانطباع بأنه ينوي اتخاذ مشروع الحكم الذاتي الاسرائيلي أساسا للتسوية .

ورد فانس بأن هذا انطباع خاطىء فكل ما قاله الرئيس كارتر أنه يجد مزية (Merit) في الحكم الذاتي التي وردت في المشروع الاسرائيلي خلال الفترة الانتقالية ، وهذا لا يعني أننا سنكرر ما تضمنه المشروع الاسرائيلي في مقترحاتنا . قلت « إن مشروعنا الذي قدمناه في ليدز يأخذ بفكرة الحكم الذاتي خلال الفترة الانتقالية » فقال فانس إن الموقف الأمريكي يختلف عن كل من الموقف المصري والموقف الاسرائيلي في هذه النقطة ، فبينما المشروع المصري يقصر دور السلطة المشرفة على الحكم الذاتي على الجانب العربي (مصر والأردن) خلال الفترة الانتقالية فان المشروع

الاسرائيلي يقصر السلطة التي ينبع منها الحكم الذاتي على اسرائيل وحدها ، أما الموقف الأمريكي فيرى أن تكون السلطة المهيمنة على الاشراف على الحكم الذاتي والاجراءات التي ستتخذ خلال الفترة الانتقالية مشاركة بين مصر واسرائيل والأردن . وأضاف فانس بأن الأفكار الأمريكية تستهدف حلا يميل إلى صالح العرب بوضوح .

وقال الدكتور بطرس غالي إن هدفنا هو وضع كل الضوابط التي لا تضع مصر في موقف محرج ، ولذلك يجب وضع الحد الأقصى للضمانات للفلسطينيين حتى لا تكون هناك مقارنات بين ما يسري على سيناء وما يسري على الضفة الغربية ويجب أن تكون مصر في وضع تستطيع معه الدفاع عن الأفكار الأمريكية .

وأسجل هنا ملامح الأفكار الأمريكية بشأن التسوية الشاملة التي عرضها الجانب الأمريكي خلال هذا الاجتماع الذي شارك فيه إلى جانب فانس كل من بريجنسكي وسوندرز وأثرتون ووليام كوانت ، ومن الجانب المصري بطرس غالي وأشرف غربال وأسامه الباز وأحمد ماهر ونبيل العربي وعبد الرؤوف الريدي .

ولكني أود قبل ذلك أن أشير إلى أن هذه الأفكار الأمريكية وإن لم تتلاق في الكثير من النقاط مع المواقف المصرية ، إلا أنها كانت تشكل قاعدة طيبة يمكن لنا البناء عليها وتطويرها . وفي يقيني أن الروح التي أوعزت للفريق الأمريكي - المشكل من رجال وزارة الخارجية الأمريكية - بهذه الأفكار كانت تحدوها النوايا الحسنة والرغبة الصادقة في تحقيق تسوية عادلة شاملة ، آخذة في الاعتبار معقولية الموقف المصري وعدالته واستناده إلى المبادىء والقرارات الدولية التي تحكم النزاع من ناحية ، والحفاظ على المصالح الأمريكية الحيوية في منطقة الشرق الأوسط من الناحية الثانية ، دون أن يخل ذلك بأمن اسرائيل . إلا أن هذه الأفكار لم تلبث أن تحطمت وتناثرت وتشوهت عندما اصطدمت بالاصرار الاسرائيلي على التوسع من جانب ، وتعارضت مع طموحات كارتر ونائبه مونديل بالنسبة

لمستقبلهما السياسي الشخصي من الجانب الآخر على ما سيبين .

وتتلخص الأفكار الأمريكية التي طرحت في هذا الاجتماع فيما يلي :

- الموافقة على الديباجة التي نص عليها المشروع المصري
- أن يتم اتفاق بين مصر والأردن واسرائيل حول المرحلة الانتقالية ، وذلك في الوقت الذي يسمح فيه للفلسطينيين بممارسة الحكم الذاتي خلال هذه المرحلة .
- الهدف الأمريكي من المؤتمر هو التوصل إلى إطار عام يشكل أساسا للتفاوض خلال المرحلة المقبلة .
- إن اتفاقيات السلام يجب أن تتم على أساس القرار رقم ٢٤٢ .
- مازالوا يدرسون أسلوب انتهاء الفترة الانتقالية ، ولكن من الواضح لهم أن الشعب الفلسطيني هو الذي سيقرر موقفه في نهاية هذه الفترة ، كما أن الفلسطينيين هم الذين سيوقعون معاهدة السلام في نهايتها .
- لا تعالج الأفكار الأمريكية موضوع السيادة على الضفة الغربية وغزة . والموقف الأمريكي هو أن السيادة يتم بحثها في نهاية الفترة الانتقالية ، لأن هناك ادعاءات متضاربة على السيادة ، وأن موضوع السيادة سيحسم من خلال عقد اتفاقيات السلام التي ستحدد العلاقات بين الأطراف في نهاية السنوات الخمس
- ستعالج صيغة أسوان حل القضية الفلسطينية بكاملها .
- وبالنسبة لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره فانه يمكن أن يرتكز على عدة اختيارات ، منها مثلا قيام نظام فدرالي أو كونفدرالي مع الأردن .

- إن السيادة على الضفة الغربية والأردن لن تكون مطلقة ، إذ لا شك أن من الاجراءات التي ستطبق عليها ما ينعكس على السيادة مثل إجراءات الأمن .
- إن الهدف الأمريكي حاليا هو إدخال تعديلات أساسية على

الموقف ، مما ينعكس على الوضع العام في الشرق الأوسط بعد فترة قصيرة مما يؤثر على النتائج النهائية للفترة الانتقالية

— إن أمريكا تتصور تحقيق ما يلي في القريب من خلال إطار مقترحاتها :

أ — الاتفاق على انسحاب اسرائيلي كامل من سيناء .

ب — قيام سلطة فلسطينية في الضفة الغربية والقطاع .

جـ — تجميد المستوطنات الاسرائيلية في الضفة والقطاع .

د — عودة الأفراد والأسر الفلسطينية المقسمة إلى عائلاتها .

— إن المقترحات الأمريكية تهدف إلى خلق ظروف تدعم الوضع العربي وتحدد الوجود الاسرائيلي في الأراضي العربية وتوقفه ، ثم تؤدي إلى تقلصه وإن أمريكا لن تعمل على إرغام اسرائيل حاليا على التنازل عن ادعاءاتها في السيادة ، إلا أن الظروف في نهاية الفترة الانتقالية ستؤدي إلى سقوط هذه الادعاءات .

— بالنسبة للمستوطنات فانها يجب أن تصفى في سيناء وأن يتم ذلك على فترة زمنية وطبقا لجدول زمني ، أما المستوطنات في الضفة الغربية وغزة فيجب أن تجمد ، وعند اشتراك الأردن والفلسطينيين في المفاوضات يتم التفاوض حول مستقبلها .

— ستتضمن الأفكار الأمريكية مقترحات حول اللاجئين الفلسطينيين ، على أساس مبدأ التعويض والعودة وانشاء جهاز لتنفيذ ذلك بمشاركة جميع الأطراف التي يعنيها الموضوع .

— تتضمن الأفكار الأمريكية أيضا أفكارا حول القدس ، منها حق الوصول إلى الأماكن المقدسة وعدم تقسيم المدينة مرة أخرى

www.library4arab.com/vb

وأن الجانب الأمريكي يقدر حساسية موضوع القدس ، ولكن مقترحاته لن تخوض في تفاصيل التسوية ويتركها للتفاوض ، علما بأن لأمريكا مواقف محددة وواضحة بالنسبة للمدينة وعدم اعترافها بضم اسرائيل لها من جانب واحد .

ـ هذا هو مجمل الأفكار الأمريكية التي طرحوها في هذا الاجتماع الذي دام أكثر من ثلاث ساعات ، وبقى أن أضيف أن الجانب المصري قد تصدى بكل قوة وكفاءة وفاعلية لمناقشتها فيما تضمنته من تناقضات وقصور ومواقف سلبية وثغرات تتيح لاسرائيل عرقلة تسيير الأمور خلال الفترة الانتقالية إلى تحقيق الهدف النهائي ، وهو انسحاب اسرائيل وممارسة الشعب الفلسطيني لتقرير مصيره . وقد قام أسامه الباز والريدي والعربي بدور بارز في هذه المناقشات ، ونجحوا في تفنيد الكثير من الأفكار الأمريكية وهدم الأسس التي تقوم عليها ، مما اضطر الجانب الأمريكي إلى أن يعد باعادة النظر فيها على ضوء الحجج المصرية الدامغة .

وبعد المساء ذهبت إلى استراحة الرئيس السادات وجلست معه ورويت له ما دار في اجتماعنا بفانس والوفد الأمريكي ، واثنيت له على المجهود الكبير الذي قام به أسامة والعربي والريدي وقد أبدى السادات ارتياحه لما سمعه ، وكان من الواضح أنه يعلق آمالا كبيرة على أن يجيء المشروع الأمريكي عند تقديمه متفقا مع المشروع المصري في غالبية النقاط ، ولم يلبث أن حضر التهامي وبطرس غالي وأشرف غربال وحسن كامل وأمضينا الوقت حتى منتصف الليل في أحاديث متنوعة لم تتطرق إلا نادرا لموضوع الشرق الأوسط لسبب بسيط هو أنه لم يعد أمامنا الآن ما نفعله غير انتظار تقديم المشروع الأمريكي لتحديد مواقفنا على ضوء ما يحتويه والتصرف على هداه .

هل تستطيع أن تزورني اليوم .. ؟

وفي صباح اليوم التالي ذهبت إلى استراحة الرئيس فوجدته مرتديا زى التمرينات الرياضية TRAINING SUIT ويتأهب للخروج لمزاولة رياضته اليومية في المشى ودعاني لمصاحبته ، وكان يمشي بخطوة سريعة نشطة تتطلب لياقة بدنية عالية ، وقد كان السادات يواظب على المشى يوميا ، وكثيرا ما قال لي إنه مهما كانت

شواغله فلابد أن يمشي أربعة كيلو مترات على الأقل في اليوم . وبعد نحو نصف ساعة من المشي الجاد قال لي إن كامب ديفيد يذكره بأيام أن كان في المعتقل .وقلت إن هذا هو شعوري بدوري ،وأضفت إن الذي يزيد الأمر كآبة أن زملاءنا داخل الأسوار هم بيجن وديان وعلينا أن نتعامل معهم ، فقال إننا نتعامل مع أحط وأخس عدو ، لقد عذب اليهود نبيهم موسى ، وأضاف بعد فترة ، إني أشفق على الرئيس كارتر المسكين من التعامل مع بيجن ذي العقلية المحنطة .

فقلت « هل تعتقد أنه سيمارس عليه ضغطا حقيقيا ؟ وأجاب « بالتأكيد ،وإلا سيفشل المؤتمر وسيؤثر ذلك على مركز الرئيس كارتر وقد أفهمته بوضوح أنني قدمت كل شيء من أجل تحقيق السلام مما كان لا يخطر للاسرائيليين على بال ، ولو في أحلامهم ، وإنه لم يعد لدى شيء أستطيع التنازل عنه » ، ثم استأنفنا المشي في صمت وفي طريق عودتنا قابلنا وايزمان وهو راكب دراجة (بسكلتة) فتوقف وحيانا وسأل وايزمان السادات إذا كان يستطيع أن يزوره اليوم فقال السادات « بالطبع إني دائما أسعد بالحديث معك » .

وكان وايزمان قد زار السادات قبل ذلك بيومين ولم يفصح لي السادات عما دار بينهما ، والواقع أني كنت لا أرتاح لمقابلات وايزمان المنفردة مع السادات وأتوجس منها شرا وخطرا ، وسبق أن أوردت أمثلة عما نتج عن مثل هذه الاجتماعات من مشـــاكل وتعقيدات ، كما حدث بسبب لقائهما في مصر في شهر مارس الماضي ، بينما كان الجيش الاسرائيلي يغزو لبنان وكان الوزراء العرب مجتمعين في القاهرة ، ثم ما ترتب على لقائهما في النمسا في أوائل شهر يوليه (تموز) من مضاعفات .

ولقد كان السادات يصف علاقته بوايزمان بأنها صداقة ، وفي تصوري أن السادات كان يشعر بالفعل بنوع من الألفة والود تجاه وايزمان ، وأن ذلك يعود إلى عدة عوامل ، منها شخصية وايزمان

المفتوحة المرحة على خلاف الطبيعة الاسرائيلية المغلقة الحذرة ، ومنها أنه ـ وايزمان ـ كان يبدو متحمسا حقيقة لتحقيق السلام ، وكان مقتنعا بأن على اسرائيل أن تقدم من جانبها ثمنا لهذا السلام .

ولا أعلم المدى الذي كان مستعدا للذهاب إليه في هذا الشأن ، ولكنه كان يبدو وبالقطع مرنا بالمقارنة إلى تصلب بيجن الذي كان يريد أن يحصل على السلام ويحتفظ بالأراضي المحتلة معا ، ومنها أنه كان من الشائع أن علاقة وايزمان سيئة بموشي ديان لاعتبارات شخصية تعود إلى وقت أن كان ديان متزوجا من شقيقة وايزمان وإساءته معاملتها إلى أن تركها وتزوج بغيرها . وكان السادات يكن كراهية لديان ونفورا منه لا أدري سببه ، ربما لأنه كان علما على هزيمة ١٩٦٧م فكان يتحاشى مقابلته والحديث معه ، وكلما ذكر اسمه أمامه نعته بالكذب والصلافة والغرور . ولعل السادات كان يعتقد أن عدو عدوه يكون صديقه .

بالاضافة إلى ما سبق كان السادات يعتقد أنه يستطيع أن يستغل وايزمان بشكل أو بآخر ، سواء في نقل فكره إلى بيجن أو جس نبض ما يدور في الفكر الاسرائيلي كما كان يحتفظ به كشعرة معاوية إذا تأزمت الأمور مع مناحم بيجن . وأضيف إلى ما سبق أن السادات كان يراوده الأمل دائما في سقوط بيجن بسبب سياسته الجامدة ، أو في وفاته أو اعتزاله بسبب سوء حالته الصحية . وكان يأمل أن يخلفه وايزمان في رئاسة الحكومة الاسرائيلية أو أن يشغل مركزا مؤثرا مما تصبح معه العلاقة بينه وبين اسرائيل أكثر سلاسة واحتمالات الاتفاق معها أكثر قربا .

أما عن حقيقة مشاعر وايزمان نحو السادات فلا أدعي أني

أعرفها ، وكل ما كان يعنيني في الأمر أني كنت أشعر بخطورة كبيرة في أن يكون للعدو الاسرائيلي منفذ مباشر إلى ما يدور في فكر الرئيس وما يعتمل في أعماق نفسه ، وما أخطر من أن يكون متاحا لوزير الحرب الاسرائيلي أن يقابل الرئيس المصري ويختلي به في عقر داره ،

في جو من الألفة والود تظلهما مظلة الصداقة ، ويدور حديثهما تحت شعار تحقيق السلام والأمن ، فيقضي معه الساعات الطوال يسأل ويجيب ويحكي ويسمع ويضحك ويغضب ، ويحاور ويداور ويصول ويرقب ويسجل ثم يعود فيغذي الكمبيوتر الاسرائيلي بكل ما رآه وسمع .

في انتظار رحلة جنسنبرج ..

سألت السفير أيلتس ونحن نتناول الغداء في المطعم عن أخبار المشروع الأمريكي فقال إنه قد تم إعداده وسيتم عرضه على الرئيس كارتر . وقلت « أرجو أن تلتزموا بوعدكم في عرضه علينا للتشاور قبل عرضه على الجانب الاسرائيلي » . وقال أيلتس إنهم سيقدمون لنا صورة منه بعد ظهر هذا اليوم . وقال إنه يعتقد أنه مشروع معقول وسيكون مقبولا لدينا دون أن يفصح لي عن أية معلومات محددة بشأن ما تضمنه . وأخبرني أنه تقرر أن يقوم أعضاء الوفود الثلاثة في صباح اليوم التالي برحلة لزيارة ساحة المعركة التي جرت بالقرب من مدينة جنسنبرج في عام ١٨٦٣ أثناء الحرب الأهلية الأمريكية .

وأثناء العشاء قلت للسفير أيلتس « إن المشروع لم يصلنا بعد » ، فقال ربما تجرى عليه تعديلات طفيفة ولكنه سيصلكم بالقطع غدا بعد انتهاء رحلة جنسنبرج » .

معجزات التهامي ..

في كل مساء كان يجتمع أعضاء الوفد المصري في الاستراحة التي أنزل بها ، وكان الحديث يدور غالبا حول الموقف الأمريكي ما بين متفائل وما بين متشائم ، وكما أشرت لم يكن هناك ما نستطيع أن نفعله قبل أن يتقدم الجانب الأمريكي بمشروعه ، وكان أعضاء الوفد يدخلون الاستراحة حاملين معهم أخبارا صغيرة عن من قابل من ، ومن ذهب إلى قاعة السينما ، ومن يبدو على أسارير وجهه الشعور بالاطمئنان والثقة ، ومن تبدو عليه ملامح القلق والوجوم ، ومن دخل

استراحة بيجن ومن خرج منها وهكذا .

وكان الوقت يمضي ثقيلا مملا حتى يفرغ حسن التهامي من جولاته المجهولة وينضم إلينا في الاستراحة ، وكان الوحيد من بين أعضاء الوفود الذي ينزل في استراحة بمفرده ، كما كان هو وبيجن الوحيدين اللذين يصران على ارتداء بدلهما كاملة مع ربطة العنق طوال المؤتمر ، فما أن يعبر التهامي مدخل الاستراحة حتى يتلاشى في لحظة جو الملل والتثاؤب والقلق ، وكأنه ضغط على زر الكتروني ، وينقلب إلى جو من البهجة والمرح والدعابة وتدب الحياة في المجتمعين ويشد انتباههم ويصحو سمعهم ويبدأ بآخر الأخبار . فيقول مثلا إن موشى ديان قد وافقه منذ ساعة على عودة القدس إلى العرب ، ثم يتكلم عن التصوف وعن تفسير الأحلام ، وينتقل إلى القصص والروايات ويحكي كيف حل مشكلة المسلمين في الفيلبين وكيف استطاع أن يؤجل قيام الثورة في الميلانو لمدة ثلاث سنوات ، وكيف عالج نفسه من السم الزعاف الذي دس له في الطعام أثناء إحدى زياراته لبعض الدول العربية ، فانسحب إلى غرفته يتلوى من الألم واغلق عليه الباب بالمزلاج لمدة ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ، وراح يعالج نفسه بترياق السموم الذي يحمله معه دائما ، ثم يتكلم عن فوائد العنبر الذي يستخرج من كبد الحوت وعن مزايا عسل ملكات النحل ، ثم يتوقف فجأة ويتكلم عن القدس ويخاطبني قائلا « القدس أمانة في عنقك يا أخ محمد فحذار أن تفرط فيها » . وكان كل ذلك يجري في جو خفيف ضاحك يحجب مشاعر القلق ويخفف التوتر الذي يعتمل في النفوس .

وتجاوز الاهتمام بكرامات التهامي ومعجزاته دائرة الوفد المصري ، ففي أحد الأيام دخلنا غرفة الطعام فوجدنا حسن التهامي واقفا بالقرب من إحدى موائد الطعام المخصصة للوفد الاسرائيلي وقد التف حوله العديد من الاسرائيليين يستعمعون إليه ويناقشونه في اهتمام ، وتبين أن التهامي قد أخبرهم بأن في مقدوره أن يوقف قلبه عن الحركة إلى أي وقت يشاء ، وطالت المناقشات بينهم ثم عاد إلينا

لتناول طعامه معنا .. وفي العشاء دعا أعضاء الوفد الاسرائيلي التهامي إلى استئناف الحوار معهم وكانوا قد أحضروا معهم طبيب بيجن الخاص خصيصا ليتولى مناقشته علميا في هذا الموضوع .

ومن النوادر التي حدثت في ذلك الوقت ، كان بطرس غالي يحكي عن خطابات التهديد التي وجهت له بعد مرافقته للرئيس السادات في القدس ثم أردف قائلا بالفرنسية « إنهم يتهمونني بأني الجيل الثالث من الخونة في عائلة غالي » فقلت ضاحكا « كيف ؟ إني لا أعرف إلا إثنين فقط هما جدك[1] وأنت فمن هو الثالث ؟ » وأجاب بطرس « يقولون إن عمي نجيب باشا غالي قد تورط مع الانجليز أثناء الحرب العالمية الاولى » .

إني آسف يا محمد ..

في صباح يوم الأحد ١٠ سبتمبر (أيلول) فتحت بوابة كامب ديفيد على مصراعيها وخرجت منها قافلة من السيارات تتقدمها سيارات الحراسة ثم سيارة ليموزين تقل الرئيس كارتر والرئيس السادات ورئيس الوزراء بيجن وخلفها أوتوبيس يحمل باقي أعضاء الوفود الثلاثة ـ فيما عدا من تخلف منهم ـ يليها أوتوبيس آخر يركبه مجموعة من الصحفيين والمصورين ومراسلي وكالات الأنباء . واتجهت القافلة صوب مدينة جنسنبرج غير البعيدة عن كامب ديفيد .

كانت أول مرة نغادر فيها كامب ديفيد ـ أو المعتقل كما كنا نسميه ـ منذ دخلناه في ٥ سبتمبر (أيلول) الماضي وكنا نشعر بنوع من التحرر والانطلاق لا يشوبه إلا معرفتنا بأننا لن نلبث أن نساق إلى المعتقل من جديد بعد ساعات قليلة ، ونعود إلى جو القلق والتوتر والتأرجح ما بين التفاؤل والتشاؤم .

(١) بطرس باشا غالي الذي كان رئيس وزراء مصر واغتاله الورداني في سنة ١٩٠٩ لموافقته على مد امتياز شركة قناة السويس حتى عام ١٩٦٩ .

وقد لاحظنا في الطريق أن أعضاء الوفد الأمريكي قد تخلفوا عن الرحلة كما تخلف عنها أعضاء الوفد الاسرائيلي فيما عدا ديان ووايزمان وقد كان ذلك مثارا لشكوكنا وموضعا لتكهناتنا ، ولم نلبث أن وصلنا إلى ساحة المعركة ، ونزلنا من السيارات وتجمع أعضاء الوفود ورجال الاعلام حول الرئيس كارتر والرئيس السادات ورئيس الوزراء بيجن .

ورغم وجود عدد من الأدلاء المتخصصين في شرح المعركة ، فقد قرر الرئيس كارتر أن يقوم بذلك بنفسه . وقد دارت هذه المعركة على مدى ثلاثة أيام في شهر يوليه (تموز) ١٨٦٣ بين القوات الاتحادية بقيادة الجنرال ميد MEADE وقد بلغت ٨٢٠٠٠ من المشاة والخيالة ورجال المدفعية وقوات الجنوب بقيادة الجنرال لي LEE التي كان عددها ٧٥٠٠٠ من المشاه والفرسان ورجال المدفعية ، وقد استمرت المعارك سجالا بين الطرفين إلى أن انتهت بفوز قوات الشمال الاتحادية بعد أن بلغت خسائرها نحو خمسة وعشرين ألف رجل بين قتيل وجريح ومفقود ، مقابل ثلاثين ألفا من قوات الجنوب . وتعتبر هذه المعركة نقطة التحول في الحرب الأهلية الأمريكية لصالح القوات الاتحادية .

وظللنا ننتقل من موقع إلى آخر على مدى ثلاث ساعات ونتابع شرح الرئيس كارتر – وهو من أهل الجنوب – لتفصيلات المعركة وتطوراتها بدقة متناهية وكأنه قد حفظها عن ظهر قلب ، إلى حد أن قال أحد أعضاء وفدنا ضاحكا « ليس لكارتر أن يقلق على مستقبله إذا فشل مؤتمر كامب ديفيد ، فيستطيع دائما أن يكسب قوته إذا عمل كدليل سياحي في جنسنبرج » .

وبعد عودتنا تناولت الغداء ورجعت إلى الاستراحة وكنت أعتزم أن أنام بعض الوقت للراحة من عناء الرحلة عندما اتصل بي السفير أيلتس تليفونيا وقال « إن لديه شيئا هاما يريد أن يحدثني بشأنه » قلت « إني في انتظاره » . ووصل أيلتس بعدها بخمس

دقائق ، وكان يبدو عليه بعض التجهم وقال لي « إني اسف يا محمد فلقد حدث شيء لم يكن في الحسبان ، فقد قدم لهم بيجن التعهد الكتابي الذي سبق أن وقعه هنري كيسنجر للحكومة الاسرائيلية في سنة ١٩٧٥ بالتزام الولايات المتحدة بعدم التقدم بأي مشروع يتعلق بتسوية النزاع العربي الاسرائيلي قبل التشاور عليه مع اسرائيل مقدما ، وبالتالي فانهم لن يستطيعوا أن يقدموا لنا صورة من المشروع الذي أعدوه » .

وطار النوم من جفوني .

الفصل الثامن والثلاثون

بين المطرقة الاسرائيلية ، والسندان الأمريكي

كان رضوخ الولايات المتحدة لطلب اسرائيل تنفيذ تعهد كيسنجر لها في سنة ١٩٧٥ بوجوب التشاور معها سلفا قبل أن تتقدم الولايات المتحدة بأي مقترحات لتسوية النزاع العربي الاسرائيلي ، ضربة قاصمة للمركز التفاوضي المصري في كامب ديفيد ، ونقطة تحول لصالح اسرائيل أتاحه لها ، أولا : تهافت السادات وتسرعه بتقديم مشروعه باطار السلام في أول يوم عمل للمؤتمر فقد كان هذا خطأ تكتيكيا ، ثم بالمخالفة للاستراتيجية التي عرضتها عليه وزارة الخارجية ولنصيحتي له في اجتماع مجلس الأمن القومي . وثانيا : خيانة أمانة الولايات المتحدة لتعهداتها بعرض مقترحاتها علينا قبل تقديمها ولدور الشريك الكامل الذي تعهدت بالالتـــزام به إزاء الطرفين .

فقد كان من الغالب وشبه المؤكد أن المشروع الأمريكي الذي أعد بعد التشاور مع كل من الوفدين المصري والاسرائيلي ، سيتضمن حلا وسطا بين المشروع المصري (الذي استبعد نتيجة رفض اسرائيل له) وبين الأفكار الاسرائيلية (المبنية على مشروعي مناحم بيجن الخاصين بسيناء وبالحكم الذاتي في الضفة الغربية وغزة المقدمين في الاسماعيلية والذين رفضتهما مصر من البداية) ربما مع ميل أكثر أو أقل إلى هذا الجانب أو ذاك .

وكان من المفروض إذن أن يقدم هذا المشروع إلى كل من الجانب المصري والجانب الاسرائيلي معا وفي ذات الوقت كأساس

مقترح للتسوية يطرح للتفاوض بينهما ، إلا أن قبول أمريكا لعرضه على اسرائيل وحدها ــ ليس للاطلاع ــ وإنما للتشاور المسبق ، الذي تطور من تشاور إلى وجوب الحصول على موافقة اسرائيل على المقترحات الأمريكية ، إذ أن رفض اسرائيل لهذه المقترحات عند التشاور بمثابة « فيتو » عليها يؤدي إلى استبعادها ، وتقدم الولايات المتحدة مقترحات جديدة ، وهكذا .

وهذا يعني أن تنتهي المشاورات بينها وبين اسرائيل على أحسن الفروض إلى مشروع وسط بين الأصل الأمريكي الذي قدم وبين الأفكار الاسرائيلية التي طرحت في المشاورات ، وبالتالي يتحول المشروع من مشروع وسط بين الموقفين المصري والاسرائيلي عند إعداده إلى مشروع وسط بينه وبين الأفكار الاسرائيلية . أي ينتهي إلى التقلص إلى مشروع وسط الوسط لصالح اسرائيل . وأحاول تقريب الفكرة حسابيا فاذا افترضنا

أن المشروع المصري = ١٠٠٪ أفكار مصرية .

يكون المشروع الأمريكي عند إعداده = ٥٠٪ منه أفكار مصرية و٥٠٪ أفكار اسرائيلية .

ويصبح المشروع الأمريكي بعد التشاور مع اسرائيل = ٢٥٪ منه أفكار مصرية و٧٥٪ أفكار اسرائيلية .

فاذا وضعنا في الاعتبار أن مشروع إطار السلام المصري لم يعد من منطلق أن يكون مركزا تفاوضيا يحتمل المساومة والأخذ والعطاء . ولو كان الأمر كذلك لأعد مثلا على أساس أن تكون التسوية وفقا لقرار الجمعية العامة بتقسيم فلسطين إلى دولة فلسطينية وأخرى يهودية ومطالبة اسرائيل بالتالي باعادة جميع الأراضي التي استولت عليها لا في حرب سنة ١٩٦٧ فقط بل تلك التي ضمتها عنوة من الأراضي المخصصة للدولة الفلسطينية بمقتضى القرار المشار إليه على مدى السنوات من ١٩٤٩ حتى ١٩٦٧ بل أعد على أساس أن يكون تنفيذا أمينا للقرار ٢٤٢ فيما يتعلق بأساسيات حل النزاع

وهى الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة في ١٩٦٧ مقابل إنهاء حالة الحرب وإقامة علاقات سلام بين إسرائيل والدول العربية المجاورة . إذن لتبين بعد الفجوة التي تفصل بين المشروع المصري وذلك المشروع الأمريكي إسما والاسرائيلي فعلا (بعد التشاور) الذي يقدم لمصر (بل ولاسرائيل من باب المظهر والشكل) . فاذا اعترضنا على المشروع أو رفضناه اتهمنا بأننا نرفض مقترحات الولايات المتحدة بوصفها تمارس دور الشريك الكامل الذي ارتضيناه من البداية ، فيقع الصدام بين مصر وأمريكا بدلا من أن يقع بين اسرائيل وأمريكا ، بينما كانت استراتيجيتنا[١] ـ التي لم يتبعها السادات للأسف ـ تؤدي إلى أنه في حالة فشل المؤتمر ، فيجب أن يقترن ذلك بوضوح مسؤولية اسرائيل عن هذا الفشل ، ووضوح توافق الموقفين الأمريكي والمصري في مواجهة موقف اسرائيلي متعنت وجامد في جوهره رغم محاولات التمويه والخداع .

وكان الموقف يستقيم لو أن السادات كان مستعدا لتنفيذ ما قرره أمام أعضاء مجلس الأمن القومي في الاسماعيلية ـ على ما فيه من محاذير ـ من أنه إذا رفض مشروعه باطار السلام انسحب من المؤتمر وعاد إلى القاهرة للاعداد للخطوة التالية ، ولكن مشروعه نحي أمامه جانبا منذ اليوم الأول للمؤتمر فعجز وجبن عن أن يتخذ هذا القرار ووقع في مصيدة المشاريع والصياغات التي أدت إلى تآكل مركزه وانهياره تماما في نهاية الأمر .

وأعود بكلمة إلى تعهد كيسينجر السابق الاشارة إليه بعدم قيام الولايات المتحدة بتقديم أية مقترحات للتسوية إلا بعد التشاور مع اسرائيل، فأقول إن هذا التعهد على ما فيه من غرابة لا يفسرها إلا تواطؤ كيسنجر مع اسرائيل وإساءة استخدام مركزه كوزير لخارجية أمريكا ـ كان من الممكن الالتزام به من قبل الولايات المتحدة حتى

---

(١) مذكرة الخارجية المصرية للرئيس السادات في ٢٩ اغسطس ١٩٧٨ (راجع الفصل الحادي والعشرون)

قيام الرئيس السادات بمبادرته للسلام وتطورها إلى مفاوضات ثلاثية تجرى بين مصر واسرائيل وأمريكا على أساس قيام هذه الأخيرة بدور الشريك الكامل غير المنحاز في المفاوضات وهو ما يجب ويسقط هذا الالتزام غير الأخلاقي والصبياني والمهين لمكانة دولة عظمى ، الذي قدمه كيسنجر إلى اسرائيل . فالمسألة ليست مشاجرة على قارعة طريق ينحاز فيها طفلان ضد ثالث ، بل هو موضوع جد خطير يستهدف حل مشكلة عويصة يتوقف عليه مصير منطقة الشرق الأوسط بين الحرب والسلام ، وبين الفوضى والاستقرار ، وتأثير ذلك على مصالح العالم أجمع ومن بينها مصالح الولايات المتحدة نفسها وحلفائها بالدرجة الاولى .

المشروع قبل التشاور ..

كان من المنتظر أن تقدم الولايات المتحدة مشروعها إلينا كما وعدت من قبل وكما أبلغني السفير أيلتس وعاد وأكده الوزير فانس حالما يفرغون من صياغته ، إلا أن الابتزاز الاسرائيلي حال دون ذلك في آخر لحظة ، وبالتالي فلم نطلع على أصل المشروع كما أعد قبل التشاور مع اسرائيل ، ولكن القدر المؤكد هو أنه كان سيتضمن الأسس والملامح التالية :

١ ــ ما أكده لي نائب الرئيس مونديل ووزير الخارجية فانس أثناء اجتماعهما بي يوم الخميس ٧ سبتمبر (أيلول) من أن موقف أمريكا من المستوطنات هو :

أ ــ إزالة المستوطنات الاسرائيلية في سيناء كلية .

ب ــ تجميد المستوطنات الاسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة لمدة خمس سنوات هى الفترة الانتقالية ، ويتم التفاوض بشأن مستقبلها بعد ذلك (الازالة أو الابقاء) بين الأردن والفلسطينيين واسرائيل .

٢ ــ ما قرره فانس في إجتماع الوفدين المصري والامريكي يوم

الجمعة ٨ سبتمبر (أيلول) من أن المشروع الأمريكي ـ الذي سيقدمونه لنا فور الانتهاء من صياغته يوم السبت أو الأحد ـ سيعتمد على المشروع المصري في إطاره العام وأنه يعتقد أنه سيكون مقبولا للرئيس السادات ويتضمن النقاط التالية :

أ ـ الموافقة على ديباجة المشروع المصري .

ب ـ إن اتفاقات السلام يجب أن تتم على أساس القرار ٢٤٢ .

جـ ـ إن الشعب الفلسطيني هو الذي سيقرر موقفه في نهاية الفترة الانتقالية ، وهو الذي سيوقع معاهدة السلام في نهاية المدة .

د ـ ستعالج صيغة أسوان حل القضية الفلسطينية بكاملها .

هـ ـ سيرتكز حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره على عدة خيارات .

و ـ ستتضمن الأفكار الأمريكية مقترحات حول اللاجئين الفلسطينيين على أساس مبدأ التعويض والعودة .

كانت هذه هي إذن الأسس والملامح التي سيتضمنها المشروع الأمريكي في تقديرنا بلا جدال ، بالاضافة إلى بعض الأفكار التي طرحها فانس في الاجتماع قبل تشكيل سلطة ثلاثية من مصر واسرائيل والأردن للاشراف على الحكم الذاتي والاجراءات التي ستتخذ في خلال الفترة الانتقالية ، مثل عدم تعرض المشروع الأمريكي لموضوع السيادة وترك البت فيه إلى نهاية فترة الانتقال ومثل ما ذكره عن القدس .

الربيبة الجشعة المدللة ..

في الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الأحد ١٠ سبتمبر (أيلول) (يوم زيارة جنسنبرج) ، اجتمع الجانب الأمريكي

برئاسة الرئيس كارتر وعضوية والتر مونديل وفانس وبريجنسكي بالجانب الاسرائيلي برئاسة بيجن وعضوية ديان ووايزمان والمدعي العام الاسرائيلي باراك وذلك لاجراء التشاور حول المشروع الأمريكي المعد قبل تقديمه إلى مصر ، وقد استمر الاجتماع حتى الساعة الثالثة صباحا ، وبالطبع لم يدع أحد من الجانب المصري للاجتماع ، ولكن لحسن الحظ لدينا رواية ديان وزير الخارجية ووايزمان وزير الحرب وكلاهما شارك في الاجتماع ، فلنر إذن كيف يجري التشاور بين أقوى دولة في العالم وبين ربيبتها المدللة الجشعة الناشز ، ثم نتحدث فيما بعد عن نتائج هذا التشاور ..

يقول ديان في كتابه « الاختراق » ما يلي :

« ذكر الأمريكيون أن هناك أربعة موضوعات رئيسية تختلف نظرتهم إليها عن نظرتنا ، فهم يريدون تجميد المستوطنات في الأراضي لمدة خمس سنوات بمعنى ألا تنشأ مستوطنات جديدة ، ولا يضاف أعضاء جدد للمستوطنات القائمة ، وطلبوا منا ردا صريحا عن الطريقة التي ستتحدد بها السيادة على (جوديا وسماريا) وغزة بعد خمس سنوات ، وأرادوا معرفة مصدر السلطة في الأراضي وبالذات إن كان يمكن إلغاء الحكم الذاتي ومن الذي يملك السلطة ليفعل ذلك ، ورابعا الحاجة إلى إيجاد صياغة ملائمة لتأكيد تنفيذ الحكم الوارد في القرار ٢٤٢ بشأن الانسحاب من أراض احتلت في حرب ١٩٦٧ .

ولم يكن أي من هذه الموضوعات أو مواقف الأطراف منها جديدا والموضوع الذي كان الخلاف حوله أكبر هو موضوع المستوطنات وكان موقفنا بالنسبة إليه نهائيا وقلت لهم إننا لن نقبل أي قيود على هذا الموضوع .

ويقول « وجلس محامو وفدنا باراك وروزن وروبنشتين مع الأمريكيين لمناقشة موضوع (مصدر السلطة) في الضفة الغربية وغزة وحاولوا جميعا التوصل إلى صياغة بشأن انسحاب القوات

الاسرائيلية لا يمكن تفسيرها بأنها تتطلب مغادرة جميع القوات للأراضي » .

ثم يقول « كان هناك اقتناع متزايد خلال المحادثات أنه إذا كنا سنصل إلى اتفاق على إطار ، فان الطريق الوحيد للتخلص من الصعوبات الناتجة عن اختلاف الآراء بالنسبة لهذه الموضوعات الرئيسية ، كان هو تجاهلها سواء باغفال الاشارة إليها في الاتفاق ، أو باستنباط صياغات غامضة يستطيع كل طرف أن يفسرها بطريقته الخاصة » .

ويمضي ديان قائلا « كانت معالجة المسائل العلمية هى غرضنا الرئيسي في كامب ديفيد ، ولكن كانت هناك مشكلة بعض التعاريف والاصطلاحات التي كنا ـ وخصوصا بيجن ـ نريد استبعادها من الاتفاقية ، وأحدها على سبيل المثال ما كان معروفا بـ (صيغة أسوان) التي تتكلم عن الحقوق الأساسية للفلسطينيين (وحقهم في تقرير مصيرهم) وأخرى ، الالتزام بتنفيذ قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ (بجميع أجزائه) أي بما في ذلك ديباجته التي تجعل اكتساب الأرض عن طريق الحرب غير جائز . وكنا قلقين أنه عندما يجيء وقت بلورة هذه التعبيرات سيقال لنا إن اسرائيل مجبرة على الانسحاب من جميع أنحاء الضفة الغربية وغزة وإن للفلسطينيين الحق في إقامة دولتهم المستقلة » .

ثم يلخص ديان المواقف الاسرائيلية على النحو التالي

« بالنسبة لسيناء . أكدنا أن استعدادنا للانسحاب إلى الحدود الدولية يجب أن يؤخذ في إطار مشروعنا للسلام الذي قدمناه بمعنى أن المستوطنات والمطارات الاسرائيلية في الشمال الشرقي وفي الجنوب الشرقي لسيناء ستظل تحت قبضتنا ، أما بالنسبة للضفة الغربية وغزة ، فقد شددنا على أننا يجب ألا نجبر على الانسحاب من هذه الأراضي ، وهنا رأينا مصدر الخطر في الاشارة في ديباجة القرار ٢٤٢ إلى عدم جواز الاستيلاء على الأرض عن طريق

الحرب ولذلك أصررنا على عدم النص على هذا الجزء من مقدمة القرار في معاهدة السلام ، وبالنسبة لموضوع الفلسطينيين ، كنا مصممين على تفادي أي صياغة من شأنها أن تفسر على إننا نوافق على حقهم في تقرير مصيرهم أو في دولة ، واقترحنا أن مستقبل العرب الفلسطينيين الذين يقطنون في الضفة الغربية وغزة يتقرر من خلال محادثات تجرى بينهم وبين مصر والأردن واسرائيل » .

ولا أعتقد أن هناك ما هو أكثر وضوحا من كلام ديان فليعفني القارىء إذن من التعليق .

ليلة « مناحم بيجن » ..

واستكمالا لرسم صورة « التشاور » الاسرائيلي نعرض ما يقوله وايزمان في روايته ، يقول وايزمان « كان المشروع الأمريكي يتكون من سبع عشرة صفحة من المواد المتفجرة ، وفي محاولة لتوجيه المناقشات دار الأمريكيون حول المسائل الخلافية مثل مصير المستوطنات والمطارات في سيناء ، وفي نفس الوقت أضافوا مجموعة من الشروط فيما يتعلق بجوديا وسماريا وقطاع غزة .. وطبقا للوثيقة (المشروع الأمريكي) تبدأ محادثات في خلال ثلاث سنوات بشأن الوضع النهائي لجوديا وسماريا وقطاع غزة ، تتضمن مسألة الحدود والمشاركة الفلسطينية وستكون هناك سلطة حكم ذاتي وليس مجلس ، ولن يستمد كيان الحكم الذاتي سلطته من الحكومة العسكرية الاسرائيلية ، وستتمتع الأردن بوضع خاص ، ولن تقام مستوطنات جديدة وستجمد المستوطنات القائمة ، وسيجرى استفتاء لتحديد الوضع النهائي في الضفة الغربية .

وقال بيجن (أيها السادة ، لقد نقل الأمريكيون ببساطة الخطة المصرية) ، وكان تعبير وجهه كالحا وشعرت بالقلق من لهجته الهادئة ، كان يبتلع غضبه وخشيت أن تنفجر صمامات قلبه ... »

وينتقل وايزمان لوصف المناقشات ــ أو المشاورات ــ فيقول

« لقد كانت ليلة مناحم بيجن . فقد كان جالسا على رأس الوفد الاسرائيلي في مواجهة كارتر والآخرين ، وقد ارتفع صوته ليزيل أي شكوك أو سوء فهم ورفض وعدل أجزاء ضخمة من المقترحات الأمريكية ، وفي خلال المناقشة ذكر كارتر أنه يعتزم إثارة موضوع الحقوق الوطنية للفلسطينيين بما فيها حقهم في تقرير المصير ، ورفض بيجن قائلا إن ذلك خارج الموضوع ، إذ كان يخشى أن تؤدي مثل هذه المناقشة إلى أن تفتح الاحتمال لدولة فلسطينية في المستقبل البعيد .

وعندما اقترح الرئيس الأمريكي تجميد المستوطنات رفض ذلك الاسرائيليون في الحال ، واقترح كارتر أن تستمر وحدات اسرائيلية في التواجد في الضفة الغربية بعد فترة السنوات الخمس فوجد الوفد الاسرائيلي أخيرا نقطة نستطيع الاتفاق عليها مع كارتر .

ولكن كارتر أعلن أيضا أن السادات لن يقدم تنازلات بالنسبة للمستوطنات والمطارات الاسرائيلية في سيناء وبالتالي فعلى اسرائيل الانسحاب منها ، فقال بيجن بلهجة تأكيد إننا لا نحل المستوطنات ولا نحرثها ولا نزيلها .

ويضيف وايزمان « وعندما وصلنا إلى الشرط الخامس (بعدم جواز اكتساب الأراضي عن طريق القوة) أصبح رد فعل بيجن شرسا إلى أقصى حد (إن هذا الشرط لا ينطبق على حالتنا فالأراضي التي نحتلها غزوناها في حرب دفاعية ، ويجب أن تعرف يا سيادة الرئيس أنه في كل الحروب كنا ضحايا للعدوان العربي) ، واعترض بيجن بشدة على عبارة في الديباجة تقرر (أن احتلال الأراضي بالقوة لا يمكن قبوله) وكانت تبدو عبارة بريئة إلا أن بيجن اشتم فيها فخا ، وخشي أن تستخدم فيما بعد لخلع اسرائيل من مرتفعات الجولان .

وقال رئيس الوزراء لكارتر (لن نقبل هذه العبارة) وأجابه كارتر (السيد رئيس الوزراء ، إن هذا ليس هو رأى السادات فقط ولكنه أيضا رأى أمريكا وسيتعين عليك أن تقبله) وكانت الساعة قد

قاربت الثالثة صباحا ، وزم كارتر على شفتيه ولم يستطع أن يخفي غضبه أكثر من ذلك فأطبق بيده على الأوراق التي أمامه وألقى بالقلم الرصاص من يده وعيناه الزرقاوان تتوهجان بالغضب وقال ثانية وكأنه يكرر الكلمات لنفسه (إنه ينبغي عليك أن تقبل) وقال بيجن بلهجة حازمة (السيد الرئيس أرجوك لا تهديدات) .

ومرة ثانية أعتقد أن النوايا الاسرائيلية من ثنايا ما رواه وايزمان واضحة مستقيمة لا لف فيها ولا دوران ولا تحتاج إلى تفسير أو تعليق ، وإنما استرعى النظر إلى أن رئيس الوزراء الاسرائيلي عندما قال للرئيس الأمريكي « لا تهديدات أرجوك » لم يكن ذلك رجاء أو استعطافا لكارتر بل كان تهديدا لهذا الأخير ، وتلميحا له بأنه إن كان ثمة من يستطيع أن يهدد بينهما فهو بيجن وليس الرئيس الأمريكي وبماذا يهدد ؟ بأمور كثيرة أولها على المدى القريب هو فشل مؤتمر كامب ديفيد الذي سيكون فشلا للرئيس كارتر الذي دعا إليه — بصرف النظر عما قد يصيب بيجن من « طشاش » فهذا أمر مقدور عليه — وعلى المدى المتوسط فهناك الانتخابات النصفية للكونجرس الأمريكي ، وهناك اتفاقية بنما ومشروع كارتر للطاقة وغير ذلك مما قد يجد ، وعلى المدى الأبعد فهناك انتخابات الرئاسة في سنة ١٩٨٠ وفرصة كارتر في إعادة انتخابه رهن بيديه ، وما عليه إلا أن يعطي الاشارة إلى جماعات الضغط الصهيونية وإلى طابوره الخامس المتربص في الكونجرس وفي الادارة وفي الوسط الاعلامي وفي كل مكان ، وقد كان بيجن لذلك مستعدا ، ويقول وايزمان في كتابه

« أمضى الوفد الاسرائيلي الليل في إعداد وثيقة مرتجلة لتكون سيفا بحدين ضد كارتر والسادات ، وتقرر أن يوضح للزعيمين أن نشر الوثيقة المصرية سيؤدي أتوماتيكيا إلى نشر الاقتراحات الاسرائيلية . الأمر الذي سيؤدي إلى أن ينفلت زمام رد الفعل الدولي ، وكان بيجن — مثل سائر أعضاء وفدنا — يولي اهتماما كبيرا لاكتساب الرأى العام إلى جانبنا إذا انتهى المؤتمر إلى الفشل . وكان

هناك كلام عن استعدادات لاجتماعات ضخمة وظهور أمام وسائل الاعلام في واشنطن إذا انفض المؤتمر . »

بصمات التشاور الاسرائيلي ..

عندما تلقينا المشروع الأمريكي (١) في صباح اليوم التالي الاثنين ١١ سبتمبر (أيلول) كان بعيدا كل البعد عن تصوراتنا ، فمن ناحية لم يتضمن أو يعكس المواقف الامريكية المعلنة الثابتة بشأن تسوية النزاع العربي الاسرائيلي ، ولا هو تضمن غالبية النقاط التي عرضها علينا فانس في الاجتماع المصري الأمريكي الذي تم يوم الجمعة الماضي ، وكانت بصمات « التشاور » الاسرائيلي واضحة جلية على المشروع ككل وعلى فلسفته ولغته ونصوصه واصطلاحاته ، وبعد دراسته دراسة سريعة تبين أن صيغة أسوان لحل القضية الفلسطينية قد خرقت وشوهت وأحيطت الاشارة إلى حق تقرير المصير بالغموض ، ولم ينص على الانسحاب الاسرائيلي من سيناء ولا على الانسحاب من الضفة مع تعديلات طفيفة ، كما لم يشر إلى الانسحاب من القدس العربية ولا هو تضمن أية إشارة إلى مصير المستوطنات سواء في سيناء أو في الضفة الغربية وغزة .

ويعطي المشروع لاسرائيل دورا رئيسيا وسلطات واسعة في الضفة الغربية وغزة خلال الفترة الانتقالية ، بينما يجعل دور مصر والأردن ثانويا فيها بل ويكاد يقتصر على توفير الحماية لاسرائيل ، كما لم يعالج المشروع موضوع عودة اللاجئين والنازحين معالجة مؤثرة ، وجعل ترتيبات الأمن لاسرائيل وحدها وليس للأطراف جميعا .

وإلى جانب كل ذلك تضمن المشروع نصا غريبا واستفزازيا مفاده أنه إذا لم تشارك الأردن في المفاوضات فستمضي مصر واسرائيل وسكان الضفة وغزة في إنشاء سلطة الحكم الذاتي

---

(١) نص المشروع الأمريكي ـ راجع الملحق رقم (٤) صفحه رقم ٦٣٢

والاشراف على إدارتها .

وبالاختصار كان مشروعا اسرائيليا دما ولحما ولكن يحمل الجنسية الأمريكية ، وبعد الغداء اجتمعنا بالجانب الأمريكي بناء على طلبه وكانوا يرغبون في مناقشة مشروعهم معنا على الفور ، فأجبناهم بأن قراءتنا الأولية توضح وجود أوجه نقص عديدة في المشروع ، وأننا نحتاج لدراسته بدقة وعمق حتى نكون مستعدين لمناقشته وتقديم صياغات بديلة ، فقالوا إننا نستطيع أن نجتمع من جديد بعد العشاء ولكنا أصررنا على تأجيل ذلك إلى اليوم التالي ، وقلنا إن عليهم إعطاءنا الفرصة الكافية كما فعلوا مع اسرائيل .

في نهاية الاجتماع سألت فانس عن المقصود بالمادة الخاصة بحالة عدم اشتراك الأردن في المفاوضات ، فقال المقصود أن تحل مصر محل الأردن في الدور الذي كانت ستقوم به هذه الأخيرة في الضفة الغربية ، فقلت إذا لم تشترك الأردن فلن تشترك مصر بدورها ، فقال فانس إسأل الرئيس السادات فانه هو الذي قرر ذلك وأشار به ، وكتمت غيظي وقلت إن هذا النص مهين للملك حسين وهو بمثابة استفزاز له حتى يرفض الاشتراك في المفاوضات وهذا ما تسعى إليه اسرائيل منذ البداية ، ومصر غير مفوضة في القيام بمثل هذا الدور ولا هي مؤهلة له .

وتوجهت إلى استراحة الرئيس السادات فوجدته جالسا مع حسن التهامي على التراس ، وسألني السادات عما تم في الاجتماع ، فقلت إن المشروع الأمريكي سيء للغاية وقد طلبنا تأجيل مناقشته إلى الغد حتى نستعد للرد عليه ، وهو على كل حال ملىء بالثغرات وسنتصدى له بكل قوة ، والمهم أن نتعرف على حقيقة النوايا الأمريكية من خلال مناقشتنا للمشروع معهم ، ثم أشرت إلى المادة التي تضمنها المشروع الأمريكي بشأن قيام مصر بتحمل مسؤوليات الأردن في الضفة الغربية إذا رفضت الأردن الاشتراك في المفاوضات فقال الرئيس « هذا صحيح فأنا لا أستطيع أن أعلق مصير مبادرة

السلام على مزاج الملك حسين الذي يريد أن يتسلم الضفة الغربية على طبق من الفضة دون أن يفعل شيئا » .

فقلت « إن موقف الملك حسين هو أنه لن يتردد في الدخول في المفاوضات إذا ما أعلنت اسرائيل موافقتها على تنفيذ الانسحاب من الضفة الغربية أو تعهدت الولايات المتحدة رسميا بذلك . وهو موقف طبيعي ومنطقي بل هو موقفنا ، فما معنى استمرارنا في المباحثات إذا لم نعرف إلى ماذا تنتهي بالتحديد ؟ وإن دور الأردن حيوي خلال الفترة الانتقالية وهذا هو ما ينص عليه مشروعنا وإلا فما هى الجهة التي ستتولى الاشراف على إدارة الضفة في الوقت الذي ترفض فيه اسرائيل أي دولة لمنظمة التحرير الفلسطينية ؟ » .

فقال السادات باصرار « إذا رفض الملك حسين فسأقوم أنا بهذا الدور » .

فقلت « إن هذا مستحيل عمليا ، وعلى أي أساس ، وماذا نعلم عن الضفة الغربية ، ثم ان علاقاتنا بالمنظمة مقطوعة ومتوترة وقد يؤدي تدخلنا في الضفة إلى الاصطدام بها فماذا سيكون الوضع ؟ » .

وأجاب السادات بعنجهية « سأرسل قوات مصرية إلى الضفة الغربية وأنا أعلم أنه قد يقتل عدد من أفرادها ولكنهم سيقتلون عشرة من أفراد المنظمة مقابل كل مصري يقتل » .

وقال حسن التهامي « إني أعرف الضفة الغربية مثل كف يدي ولدينا مجموعة كبيرة من الضباط الذين يعرفون الضفة الغربية عن ظهر قلب وقت القيادة العربية المشتركة » .

وقلت للسادات وأنا أكبح جماح غضبي « ماذا تقول ، إن هذا جنون ، إن عدونا هو اسرائيل وليس الشعب الفلسطيني الذي قمت بمبادرتك لحل مشكلته ، فهل سيصل الأمر إلى حد أن نتقاتل مع الفلسطينيين تحت سمع اسرائيل وبصرها ! وما هو الهدف أتريد أن نتورط في الضفة الغربية كما تورطنا في اليمن أو كما تورطت سوريا في

لبنان ؟ » .

وقال السادات بهدوء شديد « لا تنفعل يا محمد فانك لا تعرف الملك حسين ، سأقول لك سرا لا تعرفه ففي سنة ١٩٧٣ بعد أن انتهينا من وضع خطة الحرب وإعداد ترتيباتها أرسلت إلى الملك حسين أطلب منه السماح لعشرين أو ثلاثين ضابطا مصريا من « الكوماندوز » بالسفر إلى الأردن واقترحت عليه إذا شاء أن ينضم إليهم عدد من الضباط الأردنيين تكون مهمتهم التسلل إلى داخل اسرائيل عبر الضفة الغربية حتى إذا ما بدأت الحرب قاموا بنسف وتدمير المنشآت الحيوية داخل اسرائيل نفسها إلا أن الملك حسين خاف ورفض ذلك » .

وقلت « ربما ، وهذا من حقه بعد تجربته في سنة ١٩٦٧ » .

وساد السكون برهة ثم قال حسن التهامي فجأة « هناك تطورات هامة ، فلقد وصلتني معلومات مؤكدة من مصادري الخاصة بأن الملك حسين سيتنازل عن العرش لأخيه الأمير الحسن بعد أسبوع واحد وأن الأمير الحسن سيعلن فور توليه الملك انضمامه إلى المفاوضات وتنتهي المشكلة » .

والتفت إلى حسن التهامي وقلت « إن مصادرك الخاصة قد جانبها الصواب هذه المرة ، فان معلوماتنا أن الأمير الحسن ـ على خلاف الملك حسين ـ يعارض بشدة في تورط الأردن في الضفة الغربية بأي شكل لما يراه في ذلك من عواقب » . وتوجهت إلى الرئيس السادات من جديد « وقلت أرجوك ألا توافق على فرض دور على الملك حسين دون سبق التفاهم معه بشأنه وإذا فرض وتوصلنا لاتفاق في هذا المؤتمر ـ ولو أني أشك في ذلك تماما ـ يحدد دورا للأردن فنستطيع أن نعلق موافقتنا النهائية عليه على شرط قبول الملك حسين له ، كما أني أرى أن إبداء استعدادك للحلول محل الأردن في الضفة الغربية سينحرف بمجرى الأمور إلى منعطف خطير وسيؤدي إلى كارثة لن يستفيد منها غير اسرائيل » .

وهز الرئيس السادات رأسه عدة مرات ولم يجب .

الخروج من الدوامة ..

تركت الرئيس السادات وأنا أشعر بقلق غامض وانقباض من مجريات الأمور ، وأخذت استعرض التطورات الأخيرة وتوصلت إلى أن سبب قلقي يعود إلى المشروع الأمريكي الذي قدم إلينا بعد التشاور مع الجانب الاسرائيلي ، فقد أحسست أن هذا المشروع هو إنذار واضح صريح بالخطر ، فقد كان يحمل برهانا قاطعا على التخاذل الأمريكي في مواجهة الضغوط الاسرائيلية ، فليس من المعقول أو المقبول أن الولايات المتحدة بجلالة قدرها وعظيم هيلمانها يصل بها الحال إلى التخلي عن مواقفها الدولية المعلنة ، وعما وعدنا به وزير خارجيتها عند اجتماعه بالوفد المصري منذ ثلاثة أيام فقط لتقدم لنا بعد جلسة مع الاسرائيليين مثل هذا المشروع المسخ المشوه وتعتبره أساسا للتفاوض بين الجانبين ، ومهما نجحنا في تعديله إلى الأفضل فسيظل قاصرا عن بلوغ الحد الأدنى الذي نستطيع قبوله ، ثم إن ما قد ندخله عليه من تعديلاتٍ سيعرض على الجانب الاسرائيلي من جديد ويخضع لضغوطه وتعديلاته بدوره ثم يعود إلينا ونحاول ترقيعه ثانية وهكذا دواليك .

وبعبارة أخرى سننزلق إلى دوامة من المشروعات وسلسلة من المد والجزر ولكنها في النهاية وفي أحسن صورها الممكنة ستقف عند حل وسط لا يفي باحتياجاتنا وتستفيد منه اسرائيل .

وتحدثت مع أحمد ماهر طويلا حول هذه الفكرة وكان متفقا معي في الرأى تماما وانتهى تفكيرنا إلى وجوب إعداد تخطيط نتبعه للخروج من هذه الدوامة بأقل الأضرار إذا اقتضى الحال .

وعدت إلى الرئيس وكان يتأهب للنوم وحدثته بما يجول في خاطري ، وأن من شأن انزلاقنا في هاوية المشروعات والصياغات المستندة إلى المشروع الأمريكي أن يؤدي إلى تآكل موقفنا ووضعنا في

مركز حرج إزاء الجانب الأمريكي في نهاية الأمر ، وقال السادات « الحق معك ، أعد لي مذكرة تقدير موقف كما كنا نفعل في الجيش »

وعهدت إلى أحمد ماهر بكتابة المذكرة فانصرف لذلك بينما عكفت مجموعة الخبراء بالوفد المصري طوال الليل على دراسة المشروع الأمريكي وإعداد نفسها لمناقشته ، وكانت قد تحددت الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم التالي الثلاثاء ١٢ سبتمبر (أيلول) لاجتماع الوفدين المصري والأمريكي لهذا الغرض .

وفي صباح اليوم التالي قدم لي ماهر المذكرة فأخذتها إلى الرئيس السادات وكان لا يزال نائما فتركتها مع سكرتيره وعدت وكان هذا نصها :

سري للغاية

مذكرة
للعرض على السيد الرئيس

أولا : مقدمة :

١ ـ إن الهدف المصري من إجتماع كامب ديفيد كان ولا يزال :

أ ـ التوصل عن طريق الضغط الأمريكي على اسرائيل إلى وضع إطار واضح ومحدد للسلام يكون مقبولا مصريا وعربيا .

ب ـ الخروج من الاجتماع بموقف مصري ـ أمريكي موحد أو على الأقل متقارب إلى درجة كبيرة ، في مواجهة موقف اسرائيلي متعنت .

٢ ـ وفي كل الأحوال فان وسيلة مصر لتحقيق أي من الهدفين هي :

(أ) إظهار المرونة .

(ب) التمسك بالأساسيات .

(جـ) الحفاظ على العلاقات المصرية الأمريكية وتدعيم الثقة المتبادلة بين السيد الرئيس والرئيس كارتر .

٣ ـ وقد وضح من الورقة الأمريكية ومن خلال اجتماع الوفدين عدة

حقائق نوجزها فيما يلي :

(أ) إن الرئيس كارتر يتعرض لضغوط داخلية (تمثلها اتجاهات الرئيس ومونديل) وضغوط اسرائيلية تستغل الضغوط الداخلية .

(ب) أن نتيجة تلك الضغوط ، أن الرئيس كارتر قبل أن يضع في الورقة الأمريكية صياغات تبتعد عن المواقف الأمريكية المعلنة بالنسبة للعناصر الأساسية للتسوية ، وتقترب من المواقف الاسرائيلية .

(جـ) ان كارتر في قبوله ذلك ، كان تحت تأثير فهم خاطىء لمعنى المرونة المصرية ، فقد تصور أن مصر على استعداد لتقديم تنازلات موضوعية تذهب إلى مدى أبعد كثيرا مما نحن في الواقع على استعداد لقبوله .

٤ ـ وقد أوقعت كل تلك العوامل الرئيس كارتر في تناقض أساسي ، إذ بينما هو مازال مقتنعا بأن أي اتفاق يتم التوصل إليه في كامب ديفيد يجب أن يحصل على تأييد السعودية وأن يشجع الأردن على الانضمام للمفاوضات ، فان المقترحات التي تقدم بها تؤدي في الواقع إلى عدم تحقيق ذلك ، بل قد تدفع السعودية إلى اتخاذ مواقف من شأنها الاضرار بمصالح الولايات المتحدة .

كما أنه بينما الرئيس كارتر يستهدف التوصل إلى اتفاق يفوت على الاتحاد السوفييتي أهدافه في المنطقة ، فان الورقة التي تقدم بها تعطي في الحقيقة الاتحاد السوفيتي الفرصة ليجمع حوله قوى كثيرة في الشرق الأوسط تزعم أن الولايات المتحدة قد انحازت لاسرائيل ، وأن الخط المصري القائم على التعاون مع أمريكا سيؤدي إما إلى الفشل أو إلى إضطرار مصر لتقديم تنازلات غير مقبولة عربيا .

٥ ـ وكل هذه الاعتبارات والحقائق يجب أن تحكم التحرك المصري في

المرحلة القريبة القادمة على ضوء الأهداف الثابتة لمصر .

ثانيا : التحرك المصري :

١ ـ في الاجتماع بين وزيري الخارجية اليوم ، سيحاول الجانب المصري بمزيج من الحزم والمرونة أن يعدل الورقة الأمريكية بما يتفق إلى أقصى حد ممكن مع المواقف المصرية الأساسية ، خاصة وأن الجانب الأمريكي أبدى استعداده للنظر بروح الانصاف إلى أية تعديلات تتقدم بها مصر ، وسوف نستند في محاولتنا هذه إلى :

(أ) حسن الاستعداد الأمريكي .

(ب) حرص الولايات المتحدة على أن يكون ما يخرج من كامب ديفيد ، أو من الجانب الأمريكي وحده ، من شأنه تدعيم موقف مصر كقوة رئيسية ومؤثرة ومعتدلة في المنطقة لمواجهة المناورات السوفيتية .

(جـ) حقيقة أن المواقف الأمريكية المعلنة سابقا لا تختلف إلا في جزئيات عن المواقف المصرية الأساسية التي لا يمكن التنازل عنها .

٢ ـ ومن الطبيعي أن هذا الجهد المصري تجاه الولايات المتحدة تواجهه ثلاثة احتمالات :

(أ) احتمال النجاح الكامل وهذا مستبعد إذ ليس من المتصور أن تتبنى الولايات المتحدة الموقف المصري تماما .

(ب) احتمال النجاح الجزئي وهذا يستدعي دراسة متأنية وعميقة لما أمكن التوصل إليه لدراسة مدى قدرة مصر على قبوله ، وهذه الدراسة تتم في إطار :

* الحرص على العلاقات المصرية الأمريكية .
* الحرص على مكانة مصر في العالم العربي .

دون أن يكون أي من الهدفين المشار إليهما قيدا حديديا على الارادة المصرية وحرصها على تحقيق المصالح

الوطنية العليا لمصر ، بمعنى ألا يكون للعالم العربي أو لأمريكا حق « الفيتو » على التحرك المصري طالما أنه يتم في إطار الالتزام بالمبادىء الأساسية .

(جـ) احتمال الفشل وتمسك الولايات المتحدة بمفاهيم وصياغات لا يمكننا قبولها وهذا الاحتمال وإن كان واردا فانه يجب الحرص على :

* ألا تكون الصياغات التي تتمسك بها أمريكا مما يمكن أن تقبله اسرائيل ، حتى لا نجد أنفسنا في وضع تكون فيه اسرائيل قد قبلت مشروعا أمريكيا بينما رفضته مصر ، فنعود إلى الوضع السابق من تحالف أمريكي ــ اسرائيلي وتناقض مصري ــ أمريكي .

* ألا يكون أسلوب رفضنا من شأنه الاساءة إلى العلاقات المصرية الأمريكية ، والتأثير على رغبة وقدرة الرئيس كارتر في الاستمرار في الدور الذي نرى أنه حيوي للتوصل إلى تسوية .

٣ ــ وإنطلاقا مما سبق ، فانه في حالة اضطرارنا إلى رفض المقترحات الأمريكية فانه من المهم اتخاذ الخطوات التالية :

أ ــ التفاهم مع الرئيس كارتر بالنسبة للأسلوب الذي سيقوم به باعلان نتائج الاجتماع إلى الشعب الأمريكي والعالم .

وفي هذا الصدد فمن الأساسي إقناع الرئيس الأمريكي بأن يتم ذلك على النحو التالي :

* تأكيد المواقف الأمريكية المعلنة بالنسبة للانسحاب والحدود والمستوطنات والأمن والقضية الفلسطينية وتطبيع العلاقات والضمانات .

* شرح فلسفة المقترحات الأمريكية .

* تأكيد استمرار الولايات المتحدة في الاضطلاع بدور الشريك الكامل .

ب ــ قيام السيد الرئيس بزيارة واشنطن ، وتناول سيادته مع

الكونجرس وفي وسائل الاعلام النقاط التالية :

* تأكيد الثقة في الولايات المتحدة ، وتقدير جهودها والرغبة في استمرار هذه الجهود .

* تأكيد الحرص على العلاقات المصرية الامريكية .

* إبراز المرونة المصرية منذ مبادرة الرئيس (إعلان المشروع المصري) .

* إبراز تعنت مناحم بيجن الذي أدى إلى عدم تحقيق نتائج إيجابية في كامب ديفيد .

جـ ـ قيام السيد الرئيس في طريق العودة بزيارة بعض دول أوروبا الغربية لايضاح النقاط السابقة .

د ـ اتصال السيد الرئيس بالزعماء العرب المعتدلين مثل (السعودية ـ الأردن ـ المغرب ـ السودان) لايضاح النقاط السابقة مع التركيز على :

* أن جهود السلام مازالت ممكنة .

* أن أمريكا ستستمر في جهودها .

* أن تحرك القيادات العربية العاقلة لدى الولايات المتحدة لدعم الموقف المصري من شأنه التمهيد لاعطاء دفعة جديدة لجهود السلام .

هـ ـ ويمكن بعد ذلك التفكير في عقد مؤتمر قمة عربي مصغر يؤكد المعاني السابقة ويتحرك في اتجاه جهد عربي موحد ونهائي لتحقيق السلام بمختلف الوسائل المتاحة وسوف يكون هذا الجهد ـ سواء نجح أو فشل ـ هو الذي سيحدد أسلوب التحرك لهزيمة الأهداف الاسرائيلية .

٤ ـ ومن الضروري أن تتم هذه التحركات بحيث تظهر نتائجها قبل موعد تجديد فترة القوات الدولية في ٢٤ أكتوبر (تشرين الأول) القادم مع عظيم الاحترام .

محمد ابراهيم كامل

وزير الخارجية

١٢/٩/١٩٧٨م

ولعلني لست في حاجة إلى استرعاء نظر القارىء إلى الأسلوب السيكلوجي الهادىء المرن الذي صيغت به هذه المذكرة ، والذي كان يستهدف أن يتجرع الرئيس السادات محتوياتها بما يشعره بأن فشل مؤتمر كامب ديفيد لا يعني فشل مبادرته ونهايتها ، وبما لا يثير جزعه من احتمال أن يؤدي ذلك إلى صدام بينه وبين الرئيس كارتر الذي بات يعتقد أنه أمله الوحيد وحجر الزاوية في علاقاته الدولية ، وأخيرا بأن يتقبل بصورة طبيعية ـ لا تمس كبرياءه ولا تجرح مشاعره ـ التوجه من جديد نحو العرب بصورة متدرجة تبدأ بالاتصال بالزعماء العرب المعتدلين ثم مؤتمر قمة مصغر يؤدي بدوره إلى موقف عربي موحد ونهائي لتحقيق السلام بمختلف السبل المتاحة ، وفقا للسيناريو الذي تم الاتفاق عليه بيني وبين الأمير سعود الفيصل في شهر مايو (ايار) الماضي .

الفصل التاسع والثلاثون

هل نصل إلى حل وسط

كنت وأحمد ماهر في طريقنا إلى المطعم لتناول الغداء عندما قابلنا الرئيس كارتر راكبا دراجته فأوقفها وحيانا ووقف معنا ، ولم يلبث التهامي أن ظهر وانضم إلينا وجرى بيني وبين الرئيس كارتر الحديث التالي :

الرئيس كارتر : لقد مضى أسبوع كامل على بدء المؤتمر ، وأرجو أن نستطيع التوصل إلى اتفاق يرضي الطرفين في خلال الأيام القليلة القادمة .

محمد ابراهيم كامل : إني آسف إذ لا أستطيع أن أشاركك تفاؤلك فالموقف الاسرائيلي على جموده وتعنته ، كما أن المشروع الأمريكي الذي قدم إلينا أمس بعيد كل البعد عن تحقيق الحد الأدنى الذي نستهدفه ولا يمكن لنا قبوله .

الرئيس كارتر : إن هذا مجرد مشروع يقبل الأخذ والعطاء وسنراعي بطبيعة الحال ملاحظاتكم ومقترحاتكم بشأنه ويمكن تعديله على ضوئها ، المهم أن نتوصل إلى اتفاق مقبول للطرفين .

محمد كامل : إن مشكلتنا أننا لا نستطيع ولا نملك إجراء أي تنازلات عن الأراضي العربية المحتلة ، ويمكن لنا إظهار مرونة كبيرة فيما يتعلق بترتيبات الأمن وعلاقات السلام ، ولكن من الواضح أن هذا ليس هو ما تسعى إليه

اسرائيل ، بل كل هدفهم هو ضم الأراضي العربية المحتلة أو أجزاء منها . وأرجو مخلصا ألا تحاولوا الضغط على الرئيس السادات في هذه النقطة ، فهو لا يستطيع أن يفعل شيئا وإن هو فعل فلن توافق الدول أو الشعوب العربية الأخرى على أي اتفاق يتضمن مثل هذه التنازلات ، وسينهار مركزه تماما ، وتضيع فرصة السلام وتبقى المشكلة بلا حل .

الرئيس كارتر : إنه يستحيل عمليا في المرحلة الحالية التوصل إلى اتفاق يحل جميع المشاكل دفعة واحدة ، وأنا أعتقد أنه يجب تحاشي التعرض لبعض المشاكل الحساسة التي يصعب التوصل إلى حلول بشأنها الآن مثل موضوع السيادة على الضفة الغربية وغزة ومشكلة القدس .وتأجيلها إلى مرحلة تالية في المستقبل .

وأضاف الرئيس كارتر : إن الاتحاد السوفييتي يمرح ويرتع في منطقة القرن الافريقي والشرق الأوسط لأنه يعلم أن لمصر خمس فرق بأكملها مربوطة على ضفة قناة السويس لا يمكن تحريكها ، فاذا ما توصلنا إلى اتفاق سلام بين مصر واسرائيل ، فلن تكون هناك حاجة إلى بقاء هذه الفرق الخمس مجمدة على القناة ، وسوف يصبح الرئيس السادات حرا ويستطيع إعادة توزيعها على النحو الذي يراه ويختاره مما سيضطر الاتحاد

السوفييتي إلى أن يعيد مراجعة حساباته ويتوخى الحذر في مغامراته وتصرفاته .

محمد كامل : إذا سمحت لي يا سيادة الرئيس ، فاننا مجتمعون هنا لحل النزاع العربي الاسرائيلي وليس للتصدي لمخططات الاتحاد السوفييتي ، وإني أؤكد لك من جديد أن حل القضية الفلسطينية حلا عادلا سيؤدي إلى السلام والاستقرار في الشرق الأوسط ، وسيؤدي إلى تقليص نفوذ الاتحاد السوفييتي في هذه المنطقة . وإذا شئت لهذا المؤتمر أن ينجح ، فلا بد من التوصل إلى اتفاق ينص على انسحاب إسرائيل من الضفة الغربية وغزة ومن القدس العربية ، وهو ما سيجذب الأطراف الأخرى للمساهمة في جهود السلام .

الرئيس كارتر : يبدو أنك لم تدرك ما أقصده ، فأنا أرى أنه ليس من العدل أن نحمل الرئيس السادات وحده مسؤولية تسوية النزاع العربي الاسرائيلي بأكمله ، وما أريده هو أن أرفع عن كاهل السادات العبء فيما يتعلق بالضفة الغربية والقدس وأحمله للملك حسين والملك خالد .

محمد كامل : هانحن نعود ثانية ، فلن يقبل الملك حسين أو الملك خالد الانضمام إلى المباحثات ، مالم تتم على أساس انسحاب إسرائيل من الضفة الغربية والقدس .

الرئيس كارتر : بل سيقبلان ، وقد أرسلت إلى الملك حسين

للحضور إلى واشنطن في الأسبوع القادم ،
كما أرسلت إلى الأمير فهد وسيصل في
أواخر هذا الشهر .

محمد كامل : صدقني يا سيادة الرئيس أنهما لن يحضرا .
الرئيس كارتر : بل سيحضران .

وأدار كارتر دراجته ومضى بعيدا .

وأود هنا التعليق على مفهومين وردا في حديث الرئيس كارتر السابق الاشارة إليه

الأول : أن الرئيس السادات كان يتوق إلى أن يصبح حليف أمريكا ورجلها وشرطيها ، وكان يعتقد أن مدخله إلى قلب الولايات المتحدة والحصول على بركتها وتأييدها ومعوناتها وسلاحها هو معاداته الشرسة للاتحاد السوفييتي وإهانته وسبه والتنديد بشروره ومخاطره ، وإبداء استعداده لأن يقوم لحسابها بالتصدي للتغلغل السوفييتي في منطقة الشرق الأوسط وأفريقيا ، بالاضافة إلى مساندته للنظم التي تدور في فلك أمريكا كنظام الرئيس موبوتو في زائير على سبيل المثال ، بل انه يمكن تصور أن قيامه بمبادرته لاقرار السلام مع اسرائيل ، يدخل في خلفياتها استرضاء أمريكا وكسب ودها لما لاسرائيل من مكانة وحظوة لديها .

الثاني : أن الرئيس السادات ـ ربما من هذا المنطلق نفسه ـ كان مقتنعا بأن المملكة العربية السعودية مرتبطة ارتباطا جذريا بالولايات المتحدة خاصة من زاوية أمنها ، وبالتالي فهي دولة تابعة لها ، لا تستطيع أن تعصي لها أمرا أو تخالف لها مشورة ، وأن الملك حسين بدوره ـ بالاضافة إلى ارتباطاته بالولايات المتحدة ـ فهو لا يستطيع إلا أن ينفذ ما تشير به عليه السعودية ، لاعتماده عليها إلى حد كبير في حل مشاكل الأردن المالية والاقتصادية .

وكثيرا ما كان يثور بيني وبين الرئيس السادات الجدل حول هذا الفهم ، فكنت أقول له إن ما يعتقده حق في شطر منه ، ولكنه

يغفل الشطر الآخر وهو أن السعودية بقدر تأثرها بالولايات المتحدة ، تستطيع أن تؤثر على هذه الأخيرة بدورها من واقع إمكانياتها الهائلة واعتماد الغرب على ما لديها من الطاقة وعلى دولاراتها البترولية ، كما وأن الأردن بدوره يستطيع أن يقول لها لا فيما لا يمكن له قبوله .

وإذا كانت إسرائيل الدولة المنفردة المنعزلة التي تعتمد اعتمادا مطلقا على الولايات المتحدة إقتصاديا وسياسيا وعسكريا لا تنفذ من طلبات الولايات المتحدة إلا ما يروق لها منهاً ، أفيكون ذلك غريبا على السعودية والأردن خاصة وأنهما ينتميان عضويا إلى مجموعة الدول العربية وروحيا إلى مجموعة الدول الاسلامية وسياسيا إلى مجموعة عدم الانحياز ؟ وكنت أقول له : هل تستطيع السعودية مثلا أن توافق على ضم اسرائيل للقدس إذا طلبت منها أمريكا ذلك فتهدر زعامتها للعالم الاسلامي ، أو هل يستطيع الملك حسين ، إذا طلبت منه الولايات المتحدة ذلك ، أن يقر ضم إسرائيل للضفة الغربية فيوقع بذلك صكا بانتحاره ؟

وأعود من هذا الاستطراد إلى أن تلك كانت عقيدة السادات بالنسبة للسعودية والأردن على كل حالٍ ، وفي اعتقادي أنه نجح في أن يقنع كارتر إلى حد كبير بهذا الفكر ، وبالتالي في عدم أخذ ما تبديه السعودية أو الأردن من إعتراضات على ما قد تتضمنه التسوية من تجاوزات ــ في بعض النقاط ــ مأخذ الجد . وأنهما سيتبعان في النهاية ما تقرره مصر وأمريكا صاغرتين ، وفي اعتقادي أن هذا الفهم كان أكبر خطأ في الحساب والتقدير وقع فيه الأمريكيون والسادات على حد سواء عند توقيع اتفاقيات كامب ديفيد .

هل تبدد الشعور بالوحدة ..

بعد انصراف الرئيس كارتر توجهت إلى استراحة الرئيس السادات لأحيطه علما بما دار بيننا ، وكان جالسا وحده وتبدو عليه

معالم السأم والشعور بالوحدة ، ويبدو أن المناقشة التي دارت بيننا بالأمس بشأن دور الأردن في الضفة الغربية في أية تسوية قد أثرت فيه، فبعد أن انتهيت من رواية حديثي مع كارتر قال لي انه طلب الملك حسين تليفونياً في الصباح ـ في لندن حيث كان في زيارة خاصة ـ إلا أنه يبدو أنه نسي الفرق في التوقيت بين أمريكا وأوربا ، وقد وعدوه بأن يتصل به الملك حسين قبل أي شيء في الصباح ، وبالفعل لم يلبث أن دق جرس التليفون وكان المتحدث الملك حسين ودار بينهما حديث ودي ، وقال السادات إن معركة التفاوض تجري على أشدها ، وإن المحادثات شرسة وصعبة ، وقد قدم مشروع إطاره للسلام ، كما قدمت أمس الولايات المتحدة مشروعها لنا وتجـري دراستـه ومناقشته .

وقال السادات انه غير متفائل بامكان التوصل إلى اتفاق لأن مناحم بيجن لايزال راكبا رأسه ومتمسكا بأفكاره الخيالية ، إلا أنه سيعطي الأمر ما يقتضيه من وقت من أجل خاطر الرئيس كارتر الذي يبذل جهودا جبارة لتقريب مواقف الطرفين ، وأبلغ الملك حسين بأنه سيزور الملك الحسن بالمغرب في طريق عودته ، واستفسر عن إمكانية الملك حسين في لقائه هناك ، واعتذر الملك حسين باضطراره للعودة في الغد إلى الأردن واتفقا على استمرار الاتصال بينهما .

موقف يذكر للوفد المصري ..

في الساعة الثالثة بعد الظهر بدأ اجتماع الوفدين المصري والأمريكي برئاسة وزيري الخارجية لمناقشة المشروع الأمريكي ، وقد بدأت الحديث بمقدمة أعربت فيها عن تقديرنا لجهود الرئيس كارتر والوزير فانس لمحاولة التوصل إلى تسوية للنزاع العربي الاسرائيلي ، وذكرت أننا جئنا إلى كامب ديفيد للتعاون معا في تحقيق الهدف السامي الذي هو إقرار السلام العادل الشامل ، وعبرت عن ثقتنا في

أن الولايات المتحدة ستتمسك في النهاية بمواقفها المعلنة من حل النزاع .

وقلت « لقد تلقينا أخيرا وبعد طول انتظار الورقة الأمريكية وأود قبل أن أشرح ملاحظاتي العامة عليها ، أن أبرز ما أعتقد أننا نتفق فيه تماما مع الولايات المتحدة وهو أولا : الحرص على العلاقات الأمريكية المصرية ، وثانيا : الحرص على تحقيق تسوية عادلة وشاملة للنزاع في الشرق الأوسط ، ويعني هذا أن أية نتائج قد نتوصل إليها هنا يجب أن تشجع الأطراف العربية الأخرى على الاشتراك في جهود السلام وثالثا : الحرص على تجنيب المنطقة أخطار عدم الاستقرار والتدخلات الخارجية ، وهذا يعني عدم الانزلاق إلى خلق ظروف ينتهي بها الأمر إلى الاساءة إلى أمريكا والأنظمة المعتدلة في المنطقة » ثم تلوت البيان الذي أعددناه بملاحظاتي العامة :

لقد درسنا الورقة الأمريكية بكل إهتمام ودقة ، وقد أعددنا ملاحظات تفصيلية عنها سيتولى زملائي شرحها ، ولكني أود في البداية أن أبدي بعض الملاحظات العامة :

١ ـ أول ملاحظة هي أني أشعر بالأسف لأن الولايات المتحدة رأت أن تعطي مقترحاتها لاسرائيل أولا ، وأن تناقشها معها ، ثم تعدلها على ضوء ملاحظات اسرائيل ، وأنا أقول ذلك لأني ألاحظ أن المقترحات الأمريكية كما قدمت لنا تعكس الكثير من الأفكار الاسرائيلية ، ولقد كنا نأمل تسهيلا لأعمال الاجتماع ، لو كان الجانب الأمريكي قد قدم ورقته إلى الطرفين في وقت واحد بحيث تكون الورقة معدة عن المواقف الأمريكية المعروفة والمعلنة لتكون أساسا للمناقشة .

٢ ـ إن الورقة تميل إلى الجانب الاسرائيلي ، من حيث أنها تطالب الجانب العربي بتنفيذ التزامات محددة وواضحة (إنهاء حالة الحرب ، تطبيع كامل للعلاقات) ولا تطالب إسرائيل

بالتزام بالتفاوض مع إعطائها حق « الفيتو » بالنسبة للكثير من الموضوعات .

٣ ـ إن المقترحات الأمريكية لم تتحدث عن تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بل عن التفاوض على أساسها ، وهذا يدخلنا في حلقة مفرغة .

٤ ـ إن المقترحات لا تؤكد بوضوح ضرورة الانسحاب الكامل من سيناء ، بل تؤكد سيادة مصر على سيناء فقط ومن الضروري تأكيد الانسحاب الكامل .

٥ ـ إن المقترحات بالنسبة للضفة الغربية لا تتضمن ما أشار إليه الدكتور بريجنسكي من « خلق ديناميكية » بل إنها تتيح لاسرائيل فرصة منع الشعب الفلسطيني من مباشرة حقوقه ، وتعطي لاسرائيل سلطات وحقوقا تتيح لها في الواقع إفشال أية احتمالات لتطوير الموقف بعد انتهاء الفترة الانتقالية .

٦ ـ إن هذه المقترحات أهملت تماما حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ، وأعطت لاسرائيل حق « الفيتو » بالنسبة لمباشرة هذا الحق ، وفيها تعديل خطير لصيغة أسوان بحذف الاشارة إلى الشعب الفلسطيني .

٧ ـ كما أنها أهملت النص على أن يكون الانسحاب إلى خطوط الهدنة في الضفة الغربية وغزة مع تعديلات طفيفة ، بل تركت المجال مفتوحا لتحاول اسرائيل ابتلاع الضفة كلها أو نصفها .

٨ ـ لا تتناول المقترحات تصورا واضحا للموقف بعد انتهاء الفترة الانتقالية ، كما أنها بينما تعطي لاسرائيل دورا في الفترة الانتقالية لا تعطي لمصر والأردن دورا إلا الاشتراك في المفاوضات .

٩ ـ تختلق الورقة موضوع لاجئين يهود لا وجود له .

١٠ ـ بالنسبة لاجراءات الأمن ، فان الورقة تستهدف أن تجعل من

قوات الأمن التي يراد أن يشترك فيها أردنيون ، قوة مهمتها الوحيدة حماية اسرائيل .

١١ ـ لم تتضمن الورقة نصا بشأن المستوطنات رغم ما قرره لي المستر فانس من وجوب إزالة المستوطنات في سيناء وتجميدها لمدة خمس سنوات في الضفة الغربية وغزة .

١٢ ـ تعطي المقترحات إسرائيل حق « الفيتو » في مسائل كثيرة منها :

أ ـ الخلاف حول تفسير الاتفاقية .

ب ـ عودة النازحين واللاجئين .

١٣ ـ تتناول المقترحات القدس بطريقة غامضة توحي باستمرار الحكم الاسرائيلي فيها .

١٤ ـ تعالج المقترحات الأمن الاسرائيلي ولا تهتم بأمن الأطراف العربية .

وهناك ملاحظات أخرى كثيرة سيعرضها زملائي في الوفد بالتفصيل قبل أن نقدم تعديلاتنا على الورقة ، ولعلي أكتفي الآن بالقول إنه للأسف لا يبدو واضحا من شكل الورقة ولا من مضمونها أنها مقترحات أمريكية .

والخلاصة أن المقترحات الأمريكية تضع مصر في موقف حرج تجاه بقية العالم العربي كما ورد على سبيل المثال في الاشارة إلى الاستعداد للسير وحدنا في التسوية في الضفة الغربية إذا لم تدخل الأردن في المفاوضات وهذا تحد لا داعي له ، وليس من شأنه تشجيع الأردن على الدخول مادامت الورقة الأمريكية تستخف باشتراكها ، كما أن المقترحات في حد ذاتها لا يمكن أن تحصل على تأييد السعودية ، الذي اتفقنا على أهميته ، ولن تتيح اشتراك الأردن ، ولا هي تتفق مع الحد الأدنى لما يمكن أن تقبله مصر لتحقيق تسوية شاملة وعادلة للنزاع .

وقد أوضحنا هذا الموقف المصري في ورقتنا ويتلخص في

ضرورة :

أ ـ تحقيق توازن بين التزامات الأطراف .

ب ـ تأكيد انسحاب اسرائيل الكامل عدا بعض تعديلات طفيفة في الخطوط في الضفة الغربية تتفق عليها الأطراف .

جـ ـ احترام السيادة والأرض .

د ـ تأكيد الأمن للطرفين .

هـ ـ ضمانة مشاركة باقي الأطراف العربية في جهود السلام .

وعلى ضوء كل ما سبق أترك لزملائي عرض ملاحظاتنا ، وتعديلاتنا نتقدم بها انطلاقا من رغبتنا في ألا يكون ما نخرج به من هنا مجرد ورقة قد تضر أكثر مما تنفع ، بل مساهمة حقيقية في دعم جهود السلام العادل والشامل والدائم(١) .

ثم بدأت المناقشات واشترك فيها من الجانب الأمريكي فانس وسوندرز وأثرتون وكوانت ، وحمل لواءها من الجانب المصري أسامه الباز وعبد الرؤوف الريدى مدير ادارة التخطيط بوزارة الخارجية ونبيل العربي مدير الادارة القانونية بها ، ولا أبالغ البتة إذا قلت أنهم سيطروا بكل كفاءة وجدارة على مجرى المناقشة وكان الجانب الأمريكي ـ وأشهد له وخاصة سيروس فانس بالشجاعة وبروح الانصاف ـ في موقف الدفاع أغلب الوقت ، وكثيرا ما كان يبدو عليهم الحرج بل الخجل أمام الحجج المصرية الدامغة والمنطق الواضح المستقيم المعزز بالأسانيد القانونية المؤكدة .

وقد وافق فانس على حذف نقاط كثيرة مما تضمنها المشروع الأمريكي بناء على طلب الجانب المصري ، وعلى تعديل نقاط أخرى كما وعد باعادة النظر في غيرها . وسأظل أذكر موقف الوفد المصري في تلك الجلسة بالفخر والاعتزاز .

(١) جدير بالذكر أن كل ما تضمنه هذا البيان من ملاحظات واعتراضات على المشروع الأمريكي تكاد تنطبق بحذافيرها على اتفاقيات كامب ديفيد التي تم التوقيع عليها في نهاية المؤتمر .

في اليوم التالي ذهبت إلى الرئيس السادات وكان معه حسن التهامي وكان حديثهما يدور حول القدس ، وفي الحقيقة فقد كان حسن التهامي لا يكل ولا يمل من ترديد وجوب استعادة القدس العربية من بين براثن إسرائيل ، وبطبيعة الحال كان موضوع استعادة القدس على رأس قائمة اهتماماتنا جميعا ، ولكنه كان لا يجلس في مكان إلا ويتناولها بالتخصيص من بين المشاكل الأخرى .

وفجأة قال السادات « إنه يكون شيئا عظيما حقا لو استطعنا تنفيذ فكرة الميل المربع » ، وسألته عن ما هية حكاية الميل المربع ، فقال التهامي « أن تنسحب إسرائيل من مساحة ميل مربع من القدس ونرفع عليها علما عربيا أو إسلاميا » ، غير أن التهامي أو الرئيس السادات لم يفسرا لي سر هذا الميل المربع ولا منطقه ، ولم يسمح لي تزاحم الأحداث بعد ذلك بمعاودة الاستفسار ، ومازالت قصة هذا الميل المربع تشكل بالنسبة لي لغزا محيرا وسرا مغلقا ، فلماذا ميل مربع ، هل لا تتجاوز مساحة القدس هذا القدر ؟ وإن كانت لا تتجاوزها فهل من المعقول أن تكون هذه المدينة التاريخية البالغة القدم قد اقيمت هندسيا في نطاق ميل مربع ؟ وإذا لم تكن كذلك فماذا عن النتوءات أو الأحياء التي تكون خارج حدود هذا الميل هنا أو هناك ؟

المهم أني استنتجت في النهاية أنها من بنات أفكار حسن التهامي ، وقال التهامي « فقط أرجوك يا ريس أن تكون عند اتفاقنا بتعييني حاكما عاما على القدس (الميل المربع) فأنا لم أطلب منك في حياتي شيئا وليس لي مطلب آخر فهذا هو حلم حياتي الذي أدعو الله أن يحققه قبل مماتي !! »

وتمتم السادات بشيء لم أفهمه ، وابتلعت حيرتي وسكت ، ولا أدري لماذا عادت إلى ذاكرتي في هذه اللحظة القصة التي رواها لي

ولأحمد ماهر التهامي ، عندما كنا نتناول العشاء في « فوشل » بالنمسا بشأن الاتفاق الذي جرى بين اليهود وربهم حول عودتهم إلى « أورشليم » ، كبرهان على قبوله توبتهم ، ثم يذبحون تكفيرا عن عصيانهم . ونظرت إلى حسن التهامي وتداعت إلى خيالي صورته وهو يرتدي زي الحاكم العام ويجلس على كرسيه وسط الميل المربع ، والجموع تحتشد من حوله تلتمس تنفيذ الحكم الالهي ، وسرت في جسمي قشعريرة وطردت هذا الخاطر بعيدا .

المشروع المعدل ..

وتلقينا في هذا اليوم مشروعا أمريكيا ثانيا معدلا على ضوء المناقشات التي جرت بيننا وبين الجانب الأمريكي أمس وقد تضمن « تحسينات » كثيرة على مشروعهم الأول ، وعلى سبيل المثال عادت صيغة كارتر إلى أصلها ، وأضيف نص على منع إنشاء مستوطنات جديدة في الضفة الغربية وغزة خلال « التفاوض » ، وعدم التوسع في المستوطنات القائمة ، وحذف النص الذي يعالج حالة عدم دخول الأردن في المفاوضات ، إلا أن أساس المشروع ظل على ما هو عليه وهو أنه كان يعطي اسرائيل دورا أساسيا في الضفة الغربية وغزة خلال فترة الانتقال يتيح لها الاستمرار في الامساك بزمام الأمور ويخولها حق « الفيتو » على أي قرار أو إجراء ، كما أنه كان يأخذ بوجهة النظر الاسرائيلية في تعليق السيادة على الضفة الغربية وغزة في حين أن سيادة الشعب الفلسطيني على هذه الأراضي لا يمكن إنكارها ، أو أن تكون موضوع نقاش ، وكنت أرى أن تبجح إسرائيل بالاصرار على عدم البت في موضوع السيادة منذ البداية هو أقوى دليل على نواياها في ضم تلك الأراضي ، وهو أمر واضح ساطع لا يخفى على أكثر الناس سذاجة ، فكيف ولماذا إذن تريد الولايات المتحدة أن تفرض علينا التفاوض من هذا المنطلق ؟

وظل هيكل المقترحات الأمريكية الذي كان يستند في الواقع إلى

هيكل مشروع الحكم الذاتي الاسرائيلي ثابتا ، وإنما تطرأ تغييرات في محتوياته كلما عرض على أحد الجانبين بالتعديل أو الحذف أو الاضافة ، لا تلبث بدورها أن تخضع إلى تعديل مضاد من الجانب الآخر متى عرضت عليه ، وتعود الدورة من جديد في حلقة مفرغة لا تنتهي .

أما السادات فقد بدأ ينفد صبره ويعتريه التوتر وتهتز أعصابه .

وأما بيجن فقد ظل متخندقا في مكانه لا يتزحزح عن مواقفه الجامدة المتحجرة .

أما كارتر فقد كان يعمل بحمية ونشاط تزداد كلما تقدمت عقارب الساعة فهو لا يستطيع أن يظل بعيدا عن البيت الأبيض ، تاركا مهام رئاسة الولايات المتحدة بمشاكلها الخارجية والداخلية إلى أجل غير محدد ، وهو يعي جيدا أنه إذا انتهى مؤتمر كامب ديفيد دون أن يحقق نجاحا فسينعكس ذلك سلبيا على مركزه الداخلي الذي كان كما تدل استطلاعات الرأى العام قبل انعقاد المؤتمر في أدنى درجاته منذ تولى الرئاسة .

وحدثت في ذلك الوقت ثلاثة أمور كان لها أكبر الأثر في اتجاه المفاوضات نحو ما انتهت إليه

الأول أنه تبين لنا أن مناحم بيجن كان متشبثا منذ البداية بموقفه في عدم التنازل عن المستوطنات والمطارات الاسرائيلية في سيناء ، وكان الجانب الأمريكي يحرص على عدم إحاطتنا علما بهذا الموقف ـ الذي كنا نعتبره من بديهيات أية تسوية ـ خشية أن ينفجر المؤتمر وينفض دون تحقيق أية نتائج ، وكانت صياغاتهم التي قدموها لنا في كل مشاريعهم لا تمس هذه النقطة وتقتصر على انسحاب اسرائيل من سيناء واستعادة مصر لسيادتها عليها كاملة ، وهو ما كان يتحفظ عليه بيجن معهم ويفسره بأنه لا يتعارض مع الابقاء على

المستوطنات الاسرائيلية في سيناء .

الثاني : أنه بدأ كل من الرئيس كارتر ووزير الحرب الاسرائيلي وايزمان يلحان على الرئيس السادات بأن يقابل موشي ديان ــ الذي كان ينفر منه ويتحاشى لقاءه كما أسلفت ــ وقد يكون هذا الالحاح بناء على اتفاق بينهما أو قد يكون مجرد توارد خواطر .

الثالث : أن الرئيس كارتر قرر ــ بزعم اختصار الوقت ــ أن يمسك بزمام المفاوضات في يده ، فطلب الى كل من الرئيس السادات ومناحم بيجن اختيار أحد المستشارين القانونيين من بين أعضاء وفده للعمل معه ــ أي مع الرئيس كارتر ــ مباشرة واختار الرئيس السادات أسامه الباز واختار رئيس الوزراء الاسرائيلي أهارون باراك ، وكان كارتر يجتمع على حده بكل من السادات وبيجن ويناقش معه بعض النقاط الخلافية ، ثم يعود ويطلب من كل من الباز وباراك إعداد صياغة بالنسبة لتلك النقاط بعد ذلك يحاول التوفيق بين الصياغتين في حل وسط .

ولم يكن ذلك يعني نظريا تنحية باقي أعضاء الوفود من الاشتراك غير المباشر في مسار المفاوضات ، ولكن من الناحية العملية كانت تنتهي الأمور إلى ذلك في كثير من الأحيان ، فقد كان كارتر يحتجز كلا من الباز وباراك في استراحته حيث يعكف على مناقشتهما ثم ينكبان ــ كل على حده ــ على إعداد صياغته ثم يعاود مناقشتهما الأمر الذي كان يمتد إلى ساعات الصباح .

الفصل الأربعون

إنهيار أم تمثيل

في صباح يوم الخميس ١٤ سبتمبر (أيلول) زار وايزمان الرئيس السادات وأمضى معه بعض الوقت ، ويبدو أنه استطاع إقناعه في النهاية بمقابلة موشى ديان ، فقد دعاه الرئيس السادات لمقابلته بعد ظهر اليوم نفسه .

ويقول « ديان » في كتابه « الاختراق »[١] : ان الرئيس السادات كانت له تحفظات على هذه المقابلة اذ كان يخشى أن احاول اقناعه بالحصول على السلام دون أن اقدم شيئا مقابله ، ولكنه في النهاية قبل التماس وايزمان ودعاني إلى تناول الشاى معه ، ويضيف ديان : ان الرئيس كارتر الذي كان يعلم سلفا بأمر هذه المقابلة قد طلب أن يراه ورجاه ألا يناقش الرئيس السادات في المسائل المختلف عليها حتى لا يؤدي ذلك إلى زيادة تمسك كل طرف بموقفه ، الأمر الذي سيزيد التوتر بين الجانبين وأنه قد وعد الرئيس كارتر بذلك ، إلا أن الرئيس السادات بادر باثارة المشاكل التي تعترض المؤتمر والذي يوشك على الانتهاء دون التوصل إلى اتفاق وأن السبب الرئيسي في ذلك هو التعنت الاسرائيلي واصرارهم على الاحتفاظ بالمستوطنات في سيناء .

وأنه أعقبت ذلك مناقشة بينهما حول إنشاء اسرائيل لهذه المستوطنات ، ذكر فيها ديان أن الذي دفعهم الى إقامتها هو رفض مصر أن تستعيد سيناء بالكامل في مقابل اتفاق سلام ، حيث جاء الرد

(١) راجع صفحة ١٩٠ من كتاب وايزمان « المعركة من أجل السلام »

العربي من خلال مؤتمر الخرطوم الذي انعقد بمبادرة من جمال عبد الناصر برفض التفاوض أو الاعتراف باسرائيل أو اقامة سلام معها وأن ما أخذ بالقوة يجب أن يسترد بالقوة

ويضيف ديان : ان مسار هذه المناقشة لم يرق للسادات فاختفت الابتسامة وبدا عليه الغضب والمشاغل وقال : إن وزير خارجيته محمد ابراهيم كامل قلق ويريد أن يلحق بسلفه فهمي ويستقيل وان مستشاره الباز يعارض بشدة معاهدة سلام مع اسرائيل ويثير ضغائن أعضاء الوفد المصري ويعزز شكوكهم ، وانه ما لم يحدث تحول في المفاوضات لصالحه (السادات) فلابد أن يعود الى مصر ويعترف بفشله ، ولذا يتعين علينا أن نبدأ صفحة جديدة بالانسحاب من شبه جزيرة سيناء جميعا وإعادتها الى السيادة المصرية ، وقال ان شعبه لن يوافق على أي وجود أجنبي على أراضيه ولا على وجود قوات أمريكية في مطارات سيناء ولا على بقاء مستوطنة واحدة فيها ولو لمدة وجيزة ، واذا أردتم السلام معنا فيجب أن تكون المسائل واضحة ، لقد حاربنا لنتخلص من الانجليز ، ثم حاربنا حتى تكون قناة السويس تحت سيطرتنا الكاملة وأنا الآن مستعد لاقامة سلام كامل وحقيقي معكم وأن أتجاهل معارضة الدول العربية ، ولكن عليكم أن تغادروا سيناء مدنيين وعسكريين وأن تفكوا معسكراتكم الحربية وتزيلوا مستوطناتكم .

ويقول ديان : انه لم ير مبررا للمجادلة بأن مصر كانت تشن عليهم الحروب في الوقت الذي كان يعرض رؤساء الحكومات الاسرائيلية السلام ، وانه من الواضح أن السادات كان مصمما على استعادة سيناء واننا إن لم ننسحب منها فسينتهي مؤتمر كامب ديفيد دون اتفاقية سلام ، ولذا اكتفى بأن قال للسادات : إنه سيقدم تقريرا لرئيس وزرائه عن حديثهما .

والمفهوم مما ذكره ديان أنه كان ينوي الالتزام بوعده للرئيس كارتر قبل مقابلته للرئيس السادات بعدم إثارة المسائل المختلف عليها

إلا أن الرئيس السادات هو الذي بادر باثارة موضوع المستوطنات في سيناء وأن ديان اكتفى بالقول بأنه سينقل ما قاله السادات الى مناحم بيجن .

ولم يشر لى السادات بكلمة حول مقابلته لديان من قريب أو بعيد ، ولكنه بعد انتهاء المقابلة استدعى أسامه الباز لمقابلته وقد أخبرني أسامه بعد عودته بأنه وجد السادات متبرما ساخطا وأنه روى له حديث ديان معه على الوجه التالي :

قال ديان للرئيس السادات : إنك رجل شجاع وصريح ولذا سأحدثك بدوري بمنتهى الصراحة ، إنك تعتقد أن المشكلة هى في حل القضية الفلسطينية ، ولكن حل المشكلة الفلسطينية يعتبر هينا بالنسبة لمشكلة المستوطنات والمطارات الاسرائيلية في سيناء ، ويجب أن تعلم أنه لا مناحم بيجن ولا شيمون بيريز ولا أى زعيم أسرائيلي آخر يستطيع التخلي عن المستوطنات والمطارات في سيناء بأي حال ، والمسألة لا ترجع إلى رغبة في التوسع عن طريق الاحتفاظ بتلك المستوطنات ، وانما تتعلق بالأمن إذ تشكل هذه المستوطنات حزاما دفاعيا لاسرائيل ، وقد صممت وأقيمت على هذا الأساس ، فالشعب الاسرائيلي لا يخشى من بين الدول العربية الا مصر فهى الدولة الوحيدة القادرة على تهديد اسرائيل تهديدا حقيقيا ، ولقد أكدت حرب أكتوبر (تشرين الأول) هذا الشعور وبالتالي فان الشعب الاسرائيلي وبالتالي الكنيست لن يقبل على الاطـلاق التخلي عن المستوطنات والمطارات في سيناء .

وعلى ذلك يجب أن تعلم أنه حتي لو وافق بيجن جدلا على إخلاء المستوطنات من حيث المبدأ فلن يستطيع تنفيذ ذلك قبل مدة لا تقل عن خمس أو ست سنوات بعد توقيع اتفاقية سلام بين مصر واسرائيل قد يمكن بعدها اقناع الرأى العام الاسرائيلي ، من خلال ممارسته لعلاقات السلام مع مصر في هذه المدة ، بصدق نوايا مصر

في الحفاظ على سلام دائم وأن المسألة ليست مجرد مناورة مرحلية .

وقال السادات : وماذا عن ترتيبات الأمن التي اقترحتها ؟

ورد ديان بأن ذلك وحده لن يوفر للشعب الاسرائيلي الشعور بالأمان

وقال السادات : وهل تتخيلون أنه من الممكن أن أعقد اتفاق سلام معكم لا يشمل إزالة المستوطنات ونقل المطارات وأستعيد سيناء منقوصة السيادة ؟

ورد ديان : إن لم تفعل فسنستمر في احتلال سيناء وفي ضخ البترول .

وقال السادات : ولماذا لم تقولوا ذلك من البداية ولماذا حضرتم الى هنا إذن ، لكي تضيعوا وقتي ووقتكم ووقت الرئيس كارتر ؟

وأجاب ديان بل لقد قلناه منذ البداية ولكنكم لم تريدوا أن تصدقوا ، ولقد أردت أن أشرح لك حقيقة الأمر بصراحة ووضوح حتى لا تعلقوا آمالا خادعة على شيء يستحيل أن يوافق عليه بيجن في الوقت الحالي على الأقل .

وذكر لي أسامة الباز في النهاية أن الرئيس السادات قد كلفه باعداد مذكرة « تقدير موقف » على ضوء حديث ديان معه . وأنه يعتقد أنه سوف ينتهي الى نفس النتيجة التي توصلنا اليها في المذكرة التي قدمناها للسادات يوم ١٢ سبتمبر (أيلول) على أساس التفاهم مع الرئيس كارتر على انهاء المؤتمر دون التوقيع على اتفاقيات محدده .

ولست أشك في أن الرواية التي رواها الرئيس السادات لأسامه الباز حول ما دار بينه وبين ديان هى حقيقة ما جري وليس ما أورده ديان في كتابه . ذلك أن موضوع مستوطنات سيناء لم يكن يشغل باله على الاطلاق ، وكان يراه أمرا بديهيا مفروغا منه ، وحتى لو كان لديه أدنى شك فلقد كان واثقا أن الرئيس كارتر يستطيع أن يحله ببساطة وكما أكد له منذ البداية ، وبالتالي فلم يكن هناك ما

يدفع السادات إلى دعوة ديان لمقابلته ليحدثه في موضوع مستوطنات سيناء وإنما كان القصد أن يتحدث معه في موضوع الضفة الغربية وغزة والذي كان يشكل الصعوبة الحقيقية في التوصل إلى اتفاق على إطار للسلام الشامل ، وهذا واضح مما ذكره السادات من أن ديان قال له في بداية حديثه أنه يتصور ـ أى السادات ـ أن حل المشكلة الفلسطينية هو العقبة في حين أن ذلك يعتبر أمرا هينا بالنسبة لحل مشكلة سيناء .

ولا شك أن اسرائيل كانت قد تجمعت لديها دراسة تحليلية كاملة لشخصية السادات وسيكلوجيته شارك في تكوينها ما زودها به هنري كيسنجر منذ مفاوضاته المكوكية في سنتي ١٩٧٤ و١٩٧٥ ، ودراستها لتصريحات السادات وأحاديثه وتصرفاته وما كان ينقله إليها عزرا وايزمان من خلال إجتماعاته المنفردة وأحاديثه المطولة مع السادات الى غير ذلك من المصادر .

والواقع أن ما قاله ديان للسادات لم يكن أمرا غريبا غير متوقع فهو لا يخرج عن كونه تنفيذا للخطة الاسرائيلية الموضوعة سلفا من استخدام ورقة سيناء للمقايضة عليها بأن تخرج مصر من حلبة النزاع العربي الاسرائيلي مقابل اطلاق يد اسرائيل في الضفة الغربية وغزة وهما بيت القصيد[1] . ولكن كان يكمن الدهاء الشيطاني في ترتيب هذه المقابلة في نقطتين :

الاولى : اختيار موشى ديان بالذات ، فلو أن الذي قال ما قاله ديان للسادات هو مناحم بيجن مثلا لما كان له نفس الأثر المخرب على السادات ، ولكن أن يتحالف كارتر ووايزمان ـ وكلاهما في اعتقاد السادات صديق يخلص له النصيحة ـ ويلحان عليه في وجوب مقابلة ديان باعتبار أنه لم يسبق له تجربة التفاهم المباشر معه رغم كونه وزيرا لخارجية اسرائيل

---

(١) ديان « الاختراق » صفحة ٩٧٤ .

وباعتباره في رأيهما معا شخصا يتميز بالمرونة وبالتفكير الخصب والرغبة الصادقة في تحقيق السلام مع العرب ، فضلا عن أنه له مكانة خاصة عند بيجن تمكنه من التأثير عليه فيوافقهما السادات على لقائه متطلعا إلى جديد ثم يسمع منه ما سمع فكان أمرا مخيبا للآمال مثبطا للعزيمة ولا شك .

الثانية : هى التوقيت الذي اختير لاجراء هذا اللقاء ، كانت قد مضت عشرة أيام على بداية المؤتمر دون أن تبدو بادرة أمل في التوصل إلى شيء وكانت أعصاب السادات قد بدأت تهتز وصبره أوشك على النفاد والقلق والخوف يستبدان به من جراء جمود الموقف الاسرائيلي الذي كلما اصطدم به الرئيس كارتر ـ الشريك الكامل ـ عاد مهرولا إليه ملتمسا عونه في الحيلولة دون فشل المؤتمر ومستغيثا به في إنقاذ مستقبله السياسي من الضياع الذي يتوقف على إبداء السادات شيئا من المرونة والكرم في هذه النقطة أو تلك ، ولم يكن يغيب عن السادات أن المؤتمر لا يمكن أن يستمر أكثر من ذلك كثيرا وأن احتمالات تحقيق آماله قد تلاشت وأن لحظة مواجهة الحقيقة قد حانت .

وفي تقديري أن حديث ديان مع السادات الذي استغرق أقل من الساعة كان هو القشة التي قصمت ظهر البعير ونقطة التحول نحو تورطه في قبول سلسلة من التنازلات وصلت إلى حد الاستسلام الكامل وقيامه بالتوقيع في النهاية على ما لم يكن يراود الاسرائيليين في أكثر أحلامهم تفاؤلا ، أن يقبل التوقيع عليه .

سأترك هذا المنصب ..

وفي مساء نفس اليوم توجهت إلى استراحة الرئيس السادات فوجدته في غرفة نومه مرتديا « بيجامته » وراقدا على كنبة (أريكة) يشاهد التليفزيون وقال « أهلا يا محمد اجلس » . وعاد الى مشاهدة

التليفزيون إلى أن انتهى البرنامج الذي كان يشاهده ثم راح يسألني عن أحوال بعض أقاربي الذين كانوا معنا في قضية أمين عثمان ثم تحول إلى الحديث عن ذكرياته مع الرئيس جمال عبد الناصر وبعض رجال الثورة وروى لي قصصا حول حياة المشير عبد الحكيم عامر الخاصة مما كان يوقعه أحيانا في حرج أمام الرئيس عبد الناصر فقد كان عبد الحكيم عامر كثيرا ما يسافر يومين أو ثلاثة إلى إحدى الاستراحات دون أن يستأذن من الرئيس عبد الناصر وكان يخطر السادات بمكان وجوده ليتصل به إذا اقتضى الحال ، وفي بعض الأحيان كانت تثور بعض المسائل الهامة ويبحث عبد الناصر عن عبد الحكيم عامر فلا يجده وينتهي بسؤال السادات عن مكان وجوده ويحار في اختلاق عذر يقبله عبد الناصر ثم يسارع بالاتصال بعامر ليطلب منه العودة على الفور ، وكنت استمع له وأسأله عن بعض التفاصيل .

ولم أشأ أن أشير إلى ما قاله لي أسامه الباز حول مقابلته لديان لأنه – أي السادات – لم يخبرني أصلا بمقابلته له ، وفي هذه الأثناء حضر حسن التهامي وحسن كامل وبطرس غالي وأشرف غربال وجلسوا معنا ودارت أحاديث اشتركت فيها المجموعة بعيدا عن ما يجري في كامب ديفيد ، ويبدو أن ذهني كان قد انصرف الى التفكير في أمر ما عندما سمعت السادات يصيح بصوت عال « وماذا أفعل اذا كان وزير خارجيتي يظن أني أهبل » ونظرت نحوه وقد أصابني الذهول ، فلم اكن مشاركا في الحديث ولم يكن هناك أي مبرر ظاهر لهذا الهياج ، ولم أجد ما أقوله ، واذا به يصيح من جديد « اتفضلوا اخرجوا بره كلكم » وأعاد هذه العبارة مرتين ووقف الجميع وتوجهوا الى خارج الغرفة في سكون وتبعتهم حتى خرجوا فأغلقت الباب وراءهم وعدت إليه والغضب يسيطر على والشرر يتطاير من عيني وقلت له بصوت عال « كيف تسمح لنفسك بأن تقول أمام الجميع وأمامي أني أعتقد أنك أهبل ؟ ولماذا أعمل معك إذا كنت أظنك

كذلك ؟ .. ثم كيف تطردني خارج الغرفة ، أتظن أن تعيينك لي وزيرا للخارجية يخولك ذلك ؟ سأترك هذا المنصب بمجرد عودتنا إلى القاهرة وفي ستين داهية » .

واستدرت عائدا لأغادر الغرفة ، وسمعت صوته « انتظر يا محمد » فتوقفت مكاني فقال « تعال اجلس » وعدت إليه ولكني ظللت واقفا فقال « ماذا جرى لك يا محمد ، ألا تشعر بما أنا فيه ؟ وإذا لم تتحملني أنت فمن الذي يفعل ؟ » فقلت وقد أحسست بالاشفاق عليه « إني أشعر بما تشعر به بدوري ولكن ليس هناك ما يدعو إلى أن تخاطبني بهذا الشكل أمام أحد فأنا لا أقبل ذلك حتى من أبي » .

فقال « أنا آسف ، أعصابنا جميعا متوترة بسبب هذا السجن اللعين ، لماذا لا تجلس ؟ وقلت « لا سأتركك تستريح فنحن في منتصف الليل وأنا أرغب في المشي قليلا » .

سنعود فورا ..

في الساعة التاسعة والنصف من صباح اليوم التالي كنت أتناول القهوة مع حسن كامل وبطرس غالي وأشرف غربال عندما دخل علينا فوزي عبد الحافظ رئيس سكرتارية الرئيس الخاصة وأخبرنا أن الرئيس قد اتصل به في الساعة السابعة صباحا في واشنطن حيث كان يقيم وطلب حضوره الى كامب ديفيد على الفور وأنه عند وصوله أبلغه بأن يتخذ الترتيبات لمغادرة الوفد المصري لكامب ديفيد وأن يعد له طائرة هليكوبتر لتنقله إلى واشنطن ظهر اليوم نفسه ، وطلب منا فوزي عبد الحافظ أن نعد حقائبنا على هذا الأساس .

وقد أدهشنا هذا القرار المفاجىء ولم نفهم سره خاصة وأننا كنا معه حتى منتصف ليل أمس ولم يشر الى مثل هذا من قريب أو بعيد ، وكنت أهم بالذهاب إليه لأستعلم عما حدث عندما دق جرس التليفون وكان المتكلم الرئيس السادات وطلب مني أن أتوجه مع

أشرف غربال لمقابلته على الفور .

وعندما دخلنا عليه في صالونه كان يبدو في حالة غير طبيعية ومضطربة وما أن رآنا حتى قال أين فانس ؟ اطلبوا من فانس أن يحضر لمقابلتي حالا ، وسألته ماذا حدث فقال لقد قررت أن أنسحب من مؤتمر كامب ديفيد وأصدرت تعليماتي بذلك وسأسافر الى واشنطن لأجتمع بلجنة الشؤون الخارجية في الكونجرس ثم أعقد مؤتمرا صحفيا وأتحدث في التليفزيون لأوضح ما حدث ثم أعود إلى مصر ، وتذكرت ما قاله لي أسامه عن مقابلته لديان أمس وأعدت سؤالي من جديد ولكن ماذا حدث حتى تتخذ هذا القرار المفاجيء ؟

وقال السادات : إن التفاهم مع بيجن من رابع المستحيلات ، انه يلعب بكارتر الساذج المسكين ، وهو يريد أن نوقع على ما يروق له ونترك الباقي للمستقبل ، وقد قررت ألا أوقع على أى شيء في كامب ديفيد مع الرئيس كارتر حتى لا يصبح ما نوقع عليه أساسا للتفاوض فيما بعد يخضع بدوره للمساومة .

ولم أفهم ما يقصده تماما ، وفي الحقيقة اني كنت قد أصبحت في نظر السادات ، خاصة خلال الأيام الأخيرة ، العقبة في التوصل إلى اتفاق ، وكنت قد أصبحت أيضا شخصا غير مرغوب PERSONA NON GRATA فيه لدى الرئيس كارتر وبطبيعة الحال لدى اسرائيل منذ بداية البداية ، ولعل هذا كان من بين الأسباب التي حدت بالرئيس كارتر الى تولي المفاوضات بنفسه والاتصال بالرئيس السادات رأسا وليس عن طريق الوفد المصري ، ولم يكن السادات يحيطني علما بما يدور بينه وبين كارتر أو وايزمان فيما عدا ما يعتقد أني لن أعترض عليه ، وإنما كان أسامه الباز يخبرني بعض التنازلات التي وافق عليها السادات والتي كان يحاول تداركها في الصياغة الى حد أنه كان يصطدم بالرئيس كارتر بعنف وكان الأخير يقول له ليس هذا ما وافق عليه الرئيس السادات فيرد عليه أسامه بل هذه هى تعليماته لي حرفيا وأنا أنفذها .

وبدا لي أن السبب في ثورة السادات وتفكيره في مغادرة كامب ديفيد هو أنه أدرك أنه قدم تنازلات كثيرة بالنسبة للضفة الغربية وغزة تحت إلحاح الرئيس الأمريكي واستجابة لوعوده المعسولة في تحقيق تسوية شاملة في النهاية ، ثم تبين له أن صديقه والشريك الكامل قد عجز تماما عن استخلاص أي مقابل لما تنازل عنه من مناحم بيجن ، وأفاق على الواقع المزري الأليم وهو أنه حتى سيناء ليس هناك ما يضمن له أن يستعيدها خالية من المستوطنات والمطارات فيكون بذلك قد خيب آمال المصريين بعد أن خسر العرب وخرج من المولد صفر اليدين .

وقلت للرئيس السادات : اني أوافقك مائة في المائة على عدم التوقيع على أية وثيقة في كامب ديفيد ما لم تحدد بوضوح الانسحاب الاسرائيلي من الضفة الغربية وغزة وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، وأتفق معك أيضا في أن الرئيس كارتر قد أبدى ضعفا متناهيا وعجزا كاملا في مواجهة بيجن ، ولكن لابد أن تقابله وتشرح له موقفك حتى لا تستغل اسرائيل ذلك في الوقيعة بيننا وبين الولايات المتحدة وتصور الأمر على أننا لم نعط التفاوض حقه كما فعلت عندما قررت سحب الوفد المصري من اجتماع اللجنة السياسية في القدس ، وسأعد لك في أقل من ساعة بيانا لتقترح على كارتر إصداره ــ أو شيء قريب منه ــ حتى لا يبدو أمام الرأى العام الأمريكي أنه فشل بالكامل في مؤتمر كامب ديفيد على أساس أن المفاوضات قد حققت بعض التقدم إلا أن الهوة مازالت واسعة بين الطرفين للتوصل إلى اتفاق ، وأنه أى الرئيس كارتر سيوالي الاتصال بكل من الطرفين لتحقيق تقدم في المستقبل ، وكان السادات يستمع إلي في هدوء .

www.library4arab.com/vb

وعندما انتهيت من حديثي بدأ أشرف غربال يتكلم ــ ولا أدري لما اختار أن يفعل ذلك باللغة العربية الفصحى ــ وقال إن انسحاب الرئيس من المؤتمر بهذا الشكل بعد أن خصص له الرئيس كارتر كل هذا الوقت سيكون ضربة محرجة للرئيس كارتــر وسيستغلـه

الاسرائيليون ..

وهنا صاح السادات : « أسكت كل كلامك غلط في غلط ، اتصل بفانس لكي يحضر على الفور» وقام أشرف بالاتصال تليفونيا فقالوا له : ان فانس مجتمع بالرئيس كارتر وموشى ديان وانهم سيبلغونه الرسالة على الفور .

وبعد دقائق وصل فانس وجلس معنا وقال الرئيس السادات « لقد وضح أن مؤتمر كامب ديفيد لن ينتهي إلى نتيجة فقد مضى على انعقاده إثنا عشر يوما ولم يتحقق أى تقدم بسبب جمود بيجن وتشبثه بمواقفه البالية ولذلك فقد قررت وقف التفاوض والسفر الى واشنطن حيث التقي برجال الاعلام ورجال الكونجرس وأوضح لهم الموقف المصري والموقف الاسرائيلي ومن الذي تسبب في فشل المؤتمر ثم أعود الى مصر »

وقال فانس بلهجة حازمة « السيد الرئيس إني لا أنصحك بهذا ، فانك إن فعلت ذلك فستسبب خيبة أمل واحراجا بالغا للرئيس كارتر ولن تجني من وراء ذلك شيئا وسيكون المستفيد الوحيد من ذلك هو اسرائيل » .

وبدا على الرئيس السادات بعض الارتباك والتردد ثم قال « أنت تعلم اني وافقت على تنازلات كثيرة حتى اسهل مهمة الرئيس كارتر في التوصل الى اتفاق ، ولكن بيجن لم يتزحزح سنتيمترا واحدا وهو السبب في إفشال المؤتمر ، والاتجاه الآن الى التوقيع على ما تم الاتفاق عليه ، ومعنى هذا أن أوقع على تنازلات لم أكن لأقدم عليها إلا لمساعدة الرئيس كارتر حتى لا ينسب إليه فشل المؤتمر ويضار من جراء ذلك ، وأنا لا أستطيع أن أوقع على شيء ما لم يكن اتفاقا نهائيا متكاملا ــ وهو ما يبدو مستحيلا بسبب تعنت بيجن ــ والا فسيعني ذلك انه في أية مفاوضات مقبلة فسيعتبر مناحم بيجن أو من يخلفه في رئاسة الوزارة أن ما وقعت عليه حق مكتسب له ويضعه في جيبه ، ويسعى إلى الحصول على تنازلات جديدة فيما تبقى من الموضوعات

دون حل على أساس التوصل إلى حل وسط ، وهذا ما لا أستطيعه ولا أوافق عليه إطلاقا ، ويجب أن يكون مفهوما لكم أن ما قدمته من تنازلات قد قدمته من أجل الولايات المتحدة والرئيس كارتر شخصيا وليس من أجل اسرائيل ومناحم بيجن ، وعلى هذا فأنا أرفض التوقيع عليها » . وكنت استمع بمرارة الى حديثه عن هذه التنازلات التي لم يشر اليها قبل ذلك من قريب أو بعيد .

وقال فانس « السيد الرئيس انك تستطيع التحدث الى الرئيس كارتر في هذا الأمر وأنا واثق بأنه سيعمل ما في وسعه لكي تكون راضيا وسأبلغه برغبتك في مقابلته » .

وغادر فانس الاستراحة وخرجت وأشرف مع السادات إلى التراس الخارجي حيث وجدنا باقي أعضاء الوفد واقفين يحدوهم حب الاستطلاع لمعرفة ما الذي دفع الرئيس السادات للتفكير في الانسحاب من المؤتمر ، وجلسنا معهم وظل السادات ساكنا فلم يفه بكلمة ورأيت من المناسب أن أقول شيئا ـ وكان هدفي في الحقيقة هو تشجيع السادات على فكرة انسحابه من المؤتمر ـ فقلت إن الرئيس قد قرر انهاء التفاوض بعد أن بات من المؤكد أننا لن نصل إلى اتفاق مقبول لنا ، وسيجتمع بالرئيس كارتر للاتفاق معه على إخراج ذلك بطريقة لا تكون محرجة للرئيس الأمريكي ، وأيد أغلب الحاضرين فكرة السفر .

بعد ربع ساعة عاد فانس ومعه هارولد براون وزير الدفاع الأمريكي وجلسنا معا وقال فانس للرئيس السادات : ان الرئيس كارتر سيزوره في خلال عشر دقائق ودار حديث عام لم يمس مجريات المؤتمر ، ولم يلبث أن حضر الرئيس كارتر فقمنا لاستقباله وكنت أرغب في حضور مقابلتهما الا أن السادات لم يلبث أن أخذه من يده ودخل إلى الصالون وأغلق الباب عليهما ، وانصرف فانس وبراون وعدت مع باقي أعضاء الوفد الى استراحتنا ننتظر بصبر نافذ انتهاء المقابلة .

وبعد حوالي نصف ساعة أرسل السادات يستدعينا إلى مقابلته ووجدناه منتعشا تبدو عليه دلائل السرور والفخر ، وجلسنا حوله وكلنا آذان صاغية فقال « إن الرئيس كارتر رجل عظيم وذو ذكاء خارق لقد حل المشكلة ببساطة شديدة وأرضني تماما » .

وقلنا « كيف ؟ »

قال « لقد قال لي اني أستطيع أن أعلق الالتزام بأي اتفاق نوقع عليه على موافقة المؤسسات الدستورية في مصر واسرائيل ، أي مجلس الشعب عندنا والكنيست في اسرائيل بحيث إذا رفضاه كلاهما أو أحدهما فان جميع ما اشتمل عليه الاتفاق من التزامات على الجانبين يسقط ويصبح غير ملزم لنا في أية مفاوضات مستقبلية » .

وقلت « المهم ما هو الاتفاق الذي سنوقع عليه ؟ » .

وأجاب السادات « سأوقع على أي شيء يقترحه الرئيس الأمريكي كارتر دون أن أقرأه » .

وساد الصمت برهة ثم قلت وأنا أغلب نفسي لكي أتمالك أعصابي « ولماذا يا ريس توقع عليه دون أن تقرأه ؟ إذا أعجبنا فعلنا والا فلا نوقع » .

وهب السادات واقفا وقال بصوت ملؤه التحدي « بل سأوقع عليه دون أن أقرأه » . واستدار وغادر التراس الى داخل استراحته .

ألا تثق بي يا محمد ؟

بعد ظهر اليوم نفسه كنت مستغرقا في التفكير والتأمل في تصاريف الأقدار التي وضعتني في هذا الموقف وفي اليوم الذي عينني فيه السادات وزيرا للخارجية ، فلم أعد أفهم شيئا مما يدور في عقله أو من تصرفاته وتقلباته غير المتوقعة ، وقلت لنفسي بأن مثل هذا الشخص لو كان رب عائلة صغيرة لسارعت بالحجر عليه فما البال وهو رئيس مصر يتحكم في مصائر أربعين مليونا من البشر .

هل هو بهذه البلاهة أم هل أصابه الجنون ، ولماذا يتحول الى عبد ذليل في حضرة كارتر يتلقى تعليماته كأنه موظف عنده ، ولماذا ..؟ عندما حضر المدلك الخاص للسادات وأبلغني أن الرئيس يدعوني للذهاب اليه مع أسامة الباز على الفور وكان أسامه في استراحته فأرسلت أبلغه ليلحق بي عند الرئيس ومشيت متثاقلا نحو استراحته أحاول أن أستنتج ما سيطلع به علي من جديد .

وعندما وصلت قادني خادمه إلى الصالون وكنت أسمع صوته الجهوري وهو يتكلم في التليفون من غرفة نومه مع السيدة زوجته التي كانت في باريس ويبلغها باحتمال التوصل إلى اتفاق مشرف خلال يوم أو يومين ثم طلب أن يحادث حفيده شريف وظل يقول له « إنت كخه يا شريف » ثم يقهقه ضاحكا ويكرر هذه العبارة ثم هذه القهقهة أكثر من عشرين مرة ، وأخيرا دخل الى الغرفة ورحب بي ترحيبا حارا وسأل عن أسامة فقلت اني أرسلت إليه ليحضر فقال « لقد طلبتك لأخبرك بأن الموقف الصلب الذي اتخذته هذا الصباح مع فانس وكارتر قد حقق نتائج سريعة وممتازة » وقلت » خيرا فقال « انتظر حتى أحضر لك الوثيقة لتراها بنفسك »

وخرج وعاد بعد برهة يحمل ورقة في يده وقال « تعال اجلس بجانبي واقرأ » ، وبدأت في القراءة فقال « لا اقرأ بصوت عال حتى أسمعك » ، وبدأت أفعل ذلك وقبل أن أصل إلى نهايتها دخل أسامه الباز الى الغرفة فرحب به الرئيس وقال « إقرأ من الأول يا محمد حتى يسمع أسامه » .

وشرعت في قراءتها من جديد ، كانت ورقة من صفحة واحدة مكتوبة بخط اليد وموجهة إلى « الرئيس أنور السادات ورئيس الوزراء مناحم بيجن » ومذيلة في آخرها بالحروف الأولى من اسم الرئيس كارتر ج . ك J.C. وكان مضمونها أنه قد مضت مدة كافية على بداية المفاوضات أتاحت لكل جانب إبداء آرائه ووجهات نظره ومواقفه على وجه استوعبه الرئيس كارتر تماما ولذلك فقد قرر

الرئيس كارتر انهاء المؤتمر يوم الأحد القادم الموافق ١٧ سبتمبر (أيلول) ، وهو يدعو الطرفين إلى إبداء ملاحظاتهما النهائية على الصياغة الأخيرة للمشروع الأمريكي الذي سيقدم لهما بعد ظهر هذا اليوم نفسه ، لتكون تحت نظره في موعد أقصاه غدا السبت ١٦ سبتمبر (أيلول) ، وسيتقدم الرئيس كارتر بمشروعه لاطار السلام للتوقيع عليه من جانب الرئيس السادات ورئيس الوزراء بيجن وهو شخصيا بوصفه شاهدا على الاتفاقية ، ويرجو الرئيس كارتر كلا من الطرفين بأن يمتنعا عن الادلاء بأية تصريحات أو تعليقات تتعلق بالاتفاقية بعد أن يتم التوقيع عليها إلى ما بعد انتهائه من إلقاء بيانه أمام جلسة مشتركة لمجلس الكونجرس يوم الاثنين القادم ١٨ سبتمبر (أيلول) .

وعندما انتهيت من قراءتها نظر إلي السادات وقال « هيه ، ما هو رأيك الآن ؟ »

فقلت ببرود « رأيي في ماذا ؟ »

فقال : « عيبك الوحيد يا محمد ان مخك تركي عنيد ولا تريد أن تفهم »

فقلت : « بل إني فاهم تماما » .

فالتفت السادات نحو أسامه وقال « قل له يا أسامه ما هو رأيك ؟ » .

ونظر إلي أسامه وهو يحاول أن يسيطر على تعبيروجهه حتى لا يضحك ولم يتكلم ، فعاد السادات يربت على ركبتي ويقول « أرجوك يا محمد أن تثق بي ، ألا تثق في ؟ » « فقلت « ان المهم هو ما سيتضمنه مشروع كارتر من الناحية الموضوعية ، أما هذه الورقة فلا قيمة لها على الاطلاق » وامتدت يد السادات بسرعة واختطفت الورقة من بين أصابعي وهو يصيح « بل هى وثيقة خطيرة وبخط يد كارتر نفسه وسآخذها معي وأحفظها في خزانتي السرية في مصر حتى يحين الوقت المناسب » .

ونظرت إلى عينيه محاولا أن أستشف هل هو يعتقد حقا أني بهذه السذاجة والحمق أم هل هو يعتقد أنها وثيقة هامة فعلا ؟ وهل هو بكامل قواه العقلية وهل أصيب بانهيار عصبي ، أم هل هو يقوم بمشهد تمثيلي دوامي ؟ ثم نهضت واقفا وقلت عن إذنك وغادرت الغرفة مسرعا .

لم اعد أستطيع الاحتمال ..

عندما عدت إلى الاستراحة وجدتها مكتظة بعدد كبير من أعضاء الوفد وكان من بينهم أحمد ماهر ومحمد ابراهيم شاكر الوزير المفوض بسفارتنا في واشنطن ـ وهو ابن عمي ـ وسألني الحاضرون عن سبب استدعاء الرئيس السادات لي فقلت لا شيء ذو أهمية ثم طلبت من أحمد ماهر ومحمد شاكر أن يصحباني الى الخارج .

ومشينا على غير هدى إلى أن وجدنا فجوة بين الأشجار وبها جذع شجرة ضخم ممدد على الأرض فجلسنا عليه وقلت لهما « لقد وصلت إلى نهاية المطاف ولا بد أن أتخذ قرارا حاسما بالنسبة لموقفي من السادات ، فقد استنفدت كل جهدي وبذلت أكثر من طاقتي في محاولة الحفاظ على مواقفنا من التآكل ، ولكن المشكلة ليست في الموقف الاسرائيلي المتشدد ولا في الخنوع الأمريكي لاسرائيل ، وإنما المشكلة الحقيقية في الرئيس السادات نفسه ، فقد استسلم للرئيس كارتر تماما الذي استسلم بدوره لمناحم بيجن وان أي إتفاقية ستبرم في نهاية الأمر على هذا الأساس ستكون كارثة على مصر وعلى الشعب الفلسطيني وعلى الأمة العربية جميعا ، وقد حرت تماما في تفسير مراميه وسلوكه وتصرفاته غير المفهومة وانتهى تفكيري إلى أنه إما أن يكون في حالة انهيار تام سلبه إرادته ، أو أن تكون التكنولوجيا الأمريكية قد نجحت في السيطرة عليه وتوجيهه مغناطيسيا ، وإما أن يكون قد أصيب بالجنون والعمى معا أو ـ وهو الاحتمال الأكثر

إيلاما ـ أن يكون قد قبل أن يلعب دور كويسلنج في منطقة الشرق الأوسط واختار ـ ويعلم الله منذ متى ـ أن يكون عامل الولايات المتحدة في الانحراف بمصر نحو الانضمام الى حلف استراتيجي أمريكي اسرائيلي مصري .

وفي كل هذه الأحوال فأنا لا أستطيع أن أفعل شيئا ولا مناص أمامي إلا الاستقالة ، فأنا لا أستطيع بحال أن أشارك في مسؤولية الكارثة التي يقودنا اليها أنور السادات . وسأعكف الليلة على كتابتها مسببة وارسالها اليه في صباح الغد ، وأبدى كل من أحمد ماهر ومحمد شاكر تقديرهما لمشاعري وتفهمهما لموقفي تماما .

وظللنا نتناقش بعض الوقت في كيفية إخراج الاستقالة وما تتضمنه من أسباب ، وفي النهاية قال أحمد ماهر ان لديه فكرة فهو يرى أن إرسال استقالة مكتوبة للسادات بينما يقيم على بعد خطوات مني بالاضافة الى ظروف علاقتنا الطويلة الماضية ليست مناسبة ، وقال لي : لماذا لا تذهب غدا إلى الرئيس السادات وتحدثه بصراحة بآرائك وتسترعي نظره إلى المخاطر التي ستنجم عن توقيع اتفاق لا يحقق المطالب العربية المشروعة العادلة فهناك احتمال مهما كان ضئيلا في أن يثوب إلى رشده ويتدارك الأمر فان لم يفعل تعلمه باستقالتك ؟ وفكرت قليلا ثم قلت : نعم سأفعل ذلك .

إنقاذ ما يمكن إنقاذه ..

وفي المساء اطلعت على صورة من المشروع الأمريكي الذي قدم الرئيس كارتر نسخة منه في الساعة السادسة بعد الظهر الى كل من الرئيس السادات ومناحم بيجن ، وكان هذا هو المشروع الأمريكي الرابع والأخير والذي يتضمن العمود الفقري للتسوية بالنسبة للضفة الغربية وغزة ويضع الأسس لاتفاق سلام بين مصر واسرائيل (دون أن يربط ذلك أو يعلقه على تسوية المشكلة الفلسطينية) كي يبدي الرئيس المصري والجانب الاسرائيلي ملاحظاتهما الأخيرة عليه حتى

يتسنى للرئيس الأمريكي مناقشتها مع الجانبين والتوصل إلى اتفاق مشترك بشأنها بحيث يتسنى له إعداد الصيغة النهائية للاتفاقيات حتى تكون جاهزة للتوقيع في الموعد الذي حدده لانتهاء المؤتمر الأحد ٢٧ سبتمبر (أيلول) .

وقد كان هذا المشروع على هوى اسرائيل تماما ــ إن جاز تصور أن هناك حدودا لجشعها أو قناعتها ــ إذ كان يتفق في فلسفته وأرضيته مع مشروع الحكم الذاتي الذي قدمه بيجن منذ البداية في الاسماعيلية ، وإن أدخلت عليه تعديلات تجميلية باعطاء دور مظهري وثانوي لمصر والأردن (فيما لو اختارت الانضمام اليه) في إدارة الضفة الغربية وغزة خلال الفترة الانتقالية لا يقدم ولا يؤخر وإنما يضر في الواقع ، إذ يضفي شعارا من الشرعية الزائفة على الاحتلال الاسرائيلي في خلال تلك الفترة ــ بل وبعد إنتهائها ــ بينما تحتفظ اسرائيل في واقع الأمر بمقاليد الأمور بين يديها ، يؤيدها ويدعمها في ذلك حق « الفيتو » الذي يخوله لها المشروع بالنسبة لأى اجراء لا يتفق مع مراميها وخططها في السيطرة على تلك الاراضي وابتلاعها في النهاية .

ورغم كل ذلك فلم يسلم المشروع من هبش اسرائيل ونهشها لمزيد من التنازلات وادخالها الكثير من التعديلات على المشروع حتى آخر لحظة كما سنبين ، وقد جاهد أسامه الباز وكافح في معركة الصياغة لانقاذ ما يمكن انقاذه ولكن ماذا كان يجدي ذلك في مواجهة تكاتف ثلاثة رؤساء حكومات من بينهم الرئيس المصري نفسه .

الفصل الحادي والأربعون

محاولة اخيرة قبل الاستقالة

ظللت ساهرا أغلب الليل تدور الأفكار في رأسي حول مقابلة السادات في الغد ، ماذا سأقول له ومن أين أبدأ وكيف أنتهي ؟ وجادلت نفسي هل أنا على حق وهو المخطىء أم هل أنا واهم وهو المصيب ؟

ومر في رأسي شريط الأحداث منذ وفدت اسرائيل إلى منطقتنا وخلقت المشكلة الفلسطينية وأشاعت الشكوك والمخاوف في الدول المحيطة بها واستعرضت كل القرارات الدولية ومبادىء العدالة وحقوق الانسان التي كان يتحتم أن تتم في إطارها تسوية النزاع العربي الاسرائيلي ، وانتهيت إلى أن ما هو مطروح علينا وما يبدو أن السادات قد قبل به ، سواء كان ذلك عن وعي وتخطيط أو عن ضعف واستسلام إزاء جمود بيجن والحاح الرئيس كارتر ، بعيد كل البعد عن أن يؤدي إلى السلام العادل الشامل والاستقرار المنشود في منطقة الشرق الأوسط ، بل انه سينحرف بها بعيدا عن ذلك ، ويلقي بها في أغوار سحيقة من الغليان والاضطراب وعدم الاستقرار . فان مؤداه عزل مصر وهى محور الارتكاز وقلب العالم العربى عن سائر دوله وأعضائه ، واطلاق سراح اسرائيل من حصار الحق والعدالة المضروب حولها عربيا ودوليا ـ فيما عدا الولايات المتحدة ـ حتى تسلم بحقوق من سلبتهم حقوقهم ، فينطلق الغول الصهيوني بشعا مدمرا ، أنيابه وأظافره سلاح أمريكا المتطور ، ومحركه ودوافعه غرائز الجشع والطمع والسيطرة على مقدرات المنطقة ومصائر

شعوبها ، والاستئثار بكنوزها وأرزاقها ، وينقض عليها نهبا وقتلا وأرهابا حتى يفرض سيطرته ، ثم يتحول إلى مصر العاجزة المكبلة بما وقعت عليه وقبلته ويفرض عليها ما يشاء أن يفرضه ، وتدخل اسرائيل الدولة الوافدة الطارئة الدخيلة ذات الملايين الثلاثة من المهاجرين في مصاف الدول العظمى تحت اسم امبراطورية آل صهيون التي تضم دولا لها مالها من الثروات الطبيعية والامكانيات البشرية والموقع الاستراتيجي المؤثر .

أين هذا مما بشر به السادات في القدس من سلام شامل يعم المنطقة ، ويشيع فيها الرخاء والاستقرار وتعيش فيه اسرائيل بين جيرانها العرب في أمن وأمان تظلله أحكام القانون الدولي ، وتربطه علاقات السلام والتعاون وحسن الجوار ؟

وتمضي ساعات الليل ويأبى النوم أن ينتشلني وتطوف في ذهني سلسلة مختلطة من الهواجس والمخاوف والمغريات ، هأنذا على بعد آلاف الأميال من وطني وحيدا أعزل في معسكر تحيط به الأسوار وبين قوم بعضهم لا يروق له ما أقول ، والبعض الآخر لا يطيقه ويرفضه ، صحيح أن حولي مجموعة من الشبان الأذكياء الواعين يشاركوني الرأى والمشاعر ، ولكن ماذا في وسعي أو وسعهم أن نفعل إذا كان ذلك لا يقره رئيسي ورئيسهم ؟

وتهاجمني كوابيس بشعة وأرى صورا ومشاهد مما قرأت أو سمعت عن ما تفعله إدارة المخابرات المركزية الأمريكية ومنظمة الموساد الاسرائيلية ، ماذا لو تخلصوا مني بشكل أو بآخر تحت ستار حادث عارض أو زعم مرض مفاجىء ، بل ماذا أفعل لو انفض المؤتمر ومشى أصحابه وتركت بلا صاحب ، لا مال معي ولا حتى جواز سفر يقول من أنا ؟

وماذا عن مستقبلي ومستقبل عائلتي وأولادى وكيف سيعاملني السادات بعد تمردي وعصياني ؟ إني من واقع علاقتي بالسادات والمركز الذي وصلت إليه ، وأنا بعد في منتصف العمر ، أمامي ــ لو

هادنته وسايرته ــ كل ما يمكن أن يصوره أو يحققه الخيال الطموح من مال أو جاه أو نفوذ حتى منصب رئيس الجمهورية نفسه ليس بمستبعد .

ثم تعود إلى ذكرى أبي ، ذلك القاضي الشامخ المعتز بكبريائه الذي صقلته التجارب ، أبي الذي مات وأنا ابنه الوحيد منذ أكثر من ثلاثين عاما وأنا طالب في السنة الثالثة في كلية الحقوق يبلغ من العمر تسعة عشر عاما سجين في سجن مصر العمومي لا يعرف إلى أين المصير ، وترن في أذني كلماته منذ أن كنت طفلا صغيرا .. يابني كل ما أطمع أن أتركه لك هو اسم طيب وتربية كريمة وثقافة واسعة وتعليم عال .. يابني أجمل ما في الحياة أن تعيشها عالي الرأس موفور الكرامة مرفوع الجبين .. يابني لا تبع نفسك أو تذلها أبدا فانك إن فعلت فلن تنعم بالسعادة مهما كان الثمن .. يابني كن شجاعا دائما وقل رأيك ولا تفعل إلا ما يرضي ضميرك وشرفك ثم لا تبالي .

وقلت لنفسي لا لن اسمح أبدا لأحد أن يشير بأصبعه إلى ولدي ويقول إن أباهما قد خرس وجبن عن أن يقول رأيه ورضي بالسكوت عما يعتقد أنه خطأ وبلاء .

غدا أكلم الرئيس بهدوء وأمانة وقوة ، عسى أن يفيق ويهتدي وإلا فليكن ما يكون ، وقد أبرأت ذمتي وأرضيت ضميري ونفذت وصية أبي وحسبي الله ونعم الوكيل .

لا تعذب نفسك ..

في صباح اليوم التالي السبت ١٦ سبتمبر (أيلول) كنت نائما عندما دخل إلى غرفة نومي أحمد ماهر وأحمد أبو الغيط السكرتير الأول بمكتبي ليصحباني إلى الافطار في المطعم كما هي العادة وقلت لهما « انه لا رغبة لي في الطعام فقد أفرطت في التدخين طول الليل » فانصرفا إلى المطعم وبعد برهة عاد أحمد أبو الغيط يحمل صينية صغيرة عليها سندوتشان من الجبن وكوب من الشاى وبرتقالة وأصبع

من الموز ، وكنت لا أزال في سريري فشكرته ولكنه ظل واقفا أمامي لا يتكلم فقلت له « ما بالك ؟ » فقال لا تؤاخذني يا محمد بك فأنت رئيسي ووزيري وأنا بعد شاب صغير ولكني أشعر وأحس تماما بما يعتمل في نفسك ، وإذا أذنت لي فإني أريد أن أقول « لا تعذب نفسك ودع القلق ، والجميع يعلم ويقدر إخلاصك وكل ما فعلته ولن يستطيع أحد أن يلومك على شيء » . وقلت « شكرا يا أحمد لا تقلق بشأني وأنا أعلم ما سأفعله ، اذهب واكمل إفطارك وتركته وذهبت إلى الحمام لأغسل وجهي .

قبلت استقالتك ..

في الساعة الحادية عشرة ذهبت إلى استراحة الرئيس السادات وكان جالسا في التراس ومعه الدكتور بطرس غالي والدكتور أشرف غربال وجلست معهم نتبادل أحاديث خفيفة إلا أن بقاءهما طال ، وكنت أتوق إلى انصرافهما حتى أتكلم مع الرئيس – على انفراد – قبل أن يطرأ ما يحول دون إتاحة فرصة ذلك لي ، وأخيرا دخلت إلى صالون السادات الذي ينفتح على التراس وأصبح ظهر السادات لي فلوحت لأشرف بيدي باشارة كي يأخذ بطرس غالي وينصرفا ثم عدت وجلست وبالفعل بعدها بدقائق قام أشرف واستأذن من الرئيس في الانصراف وصحب بطرس غالي ومضيا .

وحملت مقعدي بالقرب من حيث يجلس السادات وقلت في هدوء « إني أرغب في أن أتحدث إليك لا بوصفي وزيرا للخارجية يتحدث إلى رئيس الجمهورية ، ولكن بوصفي صديقا وأخا أصغر لك ، أكلنا معا العيش والملح في السجن منذ ثلاثة وثلاثين عاما ، وأنت تعلم مدى إخلاصي لك وللحق ، وإني حريص على ألا تقدم على شيء نندم عليه فيما بعد » ، وقال السادات بصوت هادىء « وهل بيني وبينك حجاب يا محمد ؟ قل ما تريد ولا تتردد » .

محمد كامل : لقد اطلعت على المشروع الذي قدمه لك أمس الرئيس

كارتر باطار السلام ، وقد وجدته بعيدا كل البعد عن تحقيق السلام الشامل الذي نستهدفه والذي حددت معالمه بحق ووضوح في خطابك في الكنيست الاسرائيلي عند زيارتك للقدس ، فالمشروع الأمريكي رسم الطريق إلى سلام كامل بين مصر واسرائيل مستقلا تماما عما يجري في الضفة الغربية وغزة ، فلا رابطة بينهما تضمن التزامن بين حل مشكلة سيناء وحل المشكلة الفلسطينية وهى الأصل ، وستكون النتيجة أن ينتهي الأمر إلى معاهدة سلام بين مصر واسرائيل بينما تبقى الضفة الغربية وغزة تحت قبضة اسرائيل تمارس فيها تنفيذ تخطيطها لضم هذه الأراضي في النهاية ، وفيما يتعلق بالضفة الغربية وغزة فالمشروع الأمريكي يعكس فلسفة بيجن في مشروعه للحكم الذاتي ، ويلبي طلبه في تعليق السيادة على هذه الأراضي ، وقد صيغ عمدا بالغموض والميوعة ، وحفل بالثغرات مما يجعل التوصل إلى هدفنا بانسحاب اسرائيل من تلك الأراضي وممارسة الشعب الفلسطيني لحقه في تقرير المصير من رابع المستحيلات ، ويمكن أن تستمر المفاوضات والمراوغات الاسرائيلية بشأنه إلى عشرات السنين في حين أننا نعلم أن كل ما تحتاج إليه اسرائيل هو سنوات قليلة لتكون قد مكنت نفسها من الاستحواذ على الأراضي من الناحية العملية ، وقد زود المشروع الأمريكي اسرائيل بحق « الفيتو » في كل خطوة وعلى أي اجراء قد تراه معوقا لهدفها الواضح في ضم تلك الأراضي ، فمهما أجمع الجانب المصري والأردني وسلطة الحكم الذاتي الفلسطيني على أمر فلن يتحقق ، إذ يشترط المشروع اجماعا كاملا يتضمن موافقة

اسرائيل ، وهناك نقطتان هامتان في هذا الصدد ، الاولى : إننا غير مفوضين من ممثلي الشعب الفلسطيني صاحب الشأن ولا من الدول العربية المشاركة جميعا في تحمل مسؤولية حل المشكلة الفلسطينية في الموافقة والتوقيع على تسوية لهذه المشكلة ، والمشروع الأمريكي بأحكامه وصياغته لن يجتذب الأردن بحال إلى المشاركة في الفترة الانتقالية ، كما أنه لن يحظى بموافقة أي من الدول العربية الأخرى ، ولا بطبيعة الحال بموافقة منظمة التحرير الفلسطينية ، والنقطة الثانية : هي أن الاحتلال الاسرائيلي لأراضي الضفة الغربية وغـزة سيظل دائما احتلالا غير مشروع لأراضي الغير ، ليس له من سند إلا العدوان والقوة الغاشمة وهو لن يكسب اسرائيل حقا مهما طال أمده ، بينما المشروع الأمريكي يحاول أن يضفي على هذا الاحتلال ـ على الأقل خلال فترة السنوات الخمس ـ صيغة من الشرعية مظهرها مشاركة صورية مصرية أردنية فلسطينية ـ المجلس الاداري الذي يباشر الحكم الذاتي ـ وصحيح أن هذه الصيغة الشرعية مطعون فيها بطبيعة الحال ، لأننا غير مفوضين من أصحاب الشأن ولكنك تعلم جبـروت الدعاية الصهيونية الذي سيصور أن وجود السلطة الاسرائيلية وقواتها إنما يستند إلى صك واتفاق وقعت عليه مصر كبرى الدول العربية ودعت إليه الأردن ، ولم يعد مجرد احتلال غير مشروع لا يسانده إلا القوة والبطش والعدوان ، وسيؤدي ذلك إلى تمييع القضية وبعثرة التأييد الدولي على مستوى الدول والرأى العام العالمي الذي جاهدنا طويلا في بنائه ويضعف الضغوط على اسرائيل .

لذلك أرجوك واستحلفك أن ترفض التوقيع على مثل هذا الاتفاق المدمر .

السادات : إنك لا تعلم شيئاً عن العرب ، اسألني أنا إنهم لو تركوا وشأنهم فلن يحلوا أو يربطوا ، وسيظل الاحتلال الاسرائيلي قائما إلى أن ينتهي إلى التهام الأراضي العربية المحتلة ، دون أن يحرك العرب ساكنا غير الجعجعة واطلاق الشعارات الفارغة ، كما فعلوا منذ البداية ولن يجمعوا على حل أبدا .

محمد كامل : إني لا أشاركك الرأى فيما قلته وهو ليس صحيحا على إطلاقه ، فقد اجتمعت كلمة العرب واتحدوا على يديك أنت نفسك وحققوا تضامنا وتكاتفا عظيما ، عسكريا وسياسيا واقتصاديا في حرب اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٣ وبعدها ، وهذه حقيقة واقعة لا يمكن إنكارها ولم يبذر بذور الشقاق والتفتت العربي من جديد غير مجيء كيسنجر إلى المنطقة وتوقيع إتفاقيـة فض الاشتباك الثانية بين مصر واسرائيل ، والآن وقد ظهر العجز والتخاذل الأمريكي عن تحقيق السلام العادل الشامل ألا ترى أن نعود إلى العرب من جديد ، ونبذل جهدا معهم لاستعادة التضامن الذي كان من جديد ، وسيكون موضوعه هذه المرة ليس الحرب بل الحل السلمي كما أشارت إليه مقررات مؤتمر القمة العربي في الرباط ، إنك ستعود إليهم حاملا رصيدا ضخما من التأييد الدولي والوعي العالمي بعدالة القضية العربية حققته مبادرتك ، وستنقشع الخلافات كسحابة صيف وسيلتفون حولك على السلام كما التفوا على الحرب وهذه مسؤولية مصر بوصفها الدولة الأم الرائدة ، ونحن متفاهمون ومتفقون مع السعوديـة والأردن

بالفعل على هذه الاستراتيجية وهم رهن الاشارة ليبدأوا مساعيهم ، فلتعد إلى العرب ولتقم بمبادرة نحوهم كما قمت بمبادرة نحو اسرائيل ، ثم لتعد إليها من جديد على رأس مبادرة عربية شاملة على نفس الأسس التي حددتها في مبادرتك السابقة ، ولكن تحمل ثقل الامكانيات العربية الضخمة الهائلة ولن تقوى اسرائيل هذه المرة على اجهاضها ولا أمريكا على الانحراف بها .

وسكت السادات برهة طالت ، وعيناه شاخصتان إلى الهواء لا تنمان عن شيء ثم قال :

السادات : إن مشروع الحكم الذاتي سيؤدي إلى إلغاء الحكومة العسكرية الاسرائيلية في الضفة وغزة وسيؤدي ذلك إلى رفع المعاناة عن كاهل الفلسطينيين ، وقد أصر الرئيس كارتر على إضافة وصف « الكامل » لعبارة الحكم الذاتي رغم معارضة بيجن الشديدة حتى تكون سلطة الحكم الذاتي كاملة لكل شيء ما عدا بعض المسائل كالأمن ، ولن يكون الفلسطينيون وحدهم ، فسنكون معهم وكذلك الأردن في خلال الفترة الانتقالية ، وإذا لم يقبل الفلسطينيون بالحل الذي تنتهي إليه الفترة الانتقالية فسيكون لهم حق « الفيتو » لأنهم سيصوتون على هذا الحل ، وقد قال لي الرئيس كارتر إن لغة المشروع وصياغته ربما فيها غموض ولكن ليس هذا ذا أهمية ، فالمهم أنه سيكون معنا في مفاوضات الحكم الذاتي كشريك كامل ، وقد أكد لي الرئيس كارتر أنه عندما يعاد انتخابه رئيسا للفترة الثانية فسيكون في وضع قوي جدا ، يمكنه من الضغط على اسرائيل ويستطيع عندئذ تدارك العيوب والنقص في اللغة

والصياغة التي لم يتمكن في الوقت الحالي من التوصل إلى أحسن منها بسبب جمود بيجن وحرص كارتر ألا يفشل المؤتمر ويقضي على عملية التفاوض بين مصر واسرائيل إلى الأبد وتعود احتمالات قيام حرب جديدة وقد أكد لي كارتر مرارا وتكرارا أنه يحس بأن عليه التزاما أدبيا وشخصيا نحو عمل شيء للفلسطينيين وأن هذا ما ستمكنه ، إعادة انتخابه ، من أن يقوم به .

محمد كامل : إننا نخدع أنفسنا إذا فكرنا أن هذا المشروع سينتهي بتحقيق حل عادل للقضية الفلسطينية ، انه سيكون سند اسرائيل وأداتها لتصفية هذه القضية وفقا لنواياها التوسعية ، وهذا رأى كل مستشاري وفدنا بالاجماع ، ولماذا تظن بيجن يحارب ويدقق في كل كلمة يتضمنها المشروع ؟ لأنه متى وقعنا عليه فسيكون هذا هو الأساس الذي يجري عليه التفاوض ولن يستطيع كارتر أو غيره أن يخرج عن نطاق النصوص والصياغات ، ثم ما يدرينا بأن كارتر سيعاد انتخابه فترة جديدة وينفذ وعوده لك ؟

السادات : لا لا .. لقد قال لي الرئيس كارتر أن نجاح مؤتمر كامب ديفيد في التوصل إلى اتفاقيات بشأن إطار السلام الشامل سيؤكد نجاحه في الانتخابات القادمة بسهولة ويسر ، وأنا واثق بأنه سينفذ وعوده لي لأنه رجل قيم ومبادىء .

محمد كامل : ولكن هذه الاتفاقية وفقا للمشروع الأمريكي ـ لن تؤدي إلى حل شامل ، بل ستنتهي إلى صلح منفرد بين مصر واسرائيل ، بينما تظل الضفة الغربية وغزة والجولان تحت السيطرة والاحتلال الاسرائيلي ، وسيؤدي ذلك إلى عواقب وخيمة أخطرها عزل مصر وانعزالها عن

العالم العربي وما سيؤدي إليه ذلك من اطلاق يد اسرائيل في المنطقة ، لماذا لا تصر على ما كنت تنادي به دائما من وجود رابطة بين الانسحاب من سيناء والانسحاب من الضفة الغربية وغزة ، بحيث يسيران جنبا إلى جنب وتعلق كل خطوة في سيناء على خطوة مقابلة في الضفة الغربية وغزة ؟

السادات : ها أنت تردد كالببغاء ما يقوله الاتحاد السوفيتي عن صلح منفرد ، كيف يكون صلحا منفردا إذا كنت سأظل ملتزما بأن أقوم بدور في الحكم الذاتي في الضفة الغربية وغزة خلال فترة السنوات الخمس الانتقالية وحتى تحل القضية الفلسطينية من جميع وجوهها ؟ وما معنى أن أبقي سيناء تحت السيطرة الاسرائيلية حتى تحل المشكلة الفلسطينية لتغمرها اسرائيل بمستوطنات جديدة يوما بعد يوم ، أليس هذا من الغباء ؟ إنك تتكلم لأنك لا تعرف شيئا عن أحوال مصر الداخلية لقد ترك لي عبد الناصر تركة مثقلة بالهموم والمشاكل ، وان أوضاعنا الاقتصادية والاجتماعية في غاية السوء وكل مرافق البلد منهارة ولن تستطيع مصر أن تخرج من أحوالها المتردية إلا إذا حصلت على السلام وكرست كل مواردها للتنمية ، وعندئذ ستكون مصر في مركز أقوى لمساعدة الفلسطينيين في حل مشكلتهم .

محمد كامل : ولكنك لم تقم بمبادرتك على هذا الأساس ، لقد بنيتها على أساس الحل الشامل ، ولو كان الأمر هو استعادة سيناء وإقامة سلام بين مصر واسرائيل فقط لما كان هناك حاجة إلى كل هذا اللف والدوران ، ولهرع إلى القاهرة مناحم بيجن باشارة منك ليوقع مثل هذا

الاتفاق ويعيد سيناء إلى مصر ويقبل ظهر يدك ووجهها ويعود إلى اسرائيل راضيا قرير العين ، وأنا لا أدعي أني أعلم كثيرا عن مشاكل مصر الداخلية فأنت الرئيس وأنت أدرى بها ، ولكن إذا كان الأمر كما تقول فلماذا محاولة التظاهر بأنك تحل النزاع العربي الاسرائيلي حلا شاملا عادلا دائما وتعطي لاسرائيل سندا مزيفا خداعا يتيح لها اغتيال الضفة الغربية وغزة والقضاء على القضية الفلسطينية تحت ستار حل هذه القضية نفسها حلا كريما عادلا ؟ إن رأيي لا يزال هو عدم التوقيع على شيء والعودة إلى العرب والعمل معهم من خلال جبهة واحدة كما أسلفت .. ولكن إذا كنت تقدر أن ظروفنا تحتم علينا التوصل إلى حل مرحلي فوري مع اسرائيل فلماذا لا تعلن ذلك صراحة ، وفي الامكان أن تصدر بيانا تقول فيه : إن مصر وقد تحملت الشطر الأعظم من التضحيات البشرية والمالية والاقتصادية من جراء تصديها للعدوان الاسرائيلي على الدول العربية في أربع حروب ، قد استنفدت كل امكانياتها وطاقاتها وجهودها ، وان ظروفها الاقتصادية والاجتماعية قد تدهورت إلى أوضاع لا تستطيع معها المضي في حالة اللاسلم واللا حرب ، لذا قد قررت ابرام اتفاق مرحلي مع اسرائيل تنهي بمقتضاه حالة الحرب مع اسرائيل ، وانها ستواصل مع باقي الدول العربية والمجتمع الدولي مساعيها السلمية لتحقيق انسحاب اسرائيل من كافة الأراضي العربية المحتلة ، واقامة السلام العادل الشامل في المنطقة ..

السادات (مقاطعا) : ماذا جرى لك ؟ أتريد أن أتعرض لشماتة الاتحاد السوفيتي وحافظ الأسد والقذافي فيقولون : إن

ما ادعوه على مبادرتي منذ البداية من أنها كانت ترمي إلى حل منفرد كان صحيحا ؟

محمد كامل : إنك إذا وقعت على اتفاقية على أساس المشروع الأمريكي فستكون حلا منفردا بكل المعايير ولن تنجح في خداع أحد بغير ذلك ، وأفضل لنا وأشرف أن نقول ذلك صراحة على أن نتستر وراء مسرحية الحكم الذاتي كما وردت في المشروع .

السادات : بل إني أسير على استراتيجية بعيدة المدى ستنتهي بالحل الشامل في الشرق الأوسط وسيكون معنا الرئيس كارتر وستنضم إلينا السعودية والملك حسين .

محمد كامل : إذا وقعت مثل هذا الاتفاق فلن يستطيع كارتر عمل شيء ولن يجذب ذلك السعودية والأردن بحال ، أرجو منك مرة ثانية أن تعيد النظر في الأمر ولنعد إلى مصر ونجري مشاورات مع الدول العربية لنرى ماذا تكون خطوتنا التالية ؟

السادات : لا ، أنا أعلم ما أفعله ، وسأمضي في مبادرتي إلى النهاية .

محمد كامل : إذن فأرجو أن تقبل استقالتي .

السادات : كنت أعلم من البداية انك تلف وتدور لتقول هذا في النهاية .

محمد كامل : لا لقد حاولت إقناعك بما أراه وفشلت ، فلم يبق أمامي إلا هذا المخرج ، فأنا لا أستطيع أن أوافق على شيء يبدو لي من المؤكد خطوة وخطرة ، ولا أنا أستطيع أن أغشك وأغش نفسي وضميري فانه كامن داخلي يعيش معي ليل نهار .

السادات : إذا كان هذا يريحك فاني أقبل استقالتك ، وكل ما

أطلبه منك هو أن تدعها بيننا في الوقت الحالي لا تخبر أحدا بأمرها حتى نعود إلى مصر .

محمد كامل : سأفعل ذلك فليس قصدي إحراجك .

السادات : إذن اتفقنا ، ولتهدأ وتريح أعصابك وسيكون كل شيء على ما يرام في النهاية .

سر بيني وبين السادات ..

غادرت السادات والحزن والأسف يملآن قلبي ولكن من الناحية الأخرى هدأت أعصابي وارتاحت نفسي ، وقابلني أشرف غربال فسألني عما دار بيني وبين السادات وقلت كنت أناقشه في مخاطر المشروع الأمريكي ولكني لم أستطع اقناعه .

وعندما أويت وبطرس غالي إلى غرفة نومنا قال لي « إن حالتك غير طبيعية هذا المساء فأنت تبدو هادئا سعيدا فماذا جرى بينك وبين الرئيس ؟ »

قلت وأنا ابتسم ، « هذا سر بيني وبينه » .

فقال « بل قل لي » .

وأجبت « أعدك بأن أفعل ذلك حال وصولنا إلى القاهرة » .

الفصل الأخير

التوقيع

في اليوم الثالث عشر من بدء مؤتمر كامب ديفيد الموافق الأحد ١٧ سبتمبر (أيلول) كنت خارجا من المطعم بعد أن تناولت إفطاري عندما شعرت بحركة غير عادية تجري في صالة الاحتفالات المتصلة بالمطعم ، فدخلتها بدافع الفضول لأرى ما يحدث فوجدتها قد تغير شكلها تماما فأخليت من الأثاث المريح الذي كان بها وفي آخرها نصبت منصة وعليها منضدة مستطيلة خلفها ثلاثة مقاعد وعلى الحائط علقت ثلاثة أعلام كبيرة هى العلم المصري ثم العلم الأمريكي فالعلم الاسرائيلي ، وأمام المائدة كانت مجموعة من الرجال تقوم بترتيب وضع مقاعد في صفوف متراصة .

وتذكرت على الفور أن اليوم هو موعد التوقيع على الاتفاقيات الذي حدده الرئيس كارتر وأنهم يعدون القاعة لتجرى فيها مراسم التوقيع وأن ذلك قد يحدث في أى ساعة من ساعات النهار وتملكني الذعر فقد أحسست فجأة أني أواجه مشكلة لم أفكر فيها من قبل وهى أني وعدت السادات بعدم إذاعة استقالتي ولكن لم يدر بخلدي على الاطلاق أن أشترك في الاحتفال بالتوقيع على اتفاقيات كنت أعارضها مائة في المائة وكنت عازما على ألا أشارك في هذه المراسم ، ولكن كيف يمكن تبرير غياب وزير خارجية مصر عن حضور هذه المناسبة ؟ ولو كنا خارج هذا المعسكر اللعين لاستطعت التحايل والهرب بشكل ما ولكن في هذه المصيدة أين المفر ؟

وعدت إلى استراحتي مهموما منشغل البال وبعدها ببرهة دخل السفير الأمريكي هيرمان أيلتس ليخبرنا بأنه تقرر أن تتم مراسم التوقيع على الاتفاقيات بعد ظهر اليوم في صالة الاحتفالات ، وعند مغادرته الاستراحة ناديت عليه فجأة فوقف وخرجت معه إلى

الخارج وقلت له : لدي مشكلة ، فقال ما هى ؟ قلت : لقد استقلت وقال أيلتس يا إلهي ، ماذا حدث ؟ قلت أنت تعلم ماذا حدث ، لقد أخبرتك من شهور أني سأفعل ذلك ما لم نتوصل إلى اتفاق مقبول ، فقال : هذا حقيقي وأني أتفهم موقفك ، فقلت : إن المشكلة ليست أني استقلت ولكني وعدت السادات بألا أعلن ذلك في الوقت الحالي وأنا مصمم على عدم حضوري مراسم التوقيع ولا أدري ماذا أفعل ؟

فقال أيلتس : دعني أفكر في الأمر ، وقلت له وهو ينصرف : هرمان أرجو أن يبقى هذا الموضوع سرا بيننا، فقال لا تقلق ، ومشى .

بعدها بساعة اتصل بي أيلتس تليفونيا وقال : لدي أنباء طيبة نسبيا ، فقلت : ماذا ؟ قال : لقد تقرر أن تجرى مراسم التوقيع في واشنطن بدلا من كامب ديفيد .

خرجت للمشى مع أحمد ماهر ورويت له تفصيلا الحديث الذي تم بيني وبين السادات أمس وأنهيت حديثي قائلا : أنا لا أستطيع أن أفهم هذا الرجل ، هل هو ساذج أحمق أم هو خائن لنفسه قبل أن يخون قضيته ؟ وقال ماهر : هذا سؤال محير ، ولكن يخيل إلي أن الرئيس كارتر قد خذله وغرر به فقد بنى كل آماله عليه ووثق في وعوده المعسولة أكثر مما يجب .

وعند عودتنا أبلغت بأن الرئيس السادات قد سأل علي فذهبت إلى استراحته وكان يجلس في التراس مع حسن التهامي وحسن كامل وبطرس غالي وأشرف غربال وأسامه الباز ، وعندما وصلت نهض واقفا واستقبلني بترحاب حار وكأنه لم يرني منذ مدة ودعاني إلى الجلوس بجانبه ، وخيل لي أن الجو المخيم على الجلسة جو كئيب وكأننا في مأتم فقد كان الحديث مفتعلا تشوبه فترات طويلة من السكوت ، ولا يتعرض إلى موضوع الاتفاقية بشكل مباشر ، وإلى قرب التوقيع عليها ، وأحسست أن الحاضرين بمن فيهم السادات يشعرون بأنهم مقدمون على مصيبة أو على الأقل على شيء لا يبعث على البهجة أو الارتياح أما أنا فقد التزمت السكوت التام فقد كنت أشعر

بانقباض شديد ولا أذكر من الذي قال من الحاضرين ان الشيء الذي سيثير معارضة الفلسطينيين هو أن عبارة تقرير المصير في الاتفاقية قد وضعت بشكل غامض غير مباشر، فقال الرئيس السادات لم يمكن ذلك فقد قال لي الرئيس كارتر إن هذه العبارة ستفقده كرسي الرئاسة IT WOULD COST ME MY CHAIR ولم أستطع أن أكبح جماح لساني وانفجرت قائلا بصوت عال منفعل « أهذا هو رئيس أقوى دولة في العالم ؟ أهذا هو القديس الذي كان يدعي أن الدفاع عن حقوق الانسان والمبادىء والقيم هو محور سياسته ؟ إنه ابن كذا وابن كذا .. أمن أجل أن يظل رئيسا لأمريكا ثماني سنوات بدلا من أربع يضحي بمصير شعب بأكمله ؟ ياله من تافه حقير » .

وساد سكون مطبق والجميع يترقب رد السادات وكنت أشعر أنه لو كان أمامه سكين في تلك اللحظة لأغمده في صدري فقد أحس أن ما فعلته غير موجه إلى كارتر وإنما موجه إليه أيضا ، ولكن يبدو أن ما أنقذني أنه كان حريصا على أن يبقى موضوع استقالتي سرا حتى ينتهي المهرجان .

وبعد فترة قهقه السادات بصوت عميق درامي هه ، هه .. هه ..

وقال وهو يضع يده على كتفي : أصلك انت يا محمد مش سياسي ، وقلت : إذا كانت هذه هى السياسة فانه يشرفني ألا أكون سياسيا .

ونهض السادات واقفا وانفض الجمع .

مذبحة التنازلات ..

ولم يقنع مناحم بيجن بكل ما حصل عليه من تنازلات وهيهات أن يشبع نهمه من أكل حقوق الغير أو يرتوي ظمؤه وغليله من شرب دمائهم وامتصاصها ، فلم يكل ولم يمل في تلك الساعات الأخيرة السابقة على التوقيع وظل يحاصر الرئيس كارتر بالالحاح والاستجداء

والوعد والوعيد يبتز منه تنازلا وراء تنازل فلا يجد كارتر . وقد بات فريسة التلهف على توقيع الاتفاقية بأي شكل وبأي ثمن في خلال هذا اليوم ـ مناصا من أن يعود الى السادات ويقتطع من لحمه تلك التنازلات .. وهل يضير الشاة أكلها بعد ذبحها ؟

وكانت الأنباء تتوالى كل ساعة بما يجد في مذبحة التنازلات هذه ، فقد أصر بيجن على حذف الاشارة إلى عبارة عدم جواز اكتساب الأرض بالقوة وقال لكارتر تقطع يدي ولا أوقع عليها ، وكانت النتيجة أن حذفت الاشارة الى هذا المبدأ الدولي الذي كان يتصدر ديباجة القرار ٢٤٢ ، وبصعوبة بالغة استطاع أسامه الباز أن يضيف عند الاشارة الى القرار ٢٤٢ عبارة بكل أجزائه من باب التعويض النسبي .

وفي مقابل كلمة الكامل التي أضافها كارتر إلى عبارة الحكم الذاتي أصر بيجن على النص على عبارة مجلس إداري بين قوسين أمام عبارة سلطة الحكم المحلي حتى يتقلص اختصاص هذه السلطة ويقتصر على المسائل الادارية ويجردها من الاختصاص التشريعي والقضائي ، وحذفت من المادة المتعلقة بالاتفاق بين مصر واسرائيل على الاجراءات المنظمة لحل مشكلة اللاجئين ، الفقرة التي كانت تنص على أخذ قرارات الأمم المتحدة بعين الاعتبار عند بحث هذا الموضوع ، وهى القرارات التي كانت تنص صراحة على حق اللاجئين في العودة والتعويض .

ولم يترك بيجن فقرة أو نصا أو كلمة يشتم منها حق أو شبه حق للشعب الفلسطيني إلا ودمغها بطابعه ما بين تشويهها أو إضفاء اللبس والغموض عليها .

ولست في صدد حصر كل ما فرضته اسرائيل من تعديلات في اللحظات الأخيرة ولكن الجريمة التي لا تغتفر للرئيس كارتر هى خضوعه للضغوط الاسرائيلية التي أدت إلى حذف النص على تجميد المستوطنات الاسرائيلية في الضفة الغربية وغزة خلال مدة السنوات

الخمس الانتقالية ، وهى مادة أساسية كان يتمسك بها الجانبان المصري والأمريكي باصرار على السواء ، فقد كان حكم هذا النص بعد أخذ أمريكا بوجهة النظر الاسرائيلية فيما يتعلق بمشاركة

اسرائيل في الاشراف على سلطة الحكم الذاتي والابقاء على قواتها المحتلة في الضفة الغربية وغزة خلال الفترة الانتقالية ـ بل وبعدها ـ بالاضافة إلى أخذها بما ألحت عليه اسرائيل من تعليق السيادة على الضفة الغربية وغزة إلى ما بعد انتهاء الفترة الانتقالية ، كان حكم تجميد المستوطنات خلال تلك الفترة هو الضمان الوحيد الذي يكفل وقف تدهور الأحوال في الضفة وغزة بعدم إقامة مستوطنات جديدة أو التوسع في المستوطنات القائمة بالفعل ، فقد كان هذا الاستعمار الاستيطاني هو أداة اسرائيل في التهام تلك الأراضي قطعة وراء قطعة وزرعها بالمتعصبين المهووسين الدينيين من جماعات جوش أمونيم وأمثالها ، مما يخلق أوضاعا يستحيل علاجها ويؤثر على الطابع العربي لتلك الأراضي وعلى كثافتها السكانية العربية ، أما بالنسبة لاطار السلام بين مصر واسرائيل فقد تضمن بدوره تعديلات كثيرة لا يعنيني فيها إلا أنها كرست القطيعة بين مصر وبين القضية الفلسطينية ، فقد قضت على أي فكرة للارتباط بين الانسحاب الاسرائيلي من سيناء وتسوية القضية الفلسطينية ، بل بلغت الوقاحة حداً أنها لم تعلق قيام السلام الكامل بين مصر واسرائيل على اتمام الانسحاب الاسرائيلي الكامل من سيناء نفسها بل أضيف إليه حكم بأنه بعد الانسحاب الاسرائيلي الى خط العريش رأس محمد الذي يتم بعد توقيع معاهدة السلام في مدة تتراوح بين ثلاثة وتسعة أشهر تقوم علاقات طبيعية بين مصر واسرائيل تشمل الاعتراف الكامل بما في

ذلك إقامة العلاقات الدبلوماسية وعلاقات اقتصادية وثقافية وانهاء الحصار الاقتصادي .. الخ ، أي يتم كل ذلك وجزء من سيناء مازال تحت الاحتلال يرفرف عليه علم اسرائيل وقواتها قائمة عليه بسلاحها ، ومطاراتها تضج بالحركة ، والمستوطنون الاسرائيليون

يعمرون ويبنون في ياميت وفي مستعمرات رفح وغيرها ، ويقضون عطلتهم على رمال شاطىء شرم الشيخ يمرحون ويلهون .

خيول الملاهي الخشبية

كانت عودة القدس العربية بطبيعة الحال من أولويات اهتماماتنا وقد قدم الجانب المصري عدة صياغات بشأنها ، القاسم المشترك بينها جميعا عودة القدس العربية وفقا لمبدأ عدم جواز اكتساب الأراضي بالقوة وكانت الصياغات المصرية تنص أيضا على عدم تقسيم المدينة وكفالة حرية المرور بالنسبة للجميع الى الأماكن المقدسة بدون تمييز إلا أن اسرائيل رفضت كل صياغاتنا بطبيعة الحال ..

أما الجانب الأمريكي فقد تضمنت مشاريعه بشأن القدس صياغات عائمة مائعة تركز على حرية الانتقال وحرية العبادة وأن تكون الأماكن المقدسة بالنسبة لكل ديانة خاضعة لادارة ممثلي هذه الديانة ، إلا أنها لم تتعرض الى السيادة على القدس أو مصيرها النهائي ولهذا كنا نرفضها بدورنا .

وفي النهاية تم الاتفاق بين الرئيسين كارتر والسادات على اسقاط الاشارة إلى القدس في الاتفاقية نهائيا ، وأن يعالج موضوع القدس عن طريق خطابات متبادلة تلحق بالاتفاقية بين الرئيس السادات والرئيس كارتر من جهة وبين الرئيس كارتر ورئيس الوزراء بيجن من جهة أخرى ، يحدد فيها كل موقفه من موضوع القدس ، فكتب الرئيس السادات خطابا مضمونه أن القدس العربية جزء لا يتجزأ من الضفة الغربية ويجب أن تخضع للسيادة العربية ورد عليه الرئيس كارتر بأنه تلقى خطابه وأنه سيبعث بصورة منه إلى رئيس الوزراء بيجن لعلمه . وأن الموقف الأمريكي من القدس هو كما عبر عنه السفير جولدبرج في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٤ يوليه (تموز) ١٩٦٧ والسفير بوست في مجلس الأمن في ١ يوليه

(تموز) ١٩٥٩ . (والموقف الأمريكي لا يعترف بضم اسرائيل للقدس العربية ولكن بيجن رفض قطعيا أن يحدد الموقف بهذا الوضوح ، ووافق على النص الأمريكي غير المباشر سالف الذكر لتمييع الموضوع) .

وكتب مناحم بيجن إلى الرئيس كارتر خطابا مضمونه أن الكنيست الاسرائيلي قد أصدر في ٢٨ يوليه (تموز) ١٩٦٧ قانونا يخول الحكومة الاسرائيلية سلطات التشريع والادارة على أي جزء من أراضي « اسرائيل ـ فلسطين » وأنه وفقا لهذا القانون فقد قررت حكومة اسرائيل في يوليه (تموز) ١٩٦٧ أن مدينة القدس موحدة ولا يمكن تقسيمها ، وأنها عاصمة دولة اسرائيل ، ورد عليه الرئيس كارتر بأنه سيرسل صورة من خطابه الى الرئيس السادات ، وأن الموقف الأمريكي بشأن القدس هو ما سبق ذكره .

ولست في حاجة إلى التعليق على قيمة هذه الخطابات التي تدور وراء بعضها مثل الخيول الخشبية المثبتة على مراجيح الملاهي ، كل حصان يسير وراء الحصان الذي أمامه دون أن يلحق به أبدا ، ويكفي أن أشير إلى ما ذكره موشى ديان في كتابه بشأن هذه الخطابات من أنه : طالما أن الخطابين الأمريكي والمصري (حول القدس) ليس لهما طبيعة تنفيذية فانهما لا يلزمان اسرائيل بالانسحاب من تلك الأراضي ، وبالتالي فلم تكترث اسرائيل بهذه الخطابات ولم تعارض في تبادلها ولم يكن لدي علم بما يجري بين كارتر والسادات وبيجن في تلك الساعات الأخيرة وقد حضر إلي السفير نبيل العربي مدير الادارة القانونية عندما علم بأمر هذه الخطابات المتبادلة حول القدس وكان منزعجا ورجاني بالحاح أن أذهب فورا للرئيس السادات لأبلغه بأن هذه الخطابات ليست لها أية قيمة قانونية أو عملية ، وأنها لن تحل

الموضوع ، ولم أستطع أن أخبره أني استقلت ، فقلت له : بل اذهب أنت واشرح ذلك للرئيس من الناحية القانونية فأنت أقدر على ذلك فقال بل نذهب معا وسأتولى أنا شرح الجانب القانوني فقلت إني

متعب ورجوته أن يقوم بذلك وحده .

وقد عاد إلي بعد حوالي نصف ساعة وكان وجهه شاحبا ويبدو عليه الانفعال وقص علي القصة التالية : إنه عندما ذهب إلى استراحة الرئيس السادات وجد أن بيجن يزوره ليهنئه بالتوصل إلى اتفاق السلام فانتظر حتى انصرافه ودخل إلى الرئيس فسأله عما يريد فقال إنه يريد أن يعرض عليه الرأي القانوني فيما يتعلق بالخطابات المتبادلة حول القدس فقال له السادات تفضل بالشرح وعندما انتهى العربي من ذلك قال له الرئيس بصوت هادئ مهذب : هل لديك شيء آخر تريد أن تعرضه علي ، فقال لا يا سيادة الرئيس ، فقال السادات : إذن اسمع ما سأقوله لك ، لقد استمعت اليك كما رأيت دون مقاطعة من أجل ألا يقول أحد اني لا أستمع ولا أقرأ كما يشيعون عني ، ولكن إعلم أن كل ما قلته لي قد دخل من أذني اليمنى وخرج من أذني اليسرى ، إنكم في وزارة الخارجية تظنون أنكم تفهمون في السياسة ولكنكم لا تفهمون شيئا على الاطلاق ولن أعير كلامكم أو مذكراتكم أي التفات بعد ذلك ، إني رجل أعمل وفقا لاستراتيجية عليا لا تستطيعون إدراكها أو فهمها ولست في حاجة إلى تقاريركم السفسطائية الهائفة .

ووزيركم محمد كامل يسب اليوم أمامي الرئيس كارتر ألا يفهم أن الرئيس كارتر هو الكارت الرئيسي الذي أحوزه لاقامة السلام الشامل ؟

وسكت الرئيس برهة ثم أضاف : ثم ألا تعلم أن قريبك محمد حسنين هيكل يهاجمني في كل مكان وأنه يتآمر علي لقلب نظام الحكم وأنا لا أبالي بما ينشره من أكاذيب وسخافات بدافع الحقد الأسود ، ولكني لن أسكت عليه في النهاية وسأقطع رقبته . تفضل الآن بالانصراف ولا تعودوا لتتعبوا رأسي وتضيعوا وقتي بأسانيدكم القانونية الفارغة .

وكان الكلام يندفع بسرعة من فم نبيل العربي وهو يقص ما

www.library4arab.com/vb

جرى بجدية وكانت أعصابه مازالت مضطربة من هول ما قاله له رئيس الجمهورية ، وعندما انتهى من كلامه انتابتني نوبة طويلة من الضحك ، وشر البلية ما يضحك ونظر إلي العربي بدهشة ثم لم يلبث أن انضم إلي وشاركني في الضحك .

هبوب العاصفة ..

في حوالي الساعة السادسة هبت فجأة على معسكر كامب ديفيد عاصفة مفاجئة فدوى الرعد ولمع البرق وهطلت الأمطار غزيرة مستمرة وقلت لزملائي في الاستراحة ان السماء غير راضية عما سيحدث اليوم ، وكنت أعد حقيبتي للسفر إلى واشنطن عندما طلبني السفير أيلتس وقال لي ان وزير الخارجية فانس سيطلبني بعد قليل في التليفون لأنه يرغب في لقائي فقلت له أشكرك ، ولم أفهم ما يدعوه ليكلمني ليخبرني أن فانس سيكلمني ، عندما قال : محمد انه يعرف وفهمت أنه يقصد الاستقالة ، فقلت : لقد وعدتني بأنك لن تخبر أحدا ، فقال : إني لم أخبره ، فسألته بدهشة : إذن من فعل ، فقال : لا أستطيع أن أخبرك في التليفون ، وظللت حائرا في الأمر وبعدها بدقائق طلبني فانس ، وقال : لماذا لا تحضر لأقدم لك مشروبا ونتحدث بعض الشيء ، فقلت بكل سرور ولكن العاصفة على أشدها فأجاب أنها ستنتهي بسرعة وسأكون في انتظارك ، وفعلا هدأت العاصفة بعدها بقليل وان استمر نزول الأمطار خفيفة متقطعة ، فأخذت شمسية وخرجت وصحبني أحمد ماهر حتى باب استراحة فانس وانصرف ، وعندما دخلت استقبلني فانس بابتسامته الصافية ودعاني إلى الجلوس ، وبعدها بدقيقة خرج مونديل ــ الذي كان يشاركه الاستراحة ــ من إحدى الغرف حاملا حقيبة وسلم علينا ، وقال إنه في طريق عودته إلى واشنطن على الفور للاشراف على إعداد الترتيبات اللازمة للتوقيع على الاتفاقيات في البيت الأبيض قبل وصول الوفود وبعد انصرافه سألني فانس عما أحب أن أشربه ثم قام

واحد مشروبين وعاد يحملهما ثم قال : لقد أخبرني الرئيس السادات بعد ظهر اليوم باستقالتك ولقد أسفت لذلك جدا ولكني أقدر موقفك وأتفهمه ، فنحن كما تعلم بلد ديمقراطي يقدس حرية الرأى وقد أسف الرئيس كارتر بدوره فهو يكن لك احتراما كبيرا وقد امتدحك الرئيس السادات كثيرا وحدثنا عن علاقاتكما القديمة ، ومن ناحيتي أحب أن أؤكد لك أني سأذكر دائما بالخير تعاملنا معا فلقد كنت دائما شريفا جادا واضحا وأرجو أن نظل أصدقاء ، وشكرت فانس على ما قاله وعبرت له بدوري عن تقديري له ، وسأل فانس عما أعترض عليه في الاتفاقية بوجه خاص ، فقلت اني أعترض عليها من أساسها ، فهي لا تعدو أن تكون نسخة منقحة ومزخرفة من مشروع بيجن للحكم الذاتي ، وقلت لقد أصبت بخيبة أمل كبيرة في الولايات المتحدة التي كنا ننظر لها باعجاب ، ونحفظ مبادىء الرئيس ويلسون ، وبخيبة أمل أكثر في الرئيس كارتر الذي كان ينادي بحقوق الانسان ، وقلت انكم تخليتم عن مواقفكم المعلنة الثابتة بشأن النزاع العربي الاسرائيلي وعن كل المبادىء الدولية ، واعددتم مشروعاتكم من منطلق ما يتقبله بيجن وما يرفضه ، ومارستم كل الضغوط على السادات وحده وفي النهاية توصلتم إلى هذا الاتفاق الذي سيزيد مشكلة الشرق الأوسط تعقيدا ولن يحقق سلاما بل سيكرس الفوضى والاضطراب وعدم الاستقرار فيها وستندمون على هذا الاتفاق الذي سيضعف السادات وقد يؤدي إلى الاطاحة به ، وسيهز الدول العربية المعتدلة التي تصادقكم وستحل عليكم نقمة كل الشعوب العربية ، وأما مصر فستنتهي الى العزلة في المنطقة ولن تقبل أية دولة عربية هذا الاتفاق الذي لن ينفذ ، وكل ما هناك انه سيطلق يد بيجن في الضفة الغربية وغزة لضمها ولن يحقق هذا حلا للنزاع بل سيزيده اشتعالا .

وقال فانس : لقد اتصل الرئيس كارتر اليوم تليفونيا بالملك حسين ودعاه لزيارته وكلف سفيرنا في جدة بتقديم الدعوة إلى الأمير فهد لزيارته . فقلت : إنهما لن يحضرا وقد سبق أن قلت هذا للرئيس

كارتر .

وقال فانس : وما هو رأيك فيما تستطيع أن تفعله لمساعدة الرئيس السادات الآن ؟ قلت : لقد فات الأوان وأضعتم الفرصة بالاستسلام لضغوط بيجن وهذا الاتفاق سيظل وصمة في جبينكم وفي جبين السادات ، قال : إني اعترف بأن الاتفاق ليس منصفا تماما ولكنه خطوة إلى الأمام وسيعمل الرئيس كارتر على ارك أوجه النقص فيه من خلال مفاوضات الحكم الذاتي وهو يشعر بالتزام قوي نحو عمل شيء للشعب الفلسطيني وسيكون في مركز يسمح له بتحقيق ذلك عند إعادة انتخابه .وعاد يسأل ما الذي يستطيعون عمله لمساعدة مصر ، فقلت له ليس أمامكم إلا مساعدتها ماليا واقتصاديا فقال : لقد تكلمت مع وزير الزراعة اليوم بالفعل لزيادة كميات القمح والذرة التي نقدمها لكم ، فقلت : ان المسألة ليست مسألة دقيق وذرة ، إن مصر تحتاج إلى بلايين الدولارات حتى تعيد بناء مرافقها المنهارة والوقوف على قدميها ولكن هل ستسمح لكم اسرائيل بأن تفعلوا ذلك ؟

وكانت الساعة قد قاربت الثامنة والنصف فصافحت فانس وخرجت وكانت العاصفة قد هدأت تماما ، وعندما وصلت الاستراحة كانت الحقائب كلها معدة لنقلها واطلعت على صورة من البرنامج وكان يشمل ساعة ودقيقة اقلاع كل طائرة هليكوبتر وأسماء ركابها — من أعضاء الوفود — وكان من المقرر أن يركب الرؤساء الثلاثة طائرة واحدة معا تقلع في النهاية ، وهنا هبت في وجهي مرة ثانية مشكلة عدم حضور مراسم التوقيع فقد كان البرنامج يحدد موقع نزول الطائرات الهليكوبتر داخل حديقة البيت الأبيض نفسه ثم الانتقال بالسيارات نحو مائتي متر الى مدخل القاعة الشرقية حيث يجرى الاحتفال ، وأحسست أني وقعت في الفخ من جديد وتعلقت آمالي بهرمان أيلتس الذي كان اسمه بين قائمة الركاب في الطائرة التي سأركبها .

وكانت طائرتي تقلع في التاسعة والربع تماما ودعيت مجموعة ركابها للتوجه الى مكان الاقلاع وكان يسير الى جانبي حسن كامل فرأيت ان أخبره باستقالتي حيث شعرت انها ستعرف في خلال ساعة فأصابه الذهول وقال هذا غير معقول وقلت لم يكن أمامي من سبيل آخر ، وبعد اقلاع الطائرة أثرت مع أيلتس مشكلتي من جديد فسألني : هل أنت متأكد من انك لا تريد حضور مراسم التوقيع ؟ قلت : قطعيا ، فقال : سأرى ما يمكن عمله .

وعندما هبطت الطائرة في مهبط البيت الأبيض كانت السيارات المخصصة لركابها في الانتظار وكان مكاني في السيارة رقم واحد ومعي حسن كامل والتهامي وعمرو حمدي الضابط المرافق لي واتجهنا اليها ، إلا أنني توقفت متجمدا أمام بابها المفتوح لا أريد أن أركب فقد ضاع مني أيلتس في الزحام إلا أني لم ألبث أن رأيته قادما نحوي على عجل ، وركب معنا السيارة ويبدو أنه كان يخطر سائق سيارته بأنه لن يركب معه ، وكان حسن التهامي يثرثر بشيء حول موضوع القدس أما أنا فقد ظللت ساكنا وقلبي يدق بقوة ولم تلبث السيارة أن وقفت أمام مدخل القاعة الشرقية وقد وقف أمامها مجموعة من الجنود الأمريكيين والنور ينبعث من النجف المعلق في مدخل القاعة ونزل حسن التهامي وحسن كامل وقال الأخير وباب السيارة مفتوح هيا بنا يا محمد ، فقلت : لا لن أحضر وصاح التهامي : كيف ماذا حصل ؟ وكانت السيارات التي تتبعنا قد بدأت في الوصول وسيارتنا تشغل المكان المواجه للمدخل ، وقال التهامي . هل من المعقول أن وزير الخارجية لا يحضر حفل التوقيع ؟ وقلت : اني لن أحضر وأرجوكم لا داع للالحاح واضاعة الوقت ، فأغلق حسن كامل باب السيارة . أما هرمان أيلتس فقد نزل من السيارة وفتح الباب الذي من ناحيتي وصافحني قائلا : أتمنى لك حظا سعيدا يا محمد ، ثم أصدر تعليماته لقائد السيارة بتوصيل وزير الخارجية الى فندق ماديسون ، وانطلقت السيارة الا أنها لم تلبث أن توقفت أمام احدى

البوابات الحديدية ، وعاودني القلق إلا أن حارس البوابة قام بفتحها وادى لي التحية العسكرية ومضت السيارة في شوارع واشنطن مارة بكابتول هيل وبالمسلة المصرية المقامة في أحد الميادين حتى وصلت الى الفندق وصعدت الى الجناح المخصص لي

أهرامات اجدادنا ..

كان أول ما فعلته أن أخذت دشا ساخنا ثم ارتديت بيجامتي وطلبت من عمرو حمدي أن يطلب لنا العشاء في الغرفة ، وادرت التليفزيون وكان يذيع وقتها وصول الرؤساء الثلاثة للقاعة الشرقية وتوجههم الى المنصة التي وضعت فوقها المنضدة التي سيتم عليها التوقيع وخلفها العلم المصري والعلم الاسرائيلي يتوسطهما العلم الأمريكي ، ودوى التصفيق عند وقوف الرؤساء الثلاثة على المنصة . وكان المدعوون لحضور الحفل يضمون أعضاء الوفود الثلاثة في كامب ديفيد ومجموعة من رجال الكونجرس والشخصيات العامة ، ودارت عدسة التليفزيون نحو المدعوين وتوقفت لحظة على مقعد خال في الصف الأول كان من المفروض أن أشغله ثم عادت الى الرؤساء الثلاثة ، حيث بدأ الحفل بكلمة من الرئيس كارتر أشاد فيها بالرئيس السادات ورئيس الوزراء بيجن اللذين كان الفضل لهما في نجاح مؤتمر كامب ديفيد بسبب نواياهما الخالصة وعزمهما على تحقيق السلام ، ثم عرض مضمون الاتفاقية الخاصة باطار السلام في الشرق الأوسط ، وبعدها إتفاقية اطار السلام بين مصر واسرائيل اللتين سيتم توقيعهما الليلة .

وتكلم بعده الرئيس السادات فتوجه بالشكر والعرفان للرئيس كارتر على كل ما خصصه من وقت ، وقام به من جهد شجاع في سبيل تحقيق السلام وقال : لقد التزمت بأن تكون شريكا كاملا في مسيرة السلام ، وانه ليسعدني أن أقول انك قد وفيت بهذا الالتزام بشرف ، ودعاه الى مواصلة جهوده حتى يتم التوصل الى استكمال مسيرة

السلام بما يؤكد إيمان الشعب الفلسطيني في حقيقة السلام المستهدف .

وتكلم بعد ذلك بيجن وقال : ان مؤتمر كامب ديفيد يجب أن تعدل تسميته الى مؤتمر جيمي كارتر الذي بذل جهودا شجاعة وجبارة لانجاح هذا المؤتمر ، وعمل بجهد واجتهاد يفوق ــ حسب تجربتي التاريخية ــ العمل والجهد الشاق الذي بذله أجدادنا عندما بنوا الأهرامات في مصر ، ودوى ضحك وتصفيق .

وعسى أن يصدقني القارىء عندما أقول ــ من واقع تجربتي البيجينية ــ انه لم يقل هذه العبارة اعتباطا ، وإنما عن عمد وسبق اصرار لعلها تكون تكئة للبناء عليها بالقدر الذي يسمح لاسرائيل في يوم ما بالمطالبة بأهرامات الجيزة كنقطة بداية لتحقيق مطامع أوسع ولم لا ؟

ومضى بيجن يتحدث عن مسار المفاوضات في كامب ديفيد واللحظات الصعبة التي كانت تواجهها ، ولم ينس أن يلذع السادات بوقاحة عندما قال : ان من بين هذه اللحظات مثلا أن يلمح شخص ما بأنه سيعد حقائبه ويغادر المؤتمر ويعود الى بيته ، ودوى الضحك من جديد وشعرت بالاشفاق على السادات .

ووجه بيجن الشكر في خطابه لمعاوني الرئيس كارتر وعلى رأسهم سيروس فانس ، ثم وجه الشكر لمعاونيه هو وعددهم بالاسم وكذا الشكر لأعضاء الوفد المصري الذين عملوا بجد لتحقيق ما نحتفل به في هذه اللحظة وعلى رأسهم نائب رئيس الوزراء التهامي .

وعادت عدسة التليفزيون من جديد تركز على المقعد الخالي ، ثم أعلن الرئيس كارتر انه قد جانت لحظة التوقيع ، وانتهت التوقيعات ثم قام الرؤساء الثلاثة يتعانقون ويهنئون بعضهم بعضا ، ورأيت الرئيس السادات يعانق بحرارة وشغف واقبال مناحم بيجن ، وتعجبت كيف يستطيع أن يفعل ذلك مع شخص قال لي عنه منذ أيام قليلة انه « أحط وأخس عدو » .

وفي اللحظة التي انتهت فيها مراسم التوقيع دق جرس التليفون في غرفتي ورد عمرو حمدي وقال لي انه مراسل وكالة رويتر ، فقلت اني غير موجود وما ان وضع السماعة حتى رن التليفون من جديد وكان المتحدث مراسل وكالة أنباء أخرى واستمر رنين التليفون ، لا يكاد عمرو يغلق السماعة حتى يبدأ من جديد وأدركت أن غياب وزير الخارجية المصري عن حضور حفل التوقيع قد أثار الانتباه ، وفي النهاية اتصلت باستقبال الفندق وطلبت منه عدم تحويل أية مكالمات تليفونية لغرفتي .

وزارني عدد كبير من أعضاء سفارتنا في واشنطن ووفدنا في نيويورك ، وفي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل دخل إلى غرفتي حسن كامل وبطرس غالي والتهامي وأشرف غربال والفريق محمد الماحي كبير ياوران الرئيس الذي كان يقيم في واشنطن أثناء مؤتمر كامب ديفيد ، وقد عبروا لي جميعا عن مشاعرهم الطيبة نحوي ، وقال لي أشرف غربال : انه بعد انتهاء حفل التوقيع على اتفاقيتي كامب ديفيد أمس ذهب الرئيس السادات الى السفارة المصرية حيث تقرر أن يقيم بها خلال مدة وجوده في واشنطن لاعتبارات أمنية ، وانه اجتمع مع رؤساء تحرير الصحف المصرية ليشرح لهم ما تم التوصل اليه في كامب ديفيد ، والخط الاعلامي الذي يسيرون عليه وبعد أن انتهى من ذلك ، سأله رؤساء التحرير عن السبب في عدم حضوري حفل التوقيع ، وقالوا ان هناك شائعات تدور حول استقالتي من منصبي كوزير للخارجية ، ورد عليهم السادات بأن هذا صحيح وطلب منهم عدم نشر الخبر الا عندما يأذن لهم في ذلك ، وأضاف أن استقالتي ترجع الى خلاف في الرأي بيني وبينه واني صديقه وبمثابة ابنه ، ولذا فهو يسترعى نظرهم بألا يمسني أحدهم بسوء فيما قد يكتبه .

وقد ارتحت نفسيا عندما علمت ان خبر الاستقالة قد انتشر وبقيت امامي مشكلة واحدة تقلقني وهى كيف السبيل الى أن أعود

الى مصر دون أن ارتبط بالرئيس السادات وبرنامج سفره عند رجوعه الى مصر ، وقررت أن أذهب وأقابله واتحدث معه في الأمر .

وتوجهت في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي الى السفارة وكان السادات مجتمعا مع صديقه هنري كيسنجر ، وعندما خرج كيسنجر دخلت اليه في صالون السفارة وقد دهش لرؤيتي وقال : فيه حاجه يا محمد ؟ فقلت نعم لقد طلب فانس مقابلتي أمس قبل مغادرتنا لكامب ديفيد وأبلغني انك أخبرته باستقالتي رغم انك طلبت مني الاحتفاظ بها سرا ، وعلمت انك اجتمعت أمس برؤساء تحرير الصحف المصرية وانك أكدت لهم نبأ الاستقالة وطلبت عدم نشره ، كما علمت انك حددت موعدا لمذيعة التليفزيون بربارا ولترز سيحل بعد نصف ساعة من الآن وسوف تسألك قطعا عن موضوع استقالتي فماذا ستقول لها ؟

وسكت قليلا ثم قال : سأقول لها اننا بلد ديمقراطي وان من حقك أن تبدي رأيك وتستقيل دون ان أضعك في معسكر اعتقال .

وقلت : شكرا ، وكنت أهم بمفاتحته في موضوع عودتي الى مصر وحدي بعد هذه المقدمة عندما سألني : وماذا تنوي أن تفعل الآن ؟

قلت : لا شيء سأذهب وأعيش مع عائلتي وولدي اللذين لم أقم معهما منذ عشر سنوات بسبب وجودي في الخارج أثناء دراستهما في مصر ، وقد كبرا وأريد أن استمتع بالمعيشة معهما قبل أن يأخذ كل منهما طريقه في الحياة ويستقل .

قال : اختر لك أي سفارة تريدها .

قلت : ليس لي رغبة في العمل سفيرا ، فقد شبعت من ذلك .

قال : وتظل عاطلا بدون عمل ؟ اختر أي سفارة الآن .

قلت : كيف تتصور أن أعين سفيرا لأنفذ سياسة انا غير موافق عليها ، لا أستطيع أن أفعل ذلك بحال .

قال في غضب : ليس من الضروري أن تعمل شيئا ، استرح

وامض وقتك في النزهة والسياحة .

قلت : لا .. كما اخبرتك اني أريد أن أبقى مع أولادي .

وقال بانفعال : طيب ابق مع أولادك حتى تشبع منهم ، وسأعينك سفيرا في وزارة الخارجية . على أي حال وعندما تغير رأيك سأعينك سفيرا في المكان الذي تحدده .

قلت : افعل ما شئت أما أنا فسأعيش في مصر .

ولم يرد علي وتركني وخرج من الصالون ، وبقيت دون أن أحل مشكلتي المتبقية وهي أن أغادر واشنطن وأعود وحدي الى مصر .

ربطت حزام النجاه ..

وعاودت المحاولة في اليوم التالي الثلاثاء ١٩ سبتمبر (أيلول) فكلفت عمرو حمدي بالاستعلام عن مواعيد الرئيس ، وعلم أنه سيجتمع في الصباح بأعضاء لجنتي الشؤون الخارجية في الكونجرس ثم يزور الرئبس كارتر في البيت الأبيض ويعود الى الغداء في السفارة ، وتابع عمرو تحركات الرئيس عن طريق اتصاله بضباط الرئاسة تليفونيا ، ثم أخبرني أنه غادر الكابتول هيل بعد انتهاء اجتماعه في الكونجرس وأنه في طريقه لزيارة الرئيس كارتر فنزلت وتوجهت الى السفارة وانتظرته هناك ، وبعد حوالي ثلث ساعة وصل الرئيس ، وعندما دخل من باب السفارة كنت في انتظاره فصافحني واتجه نحو المصعد ، فمشيت بجانبه ودخل المصعد فدخلت وراءه وقال : فيه ايه يا محمد اني متعب وأريد أن أستريح ؟ قلت له : لن أعطلك إلا دقائق ، ووقف المصعد في الدور الثاني واتجه السادات الى غرفة نومه ، ودخلت وراءه فقال : ماذا تريد ؟ قلت : أريد أن أستأذنك في السفر الى مصر ، قال ألم نتفق على أن تصحبني في رحلة العودة ؟ وسنقضي يومين في المغرب للراحة وستكون مسرورا ، وكان حرصه على أن أصحبه مقصودا منه، اظهار ان الخلاف بيننا يرجع الى مسائل غير جوهرية ، بدليل ان علاقتنا مستمرة واني

اصحبه في رحلته في كل مكان ، قلت له هذا قبل أن يعرف أحد نبأ الاستقالة ، أما الآن فقد أذاعت كل الصحف النبأ كما أذاع التليفزيون مقابلتك لبربارا ولترز التي أكدت لها فيها استقالتي ، فبأي صفة أذهب معك الى المغرب ؟

فتردد بعض الشيء وقال : اذا أردت رأيي انصحك بالسفر معي ، قلت : لا .. أفضل العودة الآن ، فلابد ان عائلتي قلقة علي من جراء خبر الاستقالة فقال : انت حر إذا أردت العودة ، متى تسافر ؟ فقلت سأحاول السفر اليوم نفسه فقال : مع السلامة .

وكانت الساعة قد بلغت الثانية والنصف بعد الظهر فهرعت الى مكتب محمد شاكر في مبنى المكتب المجاور للسفارة ، وطلبت منه أن يقوم بترتيبات سفري اليوم ، فقال سيكون ذلك صعبا ولكن سأحاول ، ونجح في حجز ثلاثة مقاعد على طائرة شركة الخطوط الجوية العالمية **T.W.A.** المتجهة الى باريس والتي كان موعد اقلاعها من مطار نيويورك الدولي في الساعة السابعة مساء ، وكانت التذاكر لي ولأحمد ماهر وعمرو حمدي وبقيت مشكلة الوصول الى المطار قبل موعد قيام الطائرة ..

وأخيرا وجدنا طائرة تغادر واشنطن الى نيويورك وتصلها قبل موعد قيام الطائرة المسافرة الى باريس بثلث ساعة ولكنها كانت ستهبط في مطار نيويورك الداخلي وليس الدولي والمسافة بينهما حوالي نصف ساعة على الأقل فاتصل محمد شاكر بوزارة الخارجية الأمريكية التي وعدت باعداد ترتيبات خاصة للحاق بالطائرة قبل اقلاعها .

وبالفعل عندما هبطت بنا الطائرة في مطار نيويورك الداخلي وجدنا سيارة بوليس في انتظارنا على باب الطائرة وأمامها موتوسيكل يركبه ضابط وما ان دخلنا السيارة حتى انطلقت مسرعة يسبقها الموتوسيكل وكلاهما يطلق صفاراته المزعجة دون انقطاع ولا يبالي باشارة مرور أو غيرها .. وذكرني ذلك بما كنا نشاهده في الأفلام

الأمريكية في مطاردات البوليس الأمريكي ، والفرق اننا كنا نحن ـ الذين داخل السيارة والناس هم الذين يشاهدوننا ، ووقفت بنا السيارة أمام باب الطائرة في الساعة السابعة وخمس دقائق وكانت محركاتها دائرة بالفعل وتنتظر وصولنا وفقـا لتعليمـات وزارة الخارجية الأمريكية .

وصعدنا الى الطائرة فقادتنا المضيفة الى مقاعدنا ورجتنا ان نربط أحزمة النجاة وبعدها بدقيقة تحركت الطائرة ثم صعدت على الهواء ، وتنفست الصعداء وقلت لنفسي حمدا لله الف حمد ، ونم مستريحا يا أبي .

« انتهى »

الملاحق

policies and actions to the undertakings contained in this Framework.

For the Government of the Arab Republic of Egypt:

For the Government of Israel:

Witnessed by:

Jimmy Carter, President of the United States of America

provide security and respect for the sovereignty, territorial integrity and inviolability of the political independence of each state negotiationg peace through measures such as the following:

(a) The establishment of demilitarized zones;
(b) The establishment of limited armament zones;
(c) The stationing of United Nations forces or observer groups as agreed;
(d) The stationing of early warning systems on the basis of reciprocity;
(e) Regulating the deployment of their armed forces and the types of their armament and weapons systems.

4. Signatories should explore possibilities for regional economic development in the context of both transitional arrangements and final peace treaties, with the objective of contributing to the atmosphere of peace, co-operation and friendship, their common goal.

5. Claims Commissions may be established for the mutual settlement of all financial claims.

6. The United States shall be invited to participate in the talks on matters related to the modes of the implementation of the agreements, and working out the schedule for the carrying out of the obligations of the parties.

7. The United Nations Security Council shall be requested to endorse the peace treaties and ensure that their provisions shall not be violated. The permanent members of the Security Council shall be requested to underwrite the peace treaties and ensure respect for their provisions. They shall also be requested to conform their

sions of Article 33 of the Charter of the United Nations. Disputes that may arise from the application or interpretation of their contractual agreements, shall be settled between the two parties by direct negotiations.

2. In order to achieve peace between them, the parties agree to negotiate, without interruption with the goal of concluding within three months from the signing of this Framework, a peace treaty between them, based on the restoration of full Egyptian sovereignty in the Sinai up to the internationally recognized border between Egypt and mandated Palestine, full peace between Egypt and Israel, security arrangements, and all the elements of a normal, peaceful relationship, while inviting the other parties of the conflict to proceed simultaneously to negotiate and conclude similar peace treaties with a view to achieving a comprehensive peace bin the area.

C. Settlements.

(Language to be inserted)

D. Associated Principles.

1. Egypt and Israel believe that the principles and provisions described below should apply to peace treaties with all neighbors — Egypt, Jordan, Syria and Lebanon.
2. Signatories shall proceed to establish among themselves relationships normal to states at peace with one another. To this end, they should undertake to abide by all the provisions of the Charter of the United Nations. Steps to be taken in this respect include:
   (a) Full recognition: including diplomatic, economic and cultural relations;
   (b) Abolishing economic boycotts and barriers to the free movement of goods and people;
   (c) Guaranteeing that under their jurisdiction the citizens of the other parties shall emjoy the protection of the due process of law.

3. Signatories should agree on the basis of reciprocity to

(a) issues involving interpretation of the agreement or issues unforeseen during the negotiation of the agreement, which are not within the designated authority of the self-rule.

(b) The admission of agreed numbers of persons displaced from the West Bank in 1967 and of Palestinian refugees together with necessary measures in connection with their return to prevent disruption and disorder.

5. Jerusalem, the city of peace, shall not be divided. It is a city holy to Jew, Muslim, and Christian and all peoples must have free access to it and enjoy the free exercise of worship and the right to visit and transit to the holy places without distinction or discrimination. The holy places of each faith will be under the administration of their representatives. For peace to endure, each community in Jerusalem must be able to express freely its cultural and religious values. A representative municipal council shall supervise essential functions in the city. An agreement on relationships in Jerusalem should be reached in the negotiations dealing with the final status of the West Bank and Gazza.

6. Egypt and Israel agree to work with each other and with other interested parties to achieve a just and permanent solution of the problems of the Arab and Jewish refugees.

7. If Jordan is unable to join these negotiations, Egypt, Israel, and the inhabitants of the West Bank and Gazza will proceed to establish and administer the self-governing authority.

B. Egypt-Israel :

1. Egypt and Israel undertake not to resort to the threat or the use of force to settle disputes. Any disputes shall be settled by peaceful means in accordnace with the provi-

U.N., Security Council Resolution 242, including the mutual obligations of peace, the necessity for security arrangements for all parties concerned following the transitional period, the withdrawal of Israeli armed forces, a just settlement of the refugee problem, and the establishment of secure and recognized boundaries in accordance with the Security Council Resolutions 242 and 338. As determined in the peace negotiations, the exact location of the peace boundaries and nature of security arrangements must meet the just requirements of the Palestinians and Israel's security needs. The peace treaty will define the rights of the citizens of each of the parties to do business, to work, to live, and to carry on other transactions in the respective areas.

3. All necessary measures will be taken and provisions made to assure Israeli security during the transitional period and beyond. To assist in providing such security:

   (a) Egypt and Israel propose that Jordanian citizens participate in the police forces of the self-governing authority. The police will maintain continuing liaison on internal security matters with the designated Israeli authorities to ensure that no hostile threats or acts against Israel or its citizens originate from the West Bank or Gazza.

   (b) The nature of the Israeli security presence would be handled in the negotiations described above.

4. During the transitional period, the negotiating parties (Egypt, Israel, Jordan, the self-governing authority) will constitute a following-up committee to decide by unanimous agreement:

should give due consideration both to the principle of self-rule by the inhabitants of these territories and to the legitimate security concerns of the parties involved.

(b) Egypt, Israel, and Jordan shall determine the modes of setting up the elected self-governing authority in the West Bank and Gazza. The delegations may include Palestinians from the West Bank and Gazza. The parties will negotiate an agreement which will define the powers and responsibilities of the self-governing authority to be exercised in the areas now under the jurisdiction of the military government. In the West Bank and Gazza the withdrawal of Israeli armed forces will take place and there will be a redeployment of some of them into mutually agreed security locations. It will also include arrangements for assuring internal and external security and public order, including the respective roles of Israeli, Egyptian and Jordanian armed forces and local police.

(c) When the self-governing authority in the West Bank and Gazza is established, the transitional period of five years will begin, as soon as possible, but no later than two years after the beginning of the transitional period, Egypt, Israel, Jordan and the self-governing authority in the West Bank and Gazza will undertake negotiations for a peace treaty which will settle all outstanding issues between the parties after the transitional period: the final status of the West Bank and Gazza after the transitional period and its relationship with its neighbors on the basis of all of the principles of

A. West Bank and Gazza

1. Egypt and Israel will particpate in negotiations to solve the Palestinian problem in all its aspects. The solution must recognize the legitimate rights of the Palestinians and enable the Palestinians to participate in the determination of their own future.

2. To this end, negotiations relating to the West Bank and Gazza should provide for links between these areas and Jordan and should proceed in three stagees:

   (a) Egypt and Israel hereby agree that the following should be the main principles of a settlement in the West Bank and Gazza, in order to ensure a peaceful and orderly transfer of authority: there should be transitional arrangements for the West Bank and Gazza for a period not exceeding five years. In order to provide full autonomy to the inhabitants, under these arrangements the Israeli military government and administration will be abolished and withdrawn as soon as a self governing authority can be freely elected by the inhabitants of these areas to replace the existing military government. This transitional arrangement should derive its authority for self-rule from Egypt, Israel, and Jordan, (when Jordan joins the negotiations). To negotiate the details of a transitional arrangement, the Government of Jordan will be invited to join the negotiations on the basis of this Framework. These new arrangements

tions between nations. Progress toward that goal can accelerate movement toward a new era of reconciliation in the Middle East marked by co-operation in promoting economic development, in maintaining stability, and in assuring security.

— Security is enhanced by a relationship of peace and by co-operation between nations which enjoy normal relations. In addition, undert the terms of peace treaties, based on the principle of reciprocity the sovereign parties can agree to special security arrangements such as demilitarized zones, limited armament areas, early warning stations, special security forces, liaison, agreed measures for monitoring, and other arrangments to be agreed on.

Agreement

Taking these factors into account, Egypt and Israel are determined to reach a just, comprehensive, and durable settlement to the Middle East conflict through the conclusion of peace treaties which will be negotiated on the basis of Security Council Resolutions 242 and 338 in all their parts. Their purpose is to achieve peace and good neighborly relations. They recognize that, for peace to endure, it must involve all those who have been principal parties to the Arab-Israeli conflict; it must provide security; and it must give the peoples who have been most deeply affected by the conflict a sense that they have been dealt with fairly in the peace agreement. They therefore agree that this Framework as appropriate is intended by them to constitute a basis for peace not only between Egypt and Israel, but also between Israel and each of its other neighbors prepared to negotiate peace with Israel on this basis. With that objective in mind, they have agreed to proceed as follows:

reception of these missions by the peoples of both countries, have creatded an unprecedented opportunity for peace which must not be lost if this generation and future generations are to be spared the tragedies of war.

— The provisions of the U.N., charter and the other accepted norms of international law and legitimacy now provide accepted standards for the conduct of relations among all states

— The only agreed basis for a peaceful settlement of the Arab-Israeli conflict is the United Nations Security Council Resolution 242, supplemented by Resolution 338. Negotiations based on the principles of Resolution 242 are necessary with respect to all fronts of the confllict — the Sinai, the Golan Heights, the West Bank and Gazza, and Lebanon. Resolution 242 in its preamble emphasizes the obligation of Member States in the United nations to act in accordance with Article 2 of the Charter. Article 2, among other points, calls for the settlement of disputes by peaceful means, and for Members to refrain from the threat or use of force. Egypt and Israel in their agreement signed September 4, 1975, agreed: "The Parties hereby undertake not to resort to the threat or use of force or military blockade against each other." They both have also stated that there shall be no more war betweenthem. In a relationship of peace, in the spirit of Article 2, negotiations between Israel and any neighbor prepared to negotiate peace and security with it should be based on all the provisions and principles of Resolution 242, including the inadmissibility of the acquisition of territory by war and the need to work for a just and lasting peace in which every state in the area can live in security, within secure and recognized borders.

— Peace is more than the juridical end of the state of belligerency. It should encompass the full range of normal rela-

الملحق رقم (٤)

نص المشروع الأمريكي المقدم ردا على المشروع المصري
(اطار التسوية السلمية)

A FRAMEWORK FOR PEACE IN THE MIDDLE EAST AGREED AT CAMP DAVID

Muhammad Anwar al-Sadat, President of the Arab Republic of Egypt, and Menachem Begin, Prime Minister of Israel, met with Jimmy Carter, President of the United States of America, at Camp David from September 5 to ——, 1978, and have agreed on the following framework for peace in the Middle East. They invite other parties to the Arab-Israeli conflict to adhere to it.

Preamble

The search for peace in the Middle East must be guided by the following:

— After four wars during thirty years, despite intensive human efforts, the Middle East, which is the cradle of civilization and the birthplace of three great religions, has not yet enjoyed the blessings of peace. The people of the Middle East yearn for peace so that the vast human and natural resources of the region can be turned to the pursuits of peace and so that this area can become an example of coexistence and co-operation among nations.

— The historic initiative of President Sadat in visiting Jerusalem and the reception accorded to him by the Parliament, government and people of Israel, and the reciprocal visit of Prime Minister Begin to Ismailia, the peace proposals made by both leaders, as well as the warm

الملحق رقم (٣)

اطار التسوية السلمية الشاملة لمشكلة الشرق الأوسط

انطلاقا من المبادرة التاريخية للرئيس السادات ، تلك المبادرة التي أحيت آمال كافة شعوب العالم في ايجاد مستقبل اسعد للبشرية .

وبالنظر الى تصميم شعوب الشرق الأوسط ـ وجميع الشعوب المحبة للسلام ـ على وضع نهاية لآلام الماضي وانقاذ هذا الجيل والأجيال القادمة من آثام الحرب وفتح صفحة جديدة في تاريخها ايذانا بعهد جديد من الاحترام المتبادل والتفهم .

عازمين على جعل الشرق الأوسط ـ الذي كان مهد الحضارة ومهبط الرسالات السماوية ـ نموذجا مشرقا للتعايش والتعاون بين الأمم .

مصممين على احياء تقاليد التسامح والقبول المتبادل ونبذ الضغائن والاحقاد والتفرقة .

مصممين على الاحتكام في علاقاتهم الى نصوص ميثاق الأمم المتحدة والقواعد المستقرة للقانون الدولي والشرعية .

ملتزمين باحترام الاعلان العالمي لحقوق الانسان نصا وروحا .

راغبين في أن يقيموا بينهم علاقات حسن جوار لأعلان مبادىء القانون الدولي الخاصة بالعلاقات الودية والتعاون بين الدول طبقا لميثاق الأمم المتحدة .

مدركين أن اقامة السلام وعلاقات حسن الجوار يجب أن تبنى على أساس الشرعية والعدالة والمساواة واحترام الحقوق الاساسية ، وعلى حرص كل طرف ـ في تصرفاته والدعاوى التي يقدمها ـ على

الرضوخ لحكم القانون والاستعداد الأصيل لتحمل التزامه بعدم الافتيات على سيادة جيرانه وسلامة اقليمهم .

مسلمين بأن الاحتلال وانكار حقوق الشعوب وأمانيهم المشروعة في الحياة والتطور بحرية يتعارضان تماما مع روح السلام .

ومراعاة للمصالح الحيوية لجميع شعوب الشرق الأوسط ومصلحة العالم قاطبة في تدعيم السلم والأمن الدوليين .

(مادة أولى)

يعرب الاطراف عن تصميمهم على التوصل الى تسوية شاملة لمشكلة الشرق الأوسط بتوقيع معاهدات سلام على أساس التنفيذ الكامل لقراري مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ بجميع أجزائهما .

(مادة ثانية)

يوافق الاطراف على أن اقامة سلام عادل ودائم بينهم يستلزم الوفاء بما يلي :

أولا : انسحاب اسرائيل من الأراضي المحتلة طبقا لمبدأ عدم جواز الاستيلاء على الأرض عن طريق الحرب .

يتم الانسحاب من سيناء والجولان الى الحدود الدولية بين فلسطين (تحت الانتداب) وكل من مصر وسوريا .

ويتم الانسحاب من الضفة الغربية الى خطوط الهدنة الواردة في الهدنة بين اسرائيل والاردن عام ١٩٤٩ ، واذا ما اتفقت الاطراف المعنية على ادخال تعديلات طفيفة على هذه الخطوط ، فانه يكون مفهوما أن مثل هذه التعديلات يجب ألا تعكس ثقل الغزو .

وسوف تطبق اجراءات الأمن المنصوص عليها فيما بعد في الضفة الغربية بهدف التجاوب مع تطلع الطرفين الى تحقيق أمنهما ، وكذلك الحفاظ على حقوق وأماني الشعب الفلسطيني .

يتم الانسحاب من قطاع غزة الى خط الهدنة المبين في اتفاقية الهدنة المبرمة عام ١٩٤٩ بين مصر واسرائيل .

ويبدأ الانسحاب الاسرائيلي فور توقيع معاهدات السلام ،

وينتهي طبقا لجدول زمني يتفق عليه خلال الفترة المشار اليها في المادة السادسة .

ثانيا : ازالة المستوطنات الاسرائيلية في الأراضي المحتلة طبقا لجدول زمني يتفق عليه خلال الفترة المشار اليها في المادة السادسة .

ثالثا : ضمان الأمن والسيادة والسلامة الاقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة وذلك عن طريق الترتيبات التالية :

أ ــ اقامة مناطق منزوعة السلاح على جانبي الحدود .

ب ــ اقامة مناطق محدودة التسليح على جانبي الحدود .

جـ ــ وضع قوات تابعة للأمم المتحدة على جانبي الحدود .

د ــ وضع نظم انذار مبكر على أساس المعاملة بالمثل .

هـ ــ تحديد نوعية الأسلحة التي تحصل عليها الدول الاطراف ونظم التسليح فيها .

و ــ انضمام جميع الأطراف الى معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية . وتعهد الاطراف بعدم انتاج أو حيازة الأسلحة النووية أو أى مواد نووية متفجرة أخرى .

ز ــ تطبيق مبدأ المرور البري على الملاحة في مضايق تيران .

جـ ــ اقامة علاقات سلام وحسن جوار وتعاون بين الاطراف .

رابعا : تعهد جميع الاطراف بعدم اللجوء للتهديد بالقوة أو استخدامها لتسوية المنازعات بينهم ، وحل ما يثور من منازعات بالوسائل السلمية طبقا لأحكام المادة ٣٣ من ميثاق الأمم المتحدة .

كما يتعهد الأطراف بقبول الاختصاص الالزامي لمحكمة العدل الدولية بالنسبة لجميع المنازعات الناجمة عن تنفيذ أو تفسير الارتباطات التعاقدية بينهم .

خامسا : بمجرد التوقيع على معاهدات السلام ، تلغى الحكومة العسكرية الاسرائيلية في الضفة الغربية وغزة ، وتنتقل السلطة الى الجانب العربي على نحو سلمي منظم ، وتكون هناك فترة انتقالية لا تتجاوز خمسة أعوام من تاريخ توقيع هذا « الاطار » ،

يتولى الاردن خلالها الاشراف على الادارة في الضفة الغربية وتتولى مصر الاشراف على الادارة في قطاع غزة .

وتؤدى مصر والاردن مهمتهما بالتعاون مع ممثلي الشعب الفلسطيني المنتخبين انتخابا حرا ، والذين يمارسون السلطة المباشرة في ادارة الضفة الغربية وغزة في نفس الوقت الذي تلغى فيه الحكومة العسكرية الاسرائيلية .

وقبل انقضاء الفترة الانتقالية بستة أشهر ، يمارس الشعب الفلسطيني حقه الاساسي في تقرير مصيره ويمكن من اقامة كيانه الوطنـــي ، وســـوف توصى مصر والاردن ــ بحكم مسئوليتهما في غزة والضفة الغربية ــ بأن يكون هذا الكيان مرتبطا بالأردن حسبما يقرره الشعبان .

وسوف يمكن اللاجئون الفلسطينيون والنازحون من ممارسة حقهم في العودة أو التعويض طبقا للقرارات الصادرة من الأمم المتحدة في هذا الشأن .

سادسا : تنسحب اسرائيل من القدس الى خط الهدنة المبين في اتفاقية الهدنة الموقعة عام ١٩٤٩ طبقا لمبدأ عدم جواز الاستيلاء على الأرض بطريق الحرب ، وتعود السيادة والادارة العربية الى القدس العربية .

ويشكل مجلس بلدي مشترك للمدينة من عدد متساو من الاعضاء الفلسطينيين والاسرائيليين ، يعهد اليه بتنظيم الشئون التالية والاشراف عليها :

أ ــ المرافق العامة في كل أنحاء المدينة .

ب ــ النقل العام والمرور في المدينة .

جـ ــ الخدمات البريدية والهاتفية .

د ــ السياحة .

ويتعهد الاطراف بضمان حرية العبادة وحرية الوصول الى الاماكن المقدسة وزيارتها والمرور اليها دون أى تفرقة أو تمييز .

سابعا : بالتوازي الزمني مع تنفيذ النصوص المتعلقة بالانسحاب ، سوف يمضي الاطراف الى اقامة العلاقات التي تقوم عادة بين الدول التي هي في حالة سلام مع بعضها البعض ، وسعيا وراء هذا الهدف يتعهدون بمراعاة جميع نصوص ميثاق الأمم المتحدة .

وتشكل الخطوات التي تتخذ في هذا الصدد ما يلي :

أ ــ الاعتراف الكامل .

ب ــ انهاء المقاطعة العربية .

جـ ــ ضمان حرية المرور في قناة السويس طبقا لأحكام اتفاقية القسطنطينية المبرمة عام ١٨٨٨ والاعلان الصادر من الحكومة المصرية في ٢٤ ابريل (نيسان) ١٩٥٧ .

د ــ توفير الحماية القانونية لمواطني كل طرف في الدول الاخرى الاطراف .

ثامنا : تتعهد اسرائيل بدفع تعويضات شاملة عن الاضرار الناجمة عن العمليات التي قامت بها قواتها المسلحة ضد السكان والمنشئات المدنية ، وكذلك عن استغلالها للموارد الطبيعية في الاراضي المحتلة .

(مادة ثالثة)

بمجرد توقيع هذا « الاطار » ــ الذي يشكل كلا متوازنا ومتكاملا يضم جميع حقوق والتزامات الاطراف ــ تكون الاطراف الاخرى مدعوة للانضمام اليه في اطار مؤتمر جنيف للسلام في الشرق الأوسط .

(مادة رابعة)

سوف يشترك ممثلو الشعب الفلسطيني في محادثات السلام التي تجرى بعد توقيع هذا « الاطار » .

(مادة خامسة)

سوف تشترك الولايات المتحدة في المحادثات المتعلقة بكيفية

تنفيذ الاتفاقيات والتوصل الى الجدول الزمني المحدد لتنفيذ التزامات الاطراف .

(مادة سادسة)

تبرم معاهدات السلام خلال ثلاثة اشهر من تاريخ توقيع الاطراف المعنية لهذا « الاطار » ايذانا ببدء عملية السلام وانطلاق ديناميكية السلام والتعايش .

(مادة سابعة)

سوف يطلب من مجلس الأمن ان يضمن معاهدات السلام ويتحقق من احترام جميع احكامها ، وكذلك ان يضمن الحدود بين الدول الاطراف .

(مادة ثامنة)

سوف يطلب من الاعضاء الدائمين في مجلس الامن ان يضمنوا مراعاة احكام معاهدات السلام بدقة ، وتتعهد هذه الدول ايضا بأن تكون سياساتها ومعاملاتها متفقة مع التعهدات الواردة في هذا الاطار .

(مادة تاسعة)

تضمن الولايات المتحدة تنفيذ « الاطار » ومعاهدات السلام تنفيذا كاملا وبحسن نية .

(E) Other issues considered appropriate by all parties.

4. Israel shall withdraw from the West Bank (including Jerusalem) and Gazza Strip occupied since June 1967. The Israeli withdrawal applies to the settlements established in the occupied territories.
5. The Israeli military government in the West Bank and Gazza Strip shall be abolished at the outset of the transitional period. Supervision over the administration of the West Bank shall become the responsibility of Jordan, and supervision over the administration of Gazza Strip shall become the responsibility of Egypt. Jordan and Egypt shall assume their responsibility in co-operation with freely elected representatives of the Palestinian people who shall hold the administration of the West Bank and Gazza. The U.N., shall supervise and facilitate the Israeli withdrawal and the restoration of Arab authority.
6. Egypt and Jordan shall guarantee that the security arrangements to be agreed upon will continue to be respected in the West Bank and Gazza.

الملحق رقم (٢)

نص المشروع المعدل المقدم من وزير الخارجية المصري إلى
السفير الأمريكي أيلتس بتاريخ ١٥ يونيو (حزيران) ١٩٧٨

Proposals Relative to Withdrawal From the West Bank and Gazza and Security Arrangements

1. The establishment of a just and lasting peace in the Middle East necessitates a just solution of the Palestinian question in all its aspects on the basis of the legitimate rights of the Palestinians people taking into consideration the legitimate security concerns of all parties.

2. In order to ensure a peaceful and orderly transfer of authority there shall be a transitional period not exceeding five years at the end of which the Palestinian people will be able to determine their own future.

3. Talks shall take place between Egypt, Jordan, Israel and representatives of the Palestinian people with the participation of the U.N., with a view to agreeing upon :

(A) Details of the transitional regime;
(B) Schedule for the Israeli withdrawal;
(C) Mutual security arrangements for all the parties concerned during and after the transitional period.
(D) Modes for the implementation of relevant U.N., resolutions on Palestinian refugees.

spiritual and religious character of the city of Jerusalem, the special representative shall determine the required measures to ensure the free exercise of worship. The freedom of access, visit and transit to the holy places shall be guaranteed without distinction or discrimination.

2. The inhabitants of the West Bank and Gazza Strip, who left the area since the outbreak of hostilities in June 1967, would be allowed to return in accordance with the Security Council Resolution 237 (1967).
3. The administration of the West Bank and Gazza during the transitional period will be vested in the United Nations. The Secretary General of the United Nations will be requested to designate a special respresentative to carry out administrative affairs, with the participation of representatives of the Palestinian People. The Special Representative may call upon the assistance of Jordan with respect to the West Bank and the assistance of Egypt with respect to the Gazza Strip.
4. The responsibility for the maintenance of law and order during the transitional period will be handed over to the special representative of the Secretary General.
5. A plebiscite shall be held during the transitional period under the auspices of the United Nations. In the plebiscite the Palestinian People shall determine their political status and possible link with Jordan. Modes of the plebiscite shall be worked out by the special representative of the U.N., Secretary General.

IV:

1. Israel shall withdraw from Jerusalem in accordance with the principle of inadmissibility of acquisition of territory by war.
2. The special representative of the United Nations Secretary General shall take up his residence in Jerusalem.
3. In order to protect and preserve the unique

II. In fulfilment of the above-mentioned principles, a final settlement of the Palestinian question shall consist of :

1. Israel's withdrawal from the territories occupied in June 1967 including Jerusalem, the the West Bank and Gazza strip. The Israeli withdrawal includes the settlements established by Israel in the occupied territories.
2. The exercise by the Palestinian People of their right to self-determination, freely and without external interference, in accordance with the United Nations Charter.
3. Implementation of the General Assembly Resolution 194 (III) which stipulates, with regard to the Palestinian refugees of 1948, that the refugees wishing to return to their homes and live at peace with their neighbours should be permitted to do so at the earliest practicable date, and that compensation should be paid for the property of those choosing not to return and for loss of or damage to property which, under principles of international law or in equity, should be made good by the responsible governments or authorities.
4. Appropriate arrangements shall be established for the mutual guarantee of the sovereignty, territorial integrity and political independence of the States concerned.

III. Transitional Period :

1. There shall be a transitional period, not exceeding five years leading the Palestinian People to the exercise of their right to self-determination in an orderly and peaceful atmosphere.

الملحق رقم (١)

نص المشروع المقدم من وزير الخارجية المصري إلى السفير
الأمريكي أيلتس بتاريخ ١ مايو (أيار) ١٩٧٨

Guidelines for the Solution of the Palestinian Question

I. The establishment of a just and lasting peace in the Middle East necessitates a just solution of the Palestinian question in all its aspects. This solution should be based on the principles of the United Nations Charter; particularly the following principles:

1. The principle of the inadmissibility of the acquisition of territory by war;
2. The principle of equal rights and self-determination of people, by virtue of which all people have the right to freely determine, without external interference, their political status and to pursue their economic, social and cultural development, and the duty of every state to respect this right in accordance with the provisions of the Charter;
3. Respect for an acknowledgement of the sovereignty, territorial integrity and political independence of every state (in the area), and their right to live in peace within secure and recognized boundaries free from threats or acts of force.

الفهرس

الموضوع رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الفصل السابع :

الفصل الثامن :

الفصل التاسع :

الفصل العاشر :

الموضوع — رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الفصل الرابع عشر :

الفصل الخامس عشر :

الفصل السادس عشر :

الموضوع | رقم الصفحة

الموضوع رقم الصفحة

الموضوع رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

www.library4arab.com/vb

كشـــاف الأعــلام

إعداد : علي ابراهيم

(الأسماء العربية مفهرسة حسب الاسم الأول .. والاسماء الأجنبية مفهرسة حسب اسم العائلة ، فيما عدا الاعلام ، التي تستند شهرتها إلى الاسم الأول)

www.library4arab.com/vb

رقم الايداع ٧٨٦٧ / ٨٦

الترقيم الدولى ٧ ــ ٠٦٦ ــ ٤٤٢ ــ ٩٧٧

تعتبر مذكرات « محمد ابراهيم كامل » – وزير الخارجية المصرى الاسبق – واحدة من اخطر المذكرات السياسية التى صدرت فى التاريخ العربى الحديث ، ذلك أنها تكشف جانباً هاماً من اسرار المفاوضات التى انتهت بتوقيع اتفاقيات كامب ديفيد وادت إلى خروج مصر من المواجهة مع العدو الاسرائيلى .

وقيمة هذه المذكرات الاساسية ، لا تكمن فحسب فى ان صاحبها كان فى المكان الذى يتيح له ، أن يشاهد بنفسه ويسمع بأذنية ، جوانب رئيسية من الطريقة التى ادار بها السادات ، المفاوضات ، مع الطرفين الامريكى والاسرائيلى ، مما لم يذع ، قبل نشر هذه المذكرات لاول مرة عام ١٩٨٣ ، ولكنها تعود أساسا الى أن صاحبها ، لم يكن صاحب موقف ضد « مبادرة » السادات ، بزيارة القدس المحتلة ، وهو ليس ممن رفضوا المفاوضات مع العدو الاسرائيلى فى الظرف الذى اختاره السادات ، ومع حماسه لذلك جميعه ، فقد وجد نفسه مضطرا ، للاستقالة من منصبه ، بعد تسعة شهور فقط ، عاين خلالها اسلوب التفاوض الساداتى ، وتوصل الى ان السادات قد اهدر بخضوعه للضغوط الامريكية ، وعدم أخذه بآراء مستشاريه وانفراده باتخاذ أخطر القرارات ، كل الثمار التى كان ممكنا أن تحققها مبادرته ..

ومع أن التجمع ، كان منذ البداية ضد مبادرة السادات ، إلا ان « كتاب الاهالى » ينشر هذه الطبعة المصرية لمذكرات محمد ابراهيم كامل ، ضمن « مكتبة كامب ديفيد » ، على سبيل التوثيق من جانب ، ومن جانب آخر ، لان جوهرها يقول انه حتى الذين لم يعارضوا زيارة السادات ، يرون أنه فرط فى حقوق مصر بالطريقة التى فاوض بها ، وبالنصوص التى وقع عليها فى اتفاقيات كامب ديفيد .

وهذا هو المعنى ، الذى يركز عليه شيخ المعارضيين المصريين فتحى رضوان فى المقدمة الشائقه التى كتبها لهذه الطبعة .

الثمن خمسة جنيهات مصرية ــ هذه الطبعة خاصــة
بجمهورية مصر العربية ويحظر عرضها خارج الأسواق المصرية